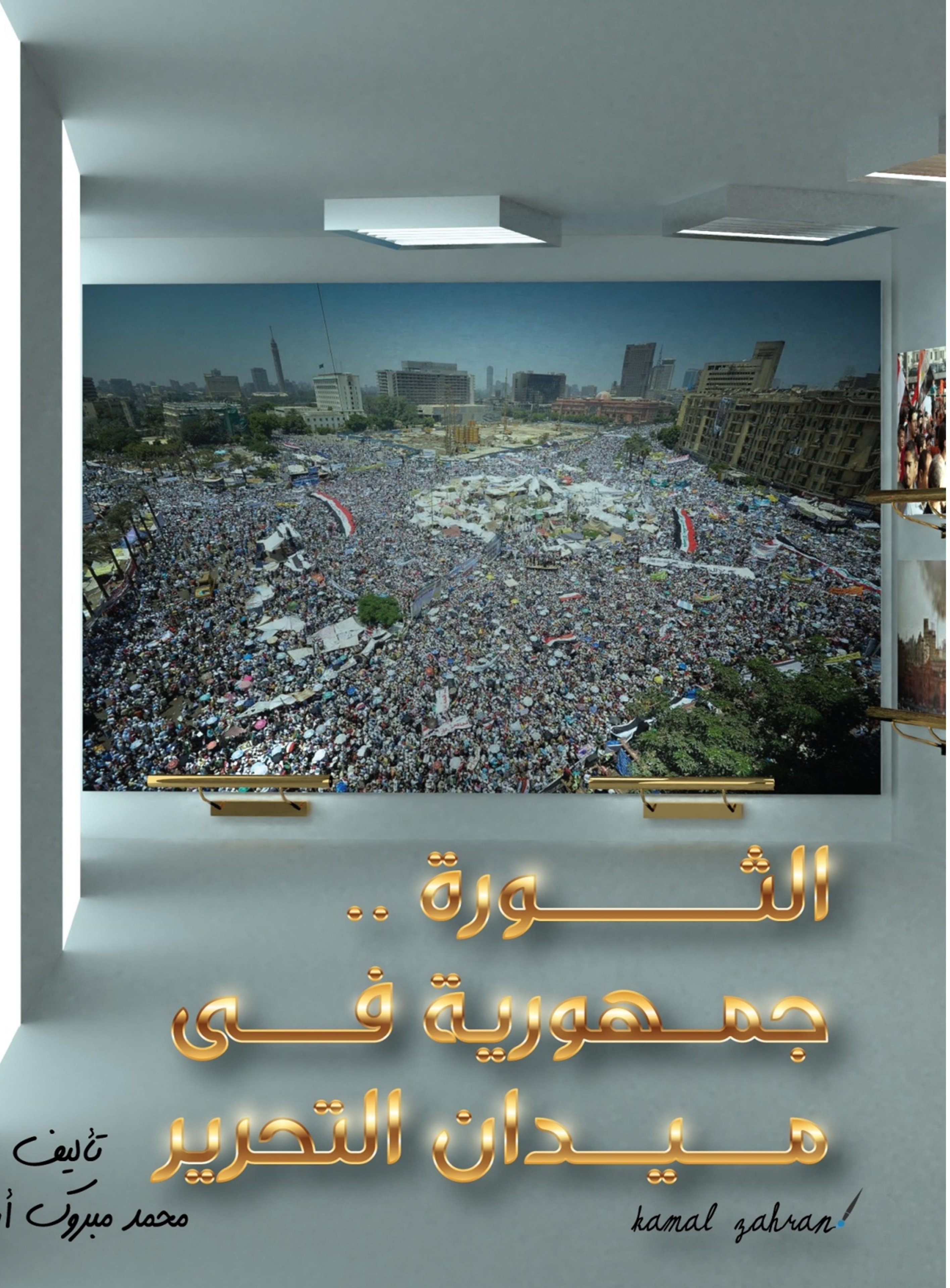

الثورة ..
جمهورية فى
ميدان التحرير
تأليف
محمد مبروك أبوزيد
kamal zahran

الثورة.. جمهورية في ميدان التحرير

الجزء الأول

بقلم / محمد مبروك أبو زيد

فبراير 2019

First Version 2019 Egypt

Mr, Mohamed Mabrouk Abozaid

إهداء

إلى أجيالٍ قد تأتِ بعدنا لتتذكر شهداء الثورة الأبطال، الذين صنعوا التاريخ بدمائهم ودفعوا أرواحهم ثمنا للحرية والكرامة.. فقلوبهم التي ضخت دمائها في الميادين والشوارع سطرت أسمى آيات التضحية في تاريخ الشعب

المحتويات

كلمة المؤلف

كانت دار الوثائق المصرية قد شكلت لجنة لتوثيق وتأريخ أحداث الثورة برئاسة د.خالد فهمي أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية، إلا أن اللجنة واجهت صعوباتٍ جمة، أولها أن المعتاد أن من يصنع التاريخ هو القصر الرئاسي والحاكم وحده صاحب القرار. أما في الثورة،فليس الأمر كما نظن؛ فمسار التاريخ لا يتحدد فقط بقرارات كبرى مصيرية تصدرها جهات سيادية، وإنما قد ترسم ملامحه قرارات عادية، خرجت من صدور أناس عاديين في لحظات مختلسة من عمر الأوطان.. هؤلاء الشباب والفتيات غيروا مسار التاريخ، أيام كان الآباء ينظرون إلى المظاهرات باعتبارها عملاً تافها ولا يمكن أن يغير وجه الحياة..فقد استشعر الشباب أنهم قادرين على صناعة مستقبلهم بأيديهم بعيدا عن رمزية الرموز وسيطرتهم، فكانت المرة الأولى التي يصنع فيها الشعب تاريخه بنفسه وبعقلٍ جماعي وبطولاتٍ جماعية ليتغلب على القصر الرئاسي وينتزع منه قلم التاريخ، فانتقل القلم من القصر إلى الميدان، مما أربك المؤرخين. فالتغيير عادة لا يأتي من سياسيين تقليديين احترفوا العمل في عالم ملوؤه الفساد وتعايشوا معه، بل يأتي من غير السياسيين.. فالحركات الشبابية لم تمارس العمل السياسي، ومع ذلك هي من دعت لتغيير الحياة السياسية في مصر، ملأت الشوارع بهتافاتها وشعاراتها، ما أدى لحراك سياسي وتغيير في العقلية الجمعية للشعب

وفي محاولات البحث عن قصص وبطولات شباب الثورة وكيفية إدارتهم للثورة، جاءت الروايات متناثرة تتحدث عن المشاركات الفردية لكل واحدٍ على مدار الثمانية عشر يوما، وهو ما يعني تفكك وتعدد الروايات، ولم تجد اللجنة عملا سرديا جماعيا يمكن اعتماده كوثيقة رسمية للثورة. ونظرا لأن الثورة هي حدث بحجم الوطن، فلا تصلح رواية الأفراد عن مشاركاتهم الفردية لتأريخ حدثٍ بهذا الحجم، لأن كل رواية من شأنها اختزال واختصار الحدث في حدود هذا الدور الفردي، وقد تم اغتيال أصحاب البطولات الحقيقية "الشهداء"، وكل من لوحظ من الشباب قيامه بتوثيق أحداث الثورة يوم جمعة الغضب، وربما كنت الوحيد الذي أفلت بكمرته ومفكرته، وكنت أعرف منذ البداية أننا نصنع حدثا تاريخيا بحجم الوطن، فقمت بتوثيق كل شئ يحدث حولي،وكان من الضروري إنكار الذات تماما في عملية التوثيق، فحاولت أن أتجاهل الكثير من مشاركاتي في الثورة كي أكون حياديا قدر الإمكان، أتحدث عن الثورة.. عن حدثٍ بحجم الوطن.. عن بطولات الشباب وإبداعاتهم.. لا عن نفسي وذكرياتي إلا في بعض المواقف التي تقتضي أن يكون المتحدث قد خاض التجربة بنفسه.

وفي هذا الكتاب قمت بتوثيق كافة الأحداث التي عاصرتها خلال الثمانية عشر يوما، بالإضافة إلى كتابات آخرين وشهادات سمعتها من شباب الثورة عن مشاركاتهم، وقد قمت بتدوين كافة الهتافات وتصوير كافة اللافتات التي رفعها الجمهور في ميدان التحرير، وقمت بالتقاط ما يزيد عن ألفي صورة بالليل والنهار داخل الميدان، ومقاطع فيديو سجلتها للأحداث، بالإضافة إلى مفكرتي والعبارات التي دونتها في لحظاتٍ متوترة من عمر الوطن، وما استطعت توثيقه من ذكريات شباب الثورة وأعضاء النظام الذي سقط بما فيهم حسني مبارك وقادة الجيش، حاولت دمج كل هذه المصادر وصهرها في عملٍ واحد يتناول حوارا دراميا بين أحداث القصر والميدان ليكون ذاكرة الشعب.

والله ولي التوفيق.

تحية للأبطال ،،

من ثورة مصر البيضاء ومن أرض الكنانة.. تحية إلى أرواح الشهداء..تحية إلى ثورة الياسمين في تونس الخضراء.. التي كانت ولا زالت جنة البلابل الأحرار.. غنى لها الشابي فخلدت غناءه وأطلقت أصداء صوته ترن في آذان الأحرار في كل الدنيا.. وهبت به رياح البحر الذكية.. لتحمله نسائم النهر الندية.. تنشره على ضفاف النيل.. ليستوطن ميدانها.. ميدان التحرير.. الذي كان ولا زال قبلة الثوار والأحرار.. فقد عاصر مصر الجمهورية منذ نشأتها، وجذب الملايين من جميع فئات وطبقات الشعب المصري وقد توحدوا تحت شعارٍ واحد وهدفٍ واحد، وأصرَوا ألا رجعة عنه.. فاحتضنت شمس الحرية جماهيره في يومٍ صار هذا الميدان مغطىً برؤوس البشر، وأعلامهم تنادي السماء بأعلى صوتها.. تداعب ضوء الشمس بأحلامها.. باحثة عن حريتها وكرامتها.

وإزاء هذا الزخم من الإصرار الذي ولد الصمود والثبات، شهد الميدان المئات من الشهداء والآلاف من الجرحى.. نفوس ذكية سقطت على أرضه لتضخ دمها في ترابه ثمنا للحرية والكرامة.. كانوا منتشرين حولي.. ربما كانوا أكثر مني شجاعة فدفعوا أرواحهم ثمنا للحرية.. فهم لا يزالون يداعبون خيالي لحظة بلحظة، ولا تبعدني عنهم سوى تلك المساحة التي لم تتجاوز حجم الحصاة بين أصابعي وأرض الميدان.. حينما كنا نرسم أسمائهم.. صورهم.. وأحلامهم.. حكاياتهم وأمنياتهم على أرض الميدان لتراها عدسات طائرة الرئيس التي تحوم فوقنا.. ومن أجلهم رسمنا بدمائنا مطالبهم " ارحـــــــــــل " لتحتل المساحة الكبرى في ساحة الميدان وتلتقطها عيون الرئيس بوضوح في طائرته ليفهم ما نريده أن يفعله..

وكنت دائما أنظر إلى السماء.. وكم بدت لي صافية من سحاباتها.. حبلى بأحلام الصغار.. أنظر إلى الحياة من حلولي.. كم هي وردية كوجوه الفتيات.. بريئة كـ ضحكات الأطفال.. وأنظر إلى الأمس.. كم بدا شقيا تبدو عليه تجاعيد الكبار.. مثقلا بالهموم كما الغيوم.. وانظر إلى حاضري.. كم يسبح في بحر هائج وإن بدت شواطئه قريبة.. ومعالمه ترسم تفاصيلها كل لحظة وثانية بدماءٍ ذكية.. أنظر إلى المستقبل.. كم بدا صاخبا بأحلامٍ وأمال.. تعلو وترفرف في سمائه بشائر الحرية ناشرة ألحانها ملء الأفق.. أنظر إلى الأرض.. فأشعر أنها أرضي وليست أرض النظام.. أخشى عليها وطآت أقدامي وعبث أناملي بترابها.. أحلم بأن أعيش لها وأموت لها.. فهذه الأرض أرضي.. وهذى سمائي.. وهذى مصر بلادي.. وهذا تاريخ أجدادي.. وهذا حاضري ومستقبل أحفادي وأجيالٍ قد تأت بعدي.. كي تذكر أننا وقفنا هنا لأيام ومتنا ساعات وعشنا لحظات.. دفاعا عن حريتنا وكرامتهم.

مقدمة

" يمر الآن في خيالي مشاهد سريعة من مسيراتنا الصغيرة جدا في عام 2005 في شوارع ناهيا، بهتيم، وشارع شبرا. حيث كنا مجموعة من الشباب والفتيات يطلقون على أنفسهم شباب من أجل التغيير (حركة كفاية). وكنا نهتف بصوتٍ عالٍ " يا أهالينا ضموا علينا، آدى مطالبنا وآدى أمانينا..حرية حرية ". (خالد عبد الحميد عضو ائتلاف شباب الثورة)

" فلا أستطيع أن أتذكر كيف بدأت كواليس الإعداد ليوم الثورة، دون الخوض في أعماق أعوامٍ كاملة سبقتها، سواء بإعداد مباشر لهذا اليوم، أو غير مباشر ليوم غضب طالما حلم به ثوار أنقياء، وقفوا وحيدين على سلالم نقابة الصحفيين، لأيام وليالٍ خلال أعوام مضت، ليهتفوا: "بكرة الثورة تقوم ما تخلى". (زياد العليمي عضو ائتلاف شباب الثورة)

فالثورات عادة يقودها الأحرار ضد الظلم والاستبداد والقهر وقمع الحريات، والروح التحررية الثورية هي التي ترفض الخضوع للذل والهوان وتهب لدفعه إذا ما استشرى في البلاد، مستعدة للتضحية بالدماء والأرواح ثمنا للكرامة والحرية.. أما العبيد فلا يسعون لتحرير أنفسهم وإنما ينتظرون من يعتقهم، لكنه بعد تحريرهم يطمع فيهم فيعيدهم إلى عصمته ليبقى هو ملكا عليهم.. فعادة ما تكون الكرامة والروح على كفتي ميزان، فإذا غلب حب الروح والحياة على شعب، قبل الذل والهوان، وإذا ما غلبت الكرامة والنخوة، قامت الثورة..

وإن كانت بؤرة الثورة العربية قد اشتعلت في تونس الخضراء.. فقد بدت لنا في مصر للوهلة الأولى استغاثة مقبلة من تحت الأنقاض.. لكن سرعان ما تعاضدت السواعد وتداعت لها أنقاض النظام الاستبدادي، وانفرجت حطامه لتخرج الثورة من رحم الظلام.. حتى أصبحت الآن ترج أطراف العالم ولسان حالها يهتف باسم الحرية والعدالة. وقد تصورنا لعقود طويلة أن وطننا العربي صار شجرة طاعنة في العمر شاحبة اللون.. ذبلت أوراقها وتساقطت في خريف الظلم والاستبداد.. إلى أن هبّت رياح الغضب.. وحل ربيع الحرية يرد إليها روحها بعد أن كانت محض أحلام وآمال مرهونة بأكتاف الصغار.

هكذا الشعب الأصيل.. إن نام عصرا يهب فجرا.. وإن سلب قهرا يثور غضبا.. وإن خذل يوما لا يقهر أبدا.. وإن غابت عنه العيون أبهرها بما لا يهون.. وإن صمتت عنه أقلام التاريخ ردحا يرجها فزعا.. وإذا أراد الحياة يوما تكسرت القيود.. وانقشعت الغيوم وهبت الأقدار تجيب.. فأنا المصري.. ووطني الأبيُ وتاريخي العريق وشعبي الأصيل.. نحن شعب يدمن العمل ويقدس البناء ويعشق الحضارة..

فبقدر ما يحمله الشعب المصري من قوة ثورية وعظمة وفخر.. بقدر ما تعرض له من نكباتٍ وظلم وطغيان وقمع لحرياته وإهدارٍ لكرامته ومصادرة لأمواله واستهانة بمقدراته وعبثٍ بثرواته.. وحقيقة، لا تسعني " واو العطف " لأكيل لها أثقالي وهمومي.. ورغم ذلك لا يسعني إلا استخدامها جبرا حتى وإن فاض كيلها.. فما أكثر ما تعرض له الشعب الثائر من بطشٍ ومصادرةٍ للعقول والموارد سواء من الداخل أو الخارج.. فبقدر ما تتمتع به مصر من عظمة وحضارة وتاريخ وثروات طبيعية وبشرية.. بقدر ما هيج أطماع الغاصبين.. وهذه الظروف ذاتها هي سبب الفساد الداخلي لمصر، بالإضافة إلى نوبات الاستكانة والاستسلام التي يعيشها بعض أجيال الشعب،وهو ما يدفع الحكام للاستئثار بالحكم والسلطة لفترات زمنية طويلة ما يؤدي في النهاية إلى التفاف فئة من رجال المال والأعمال حول الحاكم والسلطة.. وبمجرد اقترابهم من باب السلطة يشعرون بالعظمة ذاتها التي يعيشها الحاكم، فيغازلون السلطة والمال معاً..

والثورات الناجحة عادة لابد أن تسبقها تضحيات وتصحبها مجموعة من الأهداف والمبادئ، تكون بمثابة وقود الدفع المحرك لهذه الثورات، وعادة ما تشمل تغيير الأنظمة السياسية الحاكمة والأنظمة القانونية الفاسدة أو المخترَقة وإعادة تنظيم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويكون التغيير هو السبيل الوحيد لتحقيق هذه الأهداف ولا يفي مجرد الإصلاح بالغرض؛ لأن الإصلاح هو مجرد إعادة ترميم لشيء قديم طال عمره وصار مهلهلا، أما التغيير فهو رفض الواقع المتردي والثورة عليه لإحلال نظام جديد يحفظ كرامة وحقوق الشعوب. فالثورة هي بالأساس لحظة تضيء فيها شعلة الوعي الجمعي للمجتمع، وليست مجرد قنبلة غضب تنفجر في الشوارع والميادين.

فالقمع والطغيان والاستبداد بالحكم والاستئثار بالثروات وتفشي الفساد يولد اليأس والإحباط والأنانية وحب الذات وعدم الولاء للوطن أو الكفر به.. حالة من السلبية واللامبالاة لا تلبث أن تولد الانفجار من رحم لا يأس والإحباط بحثا عن الكرامة المهدرة والحقوق المسلوبة. وقد شهدت مصر في العقدين الأخيرين ممارسات استبدادية متعسفة أدت إلى تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتغاضت الأجيال القديمة عما آلت إليه مصر، ورفضه جيل البراعم الشابة التي ثارت عليه. هذا الجيل الذي تربى على التكنولوجيا العصرية الحديثة وأصبح من اليسير عليه تبادل الآراء وتجاذب أطراف الحوار في لقاءاتٍ واجتماعاتٍ افتراضية عبر الشبكة العنكبوتية.

وقد أدى تراكم الغضب الشعبي إلى حالة من الاحتقان الشديد في بعض الأحيان لدى شرائح واسعة من المجتمع المصري خاصة الشريحة الوسطى التي تلاشت وقاربت على الفناء لغياب العدالة في

توزيع الثروة والاستبداد السلطوي الذي كاد أن يحوّل المجتمع المصري إلى شريحتين متباعدتين، الأولى هي شريحة السادة من الأغنياء وذوي النفوذ الذين يتلاعبون بالمال والسلطة، وتحوّل مصير الشعب في أيديهم إلى رقعة شطرنج تسير خطتها وفق أهداف ومصالح اللاعبين؛ أما الشريحة الثانية فهي شريحة العبيد المطحونة التي تسعى لكسب قوتها يوما بيوم..

وإن كان الشاب التونسي "محمد بو عزيزي" قد ارتكب خطأ في حق نفسه حينما فقد أمله في حياةٍ كريمة، فقد فجّر بركانا غاضبا تناثرت حممه مشاعل تحرق عروش الطغاة المستبدين الذين صلبوا كرامة الأوطان على مشاجب الذل والهوان في ظل نظم بوليسية قذرة.. محمد بو عزيزي، هذا الشاب البسيط الذي أشعل نار الثورة في تونس 2011، كان يعمل بائعا للخضار في شوارعها، وطاردته الشرطة وصادرت عربة الخضار التي يعمل عليها وبها الميزان وبعض الموز والفلفل، وبرغم أنه توسل للشرطية أن تتركه وحاله، لكنها صفعته على وجهه قائلة؛ ارحل .. ارحل.. فعزت عليه نفسه فأشعل فيها النار، فخرج الشعب التونسي في اليوم ذاته ليقول لرئيسه "زين العابدين بن علي"ارحل أنت أيضا فقد غطى فسادك الحياة .. وبرغم أنه توسل لشعبه أن يتركه إلا أن الشعب التونسي لم يتنازل عن كرامته واعتصم في الميادين حتى رحل الرئيس عن تونس هاربا بطائرته، لم تقبل معظم دول العالم استضافته حتى هبط مكسورا على الأراضي السعودية..

وقد جاءت الدعوة في مصر لوقفة احتجاجية موجهة تحديدا لوزارة الداخلية بمناسبة الاحتفال بعيدها القومي واعتراضا على ممارسات الشرطة القمعية، فهي العصي الحديدية التي يضرب بها النظام البوليسي أعناق المواطنين ويخرس أفواههم، لكن عندما تجمعت حشود الشباب من المجموعات الافتراضية والواقعية في شوارع مصر وميادينها وزادت أعدادها عما كان متوقعا،ظهرت الهتافات موجهة أولا إلى الشرطة، وأجهزة القمع البوليسية، ثم تطورت إلى فضح الظروف العامة التي يعاني منها المواطنين في هتاف جماعي موحد " تغيير.. حرية.. عدالة اجتماعية " هكذا حدث التحوّل الأول في مسار الثورة، وقرب الغروب من ذات اليوم- 25 يناير- كانت أعداد المواطنين في تزايد مستمر ولم تتوقف على شريحة الشباب فقط بل ضمت كافة شرائح المجتمع، وهنا حدث التحوّل الثاني في مسار الثورة، وقد شكلت الحشود الجماهيرية نوعا من الجرأة وتحدي السلطة وتصاعد الهتاف التاريخي " الشعب يريد إسقاط النظام "، وربما كانت هذه العبارة التاريخية هي ما زرع القوة والجرأة في قلوب الجميع وحوّلت اليأس والخوف والإحباط إلى قوة حماسية وطنية دفعت الجماهير إلى الصمود في المظاهرات والاعتصامات لثمانية عشر يوما متواصلة حتى رحل النظام عن الحكم، والذي أعلن بسقوطه رحيل

الطغيان والاستبداد والقمع عن الوطن العربي وعاصمته.. فانتشار الانتفاضة المصرية إلى كافة بلدان الوطن العربي إنما يؤكد على فكرة القومية، ووحدة النسيج من الخليج إلى المحيط، وهي وحدة الأصل والدين واللغة والثقافة والتاريخ مع اتصال الجغرافيا، ويؤكد اندماج القوميات المفتتة لتعود إلى أصلها في قومية عربية واحدة.. فلا سبيل إلا أن تعود إلى أصلها بعد فراق أبنائها مهما طالت العقود..

ولقد تعددت الثورات في دول العالم، إلا أن الثورة المصرية تفردت بملامحها المصرية الخالصة، وهذا ما ميزها على جميع الثورات التي شهدها التاريخ، فهي ثورة بلا قائد ضد نظام متعدد الرؤوس، تشعبت أطراف فساده وتشابكت مصالحها لدرجة الغموض، عكس الحال في حركة الضباط في 23 يوليو 1952 إذ كانت حركتهم موجهة ضد شخصٍ بعينه . وما مكن الثورة المصرية من إسقاط النظام هو كونها خرجت بلا قائد؛ فالقائد الذي يستطيع حشد الجماهير بإمكانه صرفها تحت الضغوط والتحايلات السياسية ، وبإمكان النظام المتشعب التخلص منه أو تصفيته أو وأده سياسيا، لكن الثورة المصرية قادها ضميرٌ شعبيٌ توحدت آلامه وآماله، خاصة شريحة الشباب الذي أدرك بفطرته الجماعية أن نضاله هو طريقه الوحيد إلى حريته وكرامته وحقوق شعبه.. وهذا ما يؤكد كونها ثورة في الوعي الجمعي لا مجرد رفضٍ لنظامٍ سياسي. وقد حاول نظام مبارك محاربة ثورة الجياع قبل اشتعالها فأطاحت به ثورة الشباب الذين رفعوا له شعارات " لسنا جياع وإنما خرجنا لاسترداد حرية مسلوبة".

فقد شهدت مصر والعالم تجمع الشباب من جميع طبقات الشعب المصري، من البسطاء وخريجي الجامعات المصرية والأجنبية والشعراء والكتاب والمفكرين المناهضين للقمع والفساد، ومن شباب الأحزاب المعارضة والجماعات الإسلامية والشباب الشعبي البسيط، تصدوا بصدورٍ عارية لجحافل الأمن المركزي على مدار أربعة أيامٍ متتالية، واعتصموا في الميدان، وقد ألفوا وغنوا أغاني وطنية ومناهضة للنظام بشكل كوميدي أذهل العالم، وصنعوا أروع ثورة في تاريخ العالم وعلموا شعوب الأرض كيف تكون الثورات جدية.. سلمية وعفوية ومبتسمة رغم الآلام.. وهذا ما دفع العالم إلى الحديث عن الثورة المصرية الغنائية الضاحكة التي حققت أهم معجزة سياسية دون عنف، بل وابتعدت تماما عن العنف بكل أشكاله، فهي أول ثورة في التاريخ تشتعل بهتاف الجماهير " سليمة .. سلمية "، وهي أول ثورة في التاريخ يشارك فيها الفتيات والنساء والأطفال.. وهي أول ثورة في التاريخ تحمل مطالبها في أبيات الشعر والزجل وتتغنى بها على أوتار العود والجيتار.. وهي أول ثورة في التاريخ ترسم الفتيات مطالبها ومبادئها في لوحاتٍ فنية وجدارية على أرض الميدان.. فما حدث عقب الثورة الفرنسية من مذابح لتصفية بقايا النظام المستبد، راح ضحيته عشرات الآلاف من الأبرياء والعلماء والمثقفين، وما حدث في إيران عقب الثورة

الإسلامية عام 1979 م من تصفية بقايا النظام ومحاربة خصوم الثورة كان أقرب إلى مجزرة جماعية تخطت ضحاياها التسعين ألف قتيلٍ وذبيح، بل إنها شهدت من بشاعة ألوان التعذيب ما يجعل القول بأن القتل والذبح أقرب إلى الرأفة؛ فالتعذيب فاق الاحتمال. وأما الثورة الأمريكية التي لم تكن ثورة حقيقية بمفهوم المصريين، بل كانت فرصة للثيران الهائجة من حلبة الصراع للسلب والنهب والقتل والترويع.. ولهذا تفوقت الثورة المصرية وتفردت بملامحها المصرية وطابعها الإنساني السلمي العميق.. فالمصريون عادة يحملون في صدورهم قلوبا بيضاء لذا كانت ثورتهم بيضاء مثل قلوبهم.. وهي من ذات التجربة التي حدثت في ثورة 1919م ضد المحتل، فهذه طبيعة الشعب المصري وليست صفة دخيلة عليه.

والثورات الديمقراطية لا تنتقم من بلادها وماضيها أيا كان حجم فساده، بل تتسامح لتنطلق إلى المستقبل ولا تضيع طاقاتها في الانتقام من الماضي وتصفية حساباته، بل توظف طاقاتها لبناء مجتمع جديد لضمان عدم عودة الماضي الكريه، فغالبا ما تقوم الثورات على محاربة أعدائها وإجهاض الثورات المضادة بإجراءات استثنائية من الاعتقالات والملاحقات الأمنية والمحاكمات السياسية والثورية السريعة في ظروف غامضة لحماية مكتسباتها والحفاظ على كيانها السياسي حديث الولادة، فمنطق الثورات ليس " المتهم برئ حتى تثبت إدانته، بل أن المتهم مُدان حتى تثبت إدانته؛ أما الثورة المصرية فلم ترض بهذه الإجراءات الاستثنائية المتعسفة ولم تهدر الحقوق العامة للإنسان في محاكمة عادلة، ولم ترض عن القانون والعدالة بديلا.

إن مصر من خلال وقائع ثورتها الرائعة كشفت عن المعدن المصري الأصيل وأجلته من كل ما علق به من شوائب وظهر ذلك واضحا للعالم،كونها بدأت شبابية وتحولت شعبية جماهيرية، ومع ذلك حافظت على سلميتها ونظامها ومدنيتها منذ يومها الأول من جهة، وعلى صلابتها وصمودها حتى إنجاز هدفها الرئيس وهو خلع نظام مبارك. وكذا من خلال اتحاد عنصريها مسلمين ومسيحيين في ميدان التحرير مقر الثورة المصرية، فقد عمد النظام البائد إلى زرع بذور الفتنة الطائفية بين أبناء الوطن كي ينصرف إليها ذهن المجتمع المصري ويبتعد عن قضايا وطنه ويغفل سياسات بلاده، ومع ذلك فقد ضرب الشعب المصري أروع الأمثال في حوار الأديان واحتضان مصر لعنصريها في سلام ووئام..فالمصريون اليوم لهم الحق أن يفخروا بتاريخهم العريق وحضارتهم الخالدة ووحدتهم الدائمة وثورتهم البيضاء..

المؤلف

(1)

في طريق الحرية

انطلقت بنا السيارة في الطريق من الإسكندرية إلى القاهرة ، منتصف ليل الاثنين 24 يناير.. لم نشعر بحركتها أو توقفها أمام علامات المرور.. فمقاعدها فاخرة ومريحة جدا.. لكن على ما يبدو أنه ليست مصر وشعبها يجلسون في منازلهم الآن على مثل هذه المقاعد الوثيرة.. كان خيطا رفيعا فاصلا في الزمان.. وجسرا هائلا من الأحداث.. يفصل ضوء الفجر عن ليله المظلم.. وربما يفصل جيلا جديدا عن أجيالٍ وعهودٍ قديمة.. تمر الدقائق علينا وكأن الشمس تشرق وتغرب كل دقيقة.. انطلقت السيارة بسرعة وانطلق خيالي معها.. صارت ذاكرتي تقلب صفحات التاريخ بعفوية باحثة عن بريق أملٍ يبشرني بانتفاضة ناجحة تخلصنا من هذه الحياة الكئيبة.. أنظر ساعة معصمي في قلقٍ ربما أخطأت عقاربها.. أشعر بأن مصر في لحظات تعبر قرونا من التاريخ.. تخلع ثوبها القديم البائس وترتدي ثوبا حضاريا جديدا..أحلم أن تستعيد مصر حضارتها الفرعونية وأن ينظر إلينا العالم اليوم كما ينظر إلى تاريخنا العريق.. وأتساءل وأعود مستطرقا مستغرقا.. لا أريد أن يسبق حلمي واقعي فتذهب أحلامي أدراج الرياح..

كان الجو هادئا رطبا تغشاه خيوط الضباب الخفيف وبعض قطرات الندى التي تراكمت على زجاج السيارة.. وانطلقت بنا السيارة.. لا نكاد نسمع صوت محركها أو إطاراتها أو حتى تيارات الهواء.. سكون تام لم يخترقه سوى حوارنا الساخن ونقاشاتنا الحادة.. نتجاذب جميعا أطراف الحوار حول ما قد يحدث غدا. 25 يناير 2011. وفي هذه الرحلة الساخنة، جذبت نقاشاتنا موضوعاتٍ كثيرة وتفاصيل دقيقة.. وعرفت أن الحكومة قد اقترحت أن تعلق الجامعات امتحاناتها يومين أو أكثر حتى لا يتفرغ الطلاب للمشاركة في موجة الاحتجاجات والمظاهرات ويظلون مرتبطين بمذاكرتهم في منازلهم.. لكن أجمل ما في الموضوع هو تغريدات الشباب على تويتر، بدت أكثر من رائعة، فالبدايات دائما تشير إلى النهايات..

كانت آراء الشباب وأفكارهم قد تلاقت وتآلفت على مواقع التواصل الاجتماعي.. وكانت الصحف المستقلة وحركة رصد الإخبارية تنشر باستمرار ما حدث في ثورة الشعب التونسي وما يتداوله الشباب المصري من أفكار ومعلومات على المواقع الإلكترونية، كطريقة استخدام البيبسي كولا للإفاقة من إغماء الغازات الخانقة، حتى أن جريدة الشروق نشرت اليوم 24 يناير تقريرا مفصلا عن

تحركات الشباب والبروفا التي أجروها لتنظيم المظاهرات والخطط الاستراتيجية التي سيتحركون وفقا لها. في حين أن الصحف الحكومية تجاهلت الأمر تماما ولم تلتفت إلى شيء من هذا القبيل، وكأن شيئا لا يحدث على شاطئ البحر، بينما كانت الثورة مشتعلة في تونس وريحها أوشكت على قرع أبواب المصريين، بل ركزت على تعليقات رموز النظام الساخرة من أفكار الشباب وتغريداتهم. وكان المتعارف عليه في أوساط المجتمع أن "شباب الفيس بوك " مفرغ تماما من الثقافة والفكر والعمل،وأن شغله الشاغل هو العلاقات المستهجنة اجتماعيا والصداقات الوهمية والألعاب الإلكترونية.. وكان الاعتقاد السائد في الأسر المصرية من جيل الآباء والأجداد أن الجلوس أمام الكمبيوتر لهوٌ ولعبٌ وقتلٌ للوقت دون فائدة، حتى ولو كان اللعب في السياسة أو بالسياسة.. فالمتوقع أن هذه الحوارات واللقاءات الافتراضية لن تجد طريقها يوما إلى أرض الواقع، وأن المشروعات التي تنسج خيوطها في عالم الإنترنت لن تغادر واقعها الرقمي الافتراضي لتواكب أحداثها على أرض الواقع لتغيَر مجرى التاريخ، وتعيد رسم الخريطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مصر بل في الشرق كله خلال أيام قليلة قادمة..

وتطرق بنا الحوار إلى داخل غرفة العمليات الثورية، وإن كان الشباب الثوري خلال القرن الماضي قد اعتاد أن يتخذ له غرفا سرية تحت الأرض وفي الطوابق السفلية من العمارات " البدروم " ليضع خططه وتحركاته الثورية، وغالبا ما كانت قوات الأمن تلاحقهم بالاعتقالات والمحاكمات السرية الاستثنائية قبل تنفيذ خططهم الثورية، نتيجة لاجتماعاتهم المتكررة، خاصة أن هناك عيون للأنظمة الاستبدادية منتشرة في كل مكان، إضافة إلى بعض من الطبقات الأرستقراطية كانوا يهاجمون الثوار بشدة ويرشدون عيون الأمن على أماكنهم ومقرات اجتماعاتهم، وكانوا يرون أن الثوار مصدر قلقٍ وإزعاجٍ وزعزعة لأمنهم واستقرارهم، حتى في عهود الاحتلال كان الكثير من الطبقات الأرستقراطية يرشدون عيون الاحتلال والبوليس السياسي الأجنبي على معاقل الثوار ومقار اجتماعاتهم؛ لأن الاحتلال الأجنبي لم يكن يمثل أيَ نوعٍ من القمع والظلم لهم، بل أن الثورة قد تكون أخطر عليهم من احتلال بلدهم.. وبرغم ذلك فكان الزعيم والمناضل المصري محمد فريد والزعيم طلعت حرب أبو الاقتصاد المصري.. كانا من الطبقة الارستقراطية.. فالنزعة الوطنية لا تفرق بين غني وفقير في كثيرٍ من الأحيان..

أما في عصرنا الحالي فلم تعد مجموعات الشباب الثوري في حاجة إلى أن تبحث عن غرفة سرية أو مخبأ في" بدروم " العمارات السكنية، وإنما في سقف التكنولوجيا التي لم تستوعبها العقليات الأمنية بعد، ولم تنجح في التعامل معها بحرفية الأجيال الجديدة من البراعم الشابة.. فهي في غالبها أنظمة

رجعية ولا تجيد التواصل مع مجريات العصر سواء كانت الحريات العامة أو الأفكار والآراء والثقافات أو حتى التكنولوجيا الحديثة.. وكان الشباب قد اتخذوا خطئ ثورية عديدة للأعمال التحضيرية للثورة، على أمل أن يتحرك الشعب وتمتلئ الشوارع بالمظاهرات لتستقر في غرفة الاعتصام الثورية الكبرى، وهي ميدان التحرير..

وقد نمت خطة الثوار إلى الاعتصام في ميدان التحرير بطريقة سلمية، وهذا ما مثل عامل القوة بالنسبة لهم لكبر وضخامة الحشود الجماهيرية، وقد يكون ذاته عامل الضعف في حال إذا تمكنت قوات الأمن من فض اعتصام التحرير، فما خارجه يسهل التعامل مع أو أنه ليس تحديا صعبا بالنسبة لقوات الأمن مقارنة بميدان التحرير. وابتعد الشباب عن تكرار التجربة التونسية، لأنه بطبيعة الحال فإن قوات الأمن المصرية قد درست التجربة التونسية بدقة وصارت مستعدة لفض المظاهرات وإخمادها في حال تكرار التجربة التونسية، غير أنهم قد استعدوا لكافة الاحتمالات ووضعوا القناصة وثبتوا أجهزة القنص وعدساتهم فوق أسطح المباني الحيوية على خطوط السير وفي ميدان التحرير والشوارع المؤدية إليه ونشروا قناصتهم فوق مباني التحرير ووزارة الداخلية والجامعة الأمريكية والعمارات المطلة على ميدان التحرير وميدان عبد المنعم رياض المؤدي إليه خاصة فندق رمسيس هيلتون العتيق وفي منطقة ماسبيرو حول مبنى الإذاعة والتليفزيون، وأعدوا خطتهم كاملة قبل يوم الثلاثاء 25 يناير.

وجاء ميدان التحرير كهدفٍ للثورة المصرية ومقر للاعتصام لعدة أسباب، يأتي على رأسها تاريخه العريق وعلاقته المباشرة بالثورات المصرية، وقد أنشئ ميدان التحرير في عهد الخديوي إسماعيل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ضمن خطة إنشاء حي مصر الجديدة، وجاء تصميمه على شكل هلال مماثلا لقوس النصر في باريس، وتميز الميدان بموقعه في قلب القاهرة، بالإضافة إلى مساحته الشاسعة بما يجعله يسع مئات الآلاف بل الملايين من الجماهير، واتصاله المباشر بالميادين والساحات المجاورة في محيط وسط البلد، والمباني الحيوية في القاهرة ومقار الوزارات والسفارات، وموقعه المتميز الذي يربط القاهرة بالجيزة عبر جسرين عظيمين هما شريان الحياة والحركة في القاهرة؛ كوبري قصر النيل وكوبري أكتوبر، وسهولة الوصول إليه من كافة الجهات من خلال المداخل الثمانية، بالإضافة إلى محطة المترو التي تربط محافظات القاهرة الكبرى الثلاث (القاهرة والجيزة والقليوبية) من خلال تقابل خطي المترو الرئيسيان. وكذلك وجود مقر الجامعة العربية في الميدان جعل سببا إضافيا لأهميته لمرور الرؤساء والملوك والقادة الكبار من خلاله كمعلم رئيسي للقاهرة. إضافة إلى وجود

الجامعة الأمريكية التي كانت رمزا للوجود الأمريكي الثقافي في مصر وقبلة للمظاهرات ضد السياسة الأمريكية في الستينيات. أما مجمع التحرير فهو ما يزال شاهدا على البيروقراطية الحكومية بجيش من الموظفين، فيما لا يزال المتحف المصري في الركن الشرقي للميدان شاهدا على حضارة مصر الفرعونية العظيمة، وفى الركن الغربي جامع عمر مكرم نقيب الأشراف. وإلى جانب الجامع الكنيسة الإنجيلية كنيسة الثورة في ٢٥ يناير التي تحولت مع جامع عمر مكرم إلى ساحة خلفية لعلاج المصابين.

وقد شهد الميدان العديد من الثورات والاحتجاجات والاعتصامات الشعبية بداية من ثورة عرابي 1881 التي مرت به في طريقها إلى قصر عابدين،مرورا بثورة 1919 م، وكان مركزا للاحتجاجات والمظاهرات التي قامت في عهد الملك فاروق لفساد الملك وحاشيته، وقد شهد أيضا نشأة الجمهورية الأولى في مصر بقيام حركة يوليو 1952 م، وشهد عروضا عسكرية قامت بها عشرات من مدرعات الجيش لإجبار الملك فاروق على التنازل عن الحكم، وشهد ميدان التحرير احتفالا شعبيا عسكريا عاما في عام 1954 م بالألعاب النارية وعروض بالمدرعات والدبابات والطائرات والمظلات خلال مظاهرات الجلاء، حيث كانت أول مليونية يشهدها ميدان التحرير، وخطب فيها قادة الثورة وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب.

والمدهش أن التحركات السياسية للجماهير في الشارع المصري اختارت شهري يناير وفبراير علي وجه الخصوص طوال الفترة السابقة.. وكان ميدان التحرير شاهدا على مطالب التغيير في مصر، بداية من الثورة على الاحتلال البريطاني وأشهرها مظاهرات فبراير الطلابية التي خرجت من جامعة القاهرة، واستشهد فيها عدد من الطلاب، وأصبح تاريخ ٢١ فبراير عيدا لطلاب العالم تخليدا لذكرى طلاب مصر، كما شهد الميدان مظاهرات صاخبة في ٢٦ يناير ١٩٥٢إلى المظاهرات الطلابية والعمالية أيام الرئيس الراحل عبد الناصر احتجاجا على الأحكام الهزيلة التي صدرت بحق قادة الطيران في فبراير عام ١٩٦٨، واستوعبها عبد الناصر وذهب إلى جامعة القاهرة مخاطبا الطلاب والشعب وقال قولته الشهيرة " الشعب يريد وأنا معه ". وبرغم أنها لم تكن سياسية الطابع إلا أنها كانت في شهر يناير وكانت المرة الأولى أن يخرج الشعب المصري معترضا على أحكام القضاء.

واشتعلت الجامعات من جديد عندما أعلن الرئيس الرحل أنور السادات عن تأجيل حرب تحرير سيناء بسبب الضباب، وانفجرت حركة طلابية عارمة خرجت من الجامعات في ٢٣ يناير 1971 لتحتل ميدان التحرير يومين ويتحول الميدان إلى قبلة للثورة ضد نظام السادات. وكان بينهم الشاعر الساخر

أمل دنقل الذي أنشد قصيدته الشعرية الساخرة بعنوان " الكعكة الحجرية " كتب كلماتها وهو جالس وسط الطلاب على القاعدة الرخامية في قلب الميدان، والتي وصف قصيدته باسمها فأشعل قلوب الطلاب، عبر فيها بأسلوبه الشعري المقنع عن مدى غضبه لفض اعتصام الطلاب ومدى سخريته من نظام القمع البوليسي الذي اتبعه السادات في سياساته. ولم تهدأ الجامعات وعاد الطلاب في العام التالي في أول يناير للميدان مرة أخرى احتجاجا على اعتقالات جديدة في صفوفهم، ولم تهدأ الجامعات والحركة الطلابية إلا بعد دخول مصر حرب أكتوبر المجيدة التي قامت على أكتاف مليون طالب جامعي تم تجنيدهم في الجيش مما ساهم في تحقق النصر.

ثم شهد شهر يناير الاحتجاجات العنيفة عام 1975 حينما تجمع عمال حلوان أمام محطة المترو القديمة بباب اللوق ضد نظام السادات، وسرعان ما لحق بهم آخرون يهتفون بشعارات ذات طابع اقتصادي إلى جانب شعارات أخرى ذات طابع سياسي، ووصل الأمر إلى مقارنة عبد العزيز حجازي رئيس الوزراء آنذاك بهتلر .. وهو ما يحمل دلالة على أن الجماهير يفيق ويتحرر وعيها السياسي في شهر يناير من كل عام، وتحاول كسر القيود دائما، ونقرأ ذلك بسهولة في هتافها " حكم النازي ولا حجازي" .. وحجازي كان هو رئيس الحكومة..واستمرت مظاهرة يناير عام 1975 يوما واحدا، لكنه أيقظ مصر بكاملها، فقد كانت هذه المظاهرة هي أول مظاهرة واسعة ذات مطالب اقتصادية منذ ثلاثة عقود تقريبا.

وبعد عامين فقط، وفي شهر يناير أيضا، اندلعت مظاهرات الخبز في 18 و19 يناير عام 1977 حيث كانت الأزمة الاقتصادية تعصف بالفقراء، وجاءت استجابة السادات بأن وصفها بـ" انتفاضة الحرمية"!! وكانت الحكومة اتخذت قرارات مفاجئة بزيادة أسعار عدد من السلع الأساسية ليلة 18 يناير، وفي الصباح كان الزلزال، كانت هذه المظاهرات تلقائية تماما.. وعلى مدى يومين كاملين خرج الملايين في أغلب المدن المصرية يندد ون برفع الأسعار وسياسة الحكومة، وهو ما دعا السادات للهروب إلى أسوان استعدادا للفرار، وقام المتظاهرون بتحطيم وحرق عدد كبير من مقار الحزب الحاكم وأقسام الشرطة والمباني الحكومية، وخرج البلطجية والمجرمون من الجحور بعد فشل قوات الأمن في السيطرة وسقط عدد من الشهداء والجرحى..

إضافة إلى ذلك، فقد شهد ميدان التحرير موجة المظاهرات والاعتصامات التي اجتاحت البلاد عام 2003 م في 20 و21 مارس اعتراضا على الغزو الأنجلو أمريكي للعراق حيث احتشد به مئات الآلاف من الشباب، وتم فض اعتصامهم منتصف الليل بذات الطريقة القمعية..وفقد شهد ميدان التحرير ميلاد أجيال نشأت على حلم التغيير والحرية وهو لا يمثل قدسية لدى الثوار فقط، فالأنظمة السياسية في مصر تخشاه، والجميع يخاف منه لأن الشعب يعشقه، ومع كل حدث، ولو بسيط، يغلقونه بالدبابات والمجنزرات العسكرية.



ولم يكن غريبا أن تشتعل المظاهرات في يناير، وفصل الشتاء عادة، لأن المظاهرات هي حركة تحررية في العقل الجمعي، تدفعها إرادة الجماهير للتخلص من القيود، وبطبيعة العقل البشري أن يتجه إلى التحرر في 21 من شهر ديسمبر ويستمر صعودا مع يناير وفبراير وحتى 21 مارس، بينما فصول الربيع والخريف يميل العقل الجمعي للخضوع، وأما في فصل الصيف يميل العقل إلى التعاطف ولا يمكن أن تحدث حركة تحررية في العقل الجمعي ذات طابع فكري، حتى وإن خرج الشعب إلى الشوارع كما حدث في المظاهرات التي رفضت تنحي عبد الناصر في يونيو 1967 أي ليس في يناير، وكانت ذات طابع تعاطفي وليس تحرري. فالثورة بالأساس هي قفزة في الوعي تؤدي إلى ارتجاج عنيف في المفاهيم السياسية. وطالما كانت قفزة في الوعي الفكري، فحتما لن تأتي إلا في فصل الشتاء، لأن

الفكر في الشتاء وللصيف المشاعر. فالمجتمع هو كائن حي تتغير أفكاره مع تغير مزاجه النفسي (سبق تأسيس هذه النظرية تفصيلا في كتابي الأول: الفيزياء البشرية)

كانت مجموعات الشباب الناشط سياسيا من حركة " وكفاية و 6 أبريل " والجبهة الوطنية للتغيير.. والكرامة.. وصفحة " كلنا خالد سعيد " الافتراضية على مواقع التواصل الاجتماعي " فيسبوك " ومستقلين كُثر من الشخصيات العامة والمغمورة، قد تفاعلوا وتواصلوا على الشبكة الإلكترونية ليدلوا بآرائهم ومعلوماتهم ، فاتحدت أفكارهم وأهدافهم.. ومن خلال هذه اللقاءات والاجتماعات الواقعية والافتراضية، استطاع الشباب حصر الأسباب والظروف التي آلت بهم وبلادهم إلى هذه الحال، هذه الظروف تجمعت في بوتقة واحدة قربت على الانفجار بزيادة الضغط، فصارت الاحتجاجات والاعتراضات حديثا سريا في بعض الأحيان وعلنيا في بعضها الآخر، وما سهل النقاش والحوار وتبادل المعلومات والآراء، وكشف حقيقة الواقع المأساوي على طاولة الجدل الشعبي العام، هو كفاءة الأجيال الصاعدة على التعامل بحرفية عالية مع التكنولوجيا الرقمية التي تمكن الفرد من إخفاء هويته وتتيح له طرح آراءه ومعلوماته وما يجول بخاطره للآخر دون سابق معرفة. هذا إلى جانب بعض وسائل الإعلام التي حاولت التجرؤ وكسر حصار الفساد واختراق قوقعته المنيعة رغم الضغوط السياسية والملاحقات الأمنية والاعتقالات.

خاصة إذا كنا نعيش تحت نظام يحكمه رئيسان؛ الأول مسنّ طاعن في الشيخوخة ويتواطأ على الفساد ليدوم ملكه، بينما الثاني حاكم فعلى دموي الطباع طموح وطامع في المزيد، ولكل حاكم منهما حاشيته وزبانيته التي تسعى لحماية مصالحها، وما بينهما صلة الموصول وهي الأم التي تعمل جاهدة في عملية نقل السلطة إلى الوريث غير الشرعي بسلاسة من مبارك الأب إلى الابن، وكانت أولى خطواته في مشروع التوريث هي تأسيس الأمانة العامة للسياسات بالحزب الحاكم التي تولى جمال رئاستها باعتبارها سلم الوصول التدريجي إلى السلطة، بينما هو مشروع توريث للسلطة وتمديد للفساد.

فقد ذكر لي صديق أنه كان في ندوة في كلية الإعلام ذات مرة وحضر الندوة الدكتور أسامة الباز (المستشار السياسي لرئيس الجمهورية) وجمال مبارك أبن الرئيس، وفوجئ الجميع بأن جمال ينادي الدكتور أسامة أمام زملاءه من أساتذة الجامعة يقول له (يا أسامة) ونسي جمال أنه منذ عدة سنوات كان يلعب على حجره ويناديه (يا أونكل أسامة)، لكن جمال بعدما شب وتعلم السياسة تنازل عن الأدب حتى مع أقرب أصدقاء والده !.. وربما الحقيقة أنه اضطر لهذا بناءً على تعليمات والدته بألا يتعامل معهم بصفاتهم، بل بصفته هو رئيسا مرتقبا يشرف على عمل مساعديه، فعملية التمهيد

لمشروع التوريث كانت فجة ومقيتة، وواضحة جدا لدرجة أنه في عام 2010 تقريبا كان قد نظم مؤتمرا بجامعة القاهرة (بجمعية المستقبل التي أسسها وترأسها جمال وقد خصصت لها جامعة القاهرة مبنى إداري برغم كونها جمعية أهلية، وكأن مؤسسات الدولة صارت عزبة للأهالي، وكانت هذه الجمعية تمهيد وتدريب تدريجي لوعي الطلاب على قبول جمال رئيسا) ووجهت الدعوة للحضور، وأعلنوا عن حضور الرئيس مبارك، وقبل خمس دقائق من بداية المؤتمر فوجئ الجميع بأن الحاضر هو جمال وليس الرئيس، وكان ذلك تمهيدا نفسيا وتجزئة لصدمة الحلول الكبير عند انتقال السلطة من الأب إلى الابن، أي بروفا تأهيل نفسي سوف تتكرر في مؤتمرات ولقاءات عديدة حتى يعتادها الجميع، مع أنه لا يجوز لجمال تمثيل الرئيس ولا الحضور نيابة عنه لأنه ليس موظفا بالدولة، وليست له أي صفة رسمية لحضور الاجتماعات، غير أنه ليس من المنطقي أن يحضر الرئيس مؤتمر تعقده جمعية أهلية، إلا إذا كان حضور الرئيس بصفة أهلية كما يحضر حفلات الزواج عند جيرانه وأقاربه، وليس بصفته موظفا في الدولة أو كبير موظفيها... لكن لا قانون في دولة الظلم، والسلطة هي القانون.

" وفي نوفمبر 2008 عقد الحزب الوطني مؤتمره الخامس وسط حراسة سيارات الأمن المركزي، وأمن الدولة، لحراسة مؤتمر قيل إنه "جماهيري"، وكانت الحراسة الأمنية دليلا على الانفصام بين الحزب والشارع.. قالوا أن الحزب يضم 3 ملايين عضو، وأمين سياسات الحزب جمال مبارك اتهم المعارضين والمنتقدين بأنهم يريدون إعادة عجلة التاريخ إلى الوراء، وهو الذي لم يدخل في منافسة أو انتخابات حقيقية.. كان الحزب يزعم الانتماء إلى اقتصاد السوق الحر، وفي ذات الوقت يتحدى أهم مبادئه، وهي المنافسة الحرة، فيحتكر الاقتصاد، والسياسة، ويخلط بين الحزب والدولة وبين الحكومة والبرلمان ، وبين الرئيس وابنه" . وقد تفجرت قضية أحمد المغربي، وزير الإسكان والتعمير، مع أرض جزيرة آمون بأسوان، والتي تم بيع أرضها لشركة «بالم هيلز» المملوكة للمغربي.. فتدخل الرئيس وجعلها حق انتفاع !، لكن القضية كشفت تداخل المصالح الذي بدا أكثر مع أحمد عز، أمين تنظيم الحزب الوطني، رئيس لجنة الخطة والموازنة ومحتكر الحديد، الذي تدخل في صياغة قانون الاحتكار بما يحفظ مصالحه.. وزير الإسكان السابق المهندس محمد إبراهيم سليمان منح شاليهات وأراضى وشققا من أملاك الدولة لزوجته وأبنائه وأقاربه، وقال إن هذا طبقا للقانون، والأمر نفسه عندما أسند الجانب الأكبر من أعمال وزارة التعمير لمكتب صهره ضياء المنيري، وعندما أثيرت قضية تداخل المصالح وتضاربها تم تعيين المهندس محمد إبراهيم سليمان رئيسا لشركة الخدمات البترولية مع عضويته في مجلس الشعب، وحكمت المحكمة الإدارية ببطلان التعيين، واتضح أن عددا كبيرا من نواب الشعب

والشورى تم تعيينهم في وزارتي البترول والكهرباء، أو كمستشارين لوزارتي المالية والاستثمار أو في بنوك عامة، وهو أمر يمنعهم من مراقبة هذه الجهات أو محاسبتها، وهم يقبضون منها رواتبهم.. هذا بالإضافة إلى ما شهدته مصر خلال حركة " الإصلاح الاقتصادي" أي خصخصة الاقتصاد، وفضائح بيع الشركات الرابحة بأسعار تقل عن 5٪ من قيمة الأرض المقامة عليها، وتم عرض الأمر في البرلمان ، وقال النواب إن السمسرة في الخصخصة بلغت 33 مليار جنيه، وهو ما أثار دهشة رئيس المجلس الدكتور فتحي سرور، وبرغم ذلك ظل راعيا..كانت كل الطرق تؤدى إلى تداخل المصالح في البرلمان والحكومة، وإلى الفساد، وتقود إلى تفكك الدولة"[1]

يقول الدكتور عبد الحليم قنديل: " إن السلطة في التعريف هي إذعان مقابل إشباع، وكان النظام في مصر يطلب الإذعان بلا مقدرة علي الإشباع، وكان واضحا أن النظام تحول إلي تشكيل عصابي وظيفته الأساسية هي السرقة بالإكراه، وكان أبرز ما فيه سياسة النهب العام المستندة إلي عصا الكبت العام. الفلوس الكثير والعسكر الكثير والسلاح الكثير. فكان واضحا أنه كف عن أن يكون نظاما. وهذا ما أعنيه بالموت السياسي، وكان واضحا أن مراسم الدفن متأخرة، لكن الفكرة الأساسية أنه قد حانت الساعة، ودائما أقول إن هذه النظم من أشباه نظام مبارك وهي منتشرة في المنطقة العربية كلها. نظم مخيفة جدا وضعيفة جدا. ونقطة ضعفها الجوهرية أنها بلا قواعد اجتماعية. وهذا ما يعني أن نظام مبارك دخل إلي ما يمكن تسميته بالقدر الإغريقي يعني لو عمل أي شيء كان هالكا لا محالة، وكان مقبلا علي هذا المصير لا محالة".

حتى وإن اختلفنا مع د. قنديل في تعريف السلطة باعتبارها (إذعان مقابل إشباع) لأن أنظمة الخليج جميعها تنفذ بالفعل هذه النظرية وتعمل جاهدة على (الإشباع الإذعان) ومع ذلك لا تتمتع شعوبها بحرية حقيقة أو حقوق إنسانية مكفولة، فما زال القمع ساريا تحت حجاب الإشباع؛ لأن النظرية الحقيقية للشعوب والدول تقوم على (التمويل مقابل التوجيه والرقابة)؛ بمعنى أن المواطنين دافعي الضرائب هم من يدفعون للرؤساء والموظفين رواتبهم الشهرية وكافة شرائح الخزانة العامة، ومن ثم يكون من حقهم الرقابة على تحركات وتصرفات هؤلاء الرؤساء والموظفين، لأن التمويل مقابل

1- (الكاتب الصحفي أكرم القصاص : من سلسلة مقالات بعنوان: أحلام السلطة وكوابيس التنحي: منشورة على اليوم السابع 2014)

الرقابة، لكن الأنظمة الحاكمة استعبدت الشعب وجبت منه الضرائب عنوة، ومارست سياساتها عنوة وحجبت حقه في الرقابة.

كان النظام الحاكم عبارة عن شبكة من العلاقات والمصالح المترابطة على محاور ثلاثة، شكلوا شجرة السلطة المتشعبة أغصانها، تلاعبوا بمناصبهم ونفوذهم وثرواتهم في مقدرات هذا البلد، كثيرون منهم معروفون للعيان، أثيرت حوله شبهات بالفساد والتربح وإهدار المال العام والاتجار بممتلكات وأرواح المصريين، لكن لكونهم الأغصان اللصيقة بهذه الشجرة، ودعمهم لبقاء النظام، دعم بدوره بقاءهم في أحضانه وحصّنهم من القانون، وظلوا رموزا له، يُمدح النظام حين يمدحون، وينالـه السباب والتجريح حين يطالهم النقد والتوبيخ. هذه الأسماء ليست كل رجال النظام، الذين مارسوا أدوارهم من خلال شخوص الرئيس ونجله وقرينته، وهناك لصوصا آخرين غير معروفين للرأي العام، لكن اعتبارات المساحة تحكمنا، انتقينا بعضا منهم لنرسم صورة مبسطة عن مجموعة حكمتنا طوال 30 عاما حتى جاءت ثورة يناير.

<u>رجال الرئيس</u>

<u>زكريا عزمي</u>: مواليد: 1938م، وكاتم الأسرار، رئيس ديوان رئيس الجمهورية، والأمين العام المساعد في الحزب الوطني سابقا.

<u>حسين سالم</u>: الصديق الشخصي لمبارك، ويملك شركات ومنتجعات سياحية، وأحد الأسماء الكبيرة في تجارة السلاح وأحد أضلاع عملية تصدير الغاز المصري لإسرائيل.

<u>حبيب العادلي</u>: مواليد: 1938م، كان وزير داخلية فريد من نوعه فرغم أنه كان طالبا فاشلا وتخرج من كلية الشرطة في خمس سنوات ونصف، وكان مستواه وأداءه المهني ضعيف، تولى وزارة الداخلية في 1997، وحتى إقالته في يوم 31 يناير 2011، بعد انسحاب قوات الأمن من الشوارع، ويعد رجل «الأسرة» الأمني الذي احتفظ بولاء مشترك للرئيس وقرينته ونجله حتى هزمت ثورة الشباب أسطورته.

<u>إبراهيم سليمان</u>: وزير الإسكان والمجتمعات العمرانية في الفترة من 1993 ـ 2005، وقبلها تولى وزارة التعمير لعامين، وعضو مجلس الشعب عن دائرة الجمالية في الدورة البرلمانية 2005 ـ 2010، ولاحقته اتهامات بالفساد والتربح من منصبه، كما قلده الرئيس مبارك قلادة النيل مكافأة له على إنجازاته !.

صفوت الشريف: مواليد: 1933م، عمل قوادا للمخابرات، وأوقع بالكثير من الضحايا في عهد صلاح نصر. وعمل رئيسا لهيئة الاستعلامات، وأمين الإعلام في الحزب الوطني، وحمل حقيبة الإعلام طوال 23 عاما، حتى أقصاه رجال الحرس الجديد إلى رئاسة مجلس الشورى.

فتحي سرور: مواليد: 1932م، ورئيس مجلس الشعب منذ 1990 ونائب برلماني منذ 1987، وصاحب العبارة الشهيرة «المجلس سيد قراره» وكلمة «موافقة» التي ملأت حياتنا بتشريعات أضرت بحياتنا السياسية وعصفت بالعدالة الاجتماعية.

مفيد شهاب: مواليد: 1936م، وشغل عدة مناصب وزارية وحزبية خلال عهد مبارك، وشارك في صياغة التعديلات الدستورية، والعديد من القوانين، وشغل منصب وزير الدولة للشؤون القانونية والمجالس النيابية في الوزارة الأخيرة.

رجال سوزان مبارك:

سوزان ثابت هي قرينة حسني مبارك ، والتي كتبت في مذكراتها تتفاخر بأنها تعشق لمس الآثار والمجوهرات والكنوز العتيقة، وأنها أول مصرية تدخل مقابر فرعونية قبل الإعلان عن افتتاحها رسميا ! وهذا ما قد يفسر السبب المباشر وراء رواج مافيا تجارة الآثار في مصر.

فاروق حسني: مواليد: 1938م، شغل منصب وزير الثقافة منذ 1978، وشهد عهده أزمات كثيرة مثل كتاب «وليمة أعشاب البحر»، وهو صاحب أزمة الحجاب الشهيرة. قدم استقالته عقب حريق قصر ثقافة بني سويف، وقال إنه سيقدم استقالته من منصبه الوزاري حال فشله في الحصول على مقعد مدير عام اليونسكو، وهو ما لم يحدث.

أنس الفقي: مواليد: 1960م، بدأ عمله رئيسا لمجلس إدارة الهيئة العامة لقصور الثقافة حتى تولى وزارة الإعلام، وحاول التضييق على القنوات الفضائية الخاصة، وكان من مهندسي مشروع قانون البث المسموع والمرئي لتقييد حرية التعبير.

عائشة عبد الهادي: مواليد: 1942م، بدأت حياتها ناشطة نقابية، وتدرجت في العمل النقابي إلى أن أصبحت نائبا لرئيس اتحاد نقابات عمال مصر، وفى 2006 تولت وزارة القوى العاملة رغم عدم إكمالها تعليمها الأساسي وتوقفها عند الإعدادية.

فرخندة حسن: مواليد: 1930م، الأمين العام للمجلس القومي للمرأة، عضو بالمكتب السياسي للحزب الوطني الديمقراطي، واجهت انتقادات شديدة حول تصريحاتها بشأن توقيع مصر على اتفاقية «السيداو» التي تخالف الشريعة الإسلامية والدستور المصري، ومنها أخذ الزوجة نصف ثروة زوجها في حالة الطلاق، والمساواة في الميراث.

مشيرة خطاب: وزيرة الدولة للأسرة والسكان منذ 2009، تولت منصب وزارة الدولة للشؤون الخارجية، وتعد ثاني سفيرة وسيدة تشغل هذا المنصب، واختيرت لمنصب الأمين العام للمجلس القومي للأمومة والطفولة، كما عملت سفيرة لدى تشيكوسلوفاكيا وجنوب أفريقيا في الفترة من 1990 وحتى 1999.

رجال جمال مبارك

هشام طلعت مصطفى: محكوم عليه بالسجن المؤبد في قضية سوزان تميم، واستقبله الرئيس في القصر الرئاسي ودعمه في مشروعي الرحاب ومدينتي، ويعد من المقربين من عائلة الرئيس.

أحمد عز: أمين التنظيم وعضو لجنة السياسات في الحزب الوطني، ومهندس الانتخابات البرلمانية التي طالتها اتهامات بالتزوير والبلطجة، وهو صاحب مجموعة شركات عز الصناعية، وتلاحقه اتهامات باحتكار الحديد وتقدر ثروته بمليارات الجنيهات.

إبراهيم كامل: مواليد: 1941م، رئيس مجلس إدارة «كاتو جروب»، ورئيس البنك المصري البريطاني، ويملك مؤسسات وشركات تعمل في بناء المطارات والطائرات، وهو أحد المناوئين لمشروع الضبعة النووي، لقربه من منتجعه السياحي، كما يعد من أوائل من أقنعوا أسرة الرئيس بـ«التوريث»، ودعمه فكريا وماديا.

عبد الله كمال: مواليد 1965م، رئيس تحرير جريدة «روزاليوسف» منذ 2005، ومدير مكتب جريدة «الرأي العام» الكويتية منذ 2001 انضم للحزب الوطني في 2003، وتم تعيينه عضوا في مجلس الشورى، وأصدر جريدة يومية لـ«روزاليوسف» للترويج لمشروع التوريث ومهاجمة رموز المعارضة ومدح أحمد عز.

معتز الألفي: عضو مؤسس ونائب رئيس مجلس إدارة جمعية جيل المستقبل التي يرأسها جمال مبارك، وهو رئيس شركة "تراى أوشن" للطاقة ورئيس مجلس إدارة مجموعة أمريكانا للأغذية التي تملك سلسلة مطاعم عالمية شهيرة في مصر.

على الدين هلال: صاحب صفر المونديال عندما كان وزيرا للشباب والرياضة، وتدرج في الحزب الوطني حتى صار أمينا للإعلام. [1]

1ـ المصدر: جريدة المصري اليوم - بتاريخ 2011/2/12م



رجال صنعهم النظام.. وصنعوه

رجال الرئيس

رجال سوزان مبارك

رجال جمال مبارك

هؤلاء شكلوا أغصان شجرة الفساد وفروعها.. وتزايدت حدة الغضب عقب حملة تزوير الانتخابات البرلمانية في نوفمبر 2010 لصالح الحزب الوطني بنسبة 95٪، كما يذكر أكرم القصاص " كانت الانتخابات البرلمانية وقبلها الشورى هي آخر المشاهد التي كشفت عن انتهاء أي أمل في نظام مبارك والحزب الوطني، فقد تم ترشيح وزراء لأول مرة في دوائر لا يسمعون عنها، ونجحوا !، كما تم التعتيم مباشرة للإطاحة بمرشحي جماعة الإخوان والمعارضة.. وقال أحمد نظيف، رئيس الوزراء، إن اكتساح الوزراء دليل على شعبية الحكومة، مع أن كل من شاهد دوائر الوزراء يعلم أنه لم يتم فيها تصويت، وأن أرقام فوزهم كانت مقررة سلفا.. أما الدكتور فتحي سرور، الفائز في دائرة السيدة زينب، قال: «إن اكتساح الوطني سنة الحياة»، وإنه لم ير أي تزوير.. بينما أحمد عز، أمين التنظيم بالحزب الوطني، شرح نظرية «الوطني» في الاكتساح، بالرغم من أن الفيديوهات والصور كلها كانت تكشف عن تزوير فاضح.. ومع ذلك أصر الرئيس مبارك ومعه فتحي سرور على أن الانتخابات حرة ونزيهة. [1]

هذا الرفض والغضب الشعبي ساعد على النبش في الذاكرة السوداء وفضح تجاوزات الفساد في حق الشعب بدءا بالحوادث الشنيعة التي شهدتها مصر خلال العقود السابقة، من حريق قطار الصعيد الذي راح فيه آلاف الضحايا الأبرياء بسبب الإهمال، وكذا غرق العبارة المصرية السلام 98 في مياه البحر الأحمر وقبلها العبارة سالم إكسبرس وكارثة حي الدويقة بالقاهرة التي راح فيها مئات الأبرياء إثر سقوط صخرة ضخمة من جبل المقطم على المساكن الشعبية بحي الدويقة، وغيرها من فضائح عمليات الخصخصة التي أضاعت على الدولة مليارات لصالح كبار رجال الأعمال والوزراء وذوي القربى، والقصور والفيلات الشاليهات التي كلفت الدولة مليارات الجنيهات وراحت هدايا مجانية لأصحاب النفوذ، وصفقات الواردات الفاسدة من اللحوم والأدوية والمبيدات والبذور المسرطنة، هذا بالإضافة لسوء المعاملة التي يتعرض لها المصريون بالداخل والخارج وإهدار كرامة المواطن المصري داخل مصر وخارجها وخضوع السياسة العامة في مصر لما يحقق مصالح إسرائيل وأمريكا وصفقات السلاح السوداء وتصدير الغاز لإسرائيل بأسعار أقل من الأسعار العالمية بل أقل من أسعار المستهلك الوطني داخل مصر.

وبظهور البرادعي على الساحة السياسية في مطلع عام 2008 تعكر المشهد أكثر، وبدأ نظام مبارك في حملة منظمة لتشويه صورة البرادعي شعبيا على خلفية حرب العراق.. هذه الخلفية تأتي

1ـ الكاتب الصحفي أكرم القصاص:في سلسة مقالات بعنوان: أحلام السلطة وكوابيس التنحي: منشورة على اليوم السابع 2014)

منذ أيام حرب العراق، حيث كان البرادعي عضوا في اللجنة المكلفة من قبل الأمم المتحدة بالكشف عن أسلحة دمار شامل في العراق، وقد استغل النظام الحاكم هذه الحقيقة في تشويه سمعة البرادعي في مصر والادعاء بأنه من أصدر تقريرا للإدارة الأمريكية يؤكد فيه امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، وزادت هذه الحملة مع بداية دعوة البرادعي للتغيير في مصر منذ عام 2008، برغم أن الواقع يقول بعكس ذلك؛ لأنه -وفقا لما ذكره البرادعي- بالاطلاع على التقرير نجده يؤكد عدم امتلاك العراق لهذا النوع من الأسلحة وأن الإدارة الأمريكية أسست أسبابها للحرب على العراق على تكهنات وخدع سياسية صدرتها للشعب الأمريكي الذي عليه أن يمول الحرب. هذه الحرب الضروس التي شنها نظام مبارك على البرادعي كان من شأنها التغطية على الاتفاقات والتنسيقات المسبقة بين مبارك وجورج بوش للحرب على العراق.

ولم يكن بعيدا عن أعين الجميع ما شاهدناه من عبور حاملات الطائرات الحربية الأمريكية في قناة السويس قبيل الحرب على العراق بأيام قلائل.. كانت حاملات الطائرات تعبر بخطىٍ حثيثة في قناة السويس باتجاهها إلى سواحل إسرائيل، قبيل الحرب بساعات، بينما كانت أعيننا تتلصص الرؤية بخوف.. وتزرع نظام مبارك بأن هناك اتفاقيات وقانون دولي تخضع له قناة السويس، وهو ما يعني أن مصر تملك القناة وتديرها فقط ولا تحكمها، أي تدير عملية المرور اليومي للسفن وتنظمها دون أن يكون من سلطتها منع سفن معينة من المرور بموجب الاتفاقية، ذلك لأن غالبية الشعب المصري يميل مبدئيا لتصديق التبريرات بحسن نية لأن التبريرات دائما لا تخلو من نبرة عاطفية، دون أن يفطن أحد إلى أن الاتفاقية التي تنظم المرور بقناة السويس تنحصر فقط في تنظيم مرور السفن المدنية بشحنات مدنية، بينما تترك الصلاحية المطلقة لمصر في السماح بمرور سفن ومعدات أو شحنات عسكرية، وهو ما يعني ضرورة موافقة مصر مسبقا على عبور حاملات الطائرات العسكرية الأمريكية.

بينما البرادعي قد شن هجوما علي إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش ودعا إلي فتح المحكمة الجنائية الدولية للتحقيق في حرب لم يكن لها داعٍ في العراق والقيام بعملية تشويه بشعة قبل شن الحرب ضد بغداد بالادعاء بملكية العراق لأسلحة دمار شامل رغم أن الأدلة التي جمعها البرادعي والمفتشون الدوليون الآخرون لم تثبت ذلك، واتهم البرادعي بوش بالاحتيال علي المعلومات ومنها ما ورد في تقرير رفعه بنفسه إلي مجلس الأمن في يناير عام2003 يشير إلي أن المفتشين الدوليين يعتقدون أن ما عثروا عليه في العراق من قضبان الألمونيوم ليست لتخصيب اليورانيوم بغرض إنتاج قنابل نووية، ولكن هي خاصة بتصنيع قذائف مدفعية، وهو ما تجاهله بوش عمدا. وقد استغل مبارك هذا

التجاهل المتعمد لتقرير الوكالة وحاول التغطية على دوره هو غيره من العرب في غزو العراق، وهو ما كان من شأنه قتل البرادعي سياسيا في مصر. ومن المعلوم أن بوب وودورد في كتابه (خطة الهجوم) كشف سر إيفاد حسني مبارك لولده جمال إلى واشنطن قبيل الحرب يستحثها لغزو العراق.

غير أن معلومة ارتباط العراق بالقاعدة خرجت لأول مرة من داخل أقبية سجون المخابرات المصرية في ظل رئاسة اللواء عمر سليمان كما يقول البرادعي وقد أوصلها مبارك بدوره إلى الإدارة الأمريكية التي رحبت بها ووجدت فيها مبررا لبدء عملية الغزو. ويذكر البرادعي أنه طلب من مبارك قبيل الحرب على العراق التدخل لإقناع الرئيس العراقي بالتعاون الحقيقي مع مفتشي الوكالة والأمم المتحدة فأجابه بقوله (لا تقلق كل شيء على ما يرام) ولكنه سرّب بعد ذلك أخبارً للأمريكيين مفادها أن صدام يخبئ أسلحة بيولوجية في المقابر وهو ما تسبب في اندلاع الحرب عام 2003

ولم تكن هذه هي المرة الأولى لمبارك أن يحث الأمريكيين على حرب العراق، فيذكر البرادعي أن موقفه كان واضحا في مؤتمر القاهرة 1990م حيث شجع مبارك بقوة الحل العسكري في الكويت ضد صدام؛ ذلك لأن مبارك يحمل ضغينة من صدام حينما وعده بأنه لن يُقدم على غزو الكويت ثم فاجأه بهذا الهجوم في 2 أغسطس عام 1990م. ويقول أن مبارك حاول استثمار غزو العراق للكويت ليخرج من أزمته الاقتصادية الطاحنة آنذاك بعدما فشل في الحصول على مساعدات من دول الخليج، حيث حصل مبارك على أكثر من 12 مليار دولار مقابل موقفه وتحريضه ضد العراق، فما جرى في مؤتمر القمة في القاهرة 1990 لم يكن إلا تحريضا واضحا على العراق وتدعيما للحل العسكري في الكويت ثم الغزو. غير أن مبارك فوجئ بكارثة أخرى وأزمة اقتصادية في الداخل نتجت عن حرب العراق وهي تراكم البطالة بشكلٍ يهدد عرشه.

وهذا يجسد بالفعل غباء مبارك وعقم سياساته، كما يقول أستاذنا الدكتور عبد الحليم قنديل:" فيما يخص الحرب على العراق، عليك أن تربط ما حدث بشيء مهم جدا. أنه في عام 2003 وحينما جري غزو العراق كان هذا ميعادا للقلق المصري؛ لأن المصريين تعودوا أن يهاجروا، وكان العراق يمثل رمزيا أكبر مهرب للمصريين من الفقر، وكان سقوط صواريخ كروز علي رأس بغداد يعني سقوط نفس الصواريخ على القاهرة وإعدام آخر فرصة لهروب المصريين، فحدث إحباط للمصريين، وحدث تربص ذاتي وبدت ظواهر القلق والاحتقان علي السطح، وكانت هناك نذر وإشارات للغضب والتمرد بدأت

بحركة كفاية وأخواتها 2004 كتعبير عن الغضب السياسي، ثم إضرابات المحلة عام 2006 كتعبير عن الغضب الاجتماعي والتقت الموجتان علي سبيل المصادفة في إبريل 2008 فولدت حركة 6 إبريل ، ويومها قلت إن هذه هي مصر الجديدة". فالانفجار الشعبي سببه احتقان، والاحتقان صنعه مبارك باستهتاره فكانت نتائجه كارثية.."

وبطبيعة الحال، فإن الملف المفتوح لمبارك في أروقة الإدارة الأمريكية لم يكن ليطلع عليه أحد من المصريين جميعا سوى البرادعي بنفسه وخصوصا ملف العراق، بصفته المصري الوحيد الذي اطلع على ملفات الإدارة الأمريكية، فلا أحد من المصريين يعلم مثل هذه الأسرار سوى البرادعي، والأمريكان أنفسهم. غير أن مبارك على علم بأن الإدارة الأمريكية لا ترغب في بقائه حاكما في مصر، وبالتأكيد تدعم البرادعي بدلا من التيارات الدينية، وقد صرح مبارك بذلك أكثر من مرة. واستغل مبارك فزاعة التيارات الدينية وفرض وصاية أمنية على إرادة الشعب، تكررت مظاهر هذه الوصايا في الانتخابات كثيرا..

صدقت الكاتبة أهداف سويف حينما نقلت عن أحد المراهقين قوله "إنهم كاذبون حتى قبل أن يفتحوا أفواههم، فهم يتنفسون كذبا" فالتزوير كان علنيا أمام الجميع وفي حماية الشرطة التي استعانت بفرق من الأشقياء والخارجين عن القانون لحماية التزوير لصالح الحزب الحاكم ورموزه الفاسدين، ومن أكثر ما يذهل العقول هو الحيل القذرة التي لجأ إليها رموز الحزب الحاكم من الاستعانة بالبلطجية والفتوات لإكراه الناخبين على اختيار مرشحٍ بعينه، وكذا الاستعانة بالفتوات من النساء للاعتداء على الناخبات والتحرش بهن جنسيا وتمزيق ملابسهم أمام الجميع لإجبارهم على الانصراف وعدم التصويت وإما التصويت لصالح مرشح الحزب الحاكم.. وغير ذلك الكثير.. إضافة إلى فظائع وممارسات جهاز أمن الدولة الملعون. وتحكّمه في كافة أجهزة الدولة ومؤسسات المجتمع المدني بما فيها النقابات والجامعات والجمعيات الأهلية، وحتى العبث في المؤسسات الدينية، ولا أحد بإمكانه فتح ملفات أمن الدولة ومعرفة كم معتقلا خلف القضبان بسبب الرأي أو الاشتباه في الرأي.. ولا كم من التهم لفقت لأبرياء.. فهذا الجهاز لا صلة له بالقانون ولا يخضع للقانون ويشرف عليه رئيس الدولة بشكلٍ مباشر ويستخدمه كأداة لقمع المعارضة السياسية محتميا بقانون الطوارئ ، حتى صار الظلم عيانا بيانا لدرجة أن الكثير من شرائح المجتمع البسيطة صار لديه الاعتقاد بأن أي رئيس قادم للبلاد لن يكون أفضل من مبارك وأعوانه باعتبار أن مبارك وحاشيته سرقوا ما يحتاجونه وزيادة، أما إذا أتى

رئيس جديد فسيكون له أن يبدأ السرقة من جديد لإشباع حاشيته وأعوانه.. وكلما سارت المظاهرات في الشوارع نظر إليهم عامة الناس وحتى بعض المثقفين بسخرية من أمرهم..

ويفسر ذلك ما قالته السفيرة البريطانية " جين ماريوت" في تقريرها عن التعليم في العالم العربي، المقدم في مجلس العموم البريطاني : أن النظام التعليمي يؤدي إلى مفارقات مدهشة في الخريجين.. فطلاب الدرجة الأولى من الأذكياء يذهبون إلى كليات الطب والهندسة، بينما خريجو الدرجة الثانية يذهبون إلى كليات إدارة الأعمال والاقتصاد وبذلك يصبحون مدراء لخريجي الدرجة الأولى.. في حين خريجو الدرجة الثالثة يتجهون للسياسة فيصبحون ساسة للبلاد ويحكمون الدرجتين الأولى والثانية.. أما الفاشلون في دراساتهم فيلتحقون بالجيش والشرطة فيتحكمون بالساسة والاقتصاديين ويطيحون بهم من مواقعهم أو يقتلونهم إن أرادوا.. أما المدهش حقاً فهو أن الذين لم يدخلوا المدارس أصلاً يصبحون أعضاء بالمجالس النيابية وعمد وشيوخ قبائل يأتمر الجميع بأمرهم !!

كان النظام البوليسي قد تمكن من تقييد كافة مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني والنقابات، وأصبحت النقابات الحرة المستقلة لا تعمل إلا بإذن الحزب الوطني وبعد موافقة أمن الدولة، ويرأسها من يرشحه الأول ويرضى عنه الأخير فقط، حتى أننا على سبيل المثال نجد نقابة المحامين يرأسها المحامي سامح عاشور عضو الحزب الوطني وعضو برلمانه المزور، وقد ترشح سامح عاشور لرئاسة نقابة المحامين واكتسح انتخاباتها بالتزوير، ورُفعت ضده قضايا استغرقت وقتا طويلاً حتى صدر حكم المحكمة النهائي ببطلان انتخابات النقابة، فأعيدت الانتخابات ودخل فيها سامح عاشور مرشحا من جديد ، ولأن الحزب الوطني يريده رئيسا لها فاكتسح انتخاباتها بالتزوير، ثم رفعت ضده قضايا للمرة الثانية استغرقت وقتا طويلا حتى صدر حكم المحكمة النهائي ببطلان انتخابات النقابة، فأعيدت الانتخابات للمرة الثالثة ودخل فيها سامح عاشور مرشحا واكتسحها بالتزوير وهكذا استمرت العجلة تدور أربع دوراتٍ كاملة..! ثم توقف المحامون عن الطعن عليه بتزوير الانتخابات حتى تنتهي فترته بشكل طبيعي، ومن ثم ينتهي حقه قانونا في إعادة الترشح مرة أخرى باستنفاد عدد مرات الترشح المسموح بها.. ومع ذلك استمر خوفهم من أن يطعن هو من خلال أعوانه على الانتخابات بالتزوير حتى يصدر حكم ببطلانها بعد مرور أربع سنوات ليعيد الترشح فترة خامسة.. ! بالطبع لم يكن ذلك ليحدث إلا إذا كان مدعوما من جهاز أمن الدولة والحزب الحاكم وكثير من الفاسدين، ولهذا طالب الشباب بتفكيك الجهاز عاجلا وإعادة هيكلته.

هذا هو حال مصر والمصريين في عهد مبارك.. هذا الجيل الذي عاش متعولا على الحكومة يمد يده طالبا توفير الدعم والوظيفة والسكن .. وكل متطلبات الحياة، فهو لم يتحمل مسؤولية نفسه يوما ما، بل يعتمد على الحكومة في توفير كافة متطلبات الحياة، وما زال يعيش بفلسفة الطفل الرضيع الذي يرفض الفطام رغم بلوغه سن الرشد، ما كان له أن يهب ليطلب الحرية.. وما زالت هذه الفلسفة مترسخة في عقول شريحة عريضة من الشعب من جيل الآباء والأجداد كامتداد آثار الاشتراكية. هذه الاشتراكية التي قامت على مبدأ " دع لنا القيادة وتمتع بالرحلة " فكل شيء بيد الحاكم، والحكومة هي التي تطعمك وتوفر لك السكن والمأوى والعمل وفرصة الزواج !وهو ما سعى إليه عبد الناصر في خمسينات القرن الماضي بتكريس كل السلطات في يده كي يتحكم في كل تفاصيل حياة الشعب، فكيف لهذا الشعب بعد ذلك أن يهتف طالبا للحرية وهو لم يتحمل مسؤوليته بعد، وما زال يمد يده للحكومة طالبا الدعم والتوظيف والتعليم والعلاج وكل شيء في حياته، فالحرية يلزمها تحمل المسؤولية أولا، ولا ينعم بحرية إلا من تحمل المسؤولية. وقد تلاقت هذه الميول النفسية لدى هذا الجيل مع توجهات النظام الحاكم في القمع وتقييد الحريات، خاصة أنه جيل أبوي تربى على السمع والطاعة لا على الحوار والنقاش.

هذا الجيل الذي ينظر إلى الحكومة بنظرة وليّ الأمر واجب الطاعة، والذي ينبغي التحدث إليه بخضوعٍ وانكسار، لا مجرد نظام إداري لمصالح الشعب ويتكون من مجموعة أفراد على رأسهم رئيس الجمهورية يتقاضى أجره الشهري بالسحب على بطاقاتنا الضريبية..فهناك فرقٌ شاسع بين أن تشعر بأن شخص ما وليّ أمرك وأن تشعر بأنه مجرد مدير للأعمال والمصالح المشتركة لمجتمعك مهما تضخم حجم هذه الأعمال، فتبقى القواعد الحاكمة ثابتة.. فالأجيال القديمة تخضع للحكومة وقراراتها بطريقة مازوخية، فالمواطن يدفع الضريبة للحكومة بمفهوم الجزية والإتاوة المستحقة جبرا، أما الأجيال الجديدة فتنظر إلى المواطن دافع الضريبة بمفهوم " المموّل" والذي من حقه محاسبة القائم بتحصيل هذه الضريبة، فيما أنفقتها ولما أنفقتها؟ . وهذه الأسئلة بالطبع غير جائزة مع سيادة مفهوم الجزية والإتاوة والجباية.. والبون شاسع ما بين المصطلح الذي يأتي مشتقا من اسم الفاعل والآخر المشتق من اسم المفعول.

ولذلك قام النظام على فكرة القمع الأمني مستغلا سمة الخضوع التي هي سمة نفسية غريزية في هذا الجيل وما سبقه، مستعينا في مهمته بالأجهزة الأمنية التي سلحها بالمال والعتاد والسلطة، حتى أننا نجد رئيس الجمهورية يحضر كافة احتفالات تخرج الكليات الحربية وأكاديميات الشرطة والمعاهد

العسكرية حتى الفنيين والمساعدين ومعاهد التمريض العسكري، بينما خريجي كليات الطب لا ينظر إليهم لا رئيس ولا حتى أصغر مسئول في الدولة، فالاحتفالات فقط تعقد للمؤسسات ذات الكعب.. والتي من شأنها أن تساعد كل رئيس في حفظ اتزانه على الكرسي، ومن ثم أغدق عليهم بالعطايا والهدايا والبدلات ورفع شأنهم فوق الشعب درجات، حتى بعد انتهاء خدماتهم ووصولهم سن التقاعد لضمان ولائهم والاستفادة من خدماتهم، أو كما وصف عمرو موسى في مذكراته: " أن مبارك كان يحاول تأمين نظامه بعيدا عن الشعب المصري، وسياساته لم تعط أولوية لرضاء الشعب، ولكن للتأمين العسكري والأمني، وكان النظام يرى أن الشعب مستكين"..والمشكلة الكبرى أن أغلبية الشعب المصري هم من أصحاب نظرية "عاش الملك مات الملك".. ومن هنا استقرت كل مقاليد السلطة بيد الملك، لدرجة أننا نجد ستة آلاف مساعد أول لوزير الداخلية برتبة لواء، فكيف توفر الدولة رواتب وبدلات ومكافآت هذه الجحافل من لواءات الشرطة، ثم نجد في كل مشروع جديد مخصصات لرجال الجيش والشرطة والقضاء (مستشفيات خاصة – مساكن خاصة – مصايف وشاليهات خاصة – أماكن ترفيه خاصة – مسطحات أرضي زراعية مخصصة لرجال الشرطة والقضاء بأسعار أقل من رمزية مع أنهم ليسو فلاحين ولا يعرفون عنها شيئا سوى ملكيتها) ولا تستغرب أن تجد قاضٍ يتسلم راتبه الشهري بما يعادل ثمانية أضعاف موظف على الدرجة الأولى، صافي بعد خصم الضريبة والمستحقات والمعاشات والخدمات الاجتماعية ويتسلم من الدولة سيارة لخدماته الخاصة مقابل اشتراك شهري 15 جنيه، ويتسلم أيضا خادم من الدولة، هذا الخادم موظف على الدرجة الأولى يتقاضى راتبه الشهري من الدولة كي يساعد الأسرة في أعمال السكرتارية المنزلية.. أما رجال الشرطة فيستخدمون سيارات الدولة في خدمة أسرهم وتوصيل أبنائهم إلى المدارس كل صباح وإعادتهم في المساء.. هذه الدولة الأمنية التي سعى النظام فيها لتأمين كرسيه بكل ما تملك الدولة من إمكانات مادية ومعنوية فقط مسخرة للأجهزة الأمنية والسيادية دون باقي موظفي الدولة ولو كانوا على ذات الدرجة الوظيفية.. ثم ما الفائدة من أن يكون هناك عيد قومي للشرطة؟ فلماذا لا يوجد عيد قومي للقضاة مثلا؟ ولماذا لا يوجد عيد قومي للدبلوماسيين؟ أو العاملين بالجهاز الإداري للدولة؟ أو الأطباء !

وما ساهم في تمكين هذا النظام البوليسي القمعي من مصر، هو الطبيعة النفسية المازوخية لهذا الجيل والعقلية الأبوية الخضوعية، وما شهدته مصر من احتلال خلال النصف الأول من القرن العشرين، وعصر والاستعباد الإقطاعي، وكذا النشاط الإرهابي الذي اتسعت دائرته منذ سبعينيات القرن وحتى التسعينيات، ما برر استمرار العمل بقانون الطوارئ ثلاثين عاما كاملة، استخدمه النظام

في قمع المعارضة السياسية، وبدا الأمر في ظاهره حفاظا للأمن والسِلم العام، خاصة في عقول جيل الآباء والأجداد، وهو ما جعلهم يخضعون لهذا النظام القمعي باسم الأمن والاستقرار، وسادت بينهم ثقافة الخوف والاستسلام، وراجت أمثال شعبية تفسر ميولهم النفسية هذه على غرار " إمشي سنة ولا تخطي قنا " و" من خاف سَلِم "، " العين ما تعلاش ع الحاجب" بالإضافة لتقديس الموروث الأبوي والسلطة الأبوية في حياتهم بفلسفة الأمر والطاعة لا بفلسفة النقاش والحوار. غير أنهم حتى يومنا الحالي لم يهضموا معنى الديمقراطية أو الحقوق والحريات لأنهم لم يتذوقوا طعمها في طفولتهم، فظل طعم الطفولة أجمل مهما كانت ساذجة، فمن رضع من ثدي الذل دهرا رأى في القمع رحمة وسلاما.. فالخضوع والاستسلام كان سمة نفسية غريزية في الأجيال السابقة، وهو ما مكن لسيادة هذه المنظومة القمعية.

فيذكر مصطفي الفقى عن هذا الجيل الأبوي واقعة حدثت في القصر الجمهوري، بينما كان الرئيس مبارك يقضي إجازته السنوية في مصيفه في أسوان، كان الحرس يقفون على أبواب قصره بمصر الجديدة، نزل شاب أنيق من سيارته مسرعا وعبر بوابة القصر إلى الداخل فصرخ فيه الحرس، فتوقف الشاب مكانه ورفع يديه مستسلما، لكن الحرس أمطروه بوابلٍ من الرصاص فانتهى أجله في الحال..

كانت مشكلة هذا الشاب أنه اختلف مع والديه في أمرٍ ما، فترك منزله واتجه إلى منزل الرئيس حيث كان قريبا من منزله ليشتكي له ما حدث من خلاف مع والده ، وعندما عبر بوابه القصر أمطره الحرس بوابلٍ من الرصاص.. المشكلة ليست في قتل الشاب رغم استسلامه، ولكن مع كون والد هذا الشاب قاضٍ، إلا أن الكارثة أن يقوم هذا القاضي بالاتصال برئاسة الجمهورية بعد يومين من دفن إبنه وتلقي العزاء، يتصل لكي يعتذر بحجة أن لم يعرف أن يربي ابنه الذي كسر قواعد البروتوكول وحاول الدخول إلى الرئيس ليشتكي له دون استئذان الحرس !بالطبع هذا القاضي هو شخصية أبوية خضوعية بامتياز، فلا يمكن أن يتصور أحد أن قتل هذا الشاب كان حقا كما تصوره والده، ولا يمكن أن يتصور هذا القاضي أن هذا الرئيس هو شخص عادي يأكل ويشرب ويدخل الحمام مثل كافة المواطنين، بل إن هذا القاضي لا يتصور أبدا أن يقف هذا المواطن الرئيس أمام منصته في محاكمة عادلة أو أن يأمر القاضي بإيداعه القفص كغيره من المواطنين لأنه ليس " مواطنا عاديا" لكن ملكا وله السمع والطاعة.

بل إن الكارثة الأكبر هي انبطاح المثقفين، فقبيل الانتخابات البرلمانية الأخيرة التي تم تزويرها علنا، كان حسني مبارك يعد لحملة جديدة يضرب فيها آلاف العصافير بحجرٍ واحد، ضمن مشروع إعداد الوريث الصاعد، فدعا المثقفين واستضافهم في قصره كي يمهد لشيء قادم.وفي يوم 2010/9/30محضر من المثقفين والمفكرين السادة (فوزي فهمي، وصلاح عيسى ويوسف القعيد ومحمد سماوي وعائشة أبو النور والسيد يسين وأنيس منصور وخيري شلبي وسامية الساعاتي وأحمد عبد المعطي حجازي وجابر عصفور ، وهم كوكبة من المفكرين المثقفين تشكلت وفق آرائهم شريحة عريضة من الرأي العام في مصر (حسب ترتيب وقوفهم في الصورة التذكارية بعد مقابلة مبارك على صفحة الأهرام 2010/9/30م)

والغريب أن يجلس كبار المثقفين في مصر أمام الرئيس وكأن على رؤوسهم الطير لمدة أربع ساعات كاملة ولم يجرؤ أحدهم على الاستئذان لدخول الحمام؛ وظل اثنان منهم محصورين بالبول بحكم الشيخوخة وأعراضها ومشاكل البول السكري وغيره، كادا أن يموتا لولا أن الله ستر، ولم يجرؤ أحدهم على الاستئذان من الرئيس لفك كربه، وظلوا منصتين وكأن على رؤوسهم الطير، برغم أن الرئيس كان يسترسل في حكاية النكات القديمة وهم يجاملونه بالضحكات، ولم يكن يتدارس معهم أمرا وطنيا من الضرورة أو ذا قيمة.. وظلوا يقهقهون كثيرا برغم أوجاعهم مجاملة للرئيس.. فتكلم كثيرا وهم منصتون. ثم في اليوم التالي انفجروا مقالاتٍ عبروا فيها عن امتنانهم للرئيس الذي قبل مصافحتهم وتغنوا بصحة الزعيم وشبابه الدائم ورؤاه المستقبلية لخير البلاد والعباد ، فكتب الأستاذ المحترم/.... تحت عنوان: "مصر في بعثٍ جديد" كتب يقول: أنهم كانوا مجموعة في ضيافة أخيهم الأكبر مبارك، وأخذ شعور الأخوة هذا يتعمق من لحظة إلى لحظة في الأريحية التي أغدقها علينا الرئيس بكرم لم أشهد له مثيل من قبل، لدرجة أن الجلسة استمرت أربع ساعات لم نشعر بمرورها على الإطلاق (!!!). ويصف أول شعور مبهج تناقلته نظراتهم كان مبعثه الاطمئنان على صحة الرئيس، إذ كانت الشائعات قاتلها الله قد ألقت في روعهم أن الرئيس في وعكة صحية.. وأن أكبر وأهم محصول خرجنا به من لقاء الرئيس هو الرئيس نفسه (ربما الصورة مع الرئيس). ثم يقول: لقد خيل إليَ شخصيا أنه كان على سفر ثم عاد إلينا قويا فتيا ليقود أحلام مصر وطموحاتها في بعثٍ جديد "!!

أما أستاذنا المثقف العظيم /.... فكتب يتغزل في صحة الرئيس فيقول: حين وجدت الرئيس في كامل لياقته، موفور الصحة، حاضر البديهة، متوقد الذاكرة.. أسعدني كذلك أن أرى الرئيس متفقا

معنا إلى حدٍ كبير حول المبادئ الفكرية والأخلاقية التي يجب أن يكون عليها وجودنا كشعب (الأهرام 2/10/2010م). 1

(برغم أن أساتذتنا الكُتاب والمفكرين العظام يعلمون جميعا أن مبارك قارب الخامسة والثمانين من عمره وتعرض لغيبوبة أثناء كلمته في البرلمان وأجرى عدة عمليات جراحية بالخارج مع التعتيم الكامل، ويعاني من أعراض الشيخوخة التي أفقدته الكثير من قدراته الذهنية والصحية، وما تبقى له من حياته يستغله في التوطئة لمشروع توريث السلطة لابنه جمال وفقا لرغبة الهانم).. ثم يخرج هؤلاء الصفوة بعد نجاح الثورة ليقولوا أنهم اندهشوا من حجم الفساد الذي اكتشفوه ! فكيف لمثقف وكاتب أن يعيش عمرها كاتبا ودارسا ومشكلا للرأي العام دون أن يكتشف حقيقة النظام الذي يكتب عنه سوى بعد وفاته؟ فهل يكون مطلوبا من القراء والجهلاء أن يكشفوا هم الفساد ليقوموا بثورة؟

فمن طبيعة هذا الجيل الأبوي أنه لا يسير إلا مطأطئ الرأس منبطح، منافقا قدر استطاعته حتى تستمر مزاياه،وكانت أسمى أمانيهم أن نتعلم منهم الثقافة والاحترام والتبجيل، وعاشوا طوال حياتهم على قناعة بأن أي نجاح أو إنجازات يحققونها في حياتهم هي فقط برضا الوالدين ! وليس بمجهود الشخص وتوفيق الرب، وهذا ما يؤكد اختفاء الإرادة والوعي الكامل لدى هذه الأجيال، وأن ما حققوه في حياتهم إنما جاء صدفة ودون هدف وعزم وتصميم مسبق.. هم فقط يلقون أنفسهم تحت الموج ليلقي بهم أينما صادفت أقدارهم.. والكارثة الكبرى أن يجلس كبار السن من المثقفين أمام مبارك لمدة أربع ساعات متواصلة وهو يغازل أقلامهم بالنكات القديمة لأن الانتخابات على الأبواب وهو في أمس الحاجة لأقلامهم المسنونة.. للأسف هذا نموذج لجيل من المثقفين ضعفت شخصيته بل انعدمت ولم يعد فيه أمل لنفسه أو لوطنه، وبقي الأمل في جيل الشباب الذي يحترم عقله ويفكر بعقلية رجل العصر المتحضر الذي يحترم نفسه ويشعر بأنه إنسان وله قيمة إنسانية لا تقل عن قيمة رئيسه..

هذه القيم الحضارية لا نجدها سوى في شخصيات نادرة مثل الأستاذ عبد الحليم قنديل الذي جاهر برفضه للفساد وخاطر بحياته واندمج كليا في الحركات الشبابية التي تصغره في السن بثلث قرن، ومعه حفنة من المثقفين لا يقلون عنه نضالا وشرفا، هذا النموذج عبر محطاتٍ خطيرة في حياته واجتاز التنكيل والترويع والاضطهاد، فيقول قنديل: ترأست تحرير 3 صحف، تعرضت للملاحقة والترويع

1ـ المصدر: كتاب الثورة الآن. يوميات ميدان التحرير للكاتب سعد القرش منشور بدار كتب خان

والتجويع والمنع، وأذكر في عام 2000 حين كنت في جريدة العربي كان النظام قد فرغ لتوه من إغلاق جريدة الشعب، ولم يكن يريد إغلاق جريدة العربي باعتبار أنه "ماينفعش يقفل جورنان عليه صورة عبد الناصر". وكان القرار المثالي هو إغلاقي أنا، ويتم الضغط علي ضياء الدين داوود رئيس الحزب الناصري بكل الأساليب ثم تطور هذا الضغط منذ عام 2003 حين خرجت في قناة الجزيرة عقب سقوط مبارك مغشيا عليه في مجلس الشعب وتصريحات صفوت الشريف أن مرض الرئيس كان عبارة عن "شوية برد"، وقلت أنه إذا كانت صحة الرئيس علي ما يرام، فإن صحة النظام ليست كذلك.وحين بدأت أتكلم عن سيناريو التوريث زاد الضغط وجاء أسامة الباز إلي مقر الحزب الناصري والتقي بضياء الدين داوود ودار حوار طويل بينهما حضره السفير أمين يسري الذي أخبرني أن الحوار دار حول انتقاداتي للرئيس وحرمه والوريث. وكانت النتيجة أنني تركت العربي الناصري إلي جريدة الكرامة رئيسا لتحريرها، وفيها كتبت مقال " أشعر بالعار لأنك الرئيس". الذي حولت بسببه إلي المحاكمة مع ثلاثة رؤساء تحرير آخرين بتهم مماثلة. وفي الكرامة كان الضغط أكثر دهسا من زكريا عزمي وحسن عبد الرحمن رئيس مباحث أمن الدولة وأنس الفقي بوقائع محددة انتهت بخروجي من الكرامة عام 2007. ثم عملت رئيسا لتحرير صوت الأمة، ولم تكن لي علاقة بصاحبها عصام إسماعيل فهمي، وكان أول رد فعل علي تعييني هو مكالمة من هشام طلعت مصطفي الذي كان علي علاقة إعلانية بمطبوعات عصام فهمي قبل أن يتورط في قضية سوزان تميم قال له فيها: أنت ارتكبت خطأ عمرك.. الرئيس بيقول لك: "أنت ليه جبت عبد الحليم؟". وبعد خمسة أسابيع وصلت الرسالة.. حكم علي عصام في قضية ضرائب تافهة كانت خلافا حول تقدير الضريبة المستحقة عليه وكان الحكم 3 سنوات سجنا وغرامة 12 مليون جنيه. وحين اقتربت إزاحتي من الجريدة علي خلفية وقف الطبع من أمن الدولة وذكريا عزمي وصفوت الشريف في 3 أعداد كتبت فيها ثلاث مقالات هي "الذين جلبوا العار لمصر". وكان مقررا نشره في 3 يناير 2009، ثم خطاب مفتوح إلي الجيش بتاريخ 16 فبراير. ثم ممدوح إسماعيل. جريمة نظام في 16 مارس وتركت صوت الأمة بعد أن ألغي حكم الحبس علي عصام إسماعيل وخفضت الغرامة إلي 10 آلاف جنيه فقط، وبعدها تعاملت معي الصحافة المصرية علي طريقة "ابعد عن الشر وغني له".

هذه العبارة تدفعنا للعودة إلى بداية الصحوة في الوعي السياسي في مصر، مطلع عام 2004 تقريبا، وهو العام الذي بدأت فيه الحركات الشبابية ميلادها، بدأت بظهور شباب حركة "كفاية" التي

وجهت هتافها صراحة لمبارك قبيل التجديد للفترة الرئاسية الخامسة له، وفي ذات الوقت تقريبا، كانت حركة التدوين الإلكتروني قد بدأت، وهو ما فتح أفقا جديدا أمام الشباب للخروج من نفق الصحافة المظلم بعبارة "ابعد عن الشر وغني له"، ووفر لهم التدوين قدرا أوفر من الحماية، وبرغم أنه لم يؤثر بشكل مباشر في الوضع السياسي لكنه أثر بشكلٍ عميق في تكوين الوعي والعقلية السياسية الناضجة بما أتاحه التدوين من سيل من المعلومات والأخبار لم يكن مباحا الاطلاع عليها فيما قبل، ونضجت واستوت العقلية في الخفاء وبعيدا عن أنظار الأمن وأعوان النظام،وكانت بالفعل قادرة على تشكيل حراك فكري جماعي، وأثرت في الوعي الجمعي، فلم يكن التدوين مجرد وسائل للتواصل الاجتماعي بل التواصل الثقافي والفكري، الذي من شأنه أن يشكل سلوك الأفراد في الواقع لأن السلوكيات والتصرفات إنما تنشأ عن قناعاتٍ فكرية مسبقة.

فقد لعب التدوين الالكتروني دورا كبيرا في الحياة السياسية المصرية منذ ظهوره عام 2004، بدأت آنذاك مدونات كثيرة بشكل حذر، حيث بدأ بعض المدونين بذكر أسمائهم والتعبير عن أمور شخصية وعامة كعلاء عبد الفتاح وزوجته منال، واختار آخرون الاختفاء خلف أسماء وهمية. لكن المدونات مثلت في كل الأحوال وسيلة للتعبير، سواء عن خبرات شخصية وقصص من الحياة اليومية أو عن آراء سياسية. ونظرا لضعف قنوات التعبير الحر في مصر خلال السنوات الأولى لنشأة المدونات، كان للشأن السياسي النصيب الأكبر في المدونات المصرية لأن المحظور مرغوب، لاسيما وأن انتشارها صادف انتشار موجة من الغضب الشبابي ضد نية توريث الحكم لجمال مبارك.

وقد دفعت مساحة الحرية التي تقدمها المدونات بعض الصحفيين إلى ترك الصحافة التقليدية والاتجاه إلى التدوين كنوع من الصحافة البديلة الحرة. ومن بين هؤلاء وائل عباس، صاحب مدونة " الوعي المصري" وعمرو عزت صاحب مدونة "ما بدالي". ويرى المدون أحمد حجاب أن "المدون عادة ما يحرص على مصداقية مدونته ويعمل على تحري الدقة والموضوعية في أخباره على عكس الصحفي أو الإعلامي الذي يمكن أن تؤثر عليه سياسة أو اتجاه المؤسسة التي يعمل بها". وهو ما تؤكده المدونة والباحثة في الصحافة والإعلام نهى عاطف التي تقول: " المدونون يقومون بسد فجوة في المشهد الإعلامي، لأن الإعلام في عهد مبارك لم يكن يتمتع بحرية، وكانت هناك الكثير من المحرمات التي لم يكن من الممكن الحديث عنها سواء في الإعلام الحكومي أو الإعلام الخاص. "

ويبيّن الصحفي المدون وائل عباس أسباب إقبال القراء على مواقع البلوجرز، قبل أن تتم ترجمتها إلى "مدونات" يقول: "الناس تثق فينا؛ لأننا ننقل لهم المعلومة بأمانة، ولأننا نهتم بتدوين تفاصيل الأحداث التي تحجبها وسائل الإعلام الرسمية".. ويفتخر وائل بأن بعض المحللين أطلقوا عليهم لقب "فراعنة الإنترنت"؛ حيث اكتشفوا أن الفراعنة هم أول من دونوا مشاهداتهم اليومية على الحجر.وقد أظهر التدوين بالفعل مصداقيته في عدد من القضايا، فكان له الدور المؤثر في الكشف عن الكثير من انتهاكات نظام مبارك ضد المواطنين، حيث تمكن مدونون من نشر صور ومشاهد فيديو تظهر ما يتعرض له المتظاهرون والمحتجزون من عنف وتعذيب على أيدي رجال الأمن والشرطة. حتى أن وزير الداخلية حبيب العادلي في ذلك الوقت أصدر أمرا بمنع المواطنين من حمل هواتفهم الشخصية عند دخولهم أقسام الشرطة، على أثر تصوير ونشر واحدة من حالات التعذيب الفج، وجاء قرار الوزير ليتسبب في تعميم أكثر للفضيحة في ذلك الوقت.

وفي بداية عصر التدوين، كان النظام يسخر من المدونين الأوائل، بوصفهم محبوسين في العالم الافتراضي، ولا يفقهون في السياسة المرتبطة بـ«الواقع» شيئا . لكن وائل عباس يراجع نفسه فيقول «متحفظ على ما قلته من أننا أسرى العالم الافتراضي، لأن في الواقع وفي الحقيقة، تجربة التدوين المصرية تحديدًا تميزت عن باقي تجارب التدوين في العالم، في إيران أو في السعودية أو في الدول الأخرى، فإن المدونين في مصر كانوا مثلما قال أحد أصدقائي المدونين"لهم رِجل على الإنترنت ورِجل تانية في الشارع".. وهذه العبارة تصلح لوصف علاقة جيلنا بالتكنولوجيا، فهو لم يبن من التكنولوجيا سجنًا يحبسه، قدر ما جعل منها منطلقا لتحقيق ما يريد في الواقع.مع هذا، لم نتكيف تمامًا مع التكنولوجيا، فقد فصلتنا بعض الشيء عن نظرة آبائنا إلى الحياة، التي نراها مغلقة تمامًا، ولكنها في الوقت نفسه، لم تجعلنا متمردين جذريًا على تلك الحياة. أبعدنا الإنترنت عن جيل آبائنا بعشرات الأعوام، مقارنة بالفارق بين جيلهم وجيل الأجداد."

وفي حين لا تتوافر إحصائية عن عدد المدونات العربية، يقول خبراء الإنترنت: إن المدونات العربية لم تتعد بضعة آلاف. ومن أشهر المدونات المصرية مدونة "بهية" الناطقة باللغة الإنجليزية والتي استشهد بها الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل في حديثه لقناة الجزيرة في شهر ديسمبر 2005، مؤكدا أنه يطالعها شخصيا لمتابعة أحوال مصر بما تنشره من معلومات وآراء.

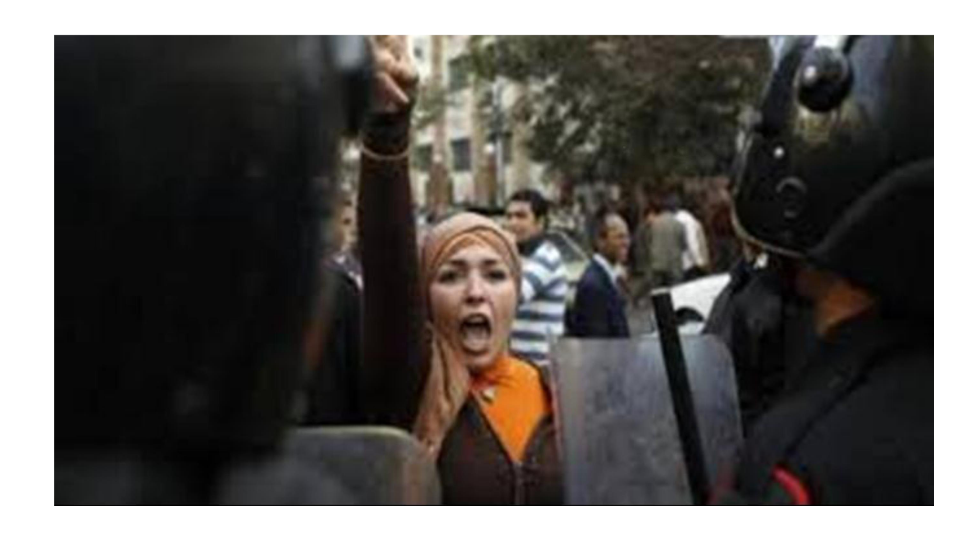
هذا بالنسبة لجيل المدونين الأوائل، لكن مع سرعة انتشار خدمة الإنترنت ودخولها أغلب البيوت المصرية، بدأ نوع جديد من التدوين هو التدوين القصير والذي تمكن من جذب شريحة أكبر من القراء الذين يملون من قراءة المقالات الطويلة ويفضلون الاطلاع على " تغريدات قصيرة" ، جاء ذلك تزامنا من انطلاق موقعي فيسبوك وتويتر "التدوين المصغر" Micro Blogging، الذين يعتبران فقط أشكال جديدة للتدوين" ومع وانتشارهما الواسع في مصر مطلع عام 2008 واحتجاجات حركة 6 إبريل في مدينة المحلة، وهنا بدأت السلطات المصرية تكتشف الأمر حينما عجزت عن السيطرة على صحوة الشباب، إذ أن الشباب قد شكلوا شبكات متشعبة من أدوات التواصل الاجتماعي والفكري يصعب السيطرة عليها بوسائل القمع التقليدية وقطعان الأمن المركزي. كانت المرة الأولى للحكومة المصرية عام 2008 إبان إضراب المحلة أن تكتشف غابة من شبكات التدوين الشبابية التي شكلت هاجسا مُفزعا للنظام، ومن هنا بدأ التفكير في طريقة للتعامل مع هذا النوع من النشاط السياسي الخطير للسيطرة عليه، وأجريت دراسات ومباحثات عديدة للتوصل إلى طريقة تمكن الحكومة من مراقبة والتحكم في هذا النوع من التمرد دون اللجوء المباشر لقطع شبكات الاتصال كليا، ومن يومها تشكلت لجنة اتخذت مقرها في سنترال رمسيس واستمر انعقادها بشكل دائم، وضمت ممثلين من مؤسسات مختلفة، من الجهاز القومي لتنظيم الاتصالات ومن الجيش ومن وزارة الداخلية وأمن الدولة وغيرها من المؤسسات.

والتجربة التالية كانت في العاشر من أكتوبر 2010، إبان الاعتراضات الشعبية على تزوير الانتخابات، وتمثلت في عمل غرفة الطوارئ على محاكاة لكيفية التعامل تكنولوجيا مع أي أحداث قد تمس أمن النظام، وكيفية الحصول على بيانات مستخدمي البصمات الإلكترونية بشبكة الإنترنت في وقت قياسي، وقطع خدمة الإنترنت عن مشتركي (USB مودم، إنترنت المحمول G3، والإنترنت الثابت ADSL"، وحجب الدخول على مواقع محددة على شبكة الإنترنت، وقطع خدمة الإنترنت والتليفونات المحمولة سواء صوت أو رسائل قصيرة، سواء على مدينة أو محافظة في زمن قياسي. واجتمعت هذه اللجنة يوم 22 يناير 2011 لاتخاذ القرار الملائم إثر إعلان الشباب عن قيام ثورتهم في 25 من ذات الشهر.

وعلى الجانب الآخر كانت هناك إرهاصات تمهيدية واقعية ميزت بدقة بين الأجيال القديمة والأجيال الصاعدة، التي راهنت على إرادتها وحريتها.. هذه الأجيال التي وقفت ورفضت التعليم بالعنف منذ

البداية حتى صدر قرار وزير التربية والتعليم رقم 519 لسنة 1998 بمنع المعلمين من ضرب الطلاب في الفصول الدراسية وحظر العقاب البدني أو اللفظي في كافة مراحل التعليم التربوي وقبل الجامعي.. هذه الأجيال التي تربت على ثقافة الدكتور العلامة إبراهيم الفقي وتشبعت بنصائحه وتوصياته في تنمية مواردها البشرية قبل اغتياله، ورفضت الاستسلام للظروف والعلل النفسية ومبرراتها، وعرفت كيف تستثمر إرادتها، وكيف تقتنص حقوقها من يد الطغاة، سواء كان الآباء أو رؤساء العمل أو الحكام.. وهذا ما دفعها في النهاية لمواجهة الخطر بصدورٍ عارية.. فلم يعد لديهم ما يخشون هلاكه في هذه الدنيا.. فرفعوا شعارهم " إما الحياة وإما الموت..ولتأت الرياح كما شاءت.. فما عادت سفننا تشتهي شيئا.."

هذه الشريحة العمْرية الشابة وغالبيتهم من مواليد عصر مبارك، وهي التي رفضت نظامه البوليسي وثارت عليه ونظمت الكثير من الحركات السياسية التحررية مثل حركة كفاية، و6 إبريل و والجمعية الوطنية للتغير وغيرها. هذه الحركات استطاعت إلى حدٍ ما أن تثبت وجودها في الشارع المصري وتعبر عن بعض آرائها رغم الحصار الأمني على الجامعات والأندية وحظر النشاط السياسي عن شريحة الشباب المفعمة بالحيوية والنشاط. فأصبحت الحرية قاب قوسين أو أدنى، خاصة عندما نتجول في شوارع وسط البلد فنجد فتاة يلتف حولها مجموعة من الشباب محاطين بحزامٍ أمني من الضباط، والفتاة تهتف في وجوههم بقوة" حضرات السادة الضباط.. عيشو بشرف .. جتكو القرف " – " أمن الدولة كلاب الدولة .. فين الأمن وفين الدولة " هذا الهتاف لم يكن ممكنا أن نسمعه من أفواه المثقفين من جيل الآباء والأجداد الذين طأطأوا الرؤوس وجلسوا لساعاتٍ أمام مبارك وكأن على رؤوسهم الطير وانفجرت أقلامهم في اليوم التالي تمجد وتقدس في الرئيس الفتى الذي قارب الخامسة والثمانين من عمره.ولم يكن هتاف الشباب هذا نابعا من هامش الحرية التي سمح به النظام الحاكم، بل ناتج عن بوادر انفجار الغضب الشعبي واشتعال روح الثورة والتمرد في الأجيال الجديدة التي تعرفت على الثقافة الغربية واستفادت من ثورة تكنولوجيا الاتصالات، ولم تعد هذه الأجيال قانعة بما عاشه جيل الآباء من قمع وخنوع أو خنوع توافق مع القمع كي تسير القافلة..



ونتيجة لتراكم الضغوط والاحتقان، بدأت الحركات الاحتجاجية تتكرر بصورة فردية وجماعية منذ عام 2004م، بالتزامن مع ظهور حركة التدوين التي لجأ إليها الشباب لإفراغ همومهم، نشأت حركة كفاية ونظمت عدة مسيرات احتجاجية قبيل الانتخابات الرئاسية 2005. ثم تبعتها حركة 6 أبريل في عام 2008 عقب إضرابات عمال المحلة الكبرى، وظهرت في الشارع المصري ملامح الحراك السياسي، ثم تبعتها الجمعية الوطنية للتغيير التي دعا فيها الدكتور محمد البرادعي مدير الوكالة الدولية لطاقة الذرية إلى تغيير شامل للحياة السياسية في مصر، وتزايدت حدة هذا الغضب عقب حملة تزوير الانتخابات البرلمانية في نوفمبر 2010 لصالح الحزب الوطني بنسبة 95٪، واحتكار الحزب للحياة السياسية في مصر، في ظل احتياج عنصر الشباب لأن يعيشوا في ظل نظام ديمقراطي يكفل الحقوق والحريات، وهنا وقعت الفجوة بين جيل قديم وجيل صاعد وترتب على هذه الفجوة احتقان ثم غليان ثم انفجار ثورة غضب.

وفي ذات الوقت الذي أينعت فيه شجرة النظام وازدهر فسادها وغاصت جذوره وتفرعت بين حاشية الأب وحاشية الابن وزبانية الأم واجتمعت على تجهيز العريس لمشروع التوريث، كانت شجرة الشباب قد استقبلت ربيعها وأينعت زهورها وتفتحت في الشارع المصري مُحدثة حراكا سياسيا في البيئة السياسية الراكدة منذ عصور. وقد قدم الدكتور يسري الغرباوي رصدا رائعا لنشأة هذه الحركات

الشبابية في مصر.[1] والتي بدأت ظهورها في الشارع المصري بمطلع عام 2004م ثم تنامت تدريجيا وتزايدت أعدادها وفعالياتها ، وفيما يلي نتعرض لها باختصار:

حركة " كفاية " الحركة المصرية من أجل التغيير" وهي تجمع فضفاض من مختلف القوى السياسية المصرية، ولم تنشأ هذه الحركة بغرض ممارسة السياسة ولكن بغرض اعتراض الظلم والفساد، حيث بدأت حركة " كفاية " في2004م رافعة سقف المطالب السياسية دفعة واحدة دون مواربة، واحتمت بالشوارع والفضائيات مع الاستفادة الفضاء الإلكتروني كميدان جديد للممارسة السياسية، بعيدا عن الأحزاب الهيكلية التي ترعاها الحكومة، واتخذت شعارها " لا للتمديد لا للتوريث" وقد دعمها العلامة الدكتور محمد عبد الوهاب المسيري، ود.جورج إسحاق ومجدي قرقر و أمين إسكندر وأبو العلا ماضي وضياء الصاوي وحمدين صباحي و د.عبد الجليل مصطفى ود.عبد الحليم قنديل وغيرهم الكثير. وتوافق الموقعون على بيانها على هدفٍ واحد وقتها هو رفض التمديد للرئيس مبارك لفترة رئاسية خامسة. ومن هنا جاءت التسمية " كفاية ". وحازت الحركة على دعم إعلاميٍ مكثف من الصحف المعارضة ومن ثم بدأ طرح مشروع التوريث على طاولة الانتقادات، وهو ما كان محظورا فيما قبل التعرض لأسرة الرئيس سواء بشخصه أو ابنه جمال أو زوجته سوزان. وتأسست الحركة على النظام الشبكي وراعت في تنظيمها المرونة وحرية المبادرة الفردية والعمل في مجموعات صغيرة، وقد وصلت الحملة إلى 22 محافظة في مصر من أصل 26 محافظة، وتعرضت لحملات أمنية وصفتها منظمات حقوقية بأنها حملات وحشية، وقد أدى انتشار " كفاية" (الحركة المصرية من أجل التغيير) إلى ظهور حركات نوعية وفئوية موازية مثل "شباب من أجل التغيير" و "طلاب من أجل التغيير" و "محامون من أجل التغيير " وصحفيون من أجل التغيير " وعمال من أجل التغيير "وعلى أثر ذلك بدأ الحراك السياسي يدب في ربوع مصر باحثا عن التغيير، فخرج من عباءة الحركة عدد من الكوادر والأفكار التي استفادت منها حركات سياسية موازية. ولحركة كفاية منتدى على شبكة الإنترنت يدعى " مندرة كفاية " وهو تابع للموقع الرسمي لحركة كفاية.

حركة " شباب من أجل التغيير" : نشأت في فبراير 2005 تحت مظلة حركة كفاية، بعد شهرين من أول مظاهرة نظمتها كفاية في ديسمبر 2004 أمام دار القضاء العالي. وقد نشأت الحركة

1ـ د. يسري العزباوي ـ دراسة بعنوان: دور الشباب والحركات الاحتجاجية الجديدة في ثورة 25 يناير2011م منشورة على موقع " البوابة نيوز" بتاريخ: السبت 01/ديسمبر/2012ـ 12:00 ص http://www.albawabhnews.com/62037

بمبادرة مجموعة من شباب حركة كفاية الذين نشطوا في مرحلة سابقة في إطار الحملة الشعبية لدعم الانتفاضة والحركات المناوئة للحرب على العراق. وضمت مجموعة المؤسسين شبابا ينتمون إلى تيارات سياسية مختلفة مثل حزب العمل، والغد، والكرامة، والوسط، والاشتراكيين الثوريين، وعدد من المستقلين.

حركة "تضامن": ضمت نشطاء من حزب العمل والغد، ومن الاشتراكيين الثوريين وبعض المستقلين، ولكن نشطاء الغد والعمل خرجوا بعد فترة قصيرة من تأسيس الحركة، واتجهوا نحو حركة بديلة وهي حركة " 6 إبريل". وبخروج مجموعتي الغد والعمل، اقتصرت عضوية حركة "تضامن" على نشطاء من اليسار ارتبط معظمهم بمجموعة الاشتراكيين الثورين، وقد تأسست حركة تضامن بهدف التضامن مع الحركات ذات الطابع القاعدي والمطلبي التي أسسها عمال وموظفون وفلاحون، وذلك لتوفير الدعم القانوني والإعلامي لهذه الحركات، والعمل على التنسيق والربط بين الحركات المختلفة وتبادل الخبرات فيما بينها.

حركة شباب " 6 إبريل " : ظهرت عام 2008 عقب الإضراب العام الذي شهدته مصر بدعوة من عمال المحلة الكبرى وتضامن القوى السياسية، فتبناه الشباب وبدءوا في الدعوة إليه كإضراب عام لشعب مصر، وأغلب أعضاء الحركة من الشباب الذين لا ينتمون لأحزاب سياسية ، ويمكن اعتبار "6 إبريل " من أهم المجموعات التي نقلت الاهتمام بشبكة الفيس بوك من كونها ظاهرة الكترونية مقصورة على الشباب إلى ظاهرة مجتمعية وسياسية تثير سخط الأمنيين وتثير اهتمام الباحثين وفضول المواطنين، وذلك بفضل ارتباطها بالدعوة إلى تنظيم إضرابات عامة ووقفات احتجاجية خلال عامي 2008 و2009م .وشباب "6 إبريل" في معظمهم لا ينتمون إلى تيارات أو أحزب سياسية، ووصل عددهم في المجموعة على فيس بوك عشية الإضراب إلى 70 ألف عضو، وتحرص الحركة على عدم تبني أيديولوجية معينة؛ حفاظا على التنوع داخلها، كما يقول أعضاؤها. وكما يذكر أحمد ماهر، منسق حركة شباب 6 إبريل ، أن الحركة اعتادت أن تطلق دعوة دورية للتظاهر يوم 25 يناير كل عام منذ عام 2009. وفي ديسمبر 2010 أطلقت 6 إبريل الدعوة لتنظيم "عيد البلطجية" في 25 يناير 2011 أمام وزارة الداخلية، وحركة 6 أبريل لديها انتشار واسع على الإنترنت، وكان لها دور مؤثر في نشر الدعوة للثورة، خاصة وأن للحركة أفرع في 24 محافظة وتعمل بطريقة لا مركزية .

حركة " حشد": هي ثاني الحركات الاحتجاجية الشبابية التي ولدت بعد حركة "6 أبريل"، وهي حركة راديكالية تتبنى المنهج " اللينيني والإستاليني"؛ بمعنى تكوين الخلايا النائمة، والانقضاض بعد التغلغل داخل المجتمع؛ولذلك فهذا الجناح أو التيار يتبنى فكرة التنظيم أولا ثم الحركة والانتشار. كما تعد أحد أجنحة منظمة " الاشتراكيون الثوريون " والتي انشقت مطلع عام 2010 إلى جناحين، الأول الذي كون حركة "حشد"، والثاني الذي شكل ما عرف باسم " تيار التجديد الاشتراكي" وكان السبب الرئيس في انقسام منظمة " الاشتراكيون الثوريون" هو الخلاف الحاد حول نظرية التنظيم أولا ثم الحركة أو الحركة أولا ثم التنظيم. وأعلنت حركة حشد عن نفسها في فبراير 2010، إلا أن أول ظهور رسمي لها في الشارع كان في الأول من مايو من ذات العام بعد تبني الحركة لمظاهرة "عابدين" التي حشدت لها على نطاق واسع، والتي رفعت شعار " والله لن نورث بعد اليوم" استلهامًا من الشعار الذي رفعه أحمد عرابي ضد الخديوي.

حركة " العدالة والحرية": نشأت حركة العدالة والحرية في 21 يوليو 2010، وكان لها حضور قوي في الشارع، حيث نظمت الحركة أول مظاهرة في 23 يوليو، وتبعها مظاهرتان في 25 و26 يوليو من ذات الشهر. وتعد من أقوى الحركات الشبابية وأكثرها تماسكًا؛ حيث لم يظهر بداخلها أي حالة انشقاق خلال الثورة أو بعدها؛ وذلك لأنها خليط من الليبراليين واليساريين ومجموعة كبيرة من الناشطين المستقلين؛ وهو ما أدى إلى تماسك الحركة حتى الآن رغم الانشقاقات التي ظهرت في الحركات الاحتجاجية الأخرى. وقد ولدت الحركة من رحم "تيار التجديد الاشتراكي" الجناح الثاني لمنظمة "الاشتراكيون الثوريون" التيار المؤمن بضرورة الحركة ثم التنظيم، ويرجع إيمان هذا التيار بهذا المبدأ من منطلق قناعة هذا التيار بالتوجه المعنى باستمرار الحالة الثورية وأن الثورة مستمرة.وكان الهدف من حركة " العدالة والحرية" القفز على أخطاء منظمة " الاشتراكيون الثوريون " والعمل على دمج أكبر كتلة تحرك من مختلف التوجهات، وكان هذا السبب وراء تسمية الحركة باسم "العدالة والحرية "وهو قائم على فكرة الحرية والديمقراطية، التي يؤمن بها كل التيارات والتوجهات، وكذلك العدالة، وهو مبدأ لا يختلف عليه أحد، وإن كان اشتراكيًا، ولكن يوجد له نظير في مختلف التوجهات.

الحملة الشعبية لدعم البرادعي: تكونت الحملة في وقت سابق على الجمعية الوطنية للتغيير؛ حيث تشكلت الحملة مع مطلع فبراير 2009م. وكانت مظاهرات 6 إبريل 2010 علامة فارقة في

تاريخ الحملة؛ حيث تبنت الحملة دعوة حركة "6 إبريل"، كما ألقت بثقلها في الشارع في هذا اليوم، وتعرض أعضاؤها، وخاصة الشباب، إلى ملاحقات أمنية غير مسبوقة. وقد دب الخلاف بين أعضاء الحملة أيضًا يوم 6 إبريل 2010؛ بسبب اختلاف الرؤى في أولوية الحركة؛ حيث رأى الفريق القيادي في الحملة ضرورة العمل على التحرك في الشارع بشكل محسوب، وعدم النزول إلا في وجود قيادات ثقيلة من عينة الدكتور محمد البرادعي؛ لإعطاء النزول زخمًا سياسيًا؛ للحفاظ على أعضاء الحملة، وتحجيم الضغط الأمني عليهم قدر الإمكان. إلا أن الفريق الثاني، وكان معظمه من شباب الحملة، تبنى وجهة نظر مغايرة، تتمثل في الشعار الذي رفعوه وهو " الشارع لنا " ورفضوا الاحتماء في شخصية البرادعي أو غيره. وظلت الحملة الشعبية في السير على هذا الخط، المشاركة في الفعاليات المختلفة، وعدم إعطاء تعليمات لأعضاء الحملة بالنزول، وترك مسئولية المشاركة في المظاهرات لرؤية كل شخص حسب ظروفه، وهو ما يفسر لنا مشاركة العديد من أعضاء الحملة في المظاهرات بشكل شخصي، رغم عدم تبني الحملة لدعوة هذه المظاهرات. إلا أن هذا الموقف لم يستمر، وجاء يوم "25 يناير" لتعلن الحملة عن مشاركتها وبقوة في ذلك اليوم وبكامل كادرها.

وخلال الفترة التي سبقت الثورة، كانت اجتماعات الحملة تتم في بيت عبد الرحمن يوسف القرضاوي أو زياد العليمي، وفي أماكن عامة، أو منزل البرادعي، لأنَ كثيرا من مسئولي القاعات لا يوافقون على تأجيرها لأعضاء الحملة بسبب تعليمات أمنية. ويتذكر باسم كامل، أحد مسئولي الحملة: «حين بدأ البرادعي جولاته في الفيوم، رفض أصحاب الفراشات تأجير فراشة ومظلات للحملة، فأعطى لنا بعض الأهالي فروشات السرائر لنستخدمها كمظلات.. كما رفض أغلب الناس أن يؤجروا لنا شقة لتكون مقرا للحملة، ولم يوافق إلا شخصين مؤيدين للبرادعي على تأجير شقتهم بشارع سوريا في المهندسين". كان التضييق الأمني على البرادعي وحملته جزءًا من تخوف النظام وقتها، بعد أن أعلن إمكانية ترشحه للانتخابات الرئاسية، وذهابه للإسكندرية لزيارة والدة خالد سعيد وتنظيمه لمسيرة ضخمة هناك، فتحول البرادعي بفضل حملة تشويه من النظام من الشخص الذي شرف مصر بحصوله على جائزة نوبل إلى خائن وعميل وابنته متزوجة من رجل مسيحي.

رابطة دعم البرادعي: ولدت رابطة دعم البرادعي من رحم الحملة الشعبية لدعم البرادعي بعد الانشقاق الذي ظهر في صفوف الحملة في إبريل 2010، إلا أن تكوين الرابطة والإعلان عنها تم في يونيو من ذات العام بعد وصول الطرفين إلى طريق مسدود، خاصة مع احتجاج أعضاء الرابطة على

سياسة اتخاذ القرار داخل الحملة، والذي رأوه يتم بشكل فوقي غير ديمقراطي بحجة أن الوقت غير ملائم لجعل جميع القرارات تحت بصر وسمع جميع الأعضاء؛ لتقليص المساحة التي قد يستغلها الأمن لشق صفوف الحملة. وكان أعضاء الحملة أكثر الشباب تعرضا للاعتقال أثناء حملة توزيع البيانات التي تطالب بالمشاركة في مظاهرات " 25 يناير"؛ وذلك لعدم امتلاك أعضاء الحملة خبرة أعضاء حركة " 6 إبريل "، وعدم امتلاكهم لحنكة وقدرة أعضاء حركة " العدالة والحرية "، على خداع الأمن.

"شبكة رصد الإخبارية" : هي شبكة إخبارية مصرية تأسست في نهاية عام 2010 لتغطية الانتخابات البرلمانية المصرية، ومؤسس الشبكة هو أنس حسن، طالب في كلية الهندسة قسم الاتصالات، جامعة المنصورة، وخالد شكري نور الدين مسئول اللجنة الفنية والتقنية، وأسامة طلبة، طالب بكلية الطب والمنسق العام للصفحة، وعمرو سلامة المتحدث الإعلامي باسم الصفحة وعمرو فراج مصور الصفحة هذا فضلا عن باقي المواطنين المراسلين تطوعيا. وقد ساهمت بشكلٍ كبير في فضح التزوير الذي حدث بها، وخلال فترة الثورة في تونس استطاعت الشبكة نقل فعاليات الثورة وأحداثها ساخنة إلى الشارع المصري، وخلال مسيرات 25 يناير استطاعت شبكة رصد كسر التعتيم الإعلامي التقليدي والرسمي بهدف إنشاء إعلام حر ومغاير للإعلام المصري عبر التقنيات الحديثة وشبكات التواصل الاجتماعي، وتقوم الشبكة من خلال مجموعة من الشباب المتطوعين بنقل الخبر بالنص والصوت والصورة وإطلاع الجمهور على ما يجري في الميادين المصرية، وهي تعتمد على نظام المواطن الصحفي،وقد سُميت تلك الشبكة باسم " وحدة الرصد الميداني- برلمانيات 2010م" وتعتمد على إصدار الأخبار السريعة بالصوت والصورة كدليل على مصداقيتها، ثم تغير اسمها خلال أحداث الثورة المصرية 25 يناير ليصبح " شبكة رصد الإخبارية " وتم الترويج لها مبدئيا على صفحة " كلنا خالد سعيد " واسعة الانتشار.

وكما يقول خالد محمد أحد مؤسسي الشبكة ومسئول العلاقات العامة: فكرة الرصد الميداني بدأت معنا منذ بداية الانتخابات التشريعية لمجلس الشعب.. كانت فكرتنا أن نغطي الانتخابات ونكشف التزوير، وبالفعل نجحنا في رصد العديد من الأمور وقمنا بالكشف عنها في الشبكة.. وبمرور الوقت بدأت الشبكة تظهر ويدخل فيها الشباب لمتابعة الأخبار التي كانت تميل بشكل كبير لكشف الانتهاكات الأمنية، والحمد لله نجحنا جدا في هذا الوقت وأطلقت علينا بعدها كثير من المؤسسات المصرية أننا ويكليكس مصر.. وبعد تطور الأحداث في مصر بدأنا في تغطية أخبار الثورة

التي شاركنا فيها بأنفسنا وكنا نبضها الذي لا يتوقف سواء من داخل مصر أو من خارجها. ولتفادي المضايقات الأمنية ومحاولات اختراق للشبكة، كنا نعمل من أكثر من مكان.. وكنا كثيرا نعمل من حسابات غير شخصية حتى لا نتعرض للاعتقال، فضلا عن أننا كنا نقوم بتغيير أماكننا وحساباتنا علي الفيسبوك بشكل دائم، والحمد لله الشرطة لم تكن تستطيع مجاراة سرعتنا وكنا دائما نتفوق عليهم".

مجموعة " كلنا خالد سعيد": نشأت هذه المجموعة، بعد مقتل الشاب السكندري خالد سعيد، في 6 يونيو عام 2010، بعد أن تم تعذيبه حتى الموت على أيدي أفراد الشرطة؛ مما أثار احتجاجات واسعة، مثلت بدورها تمهيدا هاما لاندلاع الثورة، ففي يوم 2010/60/6 كان شرطيين قد قبضا عليه وعذبوه حتى الموت، وبرغم أنه استعطف الشرطي وهو يضرب رأسه "هموت.. هموت" إلا إن الظالم رد بكل بجاحة أمام الجيران بأنه إنما جاء ليقتله.. ونكاية في الشعب المغضوب عليه أخلت النيابة سبيل المتهمين بقتله، وجعلته هو الجاني على نفسه بابتلاع لفافة من البانجو، بينما الجناة أبرياء من دمه، برغم أن خالد سعيد تم التمثيل بجثته وبدت صورته التشريحية مشوهة طالتها يد باطشة فتكت بالذقن والفكين وفرطت أسنانه.. بينما كانت جريدة الجهورية الحكومية تسخر منه بتسميته " شهيد البانجو" ، وما هكذا يفعل البانجو بالجثث.. فتحول خالد سعيد إلى أيقونة أشعلت نيران الثورة في جسد النظام.. وظلت صفحات " كلنا خالد سعيد " مشتعلة لستة أشهر تنشر صوره مبتسما ومشرحا وممثلا بجثته كي تتضح الحقيقة..

ولم تكن قضية خالد سعيد مجرد قضية تعذيب، وإنما هي اغتيال مواطن فضح انتهاكات الشرطة للقانون، وهو ما اعتبره النظام من قبيل مقاومة السلطات، والذي يتطلب مسح المواطن من الوجود. وفي الواقع، ظهرت صفحة "كلنا خالد سعيد" يوم 9يوليو، أسسها صديق خالد سعيد المقرب وهو المهندس "وائل غنيم" على موقع فيسبوك وجذبت هذه الصفحة ما يزيد عن14 ألف شخص خلال 4 أيام من ميلادها. وقد أجمع شباب النشطاء على جعل صفحة " كلنا خالد سعيد " الصفحة الرئيسة للدعوة إلى الفعاليات؛ لكونها تضم عددا كبيرا من الشباب المتحمس من غير النشطاء سياسيا. وتضم المجموعة أعضاء من الحركات السياسية والمنظمات الشبابية التي تباشر حراكا سياسيا في الشارع المصري، وينتمي معظم أعضاء هذه المجموعة إلى مستويات طبقية مختلفة، إلا أنه ليس لهم أي توجه أيديولوجي، حتى قادة هذه المجموعات.

وترى كريمة الحفناوي، القيادية بحركة كفاية والجمعية الوطنية للتغيير؛ "أن الحشد المعنوي للناس بدأ قبل الثورة بشهور حين قادت الجمعية الوطنية للتغيير حملة المليون توقيع لإجراء حزمة إصلاحات سياسية ودستورية في مصر، كما أطلق شباب الجمعية «حملة طرق الأبواب لجمع مليون توقيع على بيانا لتغيير»، وهو ما أطلق شرارة الغضب في نفوس الناس."

وفي المجمل، هذه المجموعات ذات الطابع الاجتماعي والحركات ذات الطابع السياسي هي التي أشعلت ثورة 25 يناير، والمشترك بينهم هو الإيمان بالديمقراطية والتعددية، والدعوة إلى بناء دولة مدنية عصرية، والطموح إلى مواكبة الحضارة ومتغيراتها. في ذات الوقت كانت جهود الشباب في هذه المجموعات والحركات تتلاقى وتتجمع في فريقين مستقلين عن بعضهما، الفريق الأول يمارس أنشطته وحركاته ووقفاته الاحتجاجية في شوارع وميادين مصر بما يناسب كل حدث قد يستدعى الوقوف أمامه مثل مقتل الشاب السكندري " خالد سعيد " على يد رجال الأمن، ومنها حادث انفجار كنيسة القديسين في الإسكندرية، الذي راح ضحيته أكثر من 20 قبطيا مصريا، وحاولت الشرطة إلقاء التهمة على الشاب السلفي "سيد بلال" وقبضت عليه وظلت تعذبه في مقر أمن الدولة بالإسكندرية حتى لحق بخالد سعيد، انطلقت مسيرة غضب منددة بقتل السيد بلال. وثارت هناك أقاويل عن تورط وزارة الداخلية في التدبير لتفجير كنيسة القديسين، كمحاولة منها لتبرير القمع..

لكن هذا الفريق لم يكن مُسيسا وإنما يتفاعل فقط مع الأحداث بنبرة الاحتجاج على الظلم، ولم يشكل حركات سياسية قائمة ومستمرة في العمل وفق برنامج وأهداف محددة أو تحت قيادة معينة أو تنظيم واقعي، فقط موجات احتجاج تظهر وتختفي حسب مقتضى الموقف. وقد تتأسس لها صفحات افتراضية يتضامم إليها أشخاص من عموم الشعب كما في مجموعة "،"كلنا خالد سعيد" و"شبكة رصد"، لكن في النهاية فهي تشكيلات احتجاجية ذات طابع اجتماعي وليس سياسي. وقامت هذه الحركات بتوعية أبناء المحافظات ليقوموا بعمل احتجاجات على سوء الأوضاع في مصر، والتخلص من النظام، وسوء معاملة الشرطة التي لها تاريخ حافل ومُظلم لدى المصريين عامة. هذا الفريق في الغالب غير معلوم الهوية ويمارس نشاطه من خلال اللقاءات والاجتماعات الافتراضية على مواقع التواصل الاجتماعي الالكترونية (المدونات والفيس بوك والتوتير)، وتكونت مجموعات من أصدقاء الرأي وشكلوا صفحات خاصة بهم على مواقع التواصل جذبت انتباه الكثيرين للتعبير عن آرائهم والإدلاء بمعلوماتهم.

وأما الفريق الثاني وهو الذي يملك تنظيما سياسيا وله أيديولوجية محددة وإن لم يكن بينها الوصول إلى السلطة، لكن يسعى إلى التغيير وتداول السلطة، وظل هذا الهدف مستمرا وتتجدد شعلته بتجدد الأحداث. فهذا الفريق يعتمد في الأساس على النشاط السياسي الواقعي ويتخذ من الاحتجاج في المسيرات والمظاهرات وسيلة لممارسة نشاطه السياسي. ومن أهم الحركات الاحتجاجية في هذا الفريق كانت حركة" كفاية" وحركة " 6 إبريل "وحركة " العدالة والحرية "، والجمعية الوطنية للتغيير "وشباب حزب الجبهة، والعديد من المدونين المستقلين، بالتنسيق مع بعض شباب الإخوان الذين أبدوا استعداداتهم للمشاركة في الثورة منذ بداية الدعوة إليها بصورة فردية مستقلة عن تنظيم الجماعة.

وبمرور الوقت حدث التقاء بين مجموعات النشاط الافتراضي وجماعات النشاط السياسي الواقعي لتجتمع الآراء وتتوحد الأهداف، وبدا الأمر مختلفا هذه المرة؛ لأن من يدعون إلى التظاهر والاحتجاج هم شريحة الشباب، وهي شريحة عريضة وليست حصرية على الطلاب كما كان الحال منذ سبعينات القرن الماضي. فتم الإعلان في جميع أنحاء الجمهورية عن خروج مسيرات احتجاجية من خلال وسائل الإعلام المختلفة في تحدٍ صارخ لجيوش الأمن المنتشرة في كافة شوارع وميادين الجمهورية.

وأما بالنسبة لتنسيق العمل والتحرك بين هذه التجمعات، ففيما سبق كانت تقوم هذه الحركات الشبابية بمسيرات احتجاجية حسب المناسبة، وقد حدث تنسيق بين بعض الحركات في المحافظات قبل الثورة ؛ فعلى سبيل المثال حدث تنسيق بين ثلاث حركات (كلنا خالد سعيد، 6 أبريل، وحملة البرادعي) و" العدالة والحرية"، خلال المظاهرات واللقاءات والندوات وتكوين حملات لدعم مرشحين بعينهم خلال انتخابات مجلس شعب 2010 وتطورت العلاقة عبر شبكة الفيس بوك، وخاصة يوم الإدلاء بالتصويت في انتخابات 2010، ورفعوا شعار (أعمل دوشة في الشارع" أو البيوت بـ " كلاكس عربية" أو " تخبيط على الأواني)، وحدث هذا في 14 محافظة ونجحت التجربة تماما في التنسيق بين الحركات المختلفة. وقبل مظاهرات 25 يناير بدأت خطوات التنسيق بين الحركات مرة أخرى، في تحديد أماكن المظاهرات ونقاط التجمع وخطوط السير في المحافظات خاصة في القاهرة والإسكندرية والسويس والمحلة ودمنهور. وهو ما ترتب عليه تفاعل شباب الحركات في الاجتماعات التنسيقية بين شباب الحركات الاحتجاجية المختلفة لتحديد أماكن المظاهرات وخطوط سيرها ومواعيد انطلاقها ولتنسيق التحركات والاتفاق على الشعارات التي سيتم رفعها إلى جانب توحيد المطالب

والاتفاق على حد أدنى يرضي جميع الأطراف. وهذا ما ترتب عليه نشوء قنوات اتصال جيدة بين الحركات الشبابية خلال التجارب السابقة.[1]

يقول الشاب عمرو عز: «عام 2010 كانت هناك انتخابات شبابية للبرلمان الموازي للبرلمان الرسمي، حينها تعرفت القوى الثورية بعضها على بعض، التي تضم (حملة دعم البرادعي)، و(حركة شباب الحرية والعدالة) وحزب الجبهة و6 أبريل. وبدأنا في الحديث عن القيام بعمل يجمع القوى الثورية تحت مظلة واحدة وأن نوحد جهودنا، وكنا نجتمع بشكل دوري، وكان آخر اجتماع قبل الثورة في مقر تيار التجديد الاشتراكي بمنطقة وسط البلد، واتفقنا على النزول يوم 25 يناير، وأن تكون المجموعات السياسية جسدا واحدا، كنا لا ندخل أحدا غير معروف بيننا، (تفاديا لتسلل الأمن) ونتقابل في أماكن غير معتادة وأوقات غير معتادة، يبلغ بعضنا بعضا بها وجها لوجه، كان التحدي لدينا هو حشد أكبر عدد من المتظاهرين، وكنا على دراية خلال اجتماعاتنا بأنه إذا تم معرفة ما نتفق عليه سيفسد حلمنا".

وكما يقول زياد العليمي: تكون ائتلاف شباب الثورة من خمسة فصائل شبابية هي: حملة دعم البرادعي، وحركة 6 أبريل، وشباب العدالة والحرية، وشباب حزب الجبهة الديمقراطية، وشباب جماعة الإخوان المسلمين. وقد عملت المجموعات الخمس مع بعضها البعض منذ عام، يجمعها الميل إلي التمرد علي الأطر التقليدية لأحزابهم الأيديولوجية. واستقلت الحملة التي تضم 15 ألف شاب عن الرعاية المباشرة للبرادعي، ثم بنينا تنظيما أقرب للسرية وفقا للأدبيات اليسارية، وتمثلت كل مجموعة في التنسيق لتظاهرات مثل "كلنا خالد سعيد" بممثل واحد، وجربنا تكنيكات جديدة مع انتشار المجموعات الأربع فيما يزيد عن 16 محافظة، فخبرة التظاهرة المتزامنة التي طبقناها في الثورة كنا قد جربناها من قبل، مثلا نظمنا يوما للغضب في شهر نوفمبر تضامنا مع الكنائس، وختمنا تجريب هذا التكنيك بتظاهرة متزامنة بعد حادثة القديسين في الإسكندرية.

1ـ د. يسري الغرباوي – المصدر السابق

يقول زياد العليمي، عضو ائتلاف شباب الثورة" قبل شهرين من الثورة إبان الانتخابات التي تم تزويرها، وفى اجتماع بين ممثلين لحركات «الحملة الشعبية لدعم البرادعي»، و«شباب حزب الجبهة»، و«شباب من أجل العدالة والحرية»، و حركة «6 أبريل»، فكرنا في تنظيم مظاهرات في 16 محافظة بالتوازي، رصدنا فيها تواجدا لهذه الحركات مجتمعة، وفكرنا في استغلال هذا التواجد، والدعوة للتظاهر لقياس مدى قدرتنا على تنفيذ مظاهرات، ولو رمزية، في 16 محافظة في نفس الوقت، وهو ما كان يجرى عبر التنسيق مع صفحة «كلنا خالد سعيد»، وبالفعل استطعنا تنظيم المظاهرات، وهو ما أعطانا قوة وأملا، وهنا كانت بداية جديدة. بعدها توالت الاجتماعات بين ممثلين للحركات الشبابية، وكان يحضر من حملة «البرادعي» عادة زياد العليمي، وباسم كامل، ومحمد عرفات، ومن حركة «شباب من أجل العدالة والحرية»، خالد عبدا لحميد، وخالد السيد، ومصطفى شوقي، ومن حركة 6 أبريل، أحمد ماهر ومحمود سامي، وعمرو عز الرجال، ومن شباب حزب الجبهة، شادي الغزالي، وعمرو صلاح وأحمد عيد، وكان الهدف الأساسي من الاجتماعات، انتخاب الشباب الذين سيمثلون داخل البرلمان الموازى الذي شكلته القوى السياسية المعارضة للتدليل على تزوير انتخابات البرلمان الحكومي، الذي اتفقت القوى السياسية على تأسيسه، اعتراضا على تزوير الانتخابات البرلمانية، وبدأنا



الاجتماعات المتكررة لممثلي الحركات الأربع نفكر في التظاهر يوم عيد الشرطة، وقبل أن نقرر ذلك، جاءت دعوة الصحفي الشاب "عبد الرحمن منصور" عبر صفحة «كلنا خالد سعيد»، للتظاهر يوم 25 يناير، لتنهى النقاش وتتعاضد السواعد وتتعاهد على شرف الثورة".

وجاءت فكرة الدعوة إلى وقفة احتجاجية في يوم 25 يناير بالتزامن مع احتفالات عيد الشرطة ، فظهرت أولا على موقع " فيسبوك " أطلقها الصحفي الشاب عبد الرحمن منصور على صفحة " كلنا خالد سعيد" في ديسمبر 2010 على غرار ما قامت به حركة 6 أبريل في عام2008 و 2009 حيث كانت تدعو بصفة دورية للاحتفال بـ"عيد البلطجية" كل عام في يوم 25 يناير عيد الشرطة، بينما

علت الصيحات أكثر حينما غردت إسراء عبد الفتاح على صفحتها" ثورة ثورة حتى النصر، ثورة في تونس عقبال مصر".. هكذا كتبت بصفحتها على فيسبوك بداية يناير 2011، حيث كانت رياح التغيير في تونس وقتها ملهمة لكثير من الشباب العربي الذين اتخذوا من مواقع التواصل الاجتماعي وغرفه الافتراضية ساحاتٍ لفتح النقاش حول مصائر شعوبهم وبلدانهم.

ويكمل زياد حديثه: وبدأت اجتماعات يومية تضم من 10 إلى 25 شابا، للنقاش حول التفاصيل، ونسقنا مع الصفحة، من خلال أحمد صالح، أحد المشاركين في إدارتها، عبر إرسال رسائل على الـ «بى بى إم» غير المراقب وقتها، نحدد له فيها أماكن التجمعات في المحافظات المختلفة، ليعلن عنها عبر الصفحة، وكنا نجتمع يوميا في مكتبي، بعد انتهاء العمل، وحتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي، وبدأت الخطة تتشكل؛ 20 مظاهرة في 16 محافظة، 4 منها في القاهرة، الأولى عند مصطفى محمود، والثانية عند ميدان لاظوغلي للتمويه وإرباك الأمن، توقعنا ألا يذهب إليها أحد، وعند دوران شبرا، وميدان العباسية، وبدأنا الإعداد لهذه التظاهرات لحشد أكبر عدد ممكن من المتظاهرين، وأتذكر أن خوفنا على مظاهرة مصطفى محمود، التي قررنا أن تكون أحد المحاور المهمة، جعلنا نقرر قبلها بأيام أن نساندها بمظاهرتين من منطقتين شعبيتين، واخترنا ناهيا، وميت عقبة، وتولى مسؤولية مظاهرة ناهيا زياد العليمي، بينما تولى مسؤولية مظاهرة مصطفى محمود، باسم كامل وآخرون، وهذه كانت هي المجموعة الانتحارية من وجهة نظري، لأنهم كانوا معرضين للقبض عليهم خلال دقائق من بداية المظاهرة. وفجأة انتصرت الثورة التونسية، وشاهدنا فيديو «بن على هرب»، يومها كنت في شقة زميلي في الحملة، أحمد الجوهري، وقابلنا المسئول عن التنسيق بيننا وصفحة «كلنا خالد سعيد»، وأحد مديريها في وقت لاحق، أحمد صالح، ومعه عبد الرحمن منصور، فرحنا وقفزنا في الهواء وهتفنا لتونس، وفى ثنايا الاحتفال كانت العيون كلها تسأل نفس السؤال: «ممكن ده يتكرر في مصر؟»، عبد الرحمن منصور ابتسم في ثقة، لكنه لم يتكلم، وقال أحمد صالح: «هتحصل يوم 25 الجئي»، وكان أحد شخصين فقط قابلتهما متفائلين بهذا اليوم.

وعلى أثر العبارة المقتضبة التي أطلقها مواطن تونسي عابر أمام إحدى الفضائيات "بن على هرب" ،قام وائل متأثرا بآراء أعضاء الصفحة التي وضعوها في تعليقاتهم بتغيير الحدث إلى ما أسماه: "ثورة على التعذيب والبطالة والفساد والظلم" وذلك في الرابع عشر من يناير 2011. وكانت هذه هي أول دعوة بمسمى ثورة في25 يناير، وفي 15 يناير 2011،نشرت الصفحة "النهارده يوم 15.. يوم 25 يناير هو عيد

الشرطة يوم أجازة رسمية.. لو نزلنا 100 ألف واحد في القاهرة محدش هيقف قصادنا. يا ترى نقدر؟". وانتشرت الدعوة بين أعضاء الصفحة الذين تجاوزوا آنذاك أكثر من 350 ألف عضو وعدد زيارات يزيد عن 2.5 مليون زيارة يوميا. حتى صارت إحدى أبرز صفحات حقوق الإنسان في العالم، والصفحة الأكثر نشاطا في مصر والوطن العربي، وتبنت الدعوة العديد من الحركات والمجموعات السياسية والحقوقية .

تغيّر الحال في مصر بعد نجاح الثورة في تونس تغييرا غير مسبوق بسبب عناصر عديدة كانت غائبة عن إدراك المصريين منها: أن الشعب المصري اكتشف أن التغيير ممكن، وأن عزيمة الشعب التونسي أقوى من عزيمة المصريين وهو ما استفز جموع الشباب في مصر، لأن المصريين يكرهون مبارك أكثر من كره التونسيين لرئيسهم ، والفساد في مصر أكبر من الفساد في تونس، و مع كل تلك الأسباب حدثت الثورة في تونس!. ومع استمرار فعاليات وأحداث ثورة الياسمين، وتكرار الحركات الاحتجاجية الجماعية والفردية في مصر وتكرار محاولات الانتحار على أرصفة وزارة الداخلية ومجلس الشعب، فيما عُرف بظاهرة " البوعزيزية"، وكذا استخفاف الحكومة ورموز النظام بهذه المحاولات، وبعد ما خرج حبيب العادلي وزير الداخلية ليعلن أنهم مرضى نفسيا وعقليا، وهذا ما ألهب شعور الجميع وأهاج الغضب الشبابي ضد الحكومة ورموز الفساد.

خاصة بعدما حدث في تونس ونجاح الثورة التونسية في خلع رئيسها الهارب بن علي، وهو ما أشعل الحماس لتشكل جبهة واحدة، حيث كانت احتفالات عيد الشرطة على الأبواب، فكانت الفرصة سانحة للشباب، ومن ثم جاءت فكرة الوقفة الاحتجاجية السلمية يوم 25 يناير بالتزامن. فالأحداث التي تصاعدت وتيرتها في تونس شكلت عامل تحفيز قويّ لتحرك الشارع المصري الذي صادف تزامنا مع عيد الشرطة، ولم يكن الشعب المصري ليتحرك إلا إذا كان مشحونا للغاية ومتأهبا ومتحيّنا أقرب فرصة لاستغلالها بالتحرك الجماعي. فإن كانت الثورة التونسية قامت فجأة على أثر انتحار الشاب " محمد بوعزيزي" بسبب ضيق العيش واعتداء الشرطة عليه، فهب الشعب التونسي فجأة وغضب وامتلأت الشوارع بالمتظاهرين ولم يهدأوا حتى هرب رئيسهم وترك السلطة والبلاد، بينما في مصر كان الوضع مختلفا لأن الشباب كانوا يعملون منذ فترة على تنظيم فعالياتهم في الشارع، وسبق هذه المرحلة مراحل تحضيرية عديدة استفادوا منها خبرات كثيرة، وبدأت الدعوة للثورة في مصر قبل نجاح ثورة تونس بشهرٍ تقريبا، لكن جاء نجاح الثورة التونسية عامل تحفيز قوي ودفع الشباب المصري للاستمرار. وفي

الواقع لا يستطيع أحد حصر كل الحركات التي شاركت بشكل قوي في الدعوة لمظاهرات 25 يناير، وإن أمكن حصر الحركات التي قامت بالتنسيق فيما بينها في الترتيب لتلك المظاهرات. مثل حركة كفاية و6 إبريل وحشد وتضامن وغيرها من الحركات التنظيمية. وفي يوم 25 يناير نجح النشطاء في دعوة العديد من شباب الألتراس لناديي الأهلي والزمالك للمشاركة في المظاهرات.

وبعدما تكررت محاولات انتحار المواطنين أمام مجلس الشعب ومقر الوزراء، أسرعت الحكومة بتقديم شهادات تثبت أن المقدمين على محاولات الانتحار مرضى نفسيين، فردت عليهم التغريدات الشعبية ساخرة بأن يحددوا مكانا معينا لمن يريد الانتحار، وفي الواقع كانت محاولات الانتحار هذه منعطفا جديدا في الخطاب السياسي مع النظام. وانتشرت على الـ(فيس بوك) التغريدات المصرية الساخرة على الحدث التونسي، ولم تخلُ من مدلول عميق، وكثير منها كان يعكس إحساسا بالمرارة من الوضع في مصر، من أمثلة: (يعني إيه كوكاكولا زير: يعني البرادعي يطالب بالتغيير في مصر، والشعب يستجيب في تونس) و (الفرق بين الشعب المصري والتونسي إن الشعب التونسي تقول له ثور فيثور، والشعب المصري تقول له ثور يقول احلبوه)".

وكانت الحركات الشبابية تدرس التجربة التونسية لوضع اقتراح مخطط للثورة ونطاق انطلاق ومواعيد تجمع، وذلك بعد دراسة سلوك الشرطة وقوات الأمن في قمع المظاهرات والاستعانة ببعض المصادر والنصائح من شباب الياسمين في تونس بعد نجاح ثورتهم، فكانت فكرتهم بدء الانطلاق ليلا وخاصة في الشوارع الضيقة والمظلمة حتى لا تتمكن قوات الأمن من محاصرتهم أو اندساس عناصر الأمن بزي مدني بين المتظاهرين لتصوير العناصر النشطة ثم اعتقالها. وأيضا من بين نصائحهم فكرة استخدام الخل لتطهير الوجه حماية من الغازات المسيلة للدموع، فالخل يعمل كمطهر فوري بالإضافة إلى البيبسي كولا كعلاج فوري لحالات الاختناق بالغازات المسيلة للدموع. لكن الشباب المصري لم يستنسخ تجربة الثورة التونسية وقرر بدء التحرك بالمظاهرات بعد الظهر لأن الشرطة تستيقظ مبكرا وتظل على حالة الاستعداد القصوى طول الوقت، فتكون قد أنهكت قوتها، بينما الشباب في كامل حيويتهم ونشاطهم، إضافة إلى أن هذا التوقيت يأتي محوره بعد انتهاء العمل الرسمي ومن ثم ضمان انضمام أكبر عدد ممكن من الجماهير..

وقد جاءت الفكرة هذه المرة بتضليل قوات الأمن وعدم الإعلان عن نقاط التجمع والانطلاق الحقيقية حتى يفاجئوا قوات الأمن بأعداد كبيرة، بالإضافة إلى اختيار مناطق شعبية للتجمع

والانطلاق بعيدا عن مناطق وسط البلد المرصودة أمنيا والتي يسهل فيها السيطرة من قبل قوات الأمن، وتم الإعلان على المواقع الإلكترونية في اللحظات الأخيرة عن نقاط تقع على خط السير لكنها بعيدة عن نقاط التجمع والانطلاق الحقيقية، بحيث يكون العدد كبيرا جدا عند الوصول إلى النقاط المعلن عنها، ويتم مفاجأة قوات الأمن بأعداد غير متوقعة، وليس من السهل أن تنقل قوات الأمن رجالها وعتادها من مكانٍ لآخر بعدما تم الإعلان عنه كنقطة للتجمع أو المرور في اللحظات الأخيرة ، ودار نقاش بين عدد من شباب الحركات الأربع حول سلمية المظاهرات، واتفقوا جميعا على سلميتها، مع الاحتفاظ بالحق في الدفاع عن النفس، وتم تجهيز دروع بلاستيكية وأدوات بسيطة لصد ضربات العصي الغليظة ووضعوها في مكان سرى .

وفي يومي 23 و 24 يناير كان قد تم طبع كميات من المنشورات من قبل شباب الائتلاف لتوزيعها على أهالي المناطق الشعبية التي تم اختيارها مراكز للتجمع لزيادة العدد قبل أن تتمكن قوات الأمن من تطويق المتظاهرين، وخلال عملية توزيع المنشورات تم اعتقال العشرات ممن يقومون بتوزيعها على الأهالي، ولم يؤثر ذلك في خطط وتحركات هذه المجموعات لأن ذلك كان متوقعا أن يحدث كالعادة.. وكانت الدعوات قد انتشرت على موقع " فيسبوك " وتويتر وهما المنصة الفعلية لانطلاق هذه الثورة، ومن خلال الرسائل النصية القصيرة إلى جميع محافظات مصر وتم تحديد مناطق للتجمع والانطلاق في كافة محافظات مصر بالتنسيق فيما بينهما، واستعد الكثيرون من سكان هذه المحافظات للانضمام إلى المسيرات الاحتجاجية في القاهرة باعتبارها العاصمة وهي مركز النشاط السياسي بالدرجة الأولى..

ولم تكن الثورة التونسية تجربة ثورية كاملة وصالحة للاستنساخ بالنسبة لشباب ائتلاف الثورة المصرية؛ فالوضع يختلف كثيرا بين مصر وتونس، لأنه لو تمت محاولة استنساخ الثورة التونسية لكانت قوات الأمن قد نجحت في اختراع خطة لإجهاضها لأن التجربة ستكون مُكررة أمام قوات الأمن المصرية، وإذا كانت قوات الأمن التونسية قد فشلت في إخمادها، فبإمكان قوات الأمن المصرية معالجة أسباب الفشل لإجهاضها في مهدها، لكن الثورة التونسية كانت بالفعل جزء من البحث الثوري لشباب الائتلاف، أي أنها كانت ضمن الأوراق الأساسية المطروحة على طاولة الاجتماعات؛ فالوضع يختلف كثيرا ما بين مصر وتونس، فإن كانت مصر قد شهدت خلال تلك الفترة أكثر من عشر محاولات للانتحار ربما زادت فقط في حالة احتقان الشارع المصري وأججت نار الغضب لكنها لم تحرك ساكنا، ولم تكن محركا للشعب تجاه الثورة على نظامه المرفوض، غير أن ثورة تونس اشتعلت فجأة

نتيجة لحدثٍ مأساوي مفاجئ وملهب للنفوس، وانتشرت المظاهرات في الشوارع على مدار 29 يوم حتى زحفت الجماهير وحاصرت قصر الحاكم فاضطر إلى الهروب بصحبة زوجته ليلى الطرابلسي، بينما الوضع في مصر مازال على طاولة التخطيط وترتيب التحركات والخطوات، وهو ما يعني أن الحكومة لديها الوقت والفرصة الكافية لوضع خططٍ نظيرة، وعلى هذا الأساس انعقد مجلس الوزراء بمساعدي الأمن والمخابرات مع الرئيس يوم 22 يناير 2011م.

والأمر الثاني من عوامل الاختلاف بين التجربة التونسية والمصرية هو أن جهاز القمع الأمني في مصر كان أقوى منه في تونس، وقد استفاد هو الآخر من التجربة التونسية ووضع في مقدمة خططه القمعية تفادي أخطاء أجهزة الأمن التونسية التي كانت سببا مباشرا في نجاح الثورة ولم يزل موقف الجيش المصري غير معروف، ولهذا فقد بدأت الأجهزة الأمنية في مصر بعدم التعرض نهائيا للمتظاهرين في بادئ الأمر، وللحظ كانت هذه هي الفرصة الذهبية للشعب المصري .

وبينما كانت الحركات الشبابية تطحن أعضاءها في طبع وتوزيع المنشورات قبل الثورة بأسبوعين في كل محافظات مصر، أعلن كبار قيادات جماعة الإخوان رسميا يوم 2011/1/11 أنهم لن يشاركوا في مظاهرة 25 يناير احتراما للمناسبة الوطنية "عيد الشرطة" التي ينبغي علينا الاحتفال بها معا. يقول د.عبد الحليم قنديل؛ مساء الأحد 23 يناير 2011 أنه كان طرفا مباشرا في اختبار أخير لموقف الإخوان من الثورة، وكان قد جرى الترويج بكثافة لمظاهرات 25 يناير 2011 من قبل نشطاء الفيسبوك، وكانت عناصر من القوى السياسية يناقشون الموقف النهائي، ويقول قنديل ؛ حضرت اجتماعا سريا في مكتب محاماة النائب السابق علاء عبد المنعم، وكان الحضور إضافة لعبد المنعم، حمدين صباحي وأيمن نور وعبد العظيم المغربي وسعد عبود والقيادي الإخواني محمد البلتاجي، كُنا سبعة وكنت حاضرا بصفتي المنسق العام لحركة كفاية وقتها، وكان الحضور قد كلفوني قبلها بصياغة بيان تأييد ومشاركة في مظاهرات 25 يناير، وقرأت البيان على الحضور ولم يعترض أحد سوى محمد البلتاجي، كان اعتراضه على عبارة (الإنهاء السلمي لحكم مبارك وعائلته) وقال البلتاجي وقتها بالنص (إن الإخوان لن يوافقوا أبدا على المشاركة في توقيع على بيان يرد فيه ذكر اسم مبارك أو الدعوة لخلعه، وأضاف؛ نريد الاقتصار فقط على المطالبة بحل مجلسي الشعب والشورى في مظاهرات 25 يناير)

" القدس العربي 2011/11/20م"

وكذا "محمد عباس" عضو الائتلاف الذي مثل الإخوان دون علمهم في هذا الائتلاف، قال أنها كانت فكرته التي جمعت أكثر من 250 شابا وفتاة من أعضاء الإخوان، جميعهم لبوا نداء إرادتهم لأول مرة ولم ينصاعوا وراء قرار قيادتهم الروحية ومسئوليهم التربويين، وشكلوا «جروب مغلق» يجمع شباب الإخوان الراغبين في النزول يوم 25 يناير، الجروب لم يسمح لأحد من غير الإخوان أن يشارك فيه". يتذكر محمد بداية حشده لذلك اليوم، يتبادل أرقام الهواتف مع من دخلوا للجروب راغبين في المشاركة، يتقابل مع نشطاء الحركات الثورية لتحديد مسيرات الخروج وموعدها، يقول «قابلت شباب من أجل العدالة والحرية وقلتلهم إن هناك 250 شاب إخواني تحت أمركم بدون أوامر ولا زعامات، كان الترحيب بهم واضحا وجليا فالإخوان أكثر تنظيما من أي فصيا ومعتادين على المواجهات الأمنية، ولم نكن نمثل سوى أنفسنا والجماعة نفسها لم تعترف بنا وبيانها بعدم المشاركة الصادر يوم 22 أنهى الجدل حول دعمها غير المباشر». ويذكر محمد والدته حينما قالت له «لو هتنزل بكرة ما تكبرهاش في دماغ أختك دي عايزة تنزل معاك وأنا كفاية عليا قلق واحد"، وحين رد هو عليها" أقول إيه للناس اللي مستأمنني على بناتهم ونازلين معايا بكرة أقولهم خفت على أختي وما نزلتهاش؟ سكتت الأم واكتفت بدعائها للابن والابنة أن يحفظهما الله.

فجماعة الإخوان إلى جانب الأحزاب الهيكلية الأخرى التي ترعاها الحكومة، للمرة الأولى يتفق الإخوان وأحزاب التجمع والناصري والوفد على عدم التظاهر بحجة أن 25 يناير عيد الشرطة، وبررت بعض الأحزاب عدم المشاركة بأنها لم تحدد مكانا للمظاهرة ولا موعدها، لكنهم على كل حال وإن لم يعلنوا موقفهم من المشاركة في الثورة ودعمها من البداية ولم يشاركوا في الدعوة إليها لا بأنفسهم ولا بأموالهم كما اعتادوا، إلا أنهم سيعودن سريعا لينضموا إلي الشباب بعدما يمتص الضربة الأولى للشرطة في صدورهم العارية وتبدأ ملامح الثورة ونجاحاتها تلوح في الأفق. هذه الأحزاب الهيكلية التي رعتها الحكومة هي من مواليد جيل الخمسينات والستينات، هذه الأجيال التي ارتضت بالذل عن الكرامة بديلا، ارتضت بالعبودية عن الحرية بديلا وداهنت النظام الحاكم حتى تستمر العجلة في الدوران..

وتجاوب بعض شباب الإخوان مع الدعوة إلى النزول إلى الشارع يوم 25 يناير، ولكن كان هناك قرار بمعارضة المشاركة من مكتب الإرشاد وتم اتخاذ قرار في الأمانة العامة لقسم الطلبة بالجماعة برفع توصية إلى مكتب الإرشاد للسماح لأعضاء القسم بالمشاركة بغض النظر عن مشاركة باقي

أطياف الجماعة، إلا أن المشرف على قسم الطلبة محمود أبو زيد عضو مكتب الإرشاد رفض هذا بناء على قرار مكتب الإرشاد وبعدها عقد عدد من شباب الجماعة لقاءً بالدكتور عصام العريان تم خلاله التوصل إلى حل وسط يقوم على عدم مشاركة الجماعة في مظاهرات يوم 25 يناير، مع إعطاء الحق لكل شخص المشاركة إذا أراد هو بصفته وليس باسم الجماعة. (حتى إذا ما نجحت المشاركة يتم نسبها لأعضاء الجماعة بصفاتهم). (1)

وهنا تظهر المفارقة، ففي الوقت الذي استجابت فيه القوى الاجتماعية الشبابية فورا للدعوة، ظلت العديد من القوى السياسية والأحزاب خاصة الرئيسية منها، مثل الوفد والناصرى والتجمع، وجماعة الإخوان المسلمين تترقب ما يحدث عن بعد ، بل في الواقع رفضت هذه الأحزاب منذ البداية الدعوة للتظاهر وأكدت على أنها لن تشارك في مظاهرات 25 يناير لأنه يوم عيد وطني ولا يصح المظاهرات فيه ، بينما قامت حركة " 6 أبريل " بتوزيع عدد كبير من المنشورات، حوالي نصف مليون منشور، وتركزت في المناطق الشعبية. وللحقيقة لم يكن هناك تيار أو ائتلاف بعينه صاحب الفضل منفردا في الدعوة والترتيب لهذه المظاهرات، بل نشأت تجمعات شبابية واقعية وافتراضية كثيرة، كان لبعضها غرف تخطيط ثوري وأماكن لقاء وتنسيق ولبعضها الآخر غرف افتراضية لتثوير الشعب وحثه على الخروج.

وبمجرد انتشار دعوات الاحتجاج على مواقع التواصل الاجتماعي تشكل ائتلاف شباب الثورة بشكل تلقائي وعفوي قبل 25 يناير بأسبوعين بهدف التنسيق بين الحركات وحشد القوى الشعبية للمشاركة في هذا اليوم، وتكون ائتلاف شباب الثورة من مجموعة من شباب الأحزاب وأعضاء الجمعية الوطنية للتغيير وعدد من شباب جماعة الإخوان المسلمين وأعضاء بحركة "6 إبريل" وحركة "كفاية" وكثيرين آخرين، وقد تشكل المكتب التنفيذي لائتلاف شباب الثورة من سبعة عشر عضوا فقط من بينهم أحمد ماهر ومحمود سامي من حركة "6 ابريل"، وزياد العليمي وعبد الرحمن سمير من حملة دعم البرادعي، وعمر صلاح من حزب الجبهة الديمقراطية، وخالد السيد ومصطفى شوقي من حزب العدالة والتنمية ، ومحمد القصاص من شباب جماعة الإخوان بصفة مستقلة عن الجماعة، بالإضافة إلى مجموعة من المستقلين من بينهم عبد الرحمن فارس وناصر عبد

1ـ د. يسري العزباوي – المصدر السابق

الحميد وكل من خالد تليمة وباسم فتحي وحسام مؤنس من حزب التجمع والغد والكرامة على التوالي بالإضافة إلى ناشطين من حزب الوفد.

هذه المجموعات من الشباب كانت تعقد اجتماعات واقعية في أماكن محددة ومواعيد يتفقون عليها لوضع الخطط والتحركات ودراسة الوضع العام بالنسبة لقوات الشرطة والأمن، وكانوا عند إخطار بعضهم للاجتماع في مكان ما، يتركون هواتفهم المحمولة في منازلهم قبل ذهابهم للاجتماع في المكان والموعد المحدد خشية تتبعها بالأجهزة الالكترونية السرية لأمن الدولة والتي بإمكانها تحديد موقع الهاتف تحديدا دقيقا دون الاتصال به حتى وإن كان الهاتف مغلقا من خلال تقنية تتبع الكود السري للهاتف على نظام GPS. هذه التقنيات لم يتوصل إليها رجال الأمن بحكم ثقافتهم المتحضرة، ولكن بما يدفعونه من أموال الشعب لشراء برامج وآليات لمكافحة الأوبئة العصرية مثل حرية الرأي والتعبير التي تسبب إزعاجا للنظام.

وإن كان عبد الرحمن منصور هو أول من وجه الدعوة لإشعال ثورة على هذه الصفحة، إلا أن شباب الائتلاف اضطر للتغطية على اسمه بسبب حساسية موقفه؛ كونه قد التحق بالخدمة العسكرية كمجند بالجيش في 17 يناير 2011 قبل اندلاع الثورة بأسبوع. وتابع الإشراف على الصفحة وائل غنيم المسئول التقني عن الصفحة وهو مهندس برمجة يعمل مديرا إقليميا لشركة جوجل بالشرق الأوسط، وقام بالتنسيق مع المحامي السكندري الشاب " أحمد صالح" دون أن يعلم كل منهما هوية الآخر ليتولى أحمد صالح الإشراف الكامل على الصفحة حال اعتقال وائل غنيم، بينما كانت" نادين" المقيمة بأمريكا "أدمن" احتياطي في حال الهجوم علي الحساب أو إغلاقه في مصر، وتعاون وائل غنيم – بدون كشف هويته - مع النشطاء الموجودين في الشارع للإعلان عن أماكن المظاهرات وخطة التحركات.

وبناء على ذلك حددت صفحة «كلنا خالد سعيد» في منشور شكل التحرك، وحددته بالساعة الثانية ظهرا، وأماكن الانطلاق كالتالي: دوران المطرية، دوران شبرا، شارع جامعة الدول العربية بمنطقة المهندسين، أمام جامعة القاهرة، وحددت هذا المكان للمهنيين من أطباء ومحامين وأساتذة جامعة. ووضعت في منشورها هذا ملاحظة اعتبرتها مهمة وجاءت بالنص: «يرجى زيارة صفحة كلنا خالد سعيد يوم الثلاثاء صباحا للتأكد من الخطة النهائية في كل مكان، نرجو من كل سكان

هذه المناطق نشر الدعوة بين الأهالي وتوعيتهم باليوم وأهمية المشاركة فيه، وفي حالة عدم قدرتك على الذهاب لأي من هذه الأماكن اتفق مع مجموعة من أصدقائك ونظم مسيرة بمنطقتك".

يقول زياد العليمي" قبل يوم واحد من الميعاد المرتقب، ذهب خالد السيد، وأحمد الجوهري، إلى ناهيا، وسارا من مكان تجمع المظاهرة، إلى مصطفى محمود، ليحسبا بدقة الوقت اللازم لتصل مظاهرة ناهيا إلى مكان التجمع في جامعة الدول العربية، وكانت المسافة حوالي 20 دقيقة، قدرنا أنها ستزيد إلى نصف ساعة، فحددنا ساعة الصفر في ناهيا قبل 30 دقيقة من انطلاق المظاهرات في الساعة الثانية بكل المحافظات. وكانت الخطة تقضي بأن يحشد كل عنصر من المسئولين عن مظاهرة ناهيا، 30 فردا، بحيث تبدأ المظاهرة هناك بـ150 متظاهرا فقط، وفى آخر ليلة قبل الاثنين، نزلنا من المكتب لنجد عددا كبيرا من مفتشي المباحث يحاصرون المكان في صمت، وكان الشباب قد أعدوا بعض الدروع والأدوات البلاستيكية للدفاع عن أنفسهم في المظاهرات فلم نستطع إخراجها، وانخفض سقف آمالنا، ووصل الأمر إلى أنني أرسلت في اليوم السابق لمظاهرات 25 يناير، إلى الزملاء، عبر الإنترنت، بكتاب فلسطيني يتحدث عن كيفية الدفاع عن النفس ضد التعذيب النفسي في السجن، ومقاومته".

كما يذكر أحمد الجوهري، مسئول تدريب الحملات الشبابية في حملة دعم البرادعي في ذلك الوقت، والناشط الحقوقي حاليًا في مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان؛ قرب ناهيا من مسجد مصطفى محمود الذي سيكون قِبلة للنشطاء ومتابعي الإنترنت، وتنظيم فعاليات سابقة فيها، وبعدها عن القبضة الأمنية المحكمة على مربع وسط البلد، كانت عوامل مهمة لاختيارها يوم 22 يناير، إلا أن ذلك لم يغن عن معاينة المكان، فتوجه إليه يوم 23 خالد عبد الحميد ومحمود سامي وعمرو عز، لتحديد الوقت الذي سيستغرقه السير من ناهيا للوصول لـ«مصطفى محمود» الثانية ظهرًا، في ترتيبات يسودها القلق والتوجس لاحتمالية القبض عليهم في أي وقت.وتكررت في ليل 24 يناير معاينة موقع المظاهرة ومعرفة المداخل والمخارج بعيون «الجوهري» وباسم كامل ومصطفى شوقي وأحمد دومة، وأكد كل من يعرف بأمر المظاهرة عدم ذكر كلمة «ناهيا» في أي اتصال هاتفي، وقرروا كذلك إخبار 2 فقط من كل حركة سياسية بالمكان وكل واحد منهم مسئول عن 50 متظاهر أو أكثر، في حين سينتشر أفراد مسئولين عن 5 أو 10 متظاهرين في أماكن حول شارع جامعة الدول العربية في الثانية عشر ظهرًا.

يقول خالد عبد الحميد، كان الاتفاق في حالة خروج عدد كبير من ناهيا، أن يخترق الكردون الأمني، ولو العكس، تسير المظاهرة في شارعي السودان والبطل أحمد عبد العزيز فقط ، لأن «الثورة تتوقف على استجابة الناس». وتم تحديد 18 نقطة حقيقية للتجمع والانطلاق في قلب المناطق الشعبية، خاصة أن هذه المناطق ذات كثافة سكانية عالية ولا تتركز بها قوات الأمن، غير أن سكان هذه المناطق هم أكثر الفئات المتضررة من فساد الحكومة ونظامها القمعي الاستبدادي، وهم أكثر طبقات الشعب التي تعرضت للتجويع والقمع والترويع والإهانة وإهدار الحقوق، ولديهم الحماس الكافي للانضمام لهذه المظاهرات، أو ليس لديهم الكثير مما يخشون هلاكه في هذه الدنيا. ولم يكن متوقعا أبدا خروج أي مظاهرات احتجاجية من المناطق الراقية مثل وسط البلد ومدينة نصر.. فالأرستقراطيون عادة ما يحصلون على حقوقهم كاملة مادية ومعنوية في كافة الأحوال سواء كان نظام الحكم ديمقراطي أو ديكتاتوري أو استبدادي فاسد أو حتى احتلال أجنبي، فالعدالة في جانبهم غالبا.. لكن على ما يبدو هذه المرة أن الفساد السياسي قد طال الجميع، وأن المعدن المصري الأصيل قد برق في ضوء الشمس كنصل السيف، وشعرت هذه الطبقة الراقية بحرمانها من المشاركة في صناعة القرار، وهو ما يبعث على عدم الطمأنينة بشأن الحقوق.

فتقول الآنسة "هبة غنام" الحاصلة على بكلريوس الاقتصاد والعلوم السياسية: في يوم 24 يناير اتصلت بأصدقائى بشكل عشوائي، واتفقنا على الذهاب إلى نادى الصيد، وقد رصد البعض وجود مخبرين منتشرين بشكل واضح في الشوارع، تقابلت مع زملائي في النادي لنجد الشباب متواجدا بشكل متفرق، كل مجموعة تجمع الأموال لشراء الأقلام واللافتات، بينما يقف الجميع يفكر في شعارات المظاهرات وسط حالة الترقب المسبقة من رجال الأمن، تسلل الخوف أيضا إلى هؤلاء الشباب من أن يكون حرس نادى الصيد هو أيضا يقف لهم بالمرصاد. وقتها تقابلنا مع أشخاص لا نعرفهم ولكنهم يفكرون فيما نفكر فيه، لم يكن بينهم ناشط سياسي أو أحد الشخصيات العامة، كلهم شباب عاديون أرادوا فقط تلبية الدعوة لتلك المظاهرة، حرصنا على أن نتفرق قدر الإمكان، وبدأ التفكير في الشعارات وابتكارها، وكنا ندونها في أوراق عادية ولم نظهر اللافتات، ولكن جمعنا ما يكفى لشرائها فقط، ووسط حالة البحث عن الشعارات، اتصلنا بالناشط السياسي جورج إسحاق، منسق حركة كفاية، نستشيره فيما نكتب، فنصحنا بالبحث عن الجمل التي فيها استمالة لجنود الأمن المركزي، حتى نسلم من شر ضرباتهم، وفى نفس الوقت يسمحوا لنا بالوصول إلى التحرير، منها (بتضربنا ليه انت تقبض أد إيه). وتحدثنا مع بعض الشباب، ولكن جاءت ردودهم مخيبة للآمال، فهناك من قال لا أعتقد

أن تلك المظاهرات هامة، وآخرون أكدوا عدم مشاركتهم فيها واكتفوا بقول «اللي عايز يروح يروح»، لا أريد أن أذكر أسماء هؤلاء النشطاء، لأن دورهم فيما بعد اختلف تماما، ولكني لن أنسى ملامح الإحباط التي بدت على وجوهنا بعد ردود أفعالهم، وفى الوقت نفسه اتفقنا على مبدأ إذا كنت تريد التغيير فابدأ بنفسك أولا، وخرجنا من النادي وكل منا يعرف ما سيقوم به، تحركنا كلٌ في طريقه للمنزل، وفى الطريق اشترينا اللافتات والأقلام وكتبنا الشعارات في المنازل بعيدا عن أعين الجميع».ومن أكثر الكلمات التي اخترناها لتكون بين يدي أغلبنا كانت «سلمية». بعد استكمال الاستعدادات للمظاهرة، أتذكر أنني كنت متوترة جدا في ذلك اليوم، فلم يحدث من قبل أن أكون جزءا من مظاهرة يتم التحضير لها مسبقا، حتى وجدنا بعض أصدقائنا على تويتر يأخذون دروسا من الثورة التونسية وينقلونها لنا في «تغريدات»، كانت أغلبها عن كيفية التعامل مع القنابل المسيلة للدموع، ومنها إحضار "الخل والبصل" مع كل متظاهر وارتداء الكمامات قدر المستطاع، وإلقاء المياه على القنبلة كلما اقتربت منا، وهنا بدأ التوتر يزداد ولكن في نفس الوقت الشعور بالحماس لذلك اليوم أيضا كان يتنامى، وأخيرا اتفقنا على التحرك من ميدان مصطفى محمود وصولا إلى التحرير".

بينما أشعلت الفتاة الناشطة أسماء محفوظ شبكات التواصل الاجتماع بفيديو قصير سجلته بغرفتها، تدعو فيه الجميع إلى النزول غدا يوم 25 يناير، وحظيت بإعجاب شديد، فلم يكن كثيرون يعرفونها، ولا يعرفون خلفيتها السياسية، وتعامل معها كثيرون على أنها فتاة شجاعة برغم ملامحها الطفولية، لا تخاف من نظام مبارك، ولا تخشى من بطش أمن الدولة، بل تتحدى الجميع وتدعو للثورة على الداخلية"(شاهد الفيديو أخر دعوة وجهتها أسماء محفوظ عشية الرابع والعشرين من يناير

https://youtu.be/hKgN6A0UWCU

وركز الشباب المنظمون في توعية المتظاهرين المشاركين في هذا اليوم، فوضعوا مجموعة من التعليمات على صفحاتهم على الإنترنت طالبوا فيها المشاركين بالالتزام بها ومنها: رفع علم مصر وعدم رفع لافتات أو شعارات لأي حزب أو حركة سياسية أخرى، وعدم التجاوز في الهتاف؛ أو ترديد هتافات تخرج عن اللياقة العامة، فضلا عن عدم ممارسة أي نوع من أنواع العنف، وشددوا على كون المظاهرات "سلمية."



أحد الإعلانات الداعية للثورة

وكانت الدعوة قد انتشرت للتظاهر عبر نشر التغريدات على صفحات " فيسبوك وتويتر" لنشر الدعوة في الفضاء الاليكتروني، ثم طبع وتوزيع المنشورات، وقامت حملة دعم حمدين صباحي رئيسا للجمهورية بالدعوة على صفحتها للمظاهرات وقامت بإصدار بيان وزع في الشارع، وقد تمت الدعوة للتجمع في دوران شبرا. أما حملة دعم البرادعي ورابطة البرادعي للتغيير، كانت الدعوة فيها للثورة بالأساس على الإنترنت والفيس بوك، وهذا بجانب تنظيم لقاءات في المحافظات وعمل توعية في الشارع واستقطاب النشطاء. وقامت حركة 6- أبريل" بدعوة كل القوى السياسية للمشاركة في المظاهرات يوم 25 يناير 2011

يقول هيثم محمدين، عضو حركة الاشتراكيين الثوريين: دعوت بشكل واضح وعلني للمظاهرات والاحتجاجات العمالية قبل ثورة 25 يناير ، كما دعوت ملايين الشباب للحشد عبر برنامج " بلدنا بالمصري " مع ريم ماجد يوم 24 يناير ، ووقتها جاء لي تحذير واضح من الأمن وقالوا لي " تكلم كما تريد ولكن إياك والحديث عن مبارك "، وبالفعل تحدثت بشكل عام عن الدعوة للتظاهر يوم 25 يناير وأهدافها وعن الثورة التونسية ونجاحها ، وبعد اجتماع تنسيقي كان القرار أن أقود مسيرة شبرا برفقة عدد من حركة شباب من أجل الحرية والعدالة وأحمد مؤنس من حزب الكرامة والمناضل كمال خليل وأمين اسكندر ومحمد واكد ، ووقتها كانت فكرتي أن يكون الخروج من الأماكن الفقيرة والشعبية لخلق حالة من الحشد الثوري، وتقسيم هذه المناطق إلي مناطق حقيقية للتظاهر ومناطق وهمية لتشتيت الأمن.

وعلى شاطئ البحر، كانت هناك تنسيقات بين مراكز الحركات الشبابية بالقاهرة وفروعها بالمحافظات لتوحيد خطة التحركات، يفسر محمد: الذي تم اختياره للتواجد في منطقة العصافرة الشعبية بالإسكندرية «كان الوقت ضدنا. لم نكن لنحتمل فكرة إلقاء القبض علينا قبل حتى أن نبدأ، لهذا كنت أؤكد عليهم أننا قد نضطر إلى مغادرة المكان على الفور». كانوا قد جهزوا لانطلاق المسيرة من الحي.ويوم 24 يناير، قام محمد وآخرون بتوزيع مئات المنشورات التي تدعو الناس إلى المشاركة في المسيرة. تحدثوا كذلك مع أشخاص من كافة الطبقات، وشجعوهم على المشاركة، وناقشوهم في آرائهم وهدأوا من روعهم.. كان محمد مليئا بالأمل، برغم قلقه الشخصي. وبرغم ضغوط عائلته عليه، إلا أنه كان مصممًا على المشاركة في الاحتجاجات؛ في الأيام التي سبقت 25 يناير نشر على حسابه، وحسابات أصدقائه، على فيسبوك عدة تغريدات عن أهمية المشاركة وإمكانية التغيير.. كان عمره وقتها عشرين عامًا، وقد وجه مجموعته للتجمع قرب مستشفى العصافرة في الثانية عشرة ظهرًا، قال لهم «كونوا هناك في الموعد تمامًا، 12:05 لن نكون هناك»، هكذا أكد عليهم الموعد.

وعلى الجانب الآخر، لم يتصور حسنى مبارك قبل أسابيع من ثورة الغضب أن يكون خارج السلطة ، كان يخطب أمام مجلس الشعب بأغلبيته من الحزب الوطني، الذين فازوا في انتخابات مزورة، ويسخر من المعارضة، التي شكلت مجلس شعب موازيا لبرلمان الدولة الرسمي، وقال في سخريته «خليهم يتسلوا»، بينما كانت مصر تغلي من فجاجة التزوير، ومبارك يؤكد على صحة ونزاهة عضوية البرلمان وأن الانتخابات كانت " حرة ونزيهة ".

ويذكر الكاتب الصحفي أكرم القصاص: أنه بعد هروب الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن على، التقى مبارك وعمر سليمان رئيس المخابرات العامة بحضور زكريا عزمي رئيس ديون رئاسة الجمهورية وجمال مبارك واقترح عمر سليمان وضع خطة طوارئ للتعامل مع المظاهرات لو حدثت في مصر فكان رد مبارك «أنا مش جبان زى زين العابدين بن على والشرطة كافية تروحهم بيوتهم»، وهز زكريا عزمي وجمال مبارك وجمال عبد العزيز رؤوسهم بأنه «عين الكلام»، وخرج سليمان من الاجتماع وقد تأكد له أن مبارك معزول عما يحدث حوله، فقد كانت تقارير المخابرات تؤكد أن المظاهرات قادمة وبنفس سيناريو تونس. ومع ذلك عندما نجحت ثورة تونس سارع الوزراء المصريين بالقول «مصر ليست تونس» و " مبارك ليس بن علي"..

يقول عمر سليمان رئيس جهاز المخابرات العامة: إن الجهاز أخطر وزارة الداخلية بما لديه من معلومات في إطار التنسيق معها ومع المخابرات الحربية، وتم إخطار الرئيس أيضا الذي أمر بعقد اجتماع طارئ للحكومة يوم 22 يناير 2011، حضره كل من المشير حسين طنطاوي قائد الجيش المصري واللواء حبيب العادلى وزير الداخلية وأنس الفقى وزير الإعلام، وطارق كامل وزير الاتصالات، وأنا كرئيس للمخابرات العامة، بهدف وضع سيناريوهات للتعامل مع الأحداث على ضوء تطورها فيما لو تصاعدت الأمور كنموذج تونس. وتم استعراض المعلومات لدى الأجهزة الأمنية والسيناريوهات المحتملة والإجراءات التي يجب أن تتخذ لمواجهة حركة الاحتجاجات الشبابية. وانتهى الاجتماع بالاتفاق على خطة تأمين احتفالات عيد الشرطة.. وذهب مبارك في اليوم التالي 23 يناير لحضور احتفالات عيد الشرطة بالأكاديمية، وعقد حبيب العادلي وزير الداخلية اجتماع المجلس الأعلى للشرطة بحضور مبارك وقرر أن هناك مؤامرة إخوانية، ليس على مصر وحدها بل على الوطن العربي كله، وأن الإخوان بالاتفاق مع دول أجنبية يسعون لنشر الفوضى في البلاد لتولي الحكم وتنفيذ مخطط الغرب!

وربما لو لم يكن مبارك ووزراءه منعزلين عن الشارع المصري، لكان الأمر قد اختلف كثيرا، فكان بإمكانه بدلا من الإصرار على الاحتفال بعيد الشرطة رغم الغضب الذي اجتاح البلاد بالمناسبة، أن يقوم بإلغاء احتفالات عيد الشرطة لا أن يذهب بنفسه لحضور الاحتفالات بأكاديمية الشرطة ويستعرض في تقديم الهدايا والعطايا والمكافآت في تحدٍ صارخ لإرادة الشعب الغاضب، لكنه استهان واعتمد على مسلمته الشهيرة " حبيب يلمّ ألفين وتهدى الدنيا" ، وهو ما يعني أن حبيب العادلي اعتاد مواجهة المظاهرات باعتقال ألفي متظاهر وناشط سياسي لتهدأ الأمور، وهي وسيلة قمع المعارضة المعتادة وفقا لقانون الطوارئ..وبرغم أن كثير من عقلاء النظام بل وأصدقائه والمشمولين ببركته، وكذلك المعارضين المستأنسين له والأكثر منهم راديكاليّة، كلهم قدَموا النصح وصاغوا قوانين وقرارات وقدموها للنظام لإنقاذ النظام قبل أن يقع في الورطة، لكنه أعرض وأصرَ على أن يسير نحو الهاوية بصلف وغرور وتصلب واحتقار للآخرين، حتى أنه عندما تناول تقريرا عما سوف يحدث بعد يومين من خطابه حول المظاهرات التي كان الشباب قد أعلنوا عن القيام بها في 25 يناير سخر من الجميع قائلا: " خلوهم يتسلوا! "

بينما كان شباب الثورة يعدون آخر خطواتهم في الطريق إلى ميدان التحرير، نظرا لتاريخه الذي يؤهله لأن يكون مقرا للثورة المصرية، وكان الشباب قد حددوا مطالبهم والتي تمثلت في "التغيير" من

خلال إصلاح النظام السياسي والاقتصادي وإقالة وزير الداخلية ومحاكمته ووضع حد أدنى للأجور والقضاء على البطالة والفساد الذي فاحت رائحته في كل مكان من أعوان مبارك وحاشيته، وقليل تردد موقفه من مطلب إسقاط النظام ورحيل مبارك، وجميعهم حملوا قضيتهم على أعناقهم متوجهين إلى ميدان التحرير، وقد ملأت قلوبهم الإصرار والتحدي لأن يفعلوا شيئا ما لوطنهم تخلده ذاكرة التاريخ ..

وصلنا القاهرة وتحركت بنا السيارة في شارع الهرم.. الشوارع ساكنة، ومقار شركات السياحة تعد رحلاتها على استحياء.. فنادق ومطاعم فاخرة.. مضاءة أنوارها لكنها ساكنة وغاب عنها صخبها المعتاد.. صفوف من مدرعات ومصفحات الأمن المركزي تنتشر في كل مكان.. على النواصي والميادين.. كنا مجموعة وكان في صحبتنا قبطان بحري، يقود السيارة بمهارة فائقة.. وتجلس إلى اليمين السيدة ماجدة الهلباوي ويبدو أنها قد استغرقت طويلا في رحلتها الانتخابية على مقاعد البرلمان والتي أخفقها الحزب الحاكم بالتزوير رغم نجاحها الساحق في الانتخابات البرلمانية التي جرت خلال الشهر الماضي.. ويجلس إلى جواري صديق لي محام.. وفي الأريكة الخلفية صحفي صديق للمجموعة، ورئيس تحرير صحيفة " أخبار اليوم".. السيدة الهلباوي تتناول اللاب توب وتتصفح بعض المواقع الإلكترونية لتؤكد " غدا وقفة احتجاجية للشباب احتجاجا على أوضاع البلاد المتردية بمناسبة الاحتفال بعيد الشرطة 25 يناير.. ورفيقنا الصحفي وجد فرصته للكلام فيسرع بالرد عليها قائلا : نحن شعب جبناء.. وهؤلاء الشباب ما هم إلا حفنة مراهقين ولن يفعلوا شيئا.. وسيهرولون أمام الشرطة مثل الدجاج المذعور " . فقاطعته منفعلا كعادتي السيئة قائلا : " الكلام ده تقوله للجيل بتاعكم..قبلتم القمع وظللتم محكومين بقانون الطوارئ ثلاثين عاما كاملة.. وغدا سترى ما سيفعله جيل الشباب ".. وقد استدارت السيدة الهلباوي.. وعلى ما يبدو أن حوار الأجيال الساخن قد أعجبها، وبدأت تجذب طرفه وتسرد رحلة الشباب على مواقع التواصل الاجتماعي " فيسبوك، وتويتر "، وتحركاتهم ونقاط انطلاقهم المقترحة.. ثم تواصلت إلكترونيا مع ابن عمها الدكتور كمال الهلباوي في لندن لتستطلع رأيه في الأحداث المرتقبة غدا ..فأكد لها أن الدعوة قد وصلته بالفعل، وأشار لها ببعض الصفحات والمجموعات الافتراضية التي تنشر الدعوة للاحتجاج غدا بمناسبة الاحتفال بعيد الشرطة..

تركت المجموعة في نقاشاتها وانشغلت عنهم بمطالعة آخر التغريدات على موقع " تويتر" عبر هاشتاج Jan25#Egypt"

- "الثورة هتقوم الساعة كام؟سؤال حقيقي تلقيته من أحد الأصدقاء ضاحكا، كما لو أنها موعد حفلة سينمائيه؟ قلت له الثورة قامت فعلا في توتير "
- "يا رب كلام أمل دنقل ده مايتحققش: فخلف كل قيصر يموت قيصر جديد.. وخلف كل ثائر يموت أحزان بلا جدوى.. ودمعة سدي"
- " عجبت لمن لا يجد قوت يومه كيف لا يخرج للناس غدا شاهرا سيفه "
- " ثوروا تصحوا، أول يوم حينزل ألوفات لكن الألوفات دي غير مهيئة للانتصار غير لما تعتصم لأكترمن يوم وبقية الناس اللي لسة مش فاهمة أو مش مصدقة ما تضم عليهم "
- " الأمن يحاصر المحلة بالكردونات خوفا من مظاهرات عمالية في 25 يناير "
- " عاااجل؛ تم إلقاء القبض على حليم حنيش ووسام عطا أمام محطة حلوان وتحفظ رجال المباحث على هواتفهم "
- " مداخل المحلة مقفولة ، عزيزي حبيب العادلى أنت عبيط؟ ، المحلة 2 مليون نسمة "
- " انسى اسمك، انسى لونك، انسى سنك، انسى خانة الديانة في بطاقتك..أنت النهارده مصري، صفتك الوحيدة مصري، نازل تطالب بحقك "
- "مينفعش نطالب برحيل مبارك ورفع الحد الأدنى للأجور في نفس اليوم!! إزاي يعني عاوزين مطالب من الحكومة و احنا عوزنهم أصلا يمشوا ؟!"
- " حد يا جماعة يأكد خبر ال 12 طيارة الخاصة اللي طلعوا من مصر "
- " الذين قال لهم (المخبرون) إن (أمن الدولة) قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا "
- " المركب بتغرق يا ريس- بالعكس يا ريس دي في منتهى الاستقرار- أمال بتتطوح ليه؟- فرحانة بالإنجازات "
- " قطع نت وأوامر بغلق مساكن وسط البلد وجالي تأكيد إن فيه أوامر بمنع فتح الصاغة بكرة ..إيه هي وقعت قوي كده ؟؟
- " نرجو عدم ترويج أي إشاعات أو أخبار ملفقة طول اليوم بكرة. مصداقيتنا مع الناس أهم بكتير من أي مكسب تاني "
- " يوم غد نأخذ أمرنا بأيدينا - ثورتنا نحن سنحققها ولن ننتظر أحدا- يوم غد نستعيد مصر لسكانها الأصليين ولن يسلبها منهم أحد بعدها"

- " في الميكروباص.. أمين شرطة لزميله: كلنا شغالين يوم الثلاثاء مفيش أجازات وفيه ٨ مليون دعوة اتوزعت للمظاهرات "
- " وحشتني مظاهرات 2005 وهتاف يسقط يسقط حسني مبارك بيهز الأرض في وسط البلد وإحنا جوانا أمل أنه يسقط فعلا "
- " altahawi :" أم العروسة دايما بتضحي..البرادعي: لن أشارك في يوم الغضب حتى لا أسرق الأضواء من الشباب"
- محمد مرعي :النفاق السياسي :ـ الكنيسة وحزب التجمع والجماعة السلفية والإخوان يعلنوا رفضهم المشاركة في مظاهرات 25 يناير jan25#http://bit.ly/hvXV99
- محمد مرعي: "نظام مبارك وجهازه الأمني مهما فعلوا فلن يغيروا الصورة التي أخذناها عنهم من عجزهم عن حماية المصريين بجانب إفقارهم وإهانتهم "
- دعوة لتجميع شعارات وهتافات المصريين في التجمعات السلمية http://bit.ly/e72KJh #Jan25#Egypt

وفي المقابل، نشر عبد الله كمال رئيس تحرير روز اليوسف، مجموعات من التغريدات، معربًا فيها عن استهجانه من دعوات التظاهر في "يوم إجازة – "عبدالله كمال abkamal@ #jan25 لست أدرى لماذا تختار هذه المجموعات دائما أيام الإجازات لكي تعلن عن ثورتها. هل لأنها تخشى من أن يعطل المرور وصول الثورة؟ نلتق بعد الثورة..

أما الصحفية عبير سعدي فتحكي عن تجربة أخرى؛ في 24 يناير 2011، زارت عبير سعدي، العضو الأنشط في مجلس نقابة الصحفيين في ذلك الوقت، زميلها الصحفي مجدي أحمد حسين في محبسه بسجن المرج، بعد تأخر إطلاق سراحه، وقالت له لترفع روحه المعنوية «الثورة بكرة»، فأجابها «إذن نلتقي في ميدان التحرير».

وصلات خارجية

1. تحت المجهر.. التغريدة المصرية – الجزيرةhttps://youtu.be/TnWCd0RXAQA
2. تحت المجهر ... الطريق إلى 25 يناير – الجزيرة https://youtu.be/738_EReBFCs
3. أجواء ما قبل ثورة يناير في مصر

https://www.youtube.com/watch?v=sGRuQSYp-QU

4. أخر دعوة وجهتها أسماء محفوظ عشية الرابع والعشرين من يناير

https://youtu.be/hKgN6A0UWCU



(2)

يوم الغضب

"تغيير.. حرية.. عدالة اجتماعية"

الثلاثاء 25 **يناير** 2011

كان الشباب قد أعدوا خطواتهم، وقد سهر مجموعة منهم الليلة الماضية في كافتريا قريبة من ميدان مصطفى محمود بشارع جامعة الدول العربية لمراقبة التحركات والخطط الأمنية حتى الفجر، ومجموعة من الفتيات عكفن على كتابة اللافتات لتوزيعها على المتظاهرين.. ربما كان لديهم إحساس عفوي مبكر بالثورة، وكانت لديهم الشجاعة الكافية والإقدام وهو ما يمثل عامل تحفيز مهم للشباب، فما خشين الضرب أو الإيذاء والإهانة وربما الاعتقال.. وكان الاتفاق في هذه المرحلة هي التماهي التام وانعدام الفئوية والقطبية والحزبية بين الشباب، فلا أحزاب ولا حركات ولا عناوين ولا رايات ولا أعلام غير علم مصر ولا شيء يعلو فوق صوت الحرية..

وكانت الخطة الأمنية لوزارة الداخلية تقوم على أساس أن المتظاهرين هم عناصر ثورية محددة، ولذلك توزعت قوات الأمن على المناطق المعلن عنها على شبكات التواصل ورفعت حالتها إلى الدرجة القصوى مبكرا استعدادا ليوم الغضب، برغم أن الثوار حددوا موعد تحركهم في الثانية بعد الظهر، إلا أن المبادرات الفردية استبقت الحدث وظهرت وقفات منذ الصباح أمام النقابات ومقار المحافظات في مناطق متفرقة، بينما في القاهرة كانت قوات الأمن قد حشدت أفراد الأمن في الشوارع والأماكن المحدد فيها التظاهر، والتقاء المتظاهرين مع بعضهما البعض، حيث تمركزت في شارع جامعة الدول العربية 12 سيارة أمن مركزي تحمل أفراد أمن سريين ومجندين، وسيارتين للمطافئ مجهزة بخراطيم المياه، وسيارة إسعاف و3 أوناش لرفع السيارات المخالفة، وقد تم وضع عدد من الكمائن الثابتة على جميع الشوارع المؤدية إلى شارع جامعة الدول العربية. وتمركزت سيارات الأمن المركزي أمام ساحة جامعة القاهرة، وصل عددها 18 سيارة، وتم التشديد الأمني على محاور كوبري الجامعة يمينا ويسارا، وتم وضع سيارتي مطافئ خلف أسوار حديقة حيوان الجيزة، كما شددت الأجهزة الأمنية وجودها في ميدان الكيت كات وإمبابة، وتم نشر عدد من سيارات الأمن المركزي على طول طريق الكورنيش. وأحكمت قوات الأمن قبضتها في منطقة وسط البلد ومحيط ميدان التحرير بحيث لا تتمكن أي من

مجموعات المتظاهرين من الوصول إليه، أما في أكتوبر، فقد كان الأمر هادئا للغاية، فقد تم نشر عدد من سيارات الأمن المركزي على بعض الطرق الرئيسية بطريق الفيوم والواحات والبدرشين. (الشروق)

برغم ذلك بدأت الوقفات الاحتجاجية في مناطق مختلفة، حيث قاد المهندس ممدوح حمزة وعدد من الشباب وقفة احتجاجية، في منطقة روكسي. وقال ممدوح حمزة أن الوقفة التي أقيمت كـ"تمويه أمني" تفرقت تمهيدا للتوجه إلى دار القضاء في وسط القاهرة. وفي وسط القاهرة حاصر الأمن حوالي 150 متظاهرا يقودهم د. محمد أبو الغار والنائبان السابقان علاء عبد المنعم وجمال زهران. وأغلقت الشرطة محطة مترو جمال عبد الناصر لمنع تدفق المتظاهرين على المكان. وتجمع العشرات من النشطاء السياسيين وأحزاب المعارضة أمام دار القضاء العالي، يتقدمهم محمد عبد القدوس رئيس لجنة الحريات بنقابة الصحفيين، حاملين لافتات مكتوب عليها شعارات "مصر دولة عظيمة بشعبها.. الشهادة أو الكرامة.. الاستشهاد حتى تحرير الشعب".. كما ردد المتظاهرون "لا استقرار ولا أمان مع فساد الاستسلام.. الوحدة الوطنية ضد الفساد.. لا ذل ولا إهانة للمصريين".. وانضم عدد من المواطنين إلى المتظاهرين، واخترقوا السياج الأمني والتحموا بالمتظاهرين، مما أثار فرحة المتظاهرين، وردد المواطنون شعار "إحنا الشعب".. وأدى التظاهر لتعطيل حركة المرور بمنطقة الإسعاف، ولم تستطع أجهزة الأمن السيطرة على المتظاهرين.. فرض الأمن سياجا أمنيا حول المتظاهرين لمنع الاختلاط بهم، حيث قاموا بالوقوف وراء الساتر الحديدي. (اليوم السابع)

وفي العاشرة من صباح اليوم رصد جهاز أمن الدولة حركة الشارع ورفع التقارير بشأنها مباشرة إلى وزير الداخلية ورئيس الجمهورية، وتضمن التقرير الأول الذي حمل عنوان "مسير1" أن المظاهرات بدأت بـ3 محافظات هي القاهرة والإسكندرية وشمال سيناء»، وأورد أن «10 متظاهرين وجدوا في نقابة المحامين و15 بنقابة الصحفيين و5 أمام دار القضاء العالي و7 بميدان روكسى بينهم الدكتور الإثارى يحيى القزاز والشيوعيون شاهندة مقلد ونورالهدى زكى، وأنهم يوزعون بيانات تدعو المواطنين للمشاركة في المظاهرات بدعوى تفشى الفقر والبطالة والفساد في عهد القيادة السياسية، ويطالبون سيادته بالتنحي عن الحكم، بالإضافة إلى العثور على كرتونتين بمدخل عقار مركز هشام مبارك للقانون بمنطقة التوفيقية بهما 200 بوستر بمساحة متر تحمل شعار حركة كفاية وعبارات مناهضة وأنه تم التحفظ عليها". أما الإسكندرية فبدأت التجمعات فيها بأستاذ بكلية الهندسة ومعه 3 فتيات أمام ديوان عام المحافظة يحملون لافتات مكتوب عليها: يا ريس كبرت وعجزت ودي سنة

الحياة وكفاية بقى على صحتك.. أرجوك لا تقل لنا مفيش حد مناسب.. مصر ولادة"، وفى شمال سيناء تجمع 35 من شباب القوى السياسية أمام مجلس محلى المحافظة وانصرفوا دون القيام بأي ممارسات إثارية".[1]

وتحركت مظاهرات يوم الغضب في منطقة دار السلام بالقاهرة، وجاب المتظاهرون في "دار السلام" شوارع المنطقة مرددين عبارات: "تحيا مصر.. الحرية والرغيف مطلب كل مصري شريف"، و"عيش، حرية، كرامة إنسانية"." الثورة على التعذيب والفقر والفساد والبطالة " وفي شمال سيناء تظاهر العشرات في مدينتي رفح والشيخ زويد، مطالبين الأجهزة الأمنية بإطلاق سراح أبنائهم المعتقلين منذ فترة طويلة. وندد المتظاهرون بوعود الداخلية المتكررة بإنهاء ملف المعتقلين دون تنفيذ ذلك على الأرض.

وفي مدينة الإسكندرية انطلقت المظاهرات من حي محرم بك،وكانت ميادين الإسكندرية قد تحولت إلى ثكنة عسكرية استعدادا ليوم الغضب الذي دعا له النشطاء عبر الانترنت. واحتلت عناصر أمن في ذي مدني هذه الميادين للحيلولة دون وقوع تظاهرات تندد بالأوضاع في مصر، وخوفا من تحول هذه المظاهرات إلي ثورة حقيقية علي غرار ثورة تونس. وعلق نشطاء الإسكندرية بوسترات صغيرة ومطويات تدعو للتظاهر والثورة، وفي المقابل علق الحزب الوطني لافتات ضخمة لتهنئة الشرطة بعيدها، وتؤكد أن الشرطة هي الأمن والأمان. (الوفد)

وكذلك شهدت مدينة الزقازيق تظاهر عشرات المعلمين أمام مبنى المحافظة للمطالبة بتعيينهم وقامت قوات الأمن بمحاصرتهم وإدخالهم لمبنى المحافظة فيما انتشرت قوات الأمن بشوارع الزقازيق وحول مبنى المحافظة. وبدأت مؤشرات التظاهر في مناطق أخرى، حيث انتشر عدد من النشطاء في شوارع بلطيم يدعون المواطنين للمشاركة في حاملين علمي مصر وتونس (الوفد)

وحاصرت قوات الأمن مدينة المحلة.. حيث فرضت أجهزة الأمن بالغربية إجراءات مشددة على مداخل ومخارج مدينتي طنطا والمحلة الكبرى في "يوم الغضب"، بعد أن حدد القائمون على الوقفة أماكن التجمع، وهي: أمام قسم أول المحلة وديوان عام المحافظة، برغم إجماع القوى السياسية والنقابات، على أن تكون مدينة المحلة الكبرى مكانا لتجمع كافة القوى السياسية، مع استقبال وفود من محافظات أخرى مجاورة، مثل كفر الشيخ والدقهلية والمنوفية. ووضعت أجهزة الأمن المتاريس

1تقرير منشور بموقع " الوطن" بتاريخ الاثنين 2015_05_25 11:24 AM بقلم " الوليد إسماعيل"

على مدخل مدينة المحلة ونصبت كمينا هناك، ولجأت إلى إيقاف السيارات وتفتيشها وعدم السماح بدخول أحد إلا بعد التأكد من هويته أو إدخاله عن طريق منسقي الوقفة من حزب الجبهة وشباب 6 أبريل الذين طبعوا أرقام التليفونات الخاصة بالأعضاء على مطالب الوقفة ليتسنى الاتصال بهم عند منع الأمن أحدا من الدخول للمشاركة..وقال أحمد عبد الله ممثل الحركة الوطنية للتغيير، وأحد قادة الإضراب أن المطالب محددة ومعروفة ومن بينها المطالبه بتنفيذ الأحكام القضائية الخاصة بطرد الحرس الجامعي من الجامعات، ورفع الحد الأدنى للأجور ، ومنح إعانة بطالة لكل خريج، وإلغاء حالة الطوارئ.وأضاف سليم عبد الله ممثل شباب الإخوان، أن التونسيين أعطونا الأمل وسنسير على نفس النهج، وقال إبراهيم مكاوي ممثل التجمع إن الهدف الأسمى الآن يكمن في طريقة تجميع أنفسنا وتوحيد الجهود ليكون يوم 25 يناير هو البداية الحقيقية لعهد جديد.من جهة أخرى، أجلت مديرية أمن الغربية الاحتفال بعيد الشرطة ليوم الأربعاء، بدلا من يوم الغضب، ونقل الاحتفال إلى مديرية أمن الغربية بدلا من نادى الشرطة، كما هو معتاد كل عام. (الشروق)

وفي محافظة سوهاج، استبعد مصدر أمني، مشاركة المواطنين في الإضراب، من خلال أفراد أو جماعات أو أحزاب، مؤكدا اتخاذ كافة التدابير الأمنية اللازمة لمواجهة ذلك..وانتشرت قوات الأمن منذ الصباح الباكر في شوارع سوهاج، تحسبا لوقوع أي إضرابات خاصة في أماكن التجمعات، وخاصة أمام المساجد الكبرى بالمحافظة والميادين الكبيرة المعروفة. الشروق

وفي أسيوط، فرضت قوات الأمن حصارا أمنيا حول 44 شابا من قوى المعارضة المختلفة من بينهم الجمعية الوطنية للتغيير وحملة دعم البرادعي وشباب 6 أبريل. واحتجزت قوات الأمن الشباب بأحد الشوارع الفرعية بمنطقة الوليدية بأسيوط، وتجمع الشباب صباح اليوم، رافعين اللافتات والأعلام المصرية، ومرددين هتافات "تحيا مصر" و"ارفع صوتك زى الناس.. إحنا كرهنا الظلم خلاص" و"صحي الخلق وهز الكون.. مصر بلدنا مش هتهون" و"يا أهالينا يا أهالينا.. ضمو علينا ضمو علينا".

وفي الثانية عشر قبل الظهر من ذات اليوم، رفع جهاز أمن الدولة تقريره الثاني حمل عنوان "مسير2" أخبر فيه حسن عبد الرحمن رئيس الجهاز بأن المظاهرات تتوالى في محافظات القاهرة والإسكندرية والجيزة وأسيوط والإسماعيلية والسويس وأسوان والقليوبية، وأن المتظاهرين يوجدون في كل مكان وجاري المتابعة. ففى أسيوط رصد الجهاز مظاهرات بالحواري، أما متظاهرو الإسماعيلية فيهتفون «ارحل ارحل.. امتى يا شعب تثور وتقوم.. بعد ما تونس شافت النور». أما في السويس، «تجمعات بميدان

الإسعاف، وأن المتظاهرين بينهم ناصريون ويساريون ومنتمون لحزب العمل وإخوان»، وفى أسوان «تظاهر المواطنون أمام محطة السكك الحديدية، والمشاركون في المظاهرات إثاريون ويهتفون ضد القيادة السياسية والحزب الوطني ووزارة الداخلية"، وفى القليوبية "بدأت التجمعات أمام مقر حزب التجمع بمدينة بنها". أما في القاهرة فقد تجمع 400 أمام دار القضاء العالي وحملوا لافتات مدونا عليها: مبارك ارحل.. ثورة حتى النصر في كل شوارع مصر.. استشهاد استشهاد.. مرتبي 365 جنيه ونفسي آكل لحمة. ويرددون أيضا هتافات إسقاطية على القيادة السياسية ورموز النظام". و أضاف أن «متظاهرين آخرين على الرصيف المقابل لدار القضاء العالي والدرج الخارجي لنقابة المحامين، ويهتفون لتأييد الثورة التونسية وكفاح الشعب المصري، ويرددون الأغاني الوطنية، وأمام مصلحة الشهر العقاري بشارع رمسيس ويتزعمهم أيمن نور ورجل الأعمال رامي لكح. وفى منطقة دوران شبرا تم إلقاء القبض على متظاهر يعمل صاحب ورشة نجارة أثناء تردده على ميدان التحرير وهو يرفع لافتة مكتوبا عليها: يا حكومة عايز أكون مناضل مش متطرف". وفى الجيزة، أفاد الجهاز في تقريره: "تجمع المتظاهرون أمام مسجد مصطفى محمود بشارع جامعة الدول العربية، و20 شخصا أمام مقهى سيلنترو يهتفون: لا للفساد لا للتعذيب»[1]

القاهرة في الثانية بعد الظهر

" في مقر الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، صبحيه يوم 25 يناير 2011، كانت الأمور متوترة في منطقة وسط البلد وميدان التحرير. وبعض المخبرين أسفل مقر الشبكة، لا أذكر جيدا ماذا حدث بعد ذلك فقد كنا نعمل على خريطة تفاعلية تجمع تحركات المظاهرات في 25 يناير". بينما كان فريق من المحامين والنشطاء يجلسون في مركز هشام مبارك للقانون، لممارسة عملهم في غرفة متابعة مظاهرات ذلك اليوم، استعدادا لرصد حالات القبض على المتظاهرين ومتابعة قضاياهم كما جرت العادة.. يصيح أحد الشباب مخبرا الجميع بمظاهرة «مفاجئة» تتحرك في منطقة ناهيا، يرى بثها الحي على الـ«لابتوب» الخاص به، يتجه الجميع للجهاز، وكانت المفاجأة التي لم يعلن عنها سوى بين النشطاء فقط، هي تحرك مسيرة قوية من هذه المنطقة الشعبية على طريق السير بشارع جامعة الدول العربية.. بدأت في توقيتها المتفق عليه بين النشطاء في الثانية بعد الظهر..

1- المصدر السابق

انطلقت الشرارة الأولى للنشطاء من مسجد ومطعم "الحايس" بمنطقة " ناهيا " ذات الكثافة السكانية الشعبية.. ليصبحا علامة بارزة في التاريخ.. فعقب صلاة الظهر كانت مجموعة الشباب قد أعدت نفسها جيدا، ولم يكن عددهم كبير، وأخذ مجموعة من الشباب الناشطين يخطبون في الناس البسيطة في الشوارع يحثونهم على الانضمام للمسيرة الاحتجاجية للمطالبة بحقوقهم الضائعة وأموالهم المنهوبة وكرامتهم المهدرة.. وانضوى بعضهم في توزيع المنشورات على أهل المكان الذين فوجئوا بهذا الجمع، وعلى الرغم من ذلك استجاب عدد منهم لحديث مجموعات النشطاء..

وقف زياد المحامي الشاب العليمي رافعا مكبر الصوت في نهر الشارع يلقى خطابه للجماهير بلغة سهلة وبسيطة، موجها نداءه للعابرين: " النهارده عيد الشرطة، واحنا جايين النهارده عشان نقول للشرطة كل سنة وانتم طيبين بس على طريقتنا.. بطريقة الناس اللي ملقتش تتعلم واتعلمت في فصول فيها 80 و 90 طفل.. ولم ينفعها التعليم وطلعت تمشي جنب الحيط..إحنا قررنا نطلع النهارده ومش هنسكت على الظلم والإهانة.. إحنا زهقنا من الفقر والجوع والجهل والمرض.."

وسرعان من انضم الآلاف وتحركت المسيرة ، والجماهير تهتف "تغيير، حرية، كرامة إنسانية" أول هتاف ينطلق في جنبات شارع ناهيا، وسط حماس الأهالي، وتحركت المسيرة وانضم إليها أعداد كبيرة من أهالي المنطقة يقودهم شباب الائتلاف إلى ميدان مصطفى محمود بشارع جامعة الدول العربية وهي النقطة التي تم الإعلان عنها كمكان لتجمع المظاهرات على خط السير .. كانت المسيرة كلما تحركت تضخمت مثل كرة الثلج.. وتعلو هتافاتها " يا أهلينا انضموا لينا.. الداخلية بتعادينا.."مش بنخاف م الداخلية..مصر بلدنا وغالية علينا" – " علي وعلي وعلي الصوت .. اللي هيهتف مش هيموت .. علي وعلي وعلي كمان ضد حكومة الطغيان " – " أمن الدولة يا أمن الدولة ..فين الأمن وفين الدولة ".

وتحكى الآنسة " هبة غنام" عن مشاركتها؛ عندما أخبرها أصدقاؤها بأنهم متواجدون أسفل منزلها لتوزيع اللافتات على المتظاهرين وبدء التحرك«لم يجعلنا نتماسك سوى الهتاف العبقري الذي أطلقه الشباب أثناء سيرهم في الشوارع (يا أهالينا ضموا علينا)، " إنزل شارك مش هتموت قبل الفرصة دي ما تفوت" والذي كان بمثابة مغناطيس لكل من يسمعه، انضم إلينا الآلاف كلهم مواطنون عاديون ، وحرصت البنات والسيدات على التواجد بجوار بعضهن حفاظا علينا من الاصطدام بالأمن المركزي".

ويذكر" محمد عباس" في هذه المظاهرة؛ «ماكنش ينفع إن كل مرة تنطلق المسيرات من مناطق بعيدة عن الطبقات الشعبية، ما ينفعش نروح نقف عند دار القضاء أو التحرير أو حتى مصطفى محمود

.. الناس في الشوارع استجابوا ومشيوا ورانا»، حشود ضخمة بدأت تتحرك في اتجاه مصطفى محمود.. لن يصدق أحد كيف كان يخرج الناس إلى شرفات بيوتهم المتواضعة ليشاركوهم الهتاف «رأيت إحدى السيدات تهتف في البلكونة وتدفع بولدها لينزل يكمل معنا المسيرة وتقول له انزل معاهم وهات حقك من اللي نهبوه»

وفي ذات الوقت، بمجرد وصول المسيرة إلى شارع جامعة الدول العربية، وإن كانت مسيرة ناهيا، بالنسبة للأمن وأغلب المشاركين فيها مفاجأة إلا أنها كانت بالنسبة لمتظاهرين آخرين عون ومدد، ومن هؤلاء الآخرين الناشطين باسم كامل وعبد الرحمن سمير، الذين نجحوا في كسر حصار كردون أمني لهم في شارع شهاب، بعد رؤيتهم للقادمين من ناهيا، ليلتحموا ومتظاهرين كانوا في شوارع متفرعة من شارع جامعة الدول العربية مع المسيرة الكبرى، وكانت مجموعاتٍ أخرى تحركت بشكل منظم من مناطق أخرى شعبية مثل بولاق الدكرور وميت عقبة وإمبابة وشبرا وغيرها.. بالإضافة إلى أعداد غفيرة من الشباب قد تجمعت في ميدان مصطفى محمود بشكلٍ فردي ، وهي النقطة المعلن عنها كمكان للتجمع على خط السير..وكان بينهم أعضاء من حركة 6 إبريل ومعهم الناشطة أسماء محفوظ، وصل العدد في لحظات إلى أكثر من ألفين، وكان التنسيق بين هذه التظاهرات أن تتحرك وفق جدولٍ زمني محدد، تم الاتفاق عليه بعد حساب المسافات والشوارع التي ينبغي اجتيازها للوصول إلى شارع الجامعة العربية، باعتبارها إحدى النقاط الثمانية عشر المتفق عليها، بحيث تلتقي جميع المسيرات في ووقت واحد وفي ذات المكان بما يمكنها من كسر الكردون الأمني بشكل جماعي.. ثم تتجمع مسيرات النقاط الباقية في ميدان التحرير..

وكما كان متفقا عليه فيما بين شباب الائتلاف على أن تكون نقاط التجمع السرية في المناطق الشعبية هي ثمانية عشر نقطة على مستوى القاهرة والأحياء المحيطة بميدان التحرير.. بحيث يتوزع عليها مجموعات من الشباب الناشط سياسيا لقيادة المظاهرات منها، بالإضافة إلى باقي محافظات مصر على ذات السيناريو.. كما كان هناك اتفاق بين مجموعات من الشباب على موقع الـ" فيسبوك " في مجموعاتهم الافتراضية، وكان اتفاقهم على مناطق أخرى تخرج منها مسيرات بالتوازي وتنضم إلى مسيرات جامعة الدول العربية وميدان رمسيس وغيرها وصولا إلى ميدان التحرير والذي كان التحدي الأكبر أمام الشباب للاعتصام به للمطالبة بحقوقهم وإعلان مطالبهم في الطريق إلى ميدان التحرير " تغيير.. حرية.. عدالة اجتماعية ".

ومعنى التغيير هنا مفهوم جيدا لشباب الحركات السياسية على وجه التحديد؛ بأنه تغيير في المنظومة السياسية بخلع شبكة من مئات الجثث من مناصبها وتنحيتها جانبا والحلول محلها بدماء جديدة تدير العملية السياسية وفق رؤية ومنظورٍ عصري جديد.. وهذا التغيير الذي ينشده الشباب بالطبع لا يقف عند حدود خلع حفنة من الأشخاص ووضع آخرين، بل يعني تغييرٌ فعّالٌ في العقل الجمعي بفعل حركات الضغط الشبابي، لكن ذلك قرين بوجود ظهير قوي من المثقفين تمهد أقلامهم وأفكارهم لخوض تجربة جديدة تهدف لإصلاح أحوال المجتمع وتحسين مستوى الوعي والخدمات التي تقدمها الدولة ومحاصرة عوامل الفساد الإداري والمالي في أضيق الحدود..

وخلال ساعة من التجمع في شارع جامعة الدول العربية.. كانت حشود الجماهير غفيرة لدرجة يصعب حصرها.. وكانت قوات الأمن موزعة بكثافة عالية جدا ومرصوصة بدقة بالغة تحيط بالمتظاهرين مستعدة لتطويقهم ولديها خطتها الجاهزة.. واشتعلت الهتافات وألهبت حماس الشباب.. وتنوعت بطريقة تعبّر عن مطالبهم وأهدافهم ما بين" تغيير.. حرية.. عدالة اجتماعية.. " ، " ولا عدلي ولا حبيب.. ارحل يا وزير التعذيب. " ، " مجلس شعب صباح الخير وأنت رئيسك مليардير".. هكذا تنوعت الهتافات ما بين المطالبة بالحقوق المشروعة والتنديد بممارسات وزارة الداخلية وتعدياتها الصارخة على حقوق المواطنين من قبل جهاز أمن الدولة الملعون، وانتهاك الحياة السياسية في مصر بسطوة الحزب الوطني برعاية أجهزة الأمن.

كان واضحا أن وزارة الداخلية بوجه عام ممثلة في جهاز أمن الدولة والعصي الغليظة (الأمن المركزي) وجهاز الشرطة، هي أكفأ أجهزة الدولة وأكثرها دقة والتزاما بالأوامر السياسية والإخلاص في تأديتها.. فوزارة الداخلية هي عصب الدولة البوليسية وأداة القمع والترويع ذات الكفاءة العالية، والتي يمكن لأي نظام استبدادي أن يستند إليها مطمئنا للحفاظ على عرشه ..



وكانت قوات الأمن منتشرة وموزعة بدقة مثل رقعة الشطرنج.. السيارات مصفوفة في أماكن معينة وبنظام.. مضخات الماء المياه الكبريتية موزعة خلف الجنود.. الضباط هادئين في ثقة يقفون خلف فرق المجندين لإصدار الأوامر في اللحظة المناسبة.. الجنود بأسلحتهم موزعون بكثافة ونظام مصفوف بدقة عهدناها كثيرا.. محملين بأسلحتهم وهراواتهم ودروعهم وخوذاتهم دون وعيهم.. ومن كثافة تسليحهم، لا تكاد تظهر أجسادهم أو وجوههم.. فقط يظهر صف الدروع الأمامية متلاحمة.. تعلوها الآلاف من الخوذات السوداء ذات الغطاء الزجاجي الشفاف.. ولا تظهر أجسادهم المغطاة بشرائح ودروع بلاستيكية مدفونة في ملابسهم العسكرية، هذه البذات العسكرية التي يرتدونها يفوق ثمنها عشرات الأضعاف من رواتبهم الشهرية.. يقفون كتلة ضخمة صلبة من البشر المدرعين.. أشبه بنظام السلحفاة البشرية التي استخدمها الإسكندر الأكبر في حروبه القديمة.. وفرق الاعتقال تنتشر متخفية بين المتظاهرين.. بينما الشباب انهمكوا في هتافاهم وأخذتهم الحماسة.. يبدو أن الطريق إلى السجن بات أسهل من الوصول إلى الميدان.. وربما يقودنا الميدان نفسه إلى السجن في النهاية..

خيط دقيق يفصل الزمان والمكان ما بين جيشين.. الأول عسكري مسلح ومدرب جيدا على القتال والحركة الخاطفة السريعة.. والثاني مشهد جماهيري أعزل من كل شيء إلا إيمانه بالله والوطن وحقوقه المشروعة.. ولا يملك إلا هتافاته التي ترج الدنيا ، من قبيل"اصحوا وفوقوا يا مصريين.. مش هنقول للظلم آمين"،" مش هنخاف مش هنطاطى.. احنا كرهنا الصوت الواطي ".. حتى أنا صيحات الشباب وهتافاتهم هزت أرجاء المكان، لدرجة جعلت فريق التحرير والصحفيين بجريدة اليوم السابع

وهم في الطابق السابع عشر يشعرون وكأن بركانا انفجر في الشارع، ما دفعهم لمغادرة مكاتبهم والنزول لاستطلاع الأمر.. كانوا يهرولون على السلالم كما المجانين، لم ينتظر أحدهم حتى لاستخدام المصعد..

في حين أن ضباط الأمن يقفون هادئين جدا واثقين من انتصارهم في اللحظة الحاسمة، وبينما هم يستعدون للهجوم بنظام السلحفاة ذات الغطاء المدرع.. كان الشباب يقترب منهم..يتعرف عليهم ويتحدث معهم بلطف.. يقدمون لهم زجاجات المياه والأطعمة وبعض العصائر.. لكنهم لا يتحدثون كثيرا.. وربما خرجت بعض الكلمات مقتضبة من تحت أقنعتهم، لا تعبر عن ذواتهم وإنما عن تعليماتٍ أمليت عليهم.. وكنا نهتف لهم ونشير عليهم بأيدينا "مصر يا أم.. ولادك أهم.. دول علشانك شالو الهم.. راح يفدوكي بالروح والدم." ،" يا أبو دبورة ونسر وكاب.. إحنا إخواتك مش إرهاب" في محاولة استباقية لكسر روح العنف داخلهم وإشعارهم بأننا أصحاب قضية وطنية لهم فيها نصيب.

كانت الهتافات تضعهم في موقفٍ حرج ، وبرغم أننا نثور من أجلهم وأهلهم وظروفهم الطاحنة وكرامتهم المهدرة ونحن لسنا أعداء لوطنهم ولسنا عناصر إثارية كما أقنعهم قادتهم طوال الأيام الخالية.. لكن هؤلاء المجندين تم اختيارهم بعناية فائقة من الأميين والجهلاء الذين لا يجيدون القراءة والكتابة أو حتى التفكير.. ولا يعرفون معنى هتافاتنا أصلا..تغيير.. حرية.. ديمقراطية.. عدالة اجتماعية.. كرامة إنسانية.. وربما سمعوها لأول مرة في حياتهم، لكنهم ما زالوا يجهلون مضامينها.. فهؤلاء جميعا من الطبقة الكادحة البعيدة عن الفكر والثقافة والرأي.. وما عليهم إلا تأدية خدمتهم العسكرية ثم العودة لحقولهم بحثا عن فرصة للعمل والزواج ، وغيرها من متطلبات الحياة البسيطة.. لم نتهمهم بالخيانة لوطنهم وشعبهم لأنهم لا يعرفون ماذا نفعل من أجلهم وأولادهم ومستقبلهم.. هم فقط أداة بيد السلطة أحضرتهم من حقولهم لقمع المدنية وقهر الحرية.

هذا المشهد من اللحظات الحاسمة في تاريخ مصر، فإذا انتصروا علينا كانت النهاية.. وإذا انتصرنا عليهم كانت البداية.. وساعتها تنطلق الجماهير تتدحرج في الشوارع مثل الدرافيل.. لن تهاب الموت، بل يهابها كل من كشرت له.

وفي الساحة الكبرى بشارع الجامعة العربية، صدرت الأوامر للجميع فجأة بإطلاق القنابل المسيلة للدموع بكثافة عالية.. وإلى مضخات المياه الكبريتية الحامضة أن تتقدم بسرعة، وإلى فرق الاعتقال لحصد الناشطين من الشباب، وصدرت الأوامر للمجموعات الجانبية بتطويق المسيرة ومحاصرتها في

أضيق بقعة حتى يتمكنوا من تفريقها في لحظة واحدة وترحيل النشطاء والشجعان إلى معتقلات أمن الدولة.. كانت هناك عناصر أمنية تنتشر بين الجماهير بزيٍ مدني، وفجأة عندما انطلقت مدفعيتهم انطلقوا جملة في القبض على أشخاص محددين كانوا تحت أعين الرصد، مما أحدث بلبلة نتيجة المفاجأة، ربما من اعتادوا المشاركة في المظاهرات يعرفون ذلك جيدا، ولم يكن أحد يعلم أن هؤلاء المدنيين المتواضعين والمهذبين جدا لساعات هم من كلاب الدولة البوليسية.

كان الجميع في حالة من الحركة والنشاط والحماس وسط ذهول وارتباك ضباط وألوية الداخلية الذين أرعبهم صمود الآلاف دون أن يعرفوا كيف يتصرفون معهم.. فكان تصورهم أن كل هذه الحشود الغفيرة هي محض قطيع من الدجاج، سيفر مذعورا في كل مكان بمجرد سماع دوي إطلاق القنابل أو التعرض لدخانها الخانق.. وتصوروا أن مضخات الماء البارد ستصيب الجميع بأنفلونزا الطيور.. لكن الوضع بدا مختلفا تماما، فالشباب أكثر قوة وشجاعة وصمود.. وقد وقفوا صفوفا في مواجهة الموت.. الشجعان ذوي الخبرة في الصفوف الأولى والتي تليها.. وإذا حدثت إصابات في الصف الأول يتطوع الصف الثاني ليحمل المصاب إلى الخلف، وقد تشكلت مجموعات من المتطوعين للإسعافات الأولية بشكل تلقائي وعفوي، ومجموعات لمناولة زجاجات المياه والبيبسي والمناديل المبللة بالخل لمواجهة الاختناق، وإن كانت الأغلبية متفرجون لا مشاركون، فمعظمهم خرج للمرة الأولى ولا يجيدون التظاهر والهتاف بحماس أو التصرف في مثل هذه المواقف والتعامل مع قوات الأمن ومحاولة الإفلات من اعتقالاتهم، ولا يجيدون التعامل مع الغاز المسيل للدموع ومضخات الماء البارد وهراوات الأمن وعصيهم وضربهم وسحلهم للمتظاهرين، ومع ذلك فقد وقفوا احتجاجا على أوضاع البلاد وتضامنا مع الشباب الناشط وتأييدا لهتافاتهم..

استمر الوضع على هذه الحال بين مناوشات وإقدامٍ وإحجام.. صخب وهتاف.. وأحيانا عندما تشتد هجمات الأمن كان البعض يفر عائدا إلى خلف الصفوف.. وبمرور الوقت بدأ الكثير يحصل الخبرة ويقطف ثمار الشجاعة من زملاءه في الصفوف الأولى وينضم إليهم.. وتحولت الكثير من السيدات والفتيات من مجرد المشاهدة إلى مناولة الإسعافات الأولية.. وكثير من الشباب تطوع لحمل المصابين وحالات الاختناق حتى صار عملا جماعيا منظما يقوده الإخلاص للوطن والدفاع عن حقوقه وحرياته.. وسقط الكثير من حالات الإغماء والإعياء والاختناق والمصابين بجروح بسبب طلقات القنابل التي تصطدم أحيانا بأجسادهم مباشرة أو تسقط على رؤوسهم من ارتفاعاتٍ شاهقة. وبدرجة حرارة عالية جدا.. وكان لابد من الخروج من هذا المأزق قبل أن تتناقص الأعداد، فكلما هتف الشباب لقوات

الأمن "سلمية.. سلمية.." كانوا يتعاملون معهم بوحشية أكثر، لذا كان لابد من اختراق صفوف الأمن بقوة وسرعة لكي نعبر هذا الحاجز الأمني حتى نسلك طريقنا إلى ميدان التحرير..

وبالفعل اندفعت الحشود في عدة صفوف مزدحمة بقوة وسرعة واخترقت صفوف قوات الأمن وفصلتها إلى شطرين قبل أن يتمكنوا من تطويقها وحجزها في أماكنها أو تفريقها، وتقدمت في شارع جامعة الدول العربية وأصبحت قوات الأمن تلاحق الحشود من الخلف كأنها تدفعها للإسراع إلى هدفها المنشود.. وانطلق الجميع في طريق الحرية بشارع البطل أحمد عبد العزيز.. وقد ارتفعت معنوياتهم إلى عنان السماء وربما شعروا بأن ما فعلوه هو أولى الخطوات الناجحة في طريق الانتفاضة.. خصوصا أن كل شيء تم تنفيذه وفقا للخطة المرسومة مسبقا.

كان البعض قد تفرق وسقط البعض تحت عصى وهراوات الأمن، واعتقل الكثير لكننا بذلك قد حققنا نصرا عظيما باختراق أكبر الحواجز الأمنية في شارع الجامعة العربية، والذي تركزت فيه قوات الأمن بكثافة وتجهيزات عالية، خاصة أن ميدان مصطفى محمود من النقاط الرئيسية المعلن عنها في وسائل الإعلام كمناطق للتجمع والانطلاق إلى ميدان التحرير.

تحركت المسيرة بسرعة إلى ميدان الجلاء، وكانت الحواجز الأمنية متراصة خلف بعضها وحتى كبري قصر النيل، وربما كانت أقل عددا وتجهيز من مثيلتها في شارع جامعة الدول العربية، وتمكنت المسيرة من اختراقها بما اكتسبه الشباب من خبرة وثقة في شارع الجامعة العربية.. لكن كانت هناك تضحيات من الصعب أن تستوعبها الكلمات. الملفت للنظر فقط هو أن الشباب عندما يحاصرهم ضباط الأمن لاعتقالهم كانوا يدافعون عن أنفسهم بشجاعة غير معتادة وكأنهم في معركة ليس للسلطة فيها دور ولا للنسر المعلق على أكتاف الضباط قيمة، بل بدا الضابط مهزوزا مهزوما حتى أنه لا يدافع عن نفسه حينما يتعرض للحصار والضرب من الشباب، فقد اعتاد فقط أن يهزم هو بمجرد إصدار الأوامر وقتما شاء، لا أن يكون هو في موقف الدفاع عن نفسه، ما أصابه بالذهول.. غير أن الشباب والمتظاهرين بوجهٍ عام لم يعتدوا على أيٍ من ضباط الأمن المركزي ولكن فقط ضباط أمن الدولة المنتشرين بينهم بزي مدني..

وفي هذا التوقيت رفع جهاز أمن الدولة تقريره الثالث يقول فيه: أن محافظتي كفر الشيخ ودمياط انضمتا لقائمة المحافظات التي بدأت فيها المظاهرات التي تم رصدها، وحدد الجهاز المشاركين فيها وأعدادهم، وقال إن القاهرة «بدأت مظاهراتها تتجه ناحية مقر الحزب الوطني بكورنيش النيل ومبنى

الإذاعة والتليفزيون، وبدأت التجمعات أمام نقابة الأطباء، وأن القيادي عبد المنعم أبو الفتوح انضم للمتظاهرين وأن المتظاهرين يهتفون: يا بن على قول لمبارك.. الطيارة في انتظارك، وإنهم -أي المتظاهرون- يؤكدون اقتراب ساعة التغيير، وبدأوا يكسرون حاجز الخوف ويتصدون للنظام وإنهم ما زالوا مستمرين"[1].

وفي الإطار المحيط بميدان التحرير ومنطقة وسط البلد وشارع قصر العيني وشارع رمسيس، كانت الأحداث التاريخية تتوالى لتصب جموعها في بوتقة الميدان، وتواترت مجموعة من المشاهد بدأت أحداثها منذ الواحدة ظهرا بالتوازي.

المشهد الأول: منطقة التجمع الثلاثي؛ على أبواب دار القضاء العالي، نقابة المحامين، ونقابة الصحفيين.. تجمعات من الصحفيين والمحامين والشباب منذ الصباح تتزايد وينضم إليهم الكثير من المثقفين والشخصيات العامة والسياسيين المستقلين الشرفاء.. كثير من الشرفاء ألقوا كلماتهم على المتظاهرين يشجعونهم على المضيَ قدما.. الأعداد تتزايد بمرور الوقت والجميع يهتف " تغيير.. حرية.. كرامة إنسانية"،قوات الأمن تطوق المتظاهرين أمام دار القضاء وتحاصرهم في نصف دائرة أمنية مشددة تمنع الجميع من التحرك وتمنع الآخرين من الانضمام إليهم.. ومجموعة أخرى من المحامين والمثقفين يتجمعون أمام نقابة المحامين.. قوات الأمن تشكل طوقا منيعا حولهم وتمنعهم من الخروج رغم تكرار المحاولات الفردية والجماعية.. وتحدث مناوشات بين الطرفين بالعصي والهراوات والقنابل المسيلة للدموع.. المتظاهرين يهتفون بحماس " احلف بسماها وترابها الحزب الوطني اللي خربها "، قوات الأمن تضيق الحصار عليهم.. تصعد مجموعة من شباب المحامين إلى سطح النقابة لتوجيه نداء الاستغاثة إلى زملائهم أمام دار القضاء العالي.. لكن دون جدوى.

ومجموعة أخرى من الصحفيين والمثقفين تجمعت داخل نقابة الصحفيين وأخذوا يهتفون " الصحافة فين.. الشعب المصري أهوه ".. قوات الأمن ترسل أعوانها من نزلاء السجون لمهاجمة الصحفيين والتحرش بالصحفيات أمام النقابة والتشويش على المتظاهرين بهتافات من نوعية: " يا مبارك دوس دوس إحنا معاك من غير فلوس" ،ويشيرون بعلامات بذيئة للصحفيين مرفقة بمدفعية من الشتائم الإباحية ، بينما وقفت عجوز من فضلات السجون في حماية ضباط الأمن، وصارت تلعن وتسب الصحفيين بهتاف

1- تقرير منشور بموقع " الوطن" بتاريخ الاثنين 25-05-2015 بقلم " الوليد إسماعيل"

منفرد من تأليفها " يا ولاد المومس مصر مش تونس" .. وهو ذات الهتاف الذي تبناه جميع وزراء الحكومة "مصر ليست تونس" عقب دعوة الشباب إلى إشعال ثورة في مصر على غرار تونس..

وبمرور الوقت كانت مسيرة حاشدة قد تحركت من منطقة بولاق أبو العلا متجهة إلى ميدان التحرير فاصطدمت بقوات الأمن المركزي في النقاط الثلاث (دار القضاء ونقابتي المحامين والصحفيين)، ووقعت مواجهات عنيفة بين المجموعات الأربعة المحاصرة وقوات الأمن سقط فيها الكثير من حالات الإغماء والاختناق والإصابات، لكن تمكن المتظاهرون أمام دار القضاء من اختراق طوقهم الأمني بقوة وسرعة مفاجئة في مشهدٍ أسطوري لم يتوقعه أحدٌ من الطرفين، وهو ما شتت انتباه الأمن وكسر شوكته أمام النقاط الثلاث حتى تمكن الجميع من تحرير أنفسهم باختراق الطوق الأمني بذات الطريقة وانضموا جميعا في مسيرة واحدة إلى ميدان التحرير عبر كوبري أكتوبر وميدان عبد المنعم رياض، لكن اعترضهم حشود ضخمة من قوات الأمن متمركزة في صفوف ملأت ميدان عبد المنعم رياض وأعلى وأسفل كوبري أكتوبر.. وكانت سيارات الاعتقال مصفوفة بجوار سور المتحف المصري.. وإلى جوارهم مضخات المياه الباردة وخلفها سيارات الإطفاء لتزويدها بالمياه..

كان ميدان التحرير محاطا من كافة الاتجاهات بتكتلات ضخمة من قوات الأمن بكامل استعداداتها.. فالميدان هو التحدي الأخير أمام المتظاهرين وقوات الأمن على حد السواء.. وهو المكان المعلن عنه في كافة وسائل الإعلام كمقر للاعتصام.. فهو محط أنظار المتظاهرين من كافة أنحاء الجمهورية وليست القاهرة وضواحيها فقط. ولهذا كانت التعزيزات الأمنية حول ميدان التحرير على أقصى درجات الجاهزية والاستعداد وموزعة بأعداد كثيفة على جميع مداخل ومخارج الميدان الثمانية حتى لا يتمكن أحد من الوصول إليه.. ومع أن قوات الأمن كانت تسعى بكل السبل لمنع المتظاهرين من الوصول إلى ميدان التحرير لكنها كانت حريصة على عدم إظهار العنف حتى لا يقابل العنف صمود وتحدٍ فتتحول قوات الأمن إلى كرة بين أقدام المتظاهرين والإعلام فتتحول مصر إلى تونس أخرى.

كانت قوات الأمن متمركزة بالآلاف في ميدان عبد المنعم رياض المتصل مباشرة بميدان التحرير، وكذا حول كوبري أكتوبر وفروعه.. وكانت حشود الجماهير تتزايد وتهتف بحماس" سلمية.. سلمية" تفاديا لحدوث اشتباكات ومواجهات عنيفة.. وفي ذات الوقت انضمت إلى الجماهير مسيرة حاشدة قادمة من شارع الجلاء أغلبهم من الشباب والمثقفين والسياسيين الشرفاء يقودهم الأستاذ سعد عبود المحامي.. وبدا الوضع مقدمة لاشتباكات عنيفة لن تنتهي على خير.. وحاول مجموعة من الشباب

ترتيب عدة صفوف متزاحمة ومتراصة للاندفاع بقوة وسرعة مفاجئة مثل مجموعات الطليعة التي كان يستخدمها الإسكندر في كسر الجيوش، لاختراق قوات الأمن التي وقفت متمترسة في صفوف متعددة خلف بعضها منعا لاختراقها من قِبل المتظاهرين.. ونفذ الشباب خطتهم بشجاعة وافرة، وقوبلت المقدمة بالضرب والسحل والاعتقال، لكن الإصرار صنع التحدي فتمكن بعض الشباب من اختراق صفوف الأمن وشطرها إلى فرقتين، وما لبثت الجماهير أن اندفعت بقوة خلف هؤلاء الشباب مثل سد مأرب حينما كسره الفيضان نصفين وسال الماء بحرية في كل مكان.. وهكذا صاحت حشود الجماهير السائلة كما الفيضان تهتف بفرح" حرية.. حرية.. حرية..". وتمكنوا في دقائق معدودة من دخول ميدان التحرير بعد أن عرف جميع المتظاهرين كلمة سر اختراق الكردونات، "سلمية" بينما كانت قوات الأمن تنظر خلفها بحسرات على كبريائها الذي ذاب مع الفيضان.

<u>المشهد الثاني : في شارع قصر العيني</u>، أمام نقابة الأطباء " دار الحكمة "، <u>احتشد مجموعة من الناشطين والمثقفين</u>.. <u>وخلال دقائق تجمع الكثيرون حولهم</u>، من ضاحية جاردن سيتي وأخذت الأعداد تتزايد بسرعة؛ فلم تكن هذه المنطقة مرصودة أمنيا ولا كان متوقعا أن تتحرك منها مسيرات.. وكانت قوات الأمن التي كانت في غفلة عن هذه المنطقة الهادئة، وسرعان ما قامت بتطويق الحشد أمام دار الحكمة لقربها من مقر وزارة الداخلية، وأوقفت حركة السير بشارع قصر العيني مما أدى إلى توقف زيادة عدد المتظاهرين وقامت بحصارهم لتقيدهم ومنعهم من الوصول إلى ميدان التحرير.. ووقفوا يهتفون بهتافات متنوعة " عيش.. حرية.. عدالة إنسانية.. "" يا أهالينا انضموا لينا قبل بلدنا ما تغرق بينا ".

وكان بينهم الكثير من الشخصيات العامة؛ الشاعر الشاب عبد الرحمن يوسف، عضو الجمعية الوطنية للتغير والدكتور عمار علي حسن، والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح والكاتب المحترم بلال فضل وغيرهم.. وألقى بعضهم كلمات وخطب حماسية في المتظاهرين.. ولكن زاد الوضع جمودا مع تضييق الطوق الأمني وتوقف حركة سير المشاة والسيارات وأصبح بقاءهم بلا جدوى مهما كان عددهم فقرروا اختراق الحاجز الأمني بذات الطريقة تفاديا للاشتباك واستنزاف قوتهم وعددهم.. فاندفع بعضهم بقوة ، واندفع خلفهم الآخرون، وسقط بعضهم وأصيب بعضهم.. لكن الأغلبية تمكنت من اختراق النطاق الأمني وانطلقوا في شارع القصر العيني باتجاه ميدان التحرير، وقرب مجلس الوزراء ومجمع الوزارات والسفارات، قوبلوا بطوقٍ أمني يزيد عدده عن ألفي جندي، فوقفوا أمامهم يهتفون " سلمية.. سلمية ". لكن قوات الأمن تمكنت من تطويقهم ومحاصرتهم في مكان ضيق، فاحتشدوا في محطة بنزين

ورفضوا العودة ثانية وظلوا يهتفون قرابة الساعة حتى خرج أحد العاملين بالمحطة وأخبرهم أنهم يقفون فوق أكبر خزان وقود مما يمثل خطرا وربما كارثة.. وبعد مفاوضات مع ضباط الأمن، سُمح لهم بالمرور في شارع جانبي بضاحية جاردن سيتي وحتى شارع الكورنيش، ومنه توجهوا مباشرة إلى ميدان التحرير..وصلى المتظاهرون العصر بالميدان.

وفي ذات الوقت تجمعت حشود في ضاحية " عابدين " وتحركت المسيرة من ميدان عابدين باتجاه ميدان التحرير وتمكنت من كسر الحاجز الأمني بذات الطريقة في دقائق ودخلت الميدان. هذه الطريقة المتكررة في اختراق الحواجز الأمنية، من خلال اندفاع مجموعة من شباب المقدمة فجأة والقفز في وجه جنود الأمن واختراق صفوفهم وشقها نصفين في لمح البصر، هذه الطريقة كان متفقا عليها مسبقا بين الشباب في الحركات السياسية كآلية وتكتيك حركي لكسر واختراق الحواجز الأمنية ، ولذلك وجدناها يتكرر بنجاح في كافة المسيرات الاحتجاجية التي تحركت وفقا للتخطيط المرسوم ، عكس الحال في المظاهرات التي تحركت بطريقة ارتجالية.

المشهد الثالث: على طول كوبري أكتوبر، التحمت عدة مسيرات قادمة من مناطق شعبية بالجيزة وإمبابة وشبرا وغيرها.. كانت الحشود الهائلة في اتجاهها إلى ميدان التحرير عبر كوبري أكتوبر وميدان عبد المنعم رياض.. لكن قوات الأمن تمركزت بالآلاف من جنودها والعشرات من المصفحات ومضخات المياه وسيارات الإطفاء وغلقت جميع حارات الكوبري بالسيارات المصفحة والمتاريس وأمامها صفوف الجنود.. ومع تقدم المتظاهرين بدأت المواجهات والاشتباكات العنيفة بالعصيّ والهراوات والقنابل المسيلة للدموع.. فاتبع المتظاهرين أسلوب الكر والفر لإجهاد قوات الأمن.. وبعد فترات الهدوء يتقدم المتظاهرون فتحدث الاشتباكات فيعودون للخلف بعيدا عن الكثافة الدخانية ويستعدون للكر مرة أخرى مرتين صفوفهم الأولى والثانية والتي تليها.. لكنهم لم يتمكنوا من اختراق الكتلة الأمنية المزودة بالدروع والمصفحات وجنود الأمن المسلحين بالغباء والوفاء..

المشهد الرابع: مُنع المترو من الوقوف في محطات وسط البلد؛ في محاولة لمنع خروج المواطنين للمشاركة في مظاهرات يوم الغضب، حيث أصدرت الشركة المصرية لإدارة وتشغيل مترو الأنفاق تعليماتها بعدم وقوف قطارات المترو في محطات وسط البلد الأربع وهى حسنى مبارك، أحمد عرابي، جمال عبد الناصر، وأنور السادات، ليسمح للمواطنين بالنزول في محطة السيدة زينب بالإضافة إلى إغلاق أبواب المحطات أمام المواطنين.وفوجئ سائقو المترو بتعليمات صادرة من الإدارة بعدم الوقوف في محطات وسط القاهرة، وهو ما أثار استياء العشرات من المواطنين داخل عربات المترو لمنعهم من النزول في

محطاتهم، ورددوا شعارات ضد الحكومة، وحاول بعضهم جذب ذراع الأمان بالمترو في محاولة لإيقافه دون جدوى. وهو الأمر الذي أدى إلى تذمر المواطنين داخل عربات المترو، برغم محاولات قائدي القطارات تهدئتهم من خلال السماعات الداخلية إلا أن هتافاتهم تعالت داخل العربات التي تحولت إلى مظاهرة..

المشهد الخامس: في بيت الأسد.. في داخل ميدان التحرير نفسه تتراص قوات الأمن المركزي مانعة الجماهير من الوصول إليه فيتسرب إليه المتظاهرون فرادى من كل جانب ويرفضون مغادرته ويتلقون قنابل الغاز على أقدامهم..



وتتحرك مظاهرة حاشدة من ميدان التحرير إلى مقر الحزب الوطني على كورنيش النيل وتقف على أبوابه لتهتف " أحلف بسماها وترابها والحزب الوطني اللي خرابها" – " الحزب الوطني الديمقراطي.. عايز كل الشعب يطاطى "،" الحزب الوطني.. باااطل - فتحي سرور.. باااطل - مجلس شعب.. باااطل - مجلس وزرا.. باااطل - شلة حرامية.. باااطل "، ويكفي أن يهتف شخص برموز الفساد ليردد الجميع خلفه بحرارة.. باااطل.. باااطل.. ثم تتحرك المسيرة ذاتها إلى ماسبيرو من أسفل كبري أكتوبر تلتحم مع مجموعاتٍ قادمة من شارع يوليو وبولاق وغيرها، لتلتف حول ماسبيرو وتحاول اختراق بواباته وتحاصر المبني من الخارج.. الأمن يفشل في منع المتظاهرين من الوصول لمبنى اتحاد الإذاعة والتليفزيون، وعشرات من جنود الأمن المركزي يسمحون بمرور المتظاهرين من الكردون الأمني، وافترش المتظاهرون الطريق أمام الإذاعة والتليفزيون.. ويخرج وزير الإعلام الفاشل " أنس الفقي " ليطل على الجماهير الغاضبة من

شرفة مكتبه ساخرا من أحوالهم ليقول : " العيال دول عاوزين إيه". بينما هم يرددون بهتاف جماعي" شيلوا مبارك حطوا خروف ..يمكن يحكم بالمعروف ".. وحاول المتظاهرون دخول المبنى بعد تجاوزهم كافة الحواجز الأمنية، إلا أن قوات الشرطة لجأت لسد بوابة ماسبيرو بالجنود. وشارك في المظاهرة أيمن نور وعدد من قيادات حزب الوفد، رافعين أعلام أحزابهم، وسط نحو 4000 متظاهر. (المصري اليوم)

بمنطقة دار الكتب بميدان باب الخلق، المتظاهرون يحطمون عدد من اللافتات التي أنشأها أعضاء مجلس الشعب ووضعوا عليها صور الرئيس مبارك واللواء حبيب العادلي ويرددون هتافات تجاه أصحاب المنازل والمواطنين الذين ينظرون إليهم من الشرفات "ياللا ياللا يا أهالينا ياللا ياللا انضموا لينا .. يا أهالينا ليه ليه .. تونس أرجل منا في إيه؟ "

المشهد السادس: الإسكندرية [1]

الواحدة ظهرا ، وقف الشاب (محمد ، عضو حركة 6 إبريل) في أحد شوارع الإسكندرية، لم يكن في الشارع الخالي من المارة سواه، هو الخوف والقلق. تلفت حوله بحثا عن أي علامة تدل على وجود الشرطة، فلم يجد. بدأ في الاتصال بأرقام الهواتف العشر التي أعطيت له في وقت مبكر، تنفيذا لخطة وضعها التنظيم. ويقول«لم يكن عددنا أكثر من خمسة أشخاص، بدأنا الهتاف، وطوال 45 دقيقة على الأقل لم تكن هناك استجابة من الناس. وصلت قوات الشرطة وبدأت في تفريقنا، وحاولت إلقاء القبض على أحدنا». يتذكر عصام، الناشط في حركة 6 أبريل، أن الأمر بدا وكأن المظاهرة كانت ستنتهي، كالعادة، قبل أن تبدأ، برغم هذا الوضع، بدأ النشطاء في الحديث مع الناس.

قاد محمد مجموعته الصغيرة إلى نقطة التقاء، عرفها فقط قبل دقائق من المنسق الميداني سامح، الناشط الأكثر خبرة لمظاهرة العصافرة؛ والذي كان من المفترض أن يقود المسيرة، ويحدد مسارها وفق تقديره للمخاطر المحتملة. يذكر محمد: «بدأنا السير بين الناس الذين سألونا: هل هذه هي المظاهرة؟، وفي حدود الواحدة ظهرا بدأنا في الهتاف، حينها كنا نحو 15 أو 20 شخصا، لم يتجاوز عددنا 30 شخصا بأية حال».

1ـ تقرير بقلم؛ يوسف الشاذلي. بعنوان: أربعة مشاهد لـ 25 يناير في الإسكندرية: تاريخ مختصر للثورة المصرية
،https://www.madamasr.com/ar/2017/01/27/feature /amp

وعلى بُعد مسافة تتجاوز الكيلو متر، كان صديقهم يتأهب لقيادة مسيرة أخرى في منطقة أخرى بالعصافرة. في حدود الساعة الواحدة والنصف ظهرا، بدأ يدعو قيادات المجموعات التي كان عدد كل منها نحو 30 أو 40 شخصا. ونظرا لعلاقته الجيدة بشباب الإخوان المسلمين، قرر نحو 15 أو 20 منهم الانضمام إليه في المسيرة. يتذكر عبد الصمد: «بمجرد أن تحركنا، بدأ هتاف «يسقط حسني مبارك» يعلو، وبدأ المشاركون يطلقون هتافاتهم الخاصة، التي لم يعدها أحد، حتى نحن؛ منسقو المسيرة».

انتشروا بين البسطاء.. سألوهم: «فاكرين اللحمة؟ عارفين بقت بكام النهارده؟ طيب العدس بقى بكام؟ تقدروا تشتروا أي حاجة من دي لعيالكم؟»، عقب تلك النقاشات بدأوا في ترديد هتافات ركزت على قضايا اجتماعية واقتصادية بدلا من تلك التي تعلقت بقضايا سياسية مثل المطالبة بانتخابات نزيهة أو إصلاح دستوري. بدأ الناس في السوق يتفاعلون معهم.. ولحسن حظ هؤلاء الشباب، في تلك اللحظة تحديدا وصلت مسيرة أخرى من خلف قوات الأمن المركزي. ويحكي عبد الصمد: «وصولنا أربكهم؛ بدأ الضباط يتحدثون إلينا بطريقة مهذبة، ويقولون إننا يمكننا الاعتصام، ولكن لا يمكننا الخروج من موقعنا.وفجأة، أصبحنا ألفي شخص، تغيرت نبرة رجال الشرطة، وبدأوا في التفاوض معنا، قالوا لنا: لا تخرجوا من الشارع، ولكن القرار وقتها لم يعد لنا، كان الناس هم من يقررون» وما زاد النشطاء ذهولا أن المظاهرات بدأت تندلع، وبدأوا هم يواجهون صعوبة أكبر في مواكبتها https://youtu.be/lizYPXaqay8.. وبازدياد رقعة التظاهرات، حاول سامح ومحمد والآخرون الاستمرار في السيطرة على الحشود المتحمسة، كان سامح يعتلي أكتاف ناشط آخر، واضعا علم مصر على رأسه، كان يصيح بأعلى صوته، محاولا أن يعطي المتظاهرين إرشادات: «ما تخبطوش على أي عربية تعدي، ولا تقفوا عليها، ما تتلفوش أي ممتلكات، إحنا ناس محترمين، إحنا شعب محترم».

وبينما تتقدم المسيرة في متاهات حي أبو خروف، وأناس أكثر ينضمون لها، اقترب ضابط برتبة كبيرة من قادتها الذين كانوا يقودون الهتاف، وقال لهم: «لا تخرجوا من هنا، ابقوا (في الأزقة)، هذا من أجل سلامتكم»، يقول سامح، ويعلق: «قطعا لم يكن الأمر متعلقا بسلامتنا.. الحقيقة أنه لم يكن يعرف كيف يتصرف معنا. كانت الأعداد ضخمة للغاية، ما اضطره لأن يكون مُهذبا».

ومع ذلك، حتى تلك اللحظة، كان المنظمون يشعرون أن الأعداد لا تزال غير كافية، فتجمعوا وعادوا يمرون داخل الحي لجمع المزيد من المتظاهرين. حينها أصبحت الأعداد كبيرة فعلا. يتذكر

محمد: «شعرنا أن الضابط كان خائفا، وكأن آلاف الأسئلة تدور برأسه: من أين أتى كل هؤلاء الناس؟ وماذا سنفعل معهم؟». هذه المرة، حين حاول الضابط إقناعهم بالبقاء داخل الأزقة، ببساطة لوح سامح بازدراء في وجه الضابط المذهول، وتدفق الحشد في الشارع الرئيسي.

يستطرد محمد: «وصلنا إلى الشارع الرئيسي، وعندها رأينا الأعداد لأول مرة.. كانت الأعداد ضخمة، انهمرت الدموع من عيوننا، لا إراديا، لرؤية هذا المشهد». في تلك الدقائق الأولى القليلة بعد دخول الشارع الرئيسي، أعاد النشطاء تقييم الموقف. بدأوا في ملاحظة ما يحيطهم محاولين الوصول لدلالات؛كان المواطنون الأكبر سنا يحيونهم ويلوحون بعلامات النصر من الشرفات، وبائع متجول يهتف، مستخدما مكبر الصوت الخاص به: «يسقط يسقط حسني مبارك»، والناس ينزلون من المباني السكنية لينضموا إلى المسيرة، التي تنضم لها مسيرات أخرى.

يتذكر محمد: «حاولنا إبطاء سرعة المسيرة لنشرح لهم ما حدث. وأخبرناهم أن شبابنا تعرض لهجوم من جانب الشرطة في سيدي جابر، وسألنا ماذا يجب أن نفعل. كان القرار النهائي ساعتها هو قرار الناس. كانت مهمتنا قد انتهت إلي حد ما. صاح أحد الشباب أنه يجب على المحتجين أن يذهبوا و يضربوا الشرطة. بدا أنهم لم يعودوا يخافون بعد الآن».

«كان المشهد مؤثرا. كان الناس هم من يهتفون وليس النشطاء. كان الناس هم من يقودون المسيرات».

يقول عبد الصمد: «عند تلك النقطة لم نكن نعلم ماذا يجري على الجانب الآخر، في وسط المدينة. لم نكن نتواصل معهم». فهموا من الأخبار المفزعة التي وصلتهم أن هناك مصادمات في منطقة سيدي جابر. ما جعلها تصبح وجهة منطقية لهم. قرر آخرون التوجه إلى مبنى المحافظة، «لأنه المكان الذي يمثل الدولة في الإسكندرية».

ويستطرد: «كانت الأعداد مذهلة، لا تصدق. كنا نتبادل التهنئة، وكأننا حققنا النصر بالفعل. ولكن ماذا نفعل الآن؟ اتصلنا بأصدقائنا من حركة 6 أبريل الذين تحركوا من شبرا في القاهرة، واتصلت بغرفة عمليات حركة 6 أبريل، قالوا لي: تصرف وفق تقديرك، أنت المتواجد على الأرض.. واصلنا السير دون أن نعرف إلى أين نتجه، كان الناس يسألونني، إلى أين نتوجه الآن؟ فيما تركت غرفة العمليات كل شيء في يدي، فقط أعلموني أن هناك مسيرة خلفنا ومسيرة أخرى أمامنا. كان الناس

يقترحون أماكن لنتوجه نحوها، واتفقوا على الذهاب إلى مبنى المحافظة. كان على مسافة بعيدة للغاية، ولكن لسان حالنا كان: ليه لأ؟».

المشهد السابع: في توقيت متزامن، ساحة مكتبة الإسكندرية تمتلئ عن آخرها بقوات الأمن المركزي، مرصوصة بنظام دقيق مثل رقعة الشطرنج، وفي شارع كورنيش البحر تعبر حشود هائلة من الشباب تتعدد هتافاتها معبرة عن غضبها ومطالبها في الآن ذاته، وحين تقترب من تكتلات قوات الأمن تهتف " سلمية.. سلمية". حشود الشباب الغاضب تواصل سيرها وهتافها حتى تظهر مئذنة مسجد القائد إبراهيم وتتجمع الآلاف حولها، البعض يهتف والبعض يقف للمشاهدة وربما تضامن بقلبه وإن لم ينطق بذلك لسانه.. والكثيرون يتساءلون عما سنفعل وأين سنتجه بعد.. أم أن القائد إبراهيم هو المحطة الأخيرة.. وخلال دقائق يتزايد العدد كثيرا رغم كثافة قوات الأمن المتراصة من كل جانب..

ويتحرك المتظاهرون إلى محطة الرمل حيث تقف أعلى مجموعة من العمائر والأبراج صور ولافتات كبيرة تمثل رؤوس الحزب الحاكم.. استفزت مشاعر الشباب لكثرتها، فليست هناك لوحات وصور واضحة وظاهرة إلا لجمال مبارك وحسنى مبارك والحزب الحاكم.. ورغم ارتفاعها ، فقد صعد إليها مجموعة من الشباب وقاموا بتكسير زجاجها وإنزال اللوحات الجلدية التي تحمل صور الرئيس ووريثه الشرعي ليتم حرقها أمام الجميع من المتظاهرين وضباط وجنود الأمن ولم يجرؤ أحدهم على التعليق..



ومجموعة أخرى صعدت أعلى محطة الرمل وأنزلت اللافتات واللوحات ذاتها ليأخذ الجميع فرصته بركلها ودهسها بالأقدام وحرقها في نهاية المطاف.. وكل ذلك يحدث أمام أعين قيادات الأمن والشرطة ودون تعليق.. إذ كانت خطتهم ترتكز على امتصاص الغضب وعدم التعرض للمتظاهرين مهما فعلوا، بل والتظاهر بحراستهم.. مشهد لم يحدث قط في تاريخ مصر.. إذ كانت الحكومة تتوقع أن عدم التعرض للمتظاهرين بالعنف كالمعتاد سيعطيهم الفرصة لإخراج ما في نفوسهم من غضب، ساعة أو ساعتين ثم ينصرفوا إلى منازلهم وينتهي الأمر، وأن التعرض لهم بالعنف سيولد انتفاضه كما حدث في تونس، وهو ما لا يتمنوه أن يحدث في مصر.. كما كانوا يصرخون دائما بأن مصر ليست تونس، فمصر بها الأمن والاستقرار والاقتصاد والرفاء لدرجة أن أحد أعضاء العصابة الحاكمة " أحمد عز " كان يحسب معدلات الرخاء في مصر بحصر عدد أجهزة التكييف التي تدخل الجمارك كل عام، دون أن يلتفت إلى حقيقة أن أجهزة التكييف هذه تتركز في مكاتب ومساكن فئة محددة حصرا من الشعب الذي انقسم إلى طبقة أرستقراطية وطبقة مطحونة، ولم يهتز مسئول لما حدث في تونس، ولا يتحدثون أبدا عن القمع السياسي والقهر وملفات أمن الدولة السوداء..

وفي ذات الوقت كانت مسيرات حاشدة قد تجمعت في محطة سيدي جابر ومحطة قطارات مصر وميدان الجندي المجهول بالمنشية بالإضافة إلى الزيادة المستمرة في الأعداد المحتشدة في القائد إبراهيم ومحطة الرمل..ملحمة عظيمة تشهدها الإسكندرية للمرة الأولى في تاريخها العريق.. الآلاف من البشر تحتشد من قلعة قايتباي مرورا بمسجد المرسي أبو العباس وميدان الجندي المجهول بالمنشية ومحطة الرمل وساحة القائد إبراهيم وصولا إلى ساحة مكتبة الإسكندرية.. مرورا بشارع كورنيش البحر وعبورا لكوبري استانلي وحتى عمق البلد.. الآلاف تلتحم وتحتضن البحر والميناء في مشهد أسطوري لن تمحوه ذاكرة القمع..

المشهد الثامن: السويس

قبيل الظهر تجمعت أعداد كبيرة من الشباب في ميدان الإسعاف يتقدمها رموز سياسية، يهتفون "شوفوا تونس العفية.. عملت ثورة مية المية.. عملت ثورة ليها وليا.. طردت أكبر فاسد فيها.. واحنا الظلم عليك وعليا.. امتى يا شعب هتغضب مرة.. لأجل ما يهرب الحرمية.. ثورة في تونس بكرة في مصر.. ثورة في كل شوارع مصر".

المتظاهرين هموا بالخروج قاصدين ديوان عام المحافظة، باعتباره رمزا للدولة والفساد الذي انتشر بصورة كبيرة في السويس؛ لكن القوات اعترضتهم، وأخبرهم أحد القيادات الأمنية أنه ليس مسموحا لهم الخروج من الميدان. لكن قوات الأمن زادت من حصارهم والتضييق عليهم، ومع المحاولات المتكررة للخروج من نقطة ضعيفة بالسياج البشري يمين الميدان، سقطت أرغفة الخبز على عربة لبائع، ودون قصد دهس العساكر الخبز، فثار الشاب، لضياع مصدر رزقه، فاعتذر له مدير الأمن وأعطاه ثمن الخبز الذي فسد.. ثم أعاد المتظاهرين المشهد مرة أخرى، وحاولوا الخروج، لكن في هذه المرة، سقطت كل رفوف الخبز، وأصبح تحت الأقدام، فثار الشاب وعبر عن غضبه، وبدأ في رشق القوات بالحجارة بشكل عشوائي، وشارك عدد من المتظاهرين وشاعت حالة من الفوضى، ثم فجأة غطى الغاز المسيل للدموع الميدان..

بدأ شباب الثورة يحفزون المتوقفين على الأرصفة لدخول الميدان والمشاركة في الميدان، وبدأت التظاهرة بعد الرابعة عصرا تكبر شيئا فشيئا ، وهم يهتفون: " أزمة مصر في النظام.. مش في مشاكل واعتصام.. أزمة في صحة وفى التعليم.. والتعلم بقى صعب عليا.. غلوا السكر غلوا الزيت حتى الفول والنور والمية"..

يقول محمد وليد، حتى فوجئنا في لحظة ما بقيام أحد الأشخاص بجلب دلو من البنزين وسكبه على نفسه مثل المواطن التونسي محمد البوعزيزى، لكن المتظاهرين أنقذوه من أن يشعل النار في نفسه. وكان ذلك المشهد فارقا مع الجميع، وبدا واضحا أن السويس سيكون لها وضعا مختلفا في الثورة، وبعد محاولة الشاب البائس، أخذت الأعداد في الزيادة بشكل أكبر، وقرر المتظاهرون التحرك في مسيرة إلى ديوان عام المحافظة. وقرار تحرك التظاهره في ذلك الوقت كان مهما جدا؛ لأنه طوال الفترة التي سبقت الثورة، وخلال التظاهرات التي كانت تخرج احتجاجا على الأحداث المحلية والعربية لم تسمح قوات الأمن بالتحرك في مسيرة، وكان من الصعب أن تخرج التظاهرات إلى شوارع السويس، لكن في هذه اللحظة جاء قرار الخروج والتحرك لديوان المحافظة، والذي مثل انتصار الإرادة الشعبية على إرادة الأمن في كسر تحرك التظاهرات. (البوابة نيوز)

بينما شوارع السويس تشتعل بالمظاهرات.. المدينة الباسلة استيقظت مبكرا كعادتها، وزحفت المسيرات بعشرات الآلاف.. ولم تهدأ الإسماعيلية على الخط كذلك.. البحيرة، وكفر الشيخ والمنصورة.. محافظة الغربية..المحلة الكبرى..طنطا.. انتشرت بؤر ساخنة في العديد من محافظات الجمهورية..

المشهد التاسع:

" احتشد مئات البدو بقرية المهدية جنوب رفح، وأشعلوا الحرائق وأطلقوا النار في الهواء مطالبين الحكومة بالإفراج عن أبنائهم المعتقلين وإسقاط الأحكام الغيابية الصادرة ضدهم، بالإضافة إلى مطالب أخرى عديدة تتعلق بالتنمية والأمن. واستقل المتظاهرون عشرات السيارات "نصف نقل" وطافوا قرى مدينتي رفح والشيخ زويد، كما تظاهر عشرات السيدات من أمهات المعتقلين، واعتصمن أمام مقر قسم شرطة الشيخ زويد. و رفعت قوات حفظ السلام حالة الاستنفار الأمني بعد ورود معلومات عن نية المتظاهرين الاعتصام أمام مقرها في الشيخ زويد، ومنعت القوات أي ضابط أو عامل من الخروج من المعسكر تحسبا لأي صدام مع المتظاهرين. وشهدت مدينة العريش كذلك احتجاجات، حيث تظاهر مجموعة حزبي الوفد والكرامة، رافعين لافتات مكتوب عليها: "وقف الخلق ينظرون جميعا كيف يجوع المصريون".

****

وصلات خارجية

1. **محطة الرمل الإسكندرية - 25 يناير** 20111

   https://www.youtube.com/watch?v=GXXmp_ToDmE

2. **25يناير** 2011 **- إسكندرية - أولي فعاليات ثورة مصر**

   https://www.youtube.com/watch?v=rDKkoYsiHYM



(3)

" إذاعة التغيير من ميدان التحرير "

مساء الثلاثاء 25 يناير

تحركت الجماهير من ميدان الجلاء مرورا بدار الأوبرا إلى ميدان سعد زغلول حيث تتراص الحواجز الأمنية خلف بعضها بامتداد كوبري قصر النيل وحتى جامعة الدول العربية تتخللها المصفحات ومضخات المياه وخزانات المطافي وسيارات الإسعاف.. وفي الجهة المقابلة تتزاحم الجماهير الغاضبة بامتداد شارع التحرير، وتنضم إليها مجموعات أخرى من كافة الجهات.. كانت الأعداد قد فاقت العشرة آلاف، تقف على مرمى حجر من كوبري قصر النيل وهو البوابة الرئيسية لميدان التحرير وقد غُص بالآلاف من قوات الأمن.. وتحول الهواء إلى غازات خانقة، لا يكاد أحد يرى خلالها الأفق، بل لا يكاد البعض يفتح عينه أو يلامس وجهه من كثرة ما تعرض له من غازات حارقة، ومن كثافة ما علق منها بالهواء وترسب على أرض الطريق وحتى تشبعت به الملابس المبللة بالمياه من شدة المواجهات التي دارت خلال الساعات الماضية، حتى صار مجرد البقاء والصمود في هذا الجو تحديا ولا يحتمل الأمر مزيدا من العنف.. ومع ذلك فقد تمكنت المسيرة بحول الله وقوته من اختراق الحواجز الأمنية في ميدان سعد زغلول لتضع أقدامها على عتبات كوبري قصر النيل وترفع الأعلام على أسدا قصر النيل.. ثم تتوالى انكسارات الحواجز الأمنية أمامها منسحبة بهدوء إلى شارع الكورنيش فاتحة الطريق حتى عبر الجميع..

وما كادت المسيرة تصل جامعة الدول العربية، لتجد الميدان قد غُص برؤوس البشر والجميع يهتف " الشعب يريد إسقاط النظام".. ثم أصبحت هذه الجملة شعارا للثورة. وكان أغلب الشباب الموجودين في الميدان في هذا الوقت هو شباب الطبقة العليا الذين تبدو عليهم ملامح الرفاهية إلى حد كبير.. وبدأت قوات الأمن في الانسحاب من الميدان تجاه مقر الوزارة ولاحقهم المتظاهرون..وبدأت عملية التنسيق بين شباب الحركات السياسية الذين تجمعوا من كل حدب وصب، وكانوا قد قسموا أنفسهم مجوعات انتشرت في أحياء العاصمة وتوزعت على ثمانية عشر نقطة لتحريك المسيرات باتجاه ميدان التحرير، نجح أغلبهم في اختراق الحواجز الأمنية بعدما استجاب الشعب بدرجة لم تكن متوقعة، وصار الناس هم من يقودون المسيرات لا النشطاء.

يقول" محمد عباس" عضو ائتلاف الثورة: العمارة رقم 13 وحديقة الميدان أمامها كانت هي مقر التجمع كل ساعة كما اتفق الشباب من كل الحركات الثورية لأن الاتصالات تم التشويش عليها في

ميدان التحرير ولم يكن هناك حل إلا أن نحدد موعدا للاجتماع كل ساعة في الحديقة لبحث الحالة، وأول اجتماع تم كان الساعة 3 بعد العصر وكان من بين الحضور بالإضافة للشباب الداعين للثورة «إبراهيم عيسى، أسامة الغزالي حرب، كمال أبوعيطة، و نوارة نجم» أما جماعة الإخوان،فلم يحضر أحد.. وبدأ الشباب في إعداد بيان الثورة وتنظيم عملية الاعتصام وتوفير مواد الإعاشة اللازمة وغيرها..

وفي هذا التوقيت رفع حسن عبد الرحمن مدير جهاز أمن الدولة تقريره الثالث«مسير 3» أورد أن المتظاهرين في القاهرة «تمكنوا من دخول ميدان التحرير بعدد 5 آلاف شخص، وأن 150 آخرين أمام نقابة الأطباء و500 أمام مقر جامعة الدول العربية، وأن قوات الأمن تمكنت من تفريق المتظاهرين أمام دار القضاء بعد القبض على 70 منهم، وأن كمال أبوعيطة يخطب في المتظاهرين بميدان التحرير مطالبا باستقالة القيادة السياسية وإقالة وزير الداخلية وحل مجلس الشعب وتشكيل حكومة ائتلاف وطني ويؤكد أن المتظاهرين سيعتصمون لحين تنفيذ تلك المطالب في حين وجد الصحفي الإثارى إبراهيم عيسى، رئيس تحرير جريدة الدستور سابقا، بين المتظاهرين وأنه ينسق مع العناصر الإثارية لصياغة بيان آخر للمطالبة بتنحي القيادة السياسية، وأن المتظاهرين يعلقون صورة مسيئة تتضمن رسما متجاوزا على أحد أعمدة الإنارة للقيادة السياسية معلق بحبل مشنقة»[1].

كان لهذا الهتاف "الشعب يريد إسقاط النظام" وقع شديد ومؤثر على أسماع الجماهير.. هذا الهتاف الجريء من جماهير الشعب الغاضبة في ميدان التحرير.. لأنه مهما هتف المناضلون والمعارضون بسقوط النظام أو حتى إعدامه، فإذا لم تكن هناك صحوة جماهيرية في أوساط الشعب، فلن تكون هناك نتيجة حتى وإن سقط النظام وتغير، فسيأتي نظام جديد ليمارس قمعه على طريقته، فما معنى أن تعيش وسط شعبٍ مازوخي خضوعي حتى وإن كان رئيسه ديمقراطي؟ فصحوة الجماهير هي التي تبنى الأوطان.. وشعرت لأول مرة بأن هذا الوطن ملك الشعب وليس العصابة الحاكمة، وكأن الشعب يبحث عن حقه في تقرير المصير للمرة الأولى ويختار قيادته بنفسه دون ضغوط أو فروض عليه بعدما تمكن من كسر قيده.. وكانت عبارة " إسقاط النظام " توحي بأن كل مواطن أصبح من حقه أن يختار سيده على هواه، وليس الأمر متعلقا بشخص حسني مبارك، وإنما سقوط منصب الحاكم في يد الشعب

1ـ تقرير منشور بموقع "الوطن" بتاريخ الاثنين 25ـ05ـ2015 11:24 AM بقلم "الوليد إسماعيل"

لمحاسبته وقتما شاء.. فنحن جيل ولدنا وعشنا في عهد مبارك، ولم نعرف في حياتنا سوى الاستبداد والقمع وتكميم الأفواه.. فالأمر أشبه بقضية الخلع عندما أثيرت أول مرة في أروقة المحاكم..وكان الجميع يتساءل في استغراب، هل المرأة من حقها الخلع؟ أم أن الرجل وحده من حقه الطلاق بالثلاثة وقتما شاء؟ حتى وإن تحولت الحياة الأسرية إلى عبودية زوجية كما رواها لنا نجيب محفوظ في ثلاثيته ممثلة في شخصية (سي السيد والست أمينة)؟.

الحقيقة أن هتاف " الشعب يريد إسقاط النظام " ما هو إلا جزء ومرحلة نوعية من الهتاف الرئيس للشباب " تغيير.. حرية.. عدالة اجتماعية "؛ لأن التغيير بطبيعة الحال يشمل إسقاط النظام والحلول محله بنظام جديد، وهذا النظام وفقا لمفهوم التغيير لا يقتصر على خلع رئيس ووضع آخر مكانه، وإلا ظللنا ندور مثل الثور معصوب العينين حول الساقية في ذات الحلقة التي دار فيها أجدادنا..

والفرق بين تغيير النظام وإسقاط النظام؛ أن تغيير النظام لا بد أن يسبقه تغيير للعقلية الجمعية للشعب، أما الإسقاط وحده فهو غير كافٍ للتغيير، فقد سقط خورشيد في مطلع القرن التاسع عشر وجاء الباشا محمد على حاكما فردا منفصلا عن الشعب، حتى أنه لا يجيد التحدث باللغة العربية، وهي لغة الشعب، بل ظل أولاده جميعا لا يتحدثون العربية وحتى أحفاده أيضا، إلا الأمير أحد فؤاد الأول الذي كان يتلعثم في التحدث بالعربية حينما تم ندبه ليكون ملكا على مصر (الملك فؤاد الأول).. فقد تغير الحاكم ولم يتغير معه الشعب، ولذلك بمجرد انتهاء شخص الباشا محمد علي عام 1848م توقفت حركة النهضة المصرية التي بدأها؛ لأنها كانت نهضة شخص وليست نهضة شعب، فهو بمفرده الذي قرر القفز على السلطة بإثارة الموظفين والجند ضد الوالي بحجة تأخر رواتبهم، وكان محمد علي قائدا لفرقة الجند العثمانية التي حضرت لمصر، وسعى لتثوير الشعب ضدا لوالي، واستقطب مشايخ الأزهر ومن بينهم عمر مكرم والشيخ الشرقاوي، سحرهم بحيلته ليلتفوا حوله، واستخدم الشعب المصري ألعوبة في يده لإثارته على الحاكم ليصبح محمد علي هو الحل الوحيد المطروح على الساحة، وهو البطل القومي في نظرهم دون أن يدرك الشعب هذه الحيلة، ودون أن يدرك الشعب المصري أن محمد علي هو من جاء بخورشيد حاكما على مصر في مسرحية تمهيدية لحلمه الطويل، فهو الذي أوعز للخليفة العثماني تعيين خورشيد واليا على مصر، ثم أشعل الفتن حوله حتى سقط، وأوعز إلى الخليفة للمرة الثانية تعيين البرديسي واليا على مصر بعدما أسقط خورشيد، وأشعل الفتن حوله مجددا حتى سقط وبقي محمد علي هو البطل الأوحد والحاكم العسكري المفضل لدى الشعب.

ومن طبيعة الشعب المصري أنه يعشق الاحتفال بالأبطال القوميين لا أن يكون الشعب نفسه البطل، اعتاد أن يكتب التاريخ نقلا عن السياسيين لا أن يكتب الشعب تاريخه بنفسه، ولما اكتملت الحيلة على الشعب المصري واعتلى محمد على القلعة، بدأ حكمه بمصادرة الجمعيات الأهلية والمؤسسات الخيرية وأموال الأوقاف الخاصة بنفقات المساجد و الأزهر كي يعجز الناطقين باسم الشعب عن التحدث، وقام بتجفيف منابع أرزاقهم، برغم أنه لم يجرؤ أحد من قبل ولا حتى الاحتلال الفرنسي على الاقتراب من الأوقاف خوفا من غضب الشعب، وعندما اعترضوا على ذلك قال لهم: "اعقدوا المجالس وأطلقوا التحذيرات كما تشاءون، سأصغي لها بكل اهتمام ولن أدع مناسبة تمر دون أن أرضيكم، لكني لن أسمح بأي مظاهرة شعبية، ولن أرضى بأي تحريض على التمرد أو إثارة الاضطراب الشعبي أيا كان مصدرها، من جهة أخرى فأنا لا أخاف مطلقا من هذه المظاهر العابثة، فإذا ما قام الشعب بالتمرد مثلما تقولون فلا أملك إلا السيف والانتقام". الجبرتي..

واتسمت سياسيات وتحركات محمد علي بشعار: أنا ومن بعدي الطوفان. تحالف محمد علي مع ألد أعدائه– المماليك- حين كان في تحالفه معهم مصلحة له، وخان أصدقاءه –مشايخ الأزهر- حين كان في خيانته لهم مصلحة له، وجرى كل ذلك بأريحية تامة. انقلب على من عاونوه في الوصول إلى القلعة؛ لأنهم في الحقيقة لم يساعدوه في اعتلاء السلطة وإنما استخدمهم هو في تنفيذ حيله الرديئة، حتى وإن أقنعنا خبراء التعليم والمناهج بغير ذلك، فهم كاذبون ملعونون من جموع الشعب؛ لأنهم يزيفون التاريخ ويخلقون منه بطولاتٍ وهمية وشخصيات أسطورية لا وجود لها في الواقع، مثل شخصية صلاح الدين الأيوبي التي عشقها المصريون فقط في صورة الممثل أحمد مظهر في فلم الناصر صلاح الدين، دون أن تكون هناك أي علاقة حقيقية بين أحداث الفلم وحقيقة صلاح الدين في كتب التاريخ، فالمصريون عادة يعشقون الالتفاف حول البطل.

وحينما وقفت دبابات عبد الناصر تعزف ألحان الوطنية في ميدان التحرير عام 1952، كانت بحاجة ماسة إلى ظهير شعبي ينصت لألحانها الوطنية، فجند خبراء المناهج والتعليم لصياغة شخصيات أسطورية ودسها في عقول الشعب كي تنمو وتزدهر، بشرط أن تدور حول سيناريو درامي لشخصية عسكرية غيرت مجرى التاريخ، ومن هنا اصطبغت كتب التعليم ومناهج التاريخ بالصبغة العسكرية حتى أصبحت كالأبطال وكل البطولات وكل الإنجازات في تاريخ الشعب ذات طابع عسكري أو بقيادة عسكري، وما كان مدنيا أو سياسيا يتم اختزاله وتقزيم دوره في التاريخ حتى يتلاشى، فلم تعد في حياتنا فكرة الإنجازات الوطنية لنحتفل بها، فقط بطولات عسكرية، فلم تظهر

في كتب التاريخ شخصية ذات دور مرحلي في حياة الشعب إلا وكانت الخلفية العسكرية أساسها، حتى أن حسني مبارك لم يجد وسيلة للدعايا لنفسه في الانتخابات إلا بلقطات الحرب والبطولات وتزوير صور القادة العسكريين ليدس نفسه بينهم، كي يوهم الشعب بأنه قائدا منهم.. ومن هنا وجدت أجيال الشعب هوسا في نفوسها للاحتفاء بشخصيات وهمية أسطورية تشكل حكم الرجل الواحد.

ولأن الشعب المصري على مدار قرون طويلة منذ انهيار الحضارة الفرعونية ودخول الهكسوس لم يسع إلى التغيير ولم يفكر في إدارة مقدرات بلاده بنفسه، ولذلك استمر حكم الرجل الواحد، حتى أننا نجد عصر النهضة الحديثة مرتبطة فقط بعهد محمد علي، فمحمد علي هو الذي سعى إلى السلطة وقام بتأليب الجند والموظفين والأعيان على الحاكم، ثم بمجرد أن قبض على مقاليد السلطة قام بالتخلص منهم فورا، ومحمد على هو الذي بادر بإرسال البعثات للخارج وأمر بإنشاء المطابع الأميرية في بولاق وتنشيط حركة الترجمة، وأمر بإنشاء المشروعات وحفر الترع وإقامة الجسور والقناطر ومد خطوط السكك الحديدية، وأمر بتأسيس جيش مصري وإنشاء مصانع للسلاح والذخيرة..إلخ. هذه الحركة النهضوية كانت بجهود شخص الحاكم بمفرده وتعبيرا عن أحلامه وطموحاته في بناء مملكة عظيمة له ولأولاده ، ولم توازيها حركة شعبية مقابلة على مستوى الوعي في العقلية الجمعية للشعب المصري، فظل المصري حافي القدمين.

بل كان الشعب المصري حتى المثقفين منه ينتظرون أن يأتيهم الحاكم المخلص البطل، ولم يفكروا هم أنفسهم في صناعة هذا الحاكم على يدهم.. بل أن محمد علي باشا نفسه كان مدركا لهذه النفسية المازوخية المتغلغلة في طبائع الشعب المصري وقتها، حتى أنه عندما أراد إصدار منظومة تشريعية جديدة استثنى تطبيقها على الفلاحين وهم أغلبية الشعب المصري وقتها بحكم أنهم لا يسعون إلى العدالة وتطبيق القوانين والنظام (برغم كونها جاءت وفقا للشريعة الإسلامية ومجلة الأحكام العدلية السائدة في تركيا على المذهب الحنفي) لأن المصريين كما فهم الباشا وقتها يقدسون ماضيهم ويحتفلون بتقاليدهم وتراثهم أكثر من حاضرهم ويتبعون كبار السن بدلا من عقولهم، ومن ثم وجبت الطاعة والتوقير والتبجيل والخضوع لأوامرهم، حتى وإن خالفت القانون، فلا قانون يسود مع عرف المجتمع. ومن هنا ظلت ثقافة المجتمع موروثة وليست متجددة، فتوقفت حركة النهضة عند حدود تركة الباشا بمجرد رحيله.. لأن النهضة والحضارة لا تأتي إلا بحركة جماهيرية، أي حركة في العقل الجمعي للشعب، وثورة جمعية على الفساد ونية وإرادة عازمة على البناء.. على

كل حال، تنتهي الأحداث وتبقى الدروس.. والبشر العقلاء هم من يتعلمون من الأحداث ويفهمون الدروس ويدركون العبر منها، أما ما سوى البشر فلا يعي معنى الدروس..

دعونا نعود إلى عصرنا في يوم الغضب.. عصر الثلاثاء 25 يناير في ميدان التحرير.. حيث كانت الأحداث تتجلى في محيط الميدان عقب غروب الشمس لتقول لنا أنها ليست مجرد مظاهرات غاضبة بل هي الانتفاضة.. كانت الجموع رهيبة، بعدما تمكنت من كسر الحصار الأمني المشدد في محيط الميدان واختراق حواجزه خلال ساعات وعلى دفعات متتابعة.. ولم يكن أحد يتوقع أن تخرج كل هذه الأعداد لتتجمع في مكانٍ واحدٍ حول هدف واحدٍ وتهتف بهتافٍ موحد.. كان الأمر مهيبا وكأننا في يوم الحشر، فلا يُرى سوى سواد الرؤوس واللافتات والهتافات والأعلام التي ظهرت بكثافة والهتافات تصدح في الميدان..

عندما اقتربت الساعة من السادسة مساءا، اصطفت جموع الشباب للصلاة، والأطفال والفتيات يتجولون وسط الميدان حاملين زجاجات المياه للوضوء.. ولم نكن نختم صلاتنا حتى أغرقتنا القنابل بدخانها الخانق، المسيّل للدموع والدماء معا.. ربما صدرت الأوامر لقوات الأمن فجأة بفض اعتصامنا في الميدان الذي يمثل قوة الضغط على عنق النظام.. فبدأت قوات الأمن تتقدم في شارع قصر العيني وأمطرت المعتصمين بوابل من القنابل تسقط بالمئات وسط الميدان وبمجرد سقوطها تشكّل حولها دائرة فارغة من البشر لتنفس دخانها، وربما امتدت إليها يد شابٍ شجاع ليحملها ويعيدها إلى قوات الأمن فيتبادلها الجنود ركلا بالأقدام.. كانوا يطلقونها بكثافة وهم واقفون مثل الأصنام والشباب يتلقون ضرباتهم بشجاعة وحماس ونملأ الميدان حركة ومرحا وهتاف.. والفتيات والسيدات وأطفالهن تحلقوا في جنبات الميدان وحول كعكته الخضراء العتيقة.. والشجعان شكلوا الصفوف الأولى بمواجهة قوات الأمن بمدخل شارع قصر العيني ما بين مجمع التحرير والجامعة الأمريكية.. وكثيرون شكلوا فرقا للخدمة.. مجموعة تبحث عن حواجز ومتاريس وألواح معدنية أو خشبية ليتمكن الشباب من التصدي لضربات الأمن.. وآخرون يسعون في إسعاف الجرحى والمصابين بالإغماء والاختناق.. ومجموعات تتجول حاملة بعض الإسعافات الأولية.. زجاجات مياه والبيبسي والعصائر وزجاجات الخل.. كمامات الوجه والمناديل المبللة بالخل.. واستمرت الاشتباكات إلى أن أخذوا هدنة مع نفسهم..

كانت جموع الجماهير المعتصمة في الميدان لا يربطهم رابط سوى الإيمان بالله والوطن ولا ينتمون لأي حركات أو تيارات سياسية.. الجميع في تلاحم وتضامن.. شباب وشيوخ وأطفال، سيدات وفتيات.. أقباط ومسلمين.. شباب الجامعات المصرية وخريجي الجامعات الأجنبية.. الشعب المصري بجميع فئاته

وطبقاته ممثلا في هذا الميدان والغالبية العظمى ليس لديها خبرة سياسية وهذا ما صعب من عملية التواصل ومعرفة مغذى الاعتصام في الميدان، هل هو مجرد الاحتفال بكسر القيود الأمنية؟ أم الانتظار حتى تستجيب الحكومة لمطالبنا؟.. الكثيرون يسألون عما سنفعل بعد.. وهل سنظل هنا أم سنأتي في الصباح.. وهكذا أسئلة من هذا القبيل.. ولم يكن خطاب الثورة قد وجد صداه بعد ليعلن عن بياناته ومبادئه التي ستتوحد تحتها الجماهير.. وظن آخرون أن رحلتهم قد انتهت بوصولهم ميدان التحرير وأن الانتفاضة قد حققت مطالبها.. ولم يدركوا أنها لا زالت على عتبات البداية..

يقول "محمد عباس" عضو الائتلاف وأحد الشباب المحسوبين لصالح الإخوان في الثورة: لم يتم ثمة اتصال بين الجماعة وشبابها طيلة يوم 25 يناير حتى السادسة مساء مؤكدا أن ما دفعهم للاتصال هو رؤيتهم أن الأمر لن يقف عند هذا الحد «زميلنا إسلام لطفي اتصل بالدكتور عصام العريان يطلب منه ضرورة النزول وأنه لا بد للنخبة الإخوانية أن توجد» فرد العريان: «هو إيه اللي بيحصل بالظبط أصل أنا مشيت من وقفة دار القضاء من الساعة 3 ومن ساعتها مش عارف حاجة»، لم تتفاعل الجماعة مع الحدث كما كان يأمل الشباب الإخواني «حتى الدعم اللوجيستى من بطاطين ومواد إعاشة للمعتصمين لم يتم الاستجابة لها» بل كان رد الفعل البطيء وعدم الاستجابة لهم سببا في أن يتخذوا قرارا بالذهاب بنفسه إلى مكتب الإرشاد في المنيل في الساعة العاشرة والنصف من مساء 25 يناير «إسلام لطفي وهاني محمود وأحمد نزيلى» ليقنعوهم أن الوقت لم يعد في صالح الجماعة وأن عليها أن تختار بين أن تظهر الآن أو تختفي إلى الأبد، عباس الذي أقر بأن الاجتماع في هذا اليوم شهد سجالا مطولا بين زعامات الجماعة وشبابها انتهى بأن ذهب الدكتور البلتاجي إلى التحرير كي ينقل الصورة إلى الإرشاد بدون «مبالغات الشباب» وهنا قررت الجماعة أن تغير خطتها ، وكان ذلك أول ظهور لقيادات الجماعة في ميدان الثورة. مسئول قسم «الطلاب» في جماعة الإخوان والقيادة الشبابية الإخوانية التي التزمت كثيرا بتعليمات قادتها «أصحاب الخبرة»، لم يكن يعرف أن يوما ما سيأتي ويكون عليه أن يختار بين أن يحب وطنه على طريقته وبين أن يحبه على طريقة «الجماعة»، أن يكمل حياته شابا حماسيا ثوريا أو ينضم إلى طابور «حكمة الشعر الأبيض» في مكتب الإرشاد وهنا اختار «محمد القصاص»، عضو ائتلاف شباب الثورة، والعضو «المفصول» من جماعة الإخوان، أن يكمل طريقه إلى ميدان «التحرير»، بينما اختارت الجماعة أن تبقى في مقر الإرشاد بالمنيل». ويكمل "محمد القصاص: عندما تم تأسيس الائتلاف بشكل رسمي أبلغنا المكتب بأن هناك مجموعة تمثل الجماعة فيه، ومنها محمد القصاص، وأحمد عبد الجواد ومحمد عباس وآخرون".

وبمرور الوقت تطوع الكثير من الشباب بتشكيل مجموعات منظمة لجمع تبرعات بسيطة من المعتصمين لشراء بعض المأكولات وتوزيعها على الجميع، ونصبوا خيمة إسعافات أولية في وسط الميدان، وقد تبرع البعض بشراء الأطعمة والأغطية التي تعين المعتصمين على الصمود والبقاء في الميدان حتى الصباح. وبقي المتظاهرون متحلقون في حلقات هتاف وغناء في منتهى السلمية.

في ذات الوقت كانت الجهات الأمنية قد قطعت الاتصالات في الشبكات الثلاث من خلال أجهزة التشويش التي تتجول بها سيارات مجهزة لذلك في المناطق المحيطة بالميدان لمنع التواصل بين المتظاهرين وذويهم وزملائهم، ورغم ذلك تمكن الشباب من الولوج إلى الشبكة لطرح آخر أخبار الميدان، بالإضافة إلى تزويد المواقع الإلكترونية والمدونات والصفحات بمقاطع الفيديو التي تم التقاطها أثناء المواجهات والاشتباكات العنيفة والتي انتهت في غالبها بانكسار الحواجز الأمنية أو انسحاب قوات الأمن من أمام الزحف الجماهيري الغاضب في رحلة وصوله إلى ميدان التحرير.. وهذا ما كان الأكثر تأثيرا على من لم يشارك في مظاهرات اليوم واندفع الكثير إلى الانضمام وبدأت الأعداد تتزايد بصورة واضحة..

وكانت الحكومة في صباح اليوم قد حجبت موقع التواصل الاجتماعي، تويتر (Twitter)للتدوين القصير، وموقع البث المباشر بامبوز (Bambuser) الذي يستخدمه النشطاء والمدونون لبث فيديوهات مباشرة للمظاهرات، وكذا وموقعا "الدستور الأصلي" وموقع "البديل الإلكتروني"، بسبب تخصيصها صفحات تبث متابعة حية للمظاهرات. وردا على ذلك أصدرت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان بيانا أدنت فيه السلطات المصرية بحجب المواقع الإلكترونية التي تنقل وقائع المظاهرات، للتعتيم على أخبار المظاهرات المطالبة بالديمقراطية والتي تجتاح شوارع مصر.. واعتبرت الشبكة أن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة المصرية قد صعدت من قمعها للحريات العامة بشكل غير مسبوق. وحاول بعض الهاكرز مهاجمة مواقع حكومية رسمية وموقع الحزب الوطني كنوع من الضغط على الحكومة، بينما كان الحزب الوطني يشن حربا شنعاء على وسائط الميديا ضد المتظاهرين، ويتهم جماعة الإخوان بإثارة الفوضى في الشوارع.



وفي مساء اليوم قطعت الحكومة تغطية شبكات المحمول بمحيط ميدان التحرير، بالإضافة إلى حجب المواقع، لكن نصائح المبرمجين الشباب استطاعت التغلب على هذا الحجب من خلال توجيه الشباب لفتح شبكة الرصد الإخبارية من على متصفح أوبرا،الذي يمكنه فتح أي موقع يتم حجبه في أي منطقة في العالم من خلال تشفير بيانات المستخدم وإخفاء هويته وموقعه، بالإضافة إلى إمكانية استخدام برامج تخطي الحجب "proxy" ، وتمكن الشباب من التغريد على تويتر باستخدام برامج تخطي الحجب، وغردوا هذا المساء على هاشتاج الثورة #Jan25#Egypt

- " التحرير مش اسم ميدان ..التحرير من العبودية بيبتدي من أول تحررك من خوفك ..انتو اتحررتو النهارده ومصر قريب "
- "مطالب ثوار مصر: تنحي الرئيس وإقالة حكومة نظيف وحل البرلمان "
- " سقط اثنين شهداء لحد دلوقتي، ثورة يا مصر و غيرها مفيش، اخواتكم في التحرير أعلنوا الثورة لو ما انضميتوش ليهم هيندبحوا "
- " المتظاهرين في ميدان التحرير عازمين على البيات الليلة، والأمن واقف معندوش أوامر جديدة لحد ما رجعت "
- " مصطفى رضا محمود أول شهيد ليوم الغضب في السويس بطلق ناري حي خلال مواجهات مع الشرطة "

- " فيديو هروب الشرطة المصرية خوفا من المتصاهرين http://t.co/JaNXyyH via @youtube"
- " في التحرير من الساعة 5، الانترنت ع الموبايل توقف تماما، وكل خدمات بلاك بيري وقفت، والاتصالات أصبحت صعبة جدا وأغلب الأحيان منعدمة "
- " مظاهرة بولاق تنضم إلى التحرير قبل نصف ساعة و مظاهرة شبرا في طريقها إلى التحرير أيضا "
- " فيه كلام إنهم رجعوا يرشوا مياه على المتظاهرين في الميدان، أنا رايحة أتاكد بس غالبا مش هاعرف أتويت "
- " رجالة كملوا احنا معاكم بنجمع نفسنا تاني وراجعين علي الميدان "
- " أنا طلعت برة الميدان عشان ألقط شبكة و أعرف الأخبار و اشتري خيط و ضمادات للجروح و راجعة "

وفي الميدان أسرع الشباب بتوصيل ميكروفونات ومكبرات الصوت لإنشاء إذاعة ميدانية من أجل توعية الناس بمغزى الاعتصام وأهميته وإذاعة البيانات والمطالب الخاصة بالمتظاهرين من أجل جمع الشمل وحتى لا ينصرف أحد من الميدان نتيجة لعدم التواصل فيما بين الجموع.. وتم شراء بعض الأجهزة الصوتية بتبرعات من المعتصمين، وبعضها الآخر كان جاهزا في مقرات الحركات السياسية القريبة من ميدان التحرير، وصعد شاب أعلى قائم الإنارة بواجهة مطعم هارديز ورفع العلم المصري على قائم الإنارة وثبت بجواره مكبر الصوت الأول لتنطلق إذاعة الميدان لأول مرة بعكس ما ينطق به ماسبيرو، ويرتفع صوت الشاعر عبد الرحمن يوسف باسم الله الرحمن الرحيم مع أول بيان للثورة " إذاعة التغيير من ميدان التحرير" ، وأوضح شاعر الثورة: أن الثورة ليست ملك أحد وإنما ملك المصريين، وأن مطالبنا هي تنحي الرئيس وإقالة الحكومة.. وقد نوه إلى أن الاعتصام في الميدان حتى الصباح هو أول ثمرة الانتفاضة لأنها ستكون بذلك قد شكلت أكبر قوة للضغط على عنق النظام كي يرحل بعد ثلاثين عاما من الظلم والفساد والاستعباد. وفي ذات الوقت تم توزيع أول بيان مطبوع للثورة في ميدان التحرير بعنوان " عاش كفاح الشعب المصري ".. وقرأه عبد الرحمن يوسف ، ويقول "نحن جموع المعتصمين في ميدان التحرير،الذين أطلقوا شرارة الانتفاضة ضد الظلم والطغيان، انتفضنا بإرادة الشعب القوية، الشعب الذي عانى 30 عاما من القهر والظلم والفقر، تحت حكم مبارك "لقد أثبت المصريون اليوم أنهم قادرون على انتزاع الحرية وتحطيم الاستبداد.وتضمن البيان مطالب الشعب وجاءت في:تنحي الرئيس عن السلطة فورا،وإقالة وزارة نظيف كاملة، وحل مجلس الشعب المزور،وتشكيل حكومة وطنية.. ودعا البيان كل المصريين والنقابات والأحزاب والجمعيات ،للانتفاض من أجل انتزاع هذه المطالب، وأعلن

عبد الرحمن يوسف عن وجود حملة إعاشة للمتظاهرين مكونة من أطعمة وبطاطين لتيسير الإقامة في ميدان التحرير لحين تلبية المطالب التي يحملها البيان.

وفي توقيت متزامن كان لفيف من الشخصيات العامة قد اجتمع في قاعة مؤتمرات حزب الغد وألقى بيان الثورة الدكتور عبد الجليل مصطفى:في هذه اللحظات الفارقة من تاريخ الوطن يرى العالم تصميم الشعب المصري المناضل على نيل حقوقه في الديمقراطية والعدالة الاجتماعية لكل فئات الشعب وفاء بحقه في حياة حرة كريمة.. هذه المطالب نعتبرها ترجمة دقيقة لما يعتمل في صدور المصريين من آمال دفعهم إليها ما نالهم طوال عقود عديدة من آلام ومعاناة،هذا الشعب يعلن اليوم بأعلى صوت وبلا تردد ولا وجل ما يلي:

أولا: أن يعلن الرئيس مبارك عدم ترشحه لفترة أخرى وامتناع ابنه عن الترشح أيضا.

ثانيا: حل البرلمان بمجلسيه: الشعب والشورى وكذلك المجالس المحلية المزورة.

ثالثا: إلغاء حالة الطوارئ.

رابعا: تشكيل حكومة إنقاذ وطني لفترة انتقالية.

خامسا: الإفراج الفوري عن المعتقلين السياسيين وفى مقدمتهم الذين اعتقلوا في الانتفاضة الراهنة المنتصرة بإذن الله.

هذا ما نقر به وسوف نستمر في المطالبة وبذل كل غال ونفيس وفاء لهذه المطالب التي نصر عليها.

وفي ميدان التحرير عاودت قوات الأمن مناوشاتها مع المعتصمين في مدخل شارع قصر العيني بعد ارتفاع صوت الإذاعة بالأغاني الوطنية، وتبادل المتظاهرين وقوات الأمن التراشق بالحجارة والقنابل المسيلة للدموع، لكن مجموعة من الشباب الشجعان شكلوا حاجزا بشريا ما بين الجبهتين وأخذوا على تهدئة الطرفين وهم يهتفون " سلمية.. سلمية" إلى أن عادت الهدنة من جديد، ولكن أول ملاحظة شاهدناها هي ارتباك أفراد الأمن من تزايد الأعداد الذي يحدث وكأنه باتفاق مسبق، وهو ما كان يجعلنا أكثر قوة وإصرارا على مطلبنا بإسقاط النظام، وقتها ونشر النشطاء عبر "تويتر" أن الشعب كسر حاجز الصمت وانضم الكثير للمظاهرات، فتحمس المحبطون ونزلوا إلى الشارع.

وكانت إدارة الإذاعة الميدانية تدير فقراتها بكفاءة ، وتبادل المثقفون والبارزين من الشخصيات العامة ميكروفون الإذاعة لإلقاء الكلمات والخطب الحماسية، وكانت أولى الكلمات للدكتور علاء الأسواني، وقد حث الشباب خلال كلمته على الصمود حتى النصر ورفع معنوياتهم وشرح الكثير من المبادئ السياسية والثغرات التي صنعها النظام الفاسد لاختراق الدستور وإفساد الحياة السياسية باسم

المشروعية والقانون. وهنأ الجميع لصحوتهم دفاعا عن حريتهم وحقوقهم.. وتبعه الكثير من الشخصيات العامة التي حضرت وسط المتظاهرين مثل الدكتور / عبد الجليل مصطفى والدكتور / محمد البلتاجي والسيدة / جميلة إسماعيل والأستاذ القدير/ سعد عبود، وغيرهم. وكان ظهور مثل هذه الشخصيات بيننا هو أكبر دافع لصمودنا وإصرارنا، فلم نكن نتصور أن هؤلاء قد يثقون منذ البداية أو يعلقون آمالا على مظاهرات الشباب وحركاتهم الاحتجاجية، ومنذ بداية عمل الإذاعة الميدانية لم يكن هناك أي انتماءات سياسية لجهة معينة سواء حزبية أو حركاتٍ أخرى، أو حتى اتجاهات ثقافية تفرق المصريين عن بعضهم، كان الجميع يقف من أجل مصر فقط وليس هناك أي مطالب فئوية تخص فئة معينة أو شريحة معينة من شرائح الشعب المصري التي كانت جميعها ممثلة في الميدان.

وقرب العاشرة مساءا، بدأ باعة الصحف يتجولون في الميدان ينادون على بضاعتهم الرائجة بين المعتصمين بنداءات " اقرأ النكتة.. نكتة يوم الغضب " في إشارة ساخرة إلى الصحف الحكومية التي تجاهلت الأمر تماما وكأن شيئا لم يحدث ولن يحدث.. فقط تناولت أخبارا تثير غضب الشعب بطريقة مستفزة، كان أهمها " خبر : الرئيس مبارك يبحث في البحرين الوضع.. والمظاهرات التي قامت احتجاجا على حادث القديسين الذي وقع بالإسكندرية منذ شهر".. "جماعة الإخوان المسلمين تثير الفوضى وأعمال الشغب في شوارع مصر وتحول المتظاهرين إلى عمليات سلب ونهب وتخريب للمال العام والخاص".. "قوات الأمن والشرطة تقف لحماية المتظاهرين".. " نشطاء من الإخوان المسلمين يعتدون على الأمن والشرطة بالعصي والحجارة".. وهكذا، أخبارا من هذا القبيل.. بالإضافة إلى تصريحات أخرى مثل " ما يحدث في مصر عبث بأيادٍ خفية.. وأجندات خاصة.. وأن 30 ألف متظاهر في ميدان التحرير لا يمثلون 80 مليون مصري..إلخ.

بينما الصحف الحكومية تستنكر " مصرع شخص" خلال أعمال تخريب المتظاهرين،كانت شبكة رصد الإخبارية الشبابية تعد الخبر الأول عن سقوط أول شهداء الثورة بالسويس.أما روزاليوسف، فقد جاءت بمنشيت عريض عن تقرير حبيب العادلى وزير الداخلية الذي قال: «مظاهرات التحرير لم تكن مفاجئة.. وقد تمت تحت سمع وبصر وزارة الداخلية.. وهى التي سمحت بها.. وكان يمكن ألا تسمح بها.. التحركات كانت أمام أعيننا.. وتعاملنا معها باعتبارها تعبيرا عن الرأي.. رغم أنه لم يكن مصرحا بها.. ولما خرجت عن القواعد تم التعامل معها بالطريقة الواجبة».. بينما تجاهل العادلى الحقائق التي فضحتها الصحف المستقلة " المصري اليوم" و " الشروق" وغيرها،فقد تواردت الأخبار من كل الدنيا مثل الشلال؛

- بركان الغضب يجتاح شوارع القاهرة وينفجر في ميدان التحرير..
- المتظاهرون تحدوا كردونات الأمن والقنابل المسيلة للدموع مرددين: " تغيير.. حرية..عدالة اجتماعية "
- سيارات مصفحة وتشكيلات الأمن المركزي تطارد المتظاهرين
- لجان إعاشة لدعم المحتجين في الميدان وتأكيد سلمية التظاهرات
- مسيرات بالآلاف في شوارع الإسكندرية.. المتظاهرون يغلقون قسمي سيدي جابر والرمل أول.. والأمن يستخدم القنابل المسيلة للدموع لتفريقهم
- قيادات في الحزب الوطني يشتبكون مع المتظاهرين برعاية الأمن.. والآلاف يكسرون حصار الشرطة في الإسماعيلية
- غرفة عمليات بالحزب الوطني لمتابعة المظاهرات
- القوى السياسية تتسابق إلى "الميدان "والإخوان يطالبون الرئيس بحل مجلس الشعب فورا
- الغزالي حرب ينحاز لمطلب " إسقاط النظام"
- مطالب المعارضة: حل المجلس وعدم ترشح مبارك أو ابنه للرئاسة
- عشرات الآلاف يتظاهرون في مدن وقرى الوجه البحري، واشتباكات بين الأمن والمتظاهرين في طنطا والمحلة وكفر الشيخ
- والشرطة تحذر مشايخ السلفية في كفر الدوار من أي خطب حماسية
- متظاهرون يغلقون الطريق الدولي في سيناء ويشعلون النار في إطارات السيارات
- إصابات واعتقالات عشوائية في مظاهرات بالمطرية
- عمرو سلامة: ضابط أمر العساكر بضربي حتى الموت، فساعدوني على الهروب
- مظاهرة تشتعل في "ميت عقبة" أمام نادي الزمالك
- مراسل الجزيرة الإنجليزية في مصر: المظاهرات الحالية قد تكون الأكبر منذ السبعينات
- أكثر من ألف متظاهر في المنصورة بميدان مشعل
- قناة العربية تبدأ في بث مظاهرات يوم الغضب

- متظاهرون بالسويس يهتفون ضد مبارك: «بن على بيناديك.. فندق جدة مستنيك .. مئات في إشارة إلى هروب الرئيس التونسي من بلاده في حينما واجه مظاهرات احتجاج عنيفة. ويقيم بن علي في مدينة جدة السعودية التي تقع على البحر الأحمر.

- قال شاهد من «رويترز» إن مواطنين عاديين انضموا للنشطاء ورددوا هتافات من بينها هتاف يقول «حسني حسني بيه كيلو اللحمة بميت جنيه» في إشارة إلى غلاء الأسعار.كما رددوا هتافا يقول «حكم الأب ..باطل.. حكم الأم باطل..

- شهدت محافظات الدقهلية والشرقية والمنوفية وأسيوط وكفر الشيخ ودمياط والغربية والسويس شمال سيناء اليوم الثلاثاء عدة تظاهرات.. المظاهرات تأتي في سياق "يوم الغضب"، الذي أطلقه ناشطون عبر الإنترنت بالتزامن مع الاحتفال بعيد الشرطة.ففي دمياط نظم العشرات من أحزاب المعارضة، يتقدمهم سامي بلح رئيس لجنة الوفد بدمياط، وقفة احتجاجية في ميدان البوستة، وسط تواجد أمني كثيف.وردد المتظاهرون هتافات تطالب بسقوط النظام، وشعارات مشابهة لما حدث في تونس حاملين لافتات تقول: "أصحي يا مصر..صح النوم" و"لكل ظالم نهاية" و"كفاية 30 سنة فقر" و"حسني بيه.. يا حسني بيه.. كيلو العدس بعشرة جنيه".. ويلاحظ أن الأعداد في تزايد، بينما نظم الناصريون وقفة أخري أمام مقر حزبهم في حي المنتزه. (بوابة الوفد)

- وفي أسيوط قامت قوات الأمن باعتقال 50 شابا، بعدما تجمع عشرات المتظاهرين في منطقة الوليدية بمدينة أسيوط، ونجح الأمن في تفريق المتظاهرين.وفي كفر الشيخ انتشر عدد من النشطاء في شوارع بلطيم، لدعوة المواطنين للمشاركة في التظاهرات، حاملين علمي مصر وتونس.

- وقالت غرفة مراقبة مركز "ابن خلدون" الخاصة برصد تطورات مظاهرات 25 يناير، إنه تم تعطيل أتوبيس هيئة نقل عام وإخراجه عن خط سيره وحشد مجندين أمن مركزي داخله، ويتمركز الأتوبيس أمام مركز قليوب، كما أغلقت محطة مترو مسرة بسيارات الأمن المركزي.وأضافت أنه تواردت أنباء عن بدء المظاهرات في المنصورة، مع انتشار أمني مكثف أمام استاد المنصورة، حيث تتواجد 8 سيارات أمن مركزي، وثلاث سيارات بوكس ومدرعة.

- أطلقت دعوة للعصيان المدني في قويسنا بالمنوفية أمام الجامع الكبير في قرية بيجارم وعمال المنطقة الصناعية بقويسنا

- عاجل: المتظاهرين في المحلة يحاصرون مجلس المدينة ومقر الحزب الوطني وقوات الأمن تحاول فرض حصار حولهم والمتظاهرين يهتفون أحلف بسمها وترابها الحزب الوطني اللي خربها

- جرحى ومصابين وراء جامع عمرو مكرم والإسعاف تعالجهم في نفس الوقت ومشاهد كثيرة للدماء، وغلق الشوارع المؤدية للكورنيش من القصر العيني

- اسكندرية : الرمل | مظاهرة الرمل تتخطى حاجز الخمسين ألف متظاهر، والأهالي يثورون على الأمن صغير العدد .. بينما يقوم المتظاهرون بعمل كردون لحماية الأمن. ومظاهرات في فيكتوريا شارع جمال عبد الناصر.... محتواها(مش عايزينك)..مش عايزينك)
- بورسعيد التظاهر رغم الاشتباكات العنيفة مع رجال الأمن المركزي و تجمعات بالآلاف عند شارع محمد علي و شارع الثلاثيني بالقرب من مبنى المحافظة
- الإفراج عن جميع المعتقلين في المنصورة، وخروج المظاهرة مرة أخرى متجهه إلي المحافظة والأعداد تزيد عن 2500
- الأمن يقطع الكهرباء عن قري البشوي بالمحلة واستمرار احتجاج المتظاهرين هاتفين برحيل مبارك
- المنصورة | مؤكد : المتظاهرون يعلنون اعتصامهم ليوم غد على الرغم من محاصرة الأمن لهم
- ميدان التحرير : أصحاب المطاعم القريبة يزودون المتظاهرين بالطعام دون تقاضي مقابل
- الأمن يطلق الرصاص الحي بالسويس في ميدان الأربعين والقنابل المسيلة للدموع وشعب السويس العظيم يرد ويهتف(سايبين بيوتنا .. ناويين على موتنا)
- عاجل: وفاة أثنين من شباب السويس.. وتفجير العربة المصفحة أمام قسم شرطة الأربعين.. مصطفى رضا الشهيد بالسويس..مستشفي السويس العام: مقتل 2 آخرين.. إصابة 100 في اشتباكات بين الأمن والمواطنين أثناء تفريق مظاهرة بالسويس
- وزيرة الخارجية الأمريكية "هيلاري كلينتون" تدعو الحكومة المصرية إلى التجاوب مع طموحات شعبها
- الخارجية تؤكد: مقتل مجند أمن مركزي: قال حسام زكى المتحدث باسم وزارة الخارجية - في تصريح خاص أدلى به لشبكة "سي. إن. إن" الإخبارية الأمريكية - إن المظاهرات التي تشهدها مصر في الوقت الراهن ليست ظاهرة جديدة.وأن جميع المشاركين في المظاهرات التي خرجت إلى الشوارع يحظون بحماية الشرطة، ولا يتم إطلاق النار عليهم، ولكن الخبر المحزن الذي سمعته أن أحد الجنود

لقي مصرعه بعد تعرضه للضرب على رأسه من جانب المتظاهرين، وهو أمر محزن للغاية بالنسبة لأسرته.

- التليفزيون المصري يتجاهل المظاهرات ويواصل الاحتفال بعيد الشرطة، ويعلن قرار وزارة الداخلية: منع تجمهر أكثر من أربعة أفراد في الشارع.. أما جريدة الأهرام الحكومية فقد تحدثت عن تبادل المواطنين الورد والشيكولاتة مع رجال الشرطة بالمحافظات بمناسبة احتفال الشعب بعيد الشرطة.!. وقامت الشرطة بمطار القاهرة بتوزيع الورد علي السائحين!!

" هكذا الأنظمة الفاسدة عندما تتبول على المواطنين يأتي الإعلام ليقنعهم بأن السماء تمطر.."

وكانت الأخبار قد تواترت من السويس (المدينة الباسلة) وحملت إلينا حصيلة يوم من المظاهرات الحاشدة في السويس وأحداث العنف الأمني التي كان ثمنها شهيدين وهو ما أثار غضب الجماهير وحماسهم وإصرارهم في الوقت ذاته.. مع أن كثيرين قد تخوفوا من ذكرى مارس عام 2003 م عندما خرج 30 ألف متظاهر واعتصموا في ميدان التحرير احتجاجا على الحرب الأنجلو أمريكية على العراق التي كان مبارك شريكا فيها بحصة من الأعمال، وفاجأتهم قوات الأمن قبيل الفجر واكتسحت الميدان بمدرعاتها ومصفحاتها ، لكن هذه المرة قد يكون الوضع مطمئنا إلى حد ما، لأن عددنا أضعاف ما كان عام 2003 م، ولم يكن هناك هذا الكم من الإصرار.. وكانت عناصر أمن الدولة والمخابرات يتجولون في الميدان بكثافة يرصدون بكاميراتهم الوجوه النشطة بين الشباب لاعتقالهم أو استئصالهم من الحياة تماما في الوقت المناسب..


#Egypt #Jan25 #25Jan صورة لميدان التحرير في القاهرة

الثانية عشر منتصف الليل؛ بينما كان المتظاهرون يهتفون بهتافات هادئة، وأغان وطنية، وكثير من الشباب ينحني ليجمع الأوراق من الأرض في أكياس بلاستيك في مشهد حضاري جميل.. والبعض يهتف، والجميع يشعر أننا على وشك أن نغير النظام.. يبدو أن الأحلام كانت بريئة للغاية؛ فأحد الشباب يقول: "لو قدرنا نبات هنا لحد الصبح، الرئيس هياخد طيارته ويرحل".. أما السيد/ كمال أبوعيطة، البرلماني السابق و قيادي إضراب الضرائب العقارية 2008 يمسك بالميكرفون ويلقى بتعليمات على المتظاهرين:" كله يقعد على الأرض، ومحدش يتحرك مهما حصل، بالطريقة دى عمرهم ما هيعرفوا يفضونا"..بينما كان قيادات الأمن مجتمعين بداخل محل ماكدونالد أمام الجامعة الأمريكية، وأحد القيادات يطمئن إسماعيل الشاعر، مدير أمن القاهرة، أن المتظاهرين يتناقصون بشكل كبير.. وإسماعيل الشاعر يرد : " تمام.. خلاص "

وكما يقول محمد الباز: طبقا للرؤية الأمنية للحدث، كانت هناك خطة مكتملة على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: هي الخطة «أ»، وكانت تهدف إلى عدم خروج المظاهرات من الأساس، حتى لو خرجت فيتم حصارها في مناطقها، خاصة أن نقاط الانطلاق كانت محددة ومعلنة، لكن الذين نظموا المظاهرات أربكوا قوات الأمن، وخرجوا من مناطق كثيرة غير معلن عنها، ولذلك خرجت المظاهرات دون أن يعترضها أحد .

المرحلة الثانية: هي الخطة «ب»، وكان هدفها منع المتظاهرين من دخول ميدان التحرير، حتى لا تتحول فكرة التظاهر إلى اعتصام، ويكون على قوات الأمن التصدي له ولو بالقوة، وساعتها ستتوالى النتائج التي لا يستطيع أحد أن يحسم نهاياتها، لكن هذه الخطة انهارت تمامًا، بعد إصرار المتظاهرين على دخول الميدان .

المرحلة الثالثة: في الحادية عشرة من مساء الثلاثاء 25 يناير، حيث قررت الداخلية تفعيل الخطة «ج» وهى فض اعتصام التحرير بالقوة.

وفي هذا المساء رفع جهاز أمن الدولة تقريره العاشر «مسير 10» من مباحث أمن الدولة «أ. م. للتنظيمات» إلى مكتب السيد الوزير، قال فيه حسن عبد الرحمن إن «المتظاهرين في ميدان التحرير ما زالوا مستمرين، وفى الإسكندرية أيضا، بينما انضمت محافظة الغربية للتظاهرات بـ5 آلاف متظاهر بميدان الشون بالمحلة الكبرى، وإنهم يرشقون القطارات بالحجارة ويشعلون النيران في الإطارات على شريط السكك الحديدية مما أدى لتعطيل قطارين وتوقف حركة القطارات». وفى إطار مسار الموقف للتحركات الاحتجاجية اليوم 25 يناير، فقد رصدت المتابعة إطلاق العناصر الإثارية دعوة على موقع فيس بوك تتضمن مطالبة المتظاهرين بتطوير تحركاتهم والاعتصام بأماكن تجمعهم وعدم فض التظاهرات إلا بعد تنفيذ مطالبهم برحيل النظام والعمل على إنهاك قوات الأمن ومحاصرة المقرات الخاصة بالحزب الوطني وأمن الدولة والحكم المحلى»[1].

في هذا التوقيت لم يكن شباب الإسكندرية قد اتخذوا مقرا معيّنا للاعتصام، لكن كانت تجمعات في الشوارع، كان معظم النشطاء قد طالهم الإرهاق. وأحسوا أنما كان يجري أصبح خارج أياديهم؛ وقد خرج حجم المسيرات عن حدود تصوّرهم، ولم يعرفوا كيف يتصرفون لأن السيطرة على الجماهير بهذا الوضع مستحيل..انسحب بعضهم من الشوارع بهدوء وبدأوا في إعادة التجمع على المقاهي وفي بعض مراكز القيادة. ولأول مرة، بدأوا يطالعون الأخبار الآتية من ميدان التحرير. كانت الصور تؤكد إحساسهم حول ما يجري: كان هذا مستوىً مختلفًا عما اعتادوا عليه. بدأت المجموعات المختلفة تفكر فيما يجب أن تكون عليه خطواتهم التالية.

1ـ تقرير منشور بموقع "الوطن" بتاريخ الاثنين 25ـ05ـ2015 11:24 AM بقلم "الوليد إسماعيل"

وبدأت الشرطة تغرق شوارع الإسكندرية بقنابل الغاز المسيل للدموع. وصف أحد النشطاء صوت إطلاق القنابل المتواصل، وصوت المدرعات التي تجوب الشوارع بأنه «مرعب». اتجه عصام حينها إلى مقهى في منطقة محرم بك، يقول: «في تلك اللحظة، قررنا أن اليوم انتهى بالنسبة لنا على الأقل».. وفي تلك الأثناء، تم إلقاء القبض على العديد من النشطاء في أنحاء المدينة. بدأ الناس يجمعون المعلومات، ويتجهون إلى أقسام الشرطة بحثا عن أصدقائهم وزملائهم الذين لا يجيبون على هواتفهم أو يردون على الرسائل النصية. أخذ اليوم منعطفا غريبًا جدًا بالنسبة لأغلب المشاركين فيه في اللحظات الأخيرة. وبقدر ما كانوا متحمسين، انتابهم الذهول مما يمكن أن يحدث لاحقا، وسيطرت عليهم حالة من التردد التام.. لقد انتظروا هذه اللحظة طويلا. ولكن ماذا سيحدث الآن؟

وفي السويس تركت المسيرة مقر المحافظة وعادت للميدان مرة أخرى، واستقرت في شارع الجيش، أمام قسم شرطة الأربعين، وكانت قوات الأمن تمد الحواجز الحديدية لتطويق المتظاهرين منعا لتحرك التظاهرة مرة أخرى، وفي المساء بدأت قوات الشرطة بالتصدي للمتظاهرين ومحاولة تفريقهم تنفيذا لتعليمات مدير الأمن، ومحاولة تفريقهم بهجوم قوات الأمن المركزي على المظاهرة بالعصي والشوم، وأمطروهم بالغاز المسيل للدموع ونجحت الشرطة في ذلك اليوم، في تشتيت وتفريق التظاهرات، وبدأ المشاركون في الانتشار بجهات مختلفة، في مجموعات عشوائية تشكل نفسها بنفسها من الشباب في مواجهة قوات الشرطة التي تطلق قنابل الغاز والرصاص المطاطي مستخدمين الحجارة، فما كان من القوات إلا أن ردت عليهم بالرصاص الحي باتجاه أفقي لتطول المتظاهرين فسقط أول شهيد في مساء ذلك اليوم، وفور سماع الأهالي وشباب السويس، بسقوط شهداء حتى توجهت الجموع الغفيرة إلى المشرحة، وتبعتهم قوات الأمن وحاصرت المشرحة من كل جانب، ما أدى لسقوط شهداء جدد".

الواحدة بعد منتصف الليل.. في ميدان التحرير بالقاهرة..بعد يوم طويل حافل بالأحداث التي شهدها.. كانت هناك توقعات بفض الميدان، خاصة عندما بدأت قوات الأمن تحاصره من الخارج، وتناقصت الأعداد شيئا ما، فأعلنت إذاعة الميدان؛ إذا تم الفض، لن ينتهي يوم الغضب عند هذا الحد، ولابد من مشاركة الجميع في جمعة الغضب..وأعلنت الإذاعة الداخلية لمحطة المترو عن آخر رحلاتها المتجهة إلى شبرا الخيمة، ونبهت على الركاب إخلاء المحطة قبل غلق نوافذها.. وكانت محطات مترو وسط البلد قد فتحت أبوابها لتسهيل الفرصة للمتظاهرين كي ينصرفوا إلى بيوتهم، لكن المفاجأة، أن الفوج الأخير من ركاب المترو قد نزلوا جميعا في محطة التحرير للانضمام إلى المعتصمين بعدما وصلتهم أخبار الاعتصام.. وكانت الأفواج التي تتدفق على الميدان باستمرار هم من رواد " الفيسبوك " لأن

كافة وسائل الاتصال قد تم قطعها أو التشويش عليها في ظل التعتيم والتضليل الإعلامي التام وهراء الصحف الحكومية.. لكن الجميع كانوا يشعرون بأن ثمة شيء ما يحدث وإن بدا وكأنه في غرفٍ مغلقة وليس في قلب العاصمة..

وفي هذه اللحظات.. كانت قوات الأمن قد انتشرت بكثافة عالية في جميع مداخل الميدان ومخارجه.. أكثر من 200 مصفحة و 50 أوتوبيس نقل عام وعشرة آلاف مجند تراصوا حولها في صفوف وتجمعات شملت مدخل قصر العيني وقصر النيل وعمر مكرم وعابدين وطلعت حرب وشامبليون وشارع ميريت أمام المتحف المصري الذي امتلأ عن آخره بالمصفحات والجنود.. استعدادات تامة أثارت بعض القلق في نفوس المعتصمين الذين انسحب بعضهم عبر ميدان عبد المنعم رياض، وهو الممر الوحيد الذي تركته قوات الأمن خاليا من معداتها وجنودها، جاهزا لانصراف المعتصمين، وفكر الشباب في تأمين الميدان بالحواجز والمتاريس تحسبا لشيء ما قد يحدث خلال لحظات، وبالفعل ستكون نتيجته حاسمة، إما انتفاضة ناجحة وإما مأساة وإصابات وجرحى وقتلى واعتقالات بالآلاف..

الثانية بعد منتصف الليل.. أضاءت جميع الكشافات أعلى سيارات ومصفحات الأمن في لحظة واحدة.. الوضع يشير إلى أنها آخر صافرة إنذار إذانا ببدء الهجوم.. وجهت قوات الأمن إنذاراتها لإخلاء الميدان فورا ، لكن المعتصمين ازدادوا إصرارا وصمودا.. وفجأة، بدأت السيارة الواقفة في مدخل شارع عمر مكرم التقدم بسرعة في قلب الميدان وتبعتها باقي المصفحات ومضخات المياه تجوب الميدان بعشوائية وبسرعة رهيبة.. لا تعبأ بمن يعلق بها أو يسقط تحت عجلاتها الغاشمة.. آلاف من المجندين يطلقون الآلاف من القنابل المسيلة للدموع وتحول الميدان إلى سحابة بيضاء معتمة الرؤية من كثافة الدخان الخانق، وسقط الآلاف من حالات الإغماء والاختناق الشديد وحالات من التشنج العصبي.. واندفع أكثر من 50 أتوبيس نقل عام وسط الميدان يتخللها آلاف من المجندين يلتقطون من سقط من الشباب ويقذفونهم في الأتوبيسات أكوام بالمئات ممن يصمدون أو يحاولون إغاثة المصابين والجرحى.. والكثيرون غادروا الميدان من جهة عبد المنعم رياض وهم يهتفون " الشعب يريد إسقاط النظام " ويصرون على أنهم ليسو فارين وإنما ذهبوا للعودة بأعداد أكثر..

وقام المتظاهرون برشق المجندين بالحجارة فبادلهم المجندون بالحجارة أيضا، وكانت قوات الأمن قد عززت تواجدها بعشرين ألف مجند وحاصرت المتظاهرين من جميع الجهات، وقامت بالقبض على المئات منهم وسحل آخرين، مما دفع المتظاهرين للهروب إلى محطات المترو والجري في اتجاه المتحف المصري،

كما قامت قوات الأمن بإلقاء القنابل المسلة للدموع داخل محطة المترو بالميدان، مما دفع البعض للهروب سيرا على الأقدام داخل أنفاق المترو هربا من الأدخنة، بالإضافة إلى وقوع المئات من المصابين على الجانبين.

وكانت قوات الأمن بعد كسر كردوناتها عصر اليوم ودخول الجماهير ميدان التحرير، عادت بفرض الحصار الأمني مرة أخرى من خارجه وتركت المعتصمين بداخله محاصرين حتى لا تتزايد أعدادهم، ويسهل فضهم. تقول الآنسة " هبة غنام" : وبعد أن أغلق الأمن المظاهرات بكردون أمنى في ميدان التحرير، وظل عدد كبير من النشطاء خارج الدائرة في هذا اليوم حتى تم فض الاعتصام، وهنا شاهدت أول شهيد بالميدان والذي جعل الموجودين يرددون "أنه استشهد بصراخ عال، وقتها خاف الأمن من حدوث بلبلة فأرسل سيارة إسعاف أخذت الشهيد بسرعة».

كثيرون تجمعوا في شوارع وممرات وسط البلد مصرين على الصمود.. قوات الأمن تطاردهم في الشوارع الضيقة والأزقة.. والأهالي يتضامنون معهم ويقدمون لهم الإسعافات والبصل لإفاقة حالات الإغماء والاختناق.. حراس العقارات يفتحون أبوابها للمصابين بعد منتصف الليل ويرفضون نقلهم إلى المستشفى خوفا من اعتقالهم، برغم أنه هؤلاء الحراس تم التنبيه عليهم منذ يومين من قبل ضباط الأمن ألا يفتحوا أبواب عقاراتهم لأي أحد أيا كان السبب.. أفراد الأمن يجوبون الشوارع بسيارات أجرة ويتظاهرون بإغاثة المصابين ويقومون بخطفهم ونقلهم إلى المعتقلات.. يتجمع المتظاهرون في المناطق المحيطة بميدان التحرير وفي ميدان طلعت حرب.

وقبيل الفجر تظهر مجموعة من الشباب وسط الجماهير المتفرقة وتحاول لملمة أفرادها وجماعاتها في مظاهرة تحركت باتجاه ميدان رمسيس، بعيدا عن قوات الأمن في ميدان التحرير، والمتظاهرون يهتفون بحماس في محاولة منهم لتجميع أكبر عدد ممكن في الشوارع الصامتة.. ومجموعة الشباب تظهر فجأة لتقود المظاهرة بإخلاص وتهتف من كل قلبها " الشعب يريد.. الشعب يريد" ثم يتحركون بالمظاهرة إلى شارع عماد الدين ثم ميدان رمسيس، ثم لعبور نفق أحمد بدوي متجهين إلى شبرا لجمع أعداد أكثر.. وهنا أغلق جنود الأمن المركزي النفق تماما من أوله وآخره على المتظاهرين بداخله وأمطروهم بكتلٍ من الغاز الخانق داخل النفق ، وانهالوا عليهم بالعصي والهراوات، ونتيجة لأن أغلبهم سقط على الأرض مثل السكارى من كثافة الغاز، فوجد الجنود فرصتهم في استخدام البيادة لطحن العظام.. ثم سحبوا جثثهم واحدا تلو الآخر على سيارة الترحيلات..لم يكن أحد يعلم أن من قادوا هذه المظاهرة هم من أفراد أمن الدولة وقد أعدوا لهم كمينا محكما للغاية..

وبعد إخلاء ميدان التحرير. رفع حبيب العادلى وزير الداخلية تقريرا للرئيس مبارك يبشره بفض الميدان دون خسائر.. ولما سأل مبارك عن الموقف من مظاهرات يوم 28 يناير المعلن عنها، طمأنه العادلى" هنروحهم بيوتهم تاني يا ريس زى المرة دي".

بينما زياد العليمي عضو ائتلاف شباب الثورة كان له رأي آخر يختلف بشأن هذا الشموخ، فيقول " عن مسيرة ناهيا وشارع جامعة الدول العربية يوم 25 يناير، والزخم الذي تبعها ولحظة دخولها ميدان التحرير والتي اعتبرها من اللحظات التي لا تنسى لكل من شهدها، ومن المواقف الطريفة وقتها أننا عندما دخلنا التحرير اتصلنا نطمئن على بعض الزملاء الذين قالوا أنهم سيخرجون مع مسيرة شبرا التي ستتوجه فيما بعد إلى لتحرير، إلا أنهم أخبرونا أن مسيرتهم ضلت طريقها وأنها تجوب حواري شبرا وشوارعها الداخلية والأعداد تتزايد وأنهم لا يعرفون أين هم وأن الناس حولهم مستغرقة بالهتاف تماما ولا أحد يجيب تساؤلاتهم".. وانتشرت قوات الأمن في الشوارع قبيل الفجر في مناطق عديدة وفي شبرا لإزالة آثار المظاهرات والاشتباكات من الشوارع قبل ظهور ضوء الصباح.. يضحك زياد ويقول "المسيرة دى فضلت تايهة بتلف في شبرا من منتصف يوم 25 يناير ومعرفوش هم فين إلا يوم 26 يناير الصبح، لما طلعوا خارج الحواري والشوارع الداخلية وشافوا الكورنيش الساعة 6 صباحا، وتفاجأوا من العدد الضخم في المسيرة"..

وصلات خارجية

1. "ثورة الغضب " في" قصر النيل" https://www.youtube.com/watch?v=PujwO_iY5BU
2. كوبري قصر النيل ـ الثلاثاء 25 يناير 2011
   https://www.youtube.com/watch?v=RPY1g3qw3VI
3. فيلم أيام الغضب | أحداث أول أيام الثورة ـ الثلاثاء 25 يناير 2011
   https://www.youtube.com/watch?v=PA534YwhEX0

(4)

عنف واعتقالات عشوائية

في صباح يوم الأربعاء 26 يناير..

خرجت علينا صحيفة الأهرام صباح اليوم بمانشيت رئيسي عنوانه" :احتجاجات واضطرابات واسعة في لبنان! ... بينما تنتشر الدعوات على " الفيسبوك " مزودة بالآلاف من مقاطع الفيديو حصيلة اليوم السابق والتي التقطتها الشباب بكاميراتهم وهواتفهم المحمولة.. خاصة المشاهد التي تصور لحظات الشجاعة والإصرار في الاشتباك العنيف وسط كثافة الدخان الخانق تتبعها لحظات انكسار قوات الأمن واندفاع الجماهير في اتجاهها إلى ميدان التحرير.. كانت هذه اللقطات تثير الحماس والغيرة لدى الشباب ممن لم يشاركوا في هذا اليوم التاريخي، وكانت إذاعة الميدان قد أعلنت في الليلة الماضية عن مسيرة جمعة الغضب وهو ما أجج حماس الجميع للمشاركة وفتح أمامهم باب الأمل والفرصة لدخول عصرٍ جديد.. ورغم ذلك يبدو صباح اليوم ـ الأربعاء ـ هادئا، لكن هدوء الثائر، القاهرة بالفعل هادئة وشوارعها ساكنة.. وقوات الأمن تكثف قبضتها لعدم تكرار اعتصام الأمس.. والسويس تشيع جنازة شهدائها في مسيرة شعبية مليونية..

يقول زياد العليمي: عضو ائتلاف شباب الثورة: نحن لم نكن نتخيل أنه في نهاية يوم 25 يناير سيكون لدينا 25 ألف متظاهر في ميدان التحرير مساءا. لقد التقت تظاهرات اليوم الأول وظهر أن ثمة شيء مختلف هذه المرة. .كنا نجتمع في هذا اليوم كل ساعة لبحث التطورات، وفي اجتماعنا الصباحي يوم 26 يناير اتخذنا قرارا بالتوقف، لكننا فوجئنا أثناء الاجتماع بتجدد المظاهرات في أماكن كثيرة، كما أتت الأخبار من السويس والمحلة والمنصورة عبر شبابنا هناك تفيد بأن الأمر يتطور."

ويقول عمرو عز: «فضلنا قطع الاعتصام في يومي 26 و27 يناير، وذلك لعدة أسباب، أننا لم نكن على الاستعداد الكامل للاعتصام، فقررنا تجهيز الإسعافات وتنظيم شكل الميدان، وتوفير إمكانيات للاعتصام، وتنظيم إدارة الميدان.. كان الأمر يحتاج لاستعدادات تمهيدا لجمعة الغضب".

نقابة الصحفيين تلقي بثقلها في ركب الثورة.. ولم تتوانى قوات الأمن أن فرضت حصارا أمنيا مشددا على نقابة الصحفيين ومنعت بكل قوة المتظاهرين داخلها من الخروج، وحدثت مناوشات ومواجهات عنيفة بين الطرفين بالعصيَ والهراوات والقنابل المسيلة للدموع، وبذلك قد شددت قوات الأمن حصارها

على النقاط الحيوية الثلاثة المتجاورة بالآلاف من جنود الأمن وفرق الاعتقال والضرب والسحل والتعذيب حتى لكبار المثقفين من بينهم الأستاذ والكاتب الصحفي الكبير محمد عبد القدوس " مقرر لجنة الحريات بنقابة الصحفيين" والذي تم ضربه واعتقاله في نهاية المطاف على يد ضباط الأمن المحترمين كما يبدوا بالصورة مرتدين زيا مدنيا.



الزميل محمد عبد القدوس «مسحولاً» على الأرض «رويترز»

كان واضحا أن النظام يتعامل مع الشباب الغاضب في الشوارع باستهتار مستهينا بإرادته في كسر قيود الشرطة والأمن.. بينما وجه خطابه الإعلامي لمن يجلسون في منازلهم مطمئنا إياهم حتى لا تنتشر موجات الغضب.. يتجاهل الواقع ويتحدث عن آماله.. وفي الثانية ظهرا، تشتعل القاهرة بالمظاهرات أمام نقابتي المحامين والصحفيين ودار القضاء العالي كما حدث أمس.. المطرية تدخل معترك الانتفاضة.. ميدان المطرية يشهد حشودا بالآلاف.. والإسكندرية تفور بأكملها.. صدى الانتفاضة يدوي في جميع محافظات الجمهورية.. المنصورة ودمياط والبحيرة ومطروح والأقصر وبورسعيد والإسماعيلية.. السويس تستقبل شهيدها الثالث في اشتباكات أثناء تشييع شهداء الأمس.. مظاهرات تخرج من مناطق جديدة لم تعرف التظاهر من قبل.. سيارات الأمن تحمل الآلف من المتظاهرين والناشطين السياسيين والصحفيين إلى معتقل البرج ومعتقل السلاح.. وزارة الداخلية تعلن عن عدد من الإصابات في أفراد الشرطة ووفاة مجند.. والتعامل القانوني مع المتظاهرين طبقا لقانون الطوارئ.. وعدم تجمع أكثر من 4

أفراد في الشوارع.. احتقان الجماهير يكاد ينفجر، وإسرائيل تعلن: النظام في مصر مستقر ولن يتزعزع.. الدعوات للتظاهر تشتعل على "النت ".. الجهات الأمنية تضرب موقعي " فيسبوك و تويتر " الإلكترونيين.. ودعوات تفضل الخميس هدنة استعدادا لجمعة الغضب، نظرا لأن يوم الجمعة هو يوم عطلة رسمية، يسمح بخروج أعداد كبيرة من المتظاهرين يتجمعون في وقت واحد عقب انتهاء صلاة الجمعة..بينما وزير الداخلية " حبيب العادلي" يصرح: نحن لم نستهلك إلا صندوقين غاز.."

وحقيقة، فقد جاءت الأحداث متسارعة، فقط كان نصفها منظما وهو خطط تحرك المظاهرات والاعتصام بميدان التحرير حتى تحقيق المطالب، وغالبها كانت ستتم في حضور الرئيس، لكن تصاعدت الأحداث لسببين آخرين، الأول جاء نتيجة رد فعل الشارع غير المتوقع على هذه المظاهرات، فقد انضمت إليها فئات جميعها كانت للمرة الأولى وهو ما فاجأ الثوار أنفسهم لأن الشعب كان مشحونا ومقموعا ممنوعا من التنفس، وعندما فتح الشباب الطريق سالت الجماهير في الشوارع كما الفيضان.. أما السبب الثالث لتصاعد الأحداث فكان رد فعل على وحشية الشرطة في التعامل مع المتظاهرين، وللحقيقة حتى هذه التاريخ كانت الشرطة تتحاشى إغضاب المتظاهرين أو استفزازهم بأي طريقة، لدرجة أنه عندما وقع مصاب في التحرير ساعة فضه من قبل الشرطة مساء الأمس وهاج الشباب حوله وظنوا أنه قتل، خلال لحظات أرسل مدير الأمن سيارة إسعاف لتحمله، لكن مشاعر الناس كانت ملتهبة وتنتظر وقوع مثل هذه الأمر، وعندما وقع أول شهيد في السويس نتيجة سقطة عفوية من سقطات الشرطة هاج الشعب ولم يتسامح في الدم، وكان هذا الحدث كأنه مفتاح الفرج الذي يبرر مزيدا من الشحن الثوري، فأغلبية الشعب في حالة غضب تنتظر لحظة الانفجار.

وما زال الإعلام القومي يواصل التعتيم والتجاهل..وما زالت الأخبار تتوالى مثل الشلال؛ نطالع جريدة الشروق المصرية؛

عنف عشوائي وقسوة أمنية مفرطة في ثاني أيام الغضب.. أكثر من 1000 معتقل ومطاردات بالرصاص المطاطي وعمليات ضرب وسحل .. المواجهات بين الأمن والمتظاهرين في السويس تتحول إلى حرب شوارع وتنذر بكارثة .. الأمن يحاول اقتحام نقابة الصحفيين بالقنابل المسيلة للدموع ويعتقل 26صحفيًا .. الأمريكان والأوروبيون يدعون لتلبية مطالب المتظاهرين .. متظاهرون يحاصرون مقر أمن الدولة في الشيخ زويد ومواجهات عنيفة في الشوارع.. 15معتقلا و15مصابًا في مظاهرة بلطيم .. بيان الحزب الوطني : نتفهم مطالب الشباب ونسعى لتحقيقها .. اعتقال ألف ناشط ومراكز حقوقية

تصف ما حدث بالمجزرة .. الإسكندرية تحشد للجمعة الغاضبة بعد التشديدات الأمنية .. نيابة شرق تحقق مع 64 متظاهرا و 12 مصابا شاركوا في مسيرة يوم الغضب والأمن يحتجز 200 بينهم منسق حركة كفاية بالإسكندرية .. النائب العام يحقق في بلاغ حول استخدام الشرطة للقوة ضد متظاهرين .. عمال شركة مساهمة البحيرة ينضمون إلى مسيرات الغضب .. اتحاد الكتاب يحيي « الانتفاضة المجيدة» .. عسكري أمن مركزي يهتف مع المتظاهرين .. وضابط يحمل مجندا أصيب بالإغماء من كثافة الغاز .. قيادات الشرطة تدفع المجندين على المتظاهرين «هيلا هوب» والغاضبون يحاصرون التليفزيون ومقر الحزب الوطني ومجلس الشعب .. بلاغ للنائب العام ضد وزارتي الداخلية والصحة وشركات المحمول.. لجنة الدفاع عن متظاهري مصر تتهم الأمن بالضغط على الأطباء والقبض على المصابين في المستشفيات.. رئيس أمن التليفزيون: أغلقنا باب ماسبيرو خشية أن يتعرض العاملون لطوب المتظاهرين.. أسرة أول شهيد بالسويس تتهم الأمن بقتله بالرصاص وتطالب بتقديم المسئولين للمحاكمة.. "علاء الأسواني" : خروج المصريين بالآلاف علامة فاصلة في تاريخنا .. مظاهرة أمام السفارة المصرية بلندن .. مطاردات الشوارع ساعة بساعة حتى مطلع الفجر .. تضامن في لندن وواشنطن مع المحتجين في مصر .. أوباما يشيد بثورة التوانسة ويتجاهل غضب المصريين – إسرائيل تدعوا لقاهرة لمنح المصريين الحرية ..

كان اليوم هو يوم الاعتقالات للصحفيين والنشطاء، يروي مراسل الجارديان "جاك شينكر"عن تجربة اعتقاله في هذا اليوم مع المتظاهرين: أنه تعرض للضرب وأشكال من الإهانة والتنكيل من الأمن أثناء تغطيته لمظاهرات اليوم الثاني من أيام الغضب.. وقال أنه كان يتحدث في هاتفه المحمول ليبلغ عن إجراءات عنيفة يقوم بها الأمن ضد المتظاهرين في ظل سماء يغطيها تماما أدخنة القنابل المسيلة للدموع والأمن يطارد المتظاهرين المهرولين بسرعة من ميدان التحرير حتى شارع الجلاء قام رجلان هرولوا في اتجاهه كان يعتقد أنهم متظاهرين هاربون من قبضة الأمن إلا أنه اتضح أنهم رجال يرتدون ملابس غير عسكرية ولكنهم تابعون للأمن، قاموا بضربه بلكمة بقوة وبشكل لحظي استخدموا الكوفية التي كانت حول رقبته لجره نحو قوات البوليس.

و يروي شينكر أن كل محاولاته لإخبار رجال أمن الدولة بأنه صحفي عالمي سواء كان ذلك باللغة العربية أو الإنجليزية باءت بالفشل حيث كانوا يزيدون توجيه اللكمات والصفعات إلى وجهه و عندما أخبر أحد قياداتهم يبدو أنه رتبة كبيرة، أخبره أنه من بريطانيا، فوجه إهانات بالغة له

و لبلاده بألفاظ بذيئة باللغة العربية. ثم بعد ذلك تم دفعه مع مجموعة من المتظاهرين داخل أحد مباني أمن الدولة حيث تم تمريرهم على مجموعة أخرى من رجال الأمن استمروا في ضربهم بالهراوات منذ وصولهم المبنى إلى أن تم الدفع بهم في اتجاه الحائط، حيث تم إجبارهم على توجيه وجوههم للحائط ثم أخذت منهم محافظهم وهواتفهم المحمولة وأثناء وقوفهم في مواجهة الحائط كان يتنامى عدد المتظاهرين الذين يزج بهم في هذا المبنى ومن يلتفت بعيدا عن الحائط يتم ضربه فورا بقسوة وبشكل مهين. ثم تم دفعهم بقوة إلى إحدى عربات الأمن المركزي الخضراء الكبيرة الحجم من خلال فتحة أو بوابة لا تصلح إلا لدخول شخص واحد ومن ثم ارتطمت رأسه هو و العديد من المتظاهرين المحتجزين بالباب المعدني للسيارة بقوة شديدة، ويضيف أنه كان هناك في السيارة 44 شخص في مساحة صغيرة جدا بالكاد يستطيعون التنفس أو التحرك و تعرض الكثيرون منهم للإغماء. و لم يثني ذلك شينكر عن أداء واجبه كصحفي حيث اكتشف أنه لازال لديه "الديكتافون" الخاص به فقام بوصف ما يجري بصوته وأجرى مقابلات مع المحتجزين داخل السيارة، ثم قام أحد رجال الأمن بسحب متظاهر محتجز بعينه ناداه باسم " نور" و اتضح أنه ابن المعارض المصري أيمن نور ثم قذف به من السيارة ليطير في الشارع لتنزف دماؤه و تتدافع إليه سيارات لتحاول إنقاذه.(مصراوي)

أما الصحفية عبير سعدي تروي تجربة أخرى؛ تحكي عبير عن ليلة القبض على الصحفيين «كان يوم ٢٦ شديد القسوة، قضيناه نحاول الوصول لأماكن احتجاز الزملاء، ووصلنا لمعسكر الأمن المركزي في الجبل الأخضر، لنبدأ مفاوضات قاسية لإطلاق سراحهم من المعسكر».. «الإيثار» الذي ساد في هذا اليوم خلال مفاوضات إطلاق سراح الصحفيين، هو ما تؤكد عبير أنه من المواقف التي لن تنساها «رفض الزملاء المغادرة عندما تفاوضت النقابة لإطلاق سراحهم، لحين إطلاق سراح من تم احتجازه معهم من طلبة كانت امتحاناتهم في اليوم التالي، ولم تجدي معهم محاولات الترهيب أو الترغيب في التراجع عن مطلبهم إلى أن تحقق، وهنا وجدت العشرات يخرجون معًا لخارج المعسكر».

سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان

وصلات خارجية:

1. وثائقي: سلسلة يوميات الثورة المصرية - يوم 26 يناير

https://www.youtube.com/watch?v=T-gKhf3J0Wk

2. المعركة الدموية مع الداخلية في جمعة الغضب ثورة 25 يناير

https://www.youtube.com/watch?v=RzqMYj34c1U

الخميس 27 يناير

في صباح يوم الخميس ، قوات الأمن على أقصى درجة من الاستعداد وانتشار وحداتها في كل مكان.. تحيط بميدان التحرير وتحكم قبضتها لمنع دخول المتظاهرين.. وتستمر المظاهرات أمام نقابتي المحامين والصحفيين ودار القضاء العالي وشارع جامعة الدول العربية.. ومناطق أخرى جديدة.. ومع أن عدد المتظاهرين اليوم أقل من سابقه إلا أنها أنهكت قوات الأمن التي رفعت حالة الطوارئ القصوى خلال الأيام الماضية.. الإسكندرية تشتعل والسويس تستقبل ضحايا وشهداء جدد في اشتباكات عنيفة.. محافظات أخرى تشتعل للمرة الأولى.. ومطروح تقطع طريق السلوم الدولي.. أكتوبر تشهد مظاهرات حاشدة أمام مسجد الحصري.. البرادعي يؤكد أن العالم العربي يشهد البوادر الأولى للربيع العربي.. وفتحي سرور يعلن أن الانتخابات البرلمانية الأخيرة نزيهة.. البورصة المصرية تخسر 41 مليار جنيه.. وصفوت الشريف: " قيادات الحزب الوطني ستظل شامخة!. مظاهرات حتى مطلع الفجر في بولاق أبو العلا وروض الفرج : الأهالي يفتحون بيوتهم للمتظاهرين ..والأمن يزيل آثار المسيرات بعد الفجر

- **الدقهلية: اعتقال طالبي ثانوي و 44 ناشطا .. الجنيه يعاود الانخفاض إلى أدنى مستوى له منذ 6 سنوات وأنباء عن تحويلات مصرفية للخارج .. الأجانب يسحبون 1.5 مليار جنيه من أذون الخزانة وتراجع أصولهم 3.2٪**
- **تكرار المظاهرات يهدد بإلغاء الرحلات السياحية الوافدة إلى مصر .. شركات المحمول تنفى مسئوليتها عن انقطاع الخدمة أثناء الاحتجاجات ولن تقدم تعويضات**
- **خبراء :يوم "الغضب" إعلان النهاية لسياسات نظيف الاقتصادية**
- **الرئيس السوداني البشير :مستعد لترك السلطة إذا ثار الشعب ضدي**
- **الصحافة العالمية تتابع الأحداث عن كثب؛**
- **الجارديان :الأمر مختلف هذه المرة**
- **التايمز :صحوة مصرية**
- **لوموند :يوم لا مثيل له**
- **ليبراسيون :جرأة مصرية**

- الخبر الجزائرية :لهيب تونس في شوارع مصر
- لاستامبا الإيطالية: رياح التغيير تهب على المنطقة
- هاآرتس الإسرائيلية : أعظم استعراض ضد مبارك
- السويس تتحول إلى نسخة مصرية من" سيدي بوزيد التونسية :3شهداء للغضب و 180 مصابا من المتظاهرين و 14من القيادات الأمنية.. استمرار المواجهات بين الغاضبين والشرطة حتى الفجر .. وحرائق في مسجد وقسم شرطة ومبنى سكنى ..ودفن القتيل الثاني « في السر»

يقول د. صفوت حجازي:ذهبنا لدفن الشهيد الأول بالسويس، وكانت قوات الأمن قد وعدت بإحضار 100 أتوبيس لنقل مسيرة الجنازة إلى المقبرة لأنها تبعد السويس على الطريق الصحراوي، وكانت الأهلي تتزاحم حول المشرحة وتدخلت قيادات الأمن ولم تستطع تفريقهم، وبصعوبة تم سحب الجثة من المشرحة،وكان أهله قد سبقونا إلى المقبرة وما زالوا بيحفروا فيها، فوجدت ضابط يقترب مني وأخرج الكارنيه الخاص به، ضابط، لا أذكر اسمه .. كان مرتديا زيا مدنيا، وقال لي: " خلي بالك.. ما بتعرفش إيه اللي حصل؟ قلت له: لا، قال لي إنت مجرد ما نزلت إنت والشيخ حفاظ سلامة، قال لي كده بالنص: "بترتيب مننا حد من الناس بتوعنا المدني طلع بره وقال: " ده قتلوا الشيخ حافظ".

صفوت حجازي: قتلوا الشيخ حافظ.. الدنيا هاجت..قلت له : طب بيعملوا كده ليه، قال لي: عشان يوجدوا مبرر لتدخل قوات فض الشغب، ويمشوا الناس لأنهم ما قدروش يجيبوا المائة أتوبيس فخايفين الناس تاخذ الجثة.وعشان يدخلوا قوات التدخل السريع وفض الشغب لازم يهيجوا الناس.. وبمجرد انتشار شائعة مقتل الشيخ حافظ سلامة، اشتعلت السويس بأكملها وتجمهر الناس حول قسم شرطة الأربعين واشتعلت به النيران، كانت قوات الأمن تتصرف بشكل غير مسئول، وقد يكونوا غير مدركين لعواقب الأمور".

وأما في القاهرة، فتحكي الآنسة " هبة غنام" أنه عندما جاء يوم 26 يناير، لم يتغير فيه من المشهد شيء سوى التعليمات الموجهة لأفراد الأمن، فإذا كان يوم 25 مهمتهم هي فض الاعتصام بأي شكل، ففى اليوم التالي كان صيد المتظاهرين والقبض عليهم، فمن كان يمسك به الأمن المركزي مفقود دون رجعة، وكان أسوأ أيام الثورة بالنسبة لنا كـ«بنات»، لأن عدد المتظاهرين كانوا قليلا وكنا بمثابة وسيلة تسلية للأمن بالضرب أو قنابل الغاز، الأمر نفسه تم يوم 27 يناير، ولكن كل يوم كان يضيف

لنا مجموعة أصدقاء جدد وتوسعت الدائرة وبعد التنبيه بقطع الاتصالات حرصنا على أن يحصل كل منا على رقم منزل الآخرين، استعدادا لجمعة الغضب».

وربما كانت التجربة كافية خلال الأيام الثلاثة الساخنة بدءا بيوم الغضب الثلاثاء 25 يناير وحتى الخميس27 يناير، وكنا قد درسنا التجربة جيدا وتمرّسنا على مواجهة قوات الأمن والتعامل مع القنابل المسيلة للدموع وطلقات الرصاص المطاطي وحالات الإغماء والاختناق والإصابة، واستفدنا أيضا من توعية الرأي العام خاصة الشريحة العظمى من البسطاء ومعرفتهم بالمظاهرات وكيفية المشاركة فيها لأن أغلبية المتظاهرين كانوا للمرة الأولى وبدأت تجربتهم بالمشاهدة ثم التضامن.. بينما كانت الصحف القومية مستمرة في تضليل الشعب وحجب الحقائق، في محاولة للتغلب على وقع الصدمة التي ضربت أركان النظام، فالمظاهرات والاحتجاجات قد انتشرت في كافة محافظات الجمهورية كما النار في الهشيم.. كان واضحا أن يومي الأربعاء والخميس لم يتضمنا خطة تحركات جماهيرية تتجه نحو ميدان التحرير، ولكن فقط مظاهرات عشوائية في الشوارع وأمام مقرات النقابات لإرباك وإنهاك قوات الأمن، كل ذلك في سبيل الإعداد ليوم الجمعة.. جمعة الغضب 28 يناير.

وكانت الدعوة إلى جمعة الغضب قد انتشرت بسرعة البرق في كافة أوساط الشعب المصري من خلال المواقع الإلكترونية ووسائل الإعلام الحرة.. وكان ميعاد ونقاط الانطلاق بديهية ومعروفة لدى الجميع ؛ طالما ذكر يوم الجمعة، فتكون هي كافة المساجد في كافة أنحاء الجمهورية، والتوقيت عقب صلاة الجمعة مباشرة، وبالتالي لم تكن هناك أهمية لتحديد نقاط سرية للتجمع وأخرى للسير للتحايل على قوات الأمن، وإن كانت نقاط التجمع والانطلاق معروفة للجميع هذه المرة حتى قوات الأمن، فلم يبق أمامهم إلا منع المصلين من الوصول إلى المساجد.. لكنه إن كان قد حدث ذلك فيكون بمثابة إعلان الحرب المقدسة على أعداء الله والوطن..

فقبل 25 يناير كان عدد المسيسين المتواجدين بالشارع قليلا، ويمكن للنظام أن يضرب بسهولة أي حراك بالشارع عبر اعتقال المشاركين فيه أو قياداتهم، ولكن لو توسع الحراك وتخطى كل الفئات الاجتماعية سيكون من الصعب القبض على الشعب كله. ولذلك ظلت العديد من القوى السياسية والأحزاب خاصة الرئيسية منها، مثل الوفد والناصرى والتجمع، وجماعة الإخوان تترقب ما يحدث عن بعد، حتى تيقن لهم في يوم 27 يناير أنها ثورة بالفعل، ومن ثم قفزت هذه القوى عليها وبدأت تشارك

فيها. مع أن هذه الأحزاب رفضت منذ البداية الدعوة للتظاهر وأكدت وأجمعت على أنها لن تشارك في مظاهرات 25 يناير لأنه يوم عيد وطني ولا يصح التظاهر فيه..

وفي نهاية اليوم يقول محمد عباس، عضو ائتلاف شباب الثورة،: اجتمعت مجموعة العمل في بيت والدة زياد العليمي، عضو ائتلاف شباب الثورة، بمنطقة العجوزة واتفقنا على مسارات للخروج في يوم جمعة الغضب، وكان أهم ما ركزنا عليه أن تكون المسيرات في مناطق شعبية بسيطة، تستطيع اجتذاب الناس البسطاء المقهورين من حكم مبارك. وأعلنا يومها عددا من المسارات التي نشرتها صفحة (كلنا خالد سعيد) على موقع فيسبوك وشبكة رصد الإخبارية، على أن نسلك طريقا آخر غير هذه المسارات المعلن عنها للوصول لميدان التحرير في هذا اليوم تحديدا".

وصلات خارجية

وثائقي: سلسلة يوميات الثورة المصرية- يوم 27 يناير

https://www.youtube.com/watch?v=Ci_ZvTyoIWc



(5)

جمعة الغضب

28 **يناير** 2011

على مقربة من جامعة القاهرة، تهادت إلى أذني دقات ساعة الجامعة تعلن العاشرة صباحا، وفي ذات اللحظة دق الباب برفق، فاستيقظت وقد شعرت بإجهاد عميق وإرهاق يعصر جسدي، وفوجئت أمام الباب بمراسل إحدى القنوات الفضائية.. وكانت على كتفه كاميرا وإلى جواره مساعده؛ فسمحت لهما بالدخول ليضع الكاميرا على حافة النافذة من الطابق السادس عشر.. وكانت النافذة مُطلة على ميدان الجيزة مباشرة والرؤية تبدو واضحة لكنها غير معتادة، حيث يظهر من النافذة مربع كبير ينقص ضلعا هو واجهة مسجد الاستقامة.. المربع قوامه يزيد عن عشرة آلاف جندي أمن مركزي يختفون تحت خوذاتهم مثل سلحفاة ضخمة.. وربما ظهرت في الصفوف الأولى نوعية أسلحتهم ما بين عصيّ وهراوات سوداء وبنادق آلية وقاذفات قنابل مسيلة للدموع.. وفي إحدى المصفحات تظهر صناديق الذخيرة وقنابل الغاز، وخلف الصفوف تقف ما يزيد عن خمسين سيارة مصفحة وثلاث سيارات مطافئ.. ساحة الميدان والمسجد ومحطة أتوبيس النقل العام تبدو ممتلئة عن آخرها بالجنود والمصفحات، والمكان الوحيد الذي ظل هادئا هو بضعة أمتار قليلة في واجهة المسجد.. الأنفاق مغلقة تماما والكباري والطرق معطلة ومزدحمة بقوات الأمن ومصفحاتها.. ومنذ الصباح وقد قطعت الحكومة كافة وسائل الاتصال (موبايل إنترنت)، في محاولة لتحجيم قدرة الشباب وتضييق فرصهم في الحشد للمظاهرات.

وتطرق الحديث إلى بعض الأمور مع ضيفي المراسل، وتوقعاته لما قد يحدث وتحليلاته لما حدث.. وكان قد سلط عدسته من النافذة إلى المشهد السفلي، وخلع سترته وغطى بها الكاميرا إلا عدستها خوفا من مباحث أمن الدولة الذين يترصدونه وزملاءه بمناظير ثاقبة.. قدمت له فنجانا من القهوة، وحين ارتفع أذان الجمعة انصرفت للصلاة..

يقول الصحفي محمد العريان : أنه كان مترجلا مع رفيقه في أحد الشوارع المؤدية إلى ميدان التحرير، وسط القاهرة، صبيحة يوم الجمعة ٢٨ يناير ٢٠١١، بخطوة سريعة وحذر لم يبطئ منها سوى بدافع الفضول لمعرفة ماهية تجمع عدد من الأفراد حول شخص يبدو من هيئته أنه قائدهم.. الحديث الذي أرهف السمع إليه كان لضابط شرطة مرتديا الزى المدني، وجالسا على طاولة اتخذت من أحد أرصفة الميدان المصري الشهير مقرا لتوزيع المهام والمناطق على عناصر الشرطة، لتغطية الأماكن المتوقع

أن تشهد تجمعات ومظاهرات احتجاجية في القاهرة ضد استمرار مبارك في الحكم. والمناطق التي سمع الضابط يكلف بها أفراد الشرطة غطت جميع الميادين الرئيسية في القاهرة، ما يعني انتشار المظاهرات على نطاق واسع وهو ما أنار بداخله "شعاع الأمل الأول لنجاح الثورة"، التي عانت خلال أيامها الثلاث الأولى من قمع وبطش ومواجهات عاتية بين المتظاهرين والشرطة.

كانت لحظات صعبة، هي التي استغرقها المصعد كي يهبط بي من المشهد العلوي إلى الواقع السفلي، وتوقعت القبض عليَ بمجرد فتح باب المصعد، وتخيلت ألوان العذاب وصرخات الضحايا في سراديب أمن الدولة.. ونصحني حراس البرج بالصلاة بعيدا عن هذا المسجد المحاصر لكنني رفضت، وعند اقترابي من قوات الأمن وجدت جنديا يجري نحوي ففكرت لحظة فيما سيحدث، متوقعا أن يكون ضيفي المراسل مرصودا وأنا بجواره وسيتم ترحيلنا فورا إلى جهة غير معلومة.. لكنه اتجه مسرعا إلى قاعدة الكوبري.. يحمل الهراوات والعصيَ لتوزيعها على زملاءه وتبعه مجموعة حملت باقي الهراوات والخوذات.

تسلل المصلون إلى داخل المسجد في ممر ضيق ترك فارغا ما بين واجهة المسجد وقوات الأمن، واحتشدوا بكثافة عالية داخله وأمامه حتى أن الكثير منهم لم يجد مكانا يجلس فيه فسمعوا الخطبة واقفين وحتى الصلاة كانت بركوع جزئي لا يتعدى الانحناء دون السجود.. والبعض فضل الصلاة تحت سيارات الأمن وبين إطاراتها نكاية في أصحابها.. وبين المصلين ظهر الكثير من الإعلاميين، صحفيين ومراسلين مصريين وأجانب يحملون كاميراتهم التي صودرت جميعها عقب الصلاة مباشرة.. وقد أصر الدكتور محمد البرادعي على الجلوس أرضا أمام واجهة المسجد وبصحبته شقيقه ولفيف من الشخصيات العامة، طلب منهم ضابط الأمن دخول المسجد لكنهم رفضوا وفضلوا الجلوس على الأرض، حذرهم الضابط من اتساخ الأرض بسبب روث البهائم!! لكنهم أصروا على موقفهم. وكالمعتاد فلم يجرؤ خطيب الجمعة على تخطي الكلمات المحددة من قبل الجهات المعلومة والتي تمحورت حول الدروس المستفادة من عبارة " أطع وليَ الأمر ولو جلد ظهرك وأخذ مالك"..

وفور ختام الصلاة ارتفع الهتاف في داخل وخارج المسجد " الله أكبر.. الله أكبر " خلال الدقائق الخمسة الأولى وتحول بعدها إلى " الشعب يريد إسقاط النظام ".. وعندما بدأت المصفحات ومضخات المياه تدير محركاتها هتف الجميع " سلمية.. سلمية" لكنها كعادتها لم تعبأ بسلميتهم.. فتقدمت واخترقت الزحام وبدأت مضخات المياه أعلى السيارات وفي مقدمتها وجوانبها تعمل بكفاءة عالية في كافة الاتجاهات، وانطلقت قنابل الغاز فجأة بكثافة عالية حتى امتلأ المسجد بدخانها الخانق،

وكانت قوات الأمن على درجة عالية من الغباء جعلها تحاصر المسجد ولم تترك شبرا واحدا لخروج المصلين، وهو ما استفز الجميع حتى من كان لا ينوي الانضمام للمظاهرات وجد نفسه مُكرها عليها فتحمس للموقف، وتحمس بعض الشباب الشجعان وشكّلوا درعا بشريا في مواجهة مضخات المياه..

وقف الدكتور محمد البرادعي أمام مضخة المياه برغم سنه المتقدمة ، وسلطت مضخة المياه خرطومها على رأسه ووجهه وسقطت نظارته الطبية فحاول إعادتها إلى وضعها لكن المياه لاحقته.. وتطوع مجموعة من الشباب لإسعافه فحملوه بعيدا إلى داخل المسجد رغم إصراره على الصمود وسط الشباب، فقد قطع رحلته من أوروبا للانضمام إلى مسيرات الشباب في هذه الانتفاضة، ومهما كانت الانتقادات التي وجهت إليه فيما قبل أو بعد فقد أثبت نضاله بجدارة بهذا الموقف وسط الشباب، بل إنه بالفعل أول من دعا من جيل العواجيز إلى التغيير الشامل مع حركة كفاية.. بالإضافة إلى كثيرين غيره من بينهم الدكتور سامي الغزالي حرب رئيس حزب الجبهة الديمقراطية والدكتور عبد الجليل مصطفى المنسق العام للجمعية الوطنية للتغيير والدكتور محمد أبو الغار مؤسس حركة 9 مارس لاستقلال الجامعات والإعلامي أحمد منصور المذيع بقناة الجزيرة، والدكتور إبراهيم عيسى وشاعر الثورة الشاب عبد الرحمن يوسف، وغيرهم كثير. وكثير من شباب حملة دعم البرادعي.



تدافعت المصفحات والجنود وضيقوا الحصار على واجهة المسجد، فاتجه المصلون للخروج من جهة الكوبري.. تجمعت أمامهم قوات الأمن وتزاحمت أسفل الكبرى وفي هذه اللحظة انفرجت ثغرة في

صفوف الأمن أمام واجهة سنترال الجيزة المركزي.. فتدافع منها الآلاف في لحظة وتجمعوا في شارع جامعة القاهرة.. وبذلك تشتتت قوات الأمن ما بين محاصرة المجموعة الباقية داخل المسجد وأمامه وأمام السنترال وأسفل الكوبري، وما بين ملاحقة المجموعة الأخرى في شارع الجامعة.. وكنت ممن تجمعوا في شارع الجامعة، وحاولت قوات الأمن ملاحقتنا بقنابل الغاز ومضخات المياه، فكنا نسير أمامهم بسرعة وهم يلملمون خراطيمهم وأذيالهم خلفنا، ولصدفة القدر فقد جاء اتجاه الرياح ليأخذ غازات قنابلهم على وجوهم وهو ما أعاق حركتهم وفتح الطريق أمامنا خاليا إلا من نسمات الهواء النقية.. وحاولوا ملاحقتنا بمضخات المياه لكن خزاناتهم قد أفرغت تماما وعمل الجنود على سحب خرطوم سيارة الإطفاء لوضعه في خزان المضخة، وكان على سيارة الإطفاء أن تتحرك خلف المصفحة بنفس سرعتها لتزويدها بالمياه.. ولصدفة القدر ثانية، فجاء فرق السرعة ما بين المضخة وسيارة الإطفاء، الذي أدى إلى انقطاع الخرطوم فلم تعد سيارة الإطفاء قادرة على تزويد المضخة بالمياه.. وكانت المياه باردة وملوثة وباللون الأحمر الدموي وأحيانا كبريتية حامضة ملأت ساحة الميدان وشارع الجامعة لدرجة أن كل من يرها يتخيل أنها دمائنا..

تحركت الجموع بهتافاتها وأعلامها في شارع جامعة القاهرة، وصعد بعض المصورين الصحفيين والهواة أعلى سيارات النقل العام المتوقفة على جانبي الطريق لالتقاط المشهد بعدساتهم.. كانت بوابة حديقة الحيوان مغلقة وتجمع خلفها بعض الأسر بالداخل، فاتجه نحوها بعض الشباب وحاولوا دفعها بقوة حتى فتحت على مصراعيها وهتفوا " يا أهالينا انضموا لينا.. انتو معانا ولا علينا " لكنهم على ما يبدو وقفوا خلف البوابة بصحبة أطفالهم للمشاهدة فقط ومحاولة حصر الأعداد الغفيرة..

بوصولنا إلى ميدان الشعلة وعلى مقربة منه حيث البوابة الرئيسية للجامعة، كانت حشود الأمن المركزي متراصة بالآلاف في صفوف ومسلحة بذات الأسلحة المعتادة وعندما اقتربنا منهم انهالت علينا قنابل الغاز من جميع الاتجاهات ومن أسطح مباني الجامعة خاصة كلية الهندسة وملحقاتها على جانبي شارع الجامعة، وفجأة أحاطتني القنابل بكثافة عالية ولم أر شيئا أمامي إلا كتل من الدخان الأبيض، وذهبت في عالمٍ أبيض في أبيض.. حتى أسعفني الشباب بالخل والبيبسي وكمامة للوجه خففت من حدة الألم والاختناق خلال لحظات، وكان بيدي هاتفي المزود بكاميرا فيديو كانت في وضع التشغيل لحظة انهال عليَ الدخان. وبعدما أفقت، بحثت عن آخر القطات؛ فوجدتها التقطت ما يقارب العشرة دقائق وصورت ما لم أدركه ولم أره بعيني بسبب ضربات الغاز، كانت الصورة تهتز أثناء الحركة والجري وتلتقط كتل من الدخان تملأ الهواء، وحتى صرخاتي المتألمة وأصوات زملائي الذين

التفوا حولي لإسعافي، كل هذه الأحداث لم أراها ولم أدرك حدوثها لكن كاميرتي أدركتها بدقة عالية. وهذا ما نبهني إلى أهمية توثيق أحداث الثورة أول بأول، ولهذا اصطحبت مفكرتي.



كانت قوات الأمن قد حاصرتنا بأعداد هائلة وطوقتنا بالقنابل من أعلى مباني الجامعة فلم نرد الاشتباك معها أو الالتحام بها في مواجهات ضارية. كانت وجهتنا المرور إلى ميدان النهضة، لكن صفوف القوات أحالت دون وصولنا، ففضّلنا العودة ثانية إلى ميدان الجيزة للانضمام إلى مجموعتنا الباقية أمام المسجد، وتزايدت الأعداد بكثافة ملحوظة، وكانت المسيرات الحاشدة تأتي إلينا من كافة الجهات، حيث يستقبل ميدان الجيزة تشعب مجموعة من الشوارع الرئيسية وفي مقدمتها شارع الهرم وشارع فيصل والسودان وصلاح سالم ليصب في شارع مراد وشارع الجامعة.. وكان معظمهم من المتظاهرين بحكم الموقف عقب صلاة الجمعة.. وللمرة الأولى، وأعداد كبيرة موزعة في مداخل الشوارع الحارات الضيقة تتابع الحدث عن قرب.. كانت فرحتنا عارمة بهذا الرزق الوفير الذي يتدفق علينا حشودا هادرة من كل الاتجاهات..

يقول علي خفاجي، متظاهر: وقتها كان كل حلمي أن يتكرر نموذج تونس وهروب مبارك مثلما فعل بن علي ، ووجدت هذا الحلم قريبا جدا عندما شاهدت رد فعل الناس علي المظاهرات، فقد انضم إلينا كثيرون من المارة عقب صلاة الجمعة مرددين معنا شعارات " الشعب يريد إسقاط النظام " و " عيش حرية عدالة اجتماعية " ، ولحسن حظنا انشغل الأمن المركزي بتجمع مسجد الاستقامة – الذي

كان به د. محمد البرادعي - فترك لنا فرصة للحشد من شارع الهرم حتى خرجنا من قلبه بأكثر من 20 ألف متظاهر وفتحنا الكردون الذي أقامه عساكر الأمن المركزي، وقتها كان الجميع يهتف من قلبه والحماس الثوري يشعل الشوارع حتى أن أحد شباب الإخوان قابل ضابط أمن دولة في شارع الهرم فقام بكسر هاتفه وقال له " عصركم انتهي وكفاية تجسس علينا " وظل الضابط مصدوما غير قادر علي الرد لمدة طويلة من جرأة الشاب".





استمرت الأحداث تتوالى وتصاعدت المواجهات أكثر ما بين التراشق بالحجارة من الجانبين وإطلاق قنابل الغاز والرصاص المطاطي والخرطوش وطلقات الصوت والرصاص الحي أتى في المرحلة الأخيرة، وقد استفز

جموع الشباب فصعدوا أعلى الكوبري وقذفوا قوات الأمن بالحجارة حتى تفرقت إلى مجموعات احتمت من مقذوفاتهم أسفل الكوبري وفي مداخل الشوارع القريبة، واحترقت سيارة شرطة أعلى الكوبري وأخرى أسفله بالقرب من إحدى العمارات السكنية، وأسرعت سيارة الإطفاء لإدراك الموقف لكن عمالها خشوا الاقتراب والدخول في قلب المعمعة فتطوع الشباب بسحب خرطوم المطافئ من أسفل الكوبري وقاموا بتوجيهه إلى السيارة المشتعلة، وأسرعت السيدات لإلقاء المياه مكن البلكونات لإطفاء السيارة، برغم أنها أولى سيارات الشرطة التي احترقت خلال الانتفاضة، لكن الخوف كان من الخطر المحدق بها؛ إذ أن هذه السيارة اشتعلت بالقرب من عمارة سكنية وهبت النيران في جوانبها.

كانت طلقات قوات الأمن انتشرت بشكل عشوائي وبكثافة عالية، لكن لم تستهدف المتظاهرين وجها لوجه، وكانت تطلق بعشوائية لترهيبهم فأصابت الكثير من أجهزة التكييف المعلقة على جدران العمارات السكنية والمكاتب الإدارية، فاحترقت، ومع هبوب الرياح امتدت ألسنة اللهب إلى داخل المباني السكنية فأدت إلى احتراق بعضها حتى أدركته سيارة الإطفاء.

وقرب العصر كانت قوات الأمن قد أجهدت تماما بسبب تزايد أعدادنا باستمرار وتوزعها في مجموعات على مداخل الشوارع وهو ما شتت قوات الأمن وفرقها إلى مجموعات صغيرة صار بعضها محاصرا، وبعضها الآخر لا يزال يشتبك مع الحشود المتظاهرة، ولا يريد أيٌ من الطرفين الاستسلام للآخر. وزادت كثافة الدخان الخانق حتى وصل إلى الطوابق العليا من المباني والعمائر وصار الهواء ملوثا به، ولا زالت القنابل تسقط بكثافة في كل مكان، فوق رؤوسنا وعلى أسطح المباني والعمارات والبلكونات وأعلى الكباري وحتى مدرسة الجيزة الإعدادية ومنافذها الزجاجية لم تنج من القنابل ودخانها، حتى أقفاص الحمام وعصافير الكناريا في البلكونات صارت هدفا للغاز الخانق والقنابل العشوائية.. والشباب يتلقون قنابل الغاز بقطع من القماش ويقذفونها على الجنود فيتبادلونها ركلا بالأقدام بينهم حتى تعود إلينا فنعيدها إليهم ثانية، فليس لديهم الخبرة للتعامل اليدوي مع القنابل المرتدة كما يفعل الشباب.. وكان نفق المشاة الواصل بين مجموعة من الشوارع المتشعبة ومسجد الاستقامة قد امتلأ عن آخره بالغاز وفوارغ القنابل، فأحيانا ما كان الشباب وجنود الأمن يلقون القنابل تنفس دخانها فيه إذا ما سقطت بالقرب منهم.. وقد سقط على درجات سلمه رجل مسن كاد أن يلفظ أنفاسه من الاختناق والإعياء، فحمله ضابط الأمن على يديه إلى مدخل إحدى العمائر السكنية لإسعافه.

وعندما قربت ذخيرة الأمن على النفاذ وحميت موجة التراشق بالحجارة بين الطرفين، تدخل مجموعة من الجنود بين الطرفين ورفعوا أيديهم ملوحين سلمية.. سلمية.. حتى هدأت موجة التراشق

بالحجارة، وضمت قوات الأمن أفرادها في صفوف أسفل الكوبري وفتحت لنا الطريق في شارع مراد، وكان الصف الأول يتقدمه ضابط يليه مجموعة من الأمناء والمجندين، وبمرورنا أمامهم كان الشباب يحيونهم بتحيتهم العسكرية ويسلمون على قائدهم ويغمرونه بالأحضان وهو يهنئهم " مبروك لمصر"، أما باقي الصف فكان السلام بالأيدي والتحية الشفهية، ولو كنت بيننا لتعجبت أكثر من تعليقات الشباب لجنود الأمن من نوعية " والله عذرينكم " و " احنا بندافع عن حقوقكم وأولادكم وبلدكم " و " أنتم أخوانا والبلد بلدنا كلنا "، وتجد بعض الشباب يعطون ما بأيديهم من زجاجات مياه وعصائر ومأكولات إلى أفراد الأمن، ثم يصطفون لتحفيز جنود الأمن المركزي و كان بينهم كثيرين متعاطفين مع المتظاهرين فكانوا يهتفون لهم " يا أمين ساكت ليه.. ارفع صوتك زى الناس .. دى مش بلدك وللا إيه "

ومن أروع ما حفظت ذاكرتي في هذا المشهد أن أحد الباعة الجائلين كان يحمل الصميد وينادي بين المتظاهرين " الواحدة بنص جنيه " وعندما فتحت قوات الأمن الطريق لنا أخذ يجري ويصرخ " ببلاش.. ببلاش.. " حتى وزع كل ما كان معه على الشباب؛ فسأله شاب يبدوا وقورا وأنيقا " بجد.. ببلاش؟ " فأجاب البائع " والله ببلاش " فأخرج الشاب ورقة من جيبه بمائتي جنيه وأعطاها له.

وتحركت الجموع في شارع مراد تهتف " الشعب يريد إسقاط النظام "، بدأت أرى أطرافا أخرى تنضم إلينا: رجالا بسطاء ونساء وشباب صغار السن، وشبابا آخرين يبدون من هيئتهم أنهم أثرياء. فتأكدت وقتها أنها ثورة شعبية بامتياز،كلما شعر الشباب المتظاهرون بأن الأمن يقترب منهم يرددون بصوت عالٍ ويصفقون بأيديهم "سلمية. . سلمية" وقبل أن نعبر الشارع المؤدي إلى الكورنيش بدأ الناس يطلون علينا من البلكونات بفرح و يحيوننا بمحبة وبامتنان كبير، كأنهم كانوا يتمنون مرورنا تحت نوافذهم. كنا كمن يسير في موكب عرس لا مظاهرة غضب. البعض منهم أنزل لنا كميات كبيرة من زجاجات المياه المعدنية وزجاجات البيبسي كولا والخل والمناديل وكمامات الوجه وعصائر. كأننا في حلم. الشباب يرفعون العلم المصري بثقة لم أرها من قبل، يلفت انتباهي الكم الهائل من كاميرات التصوير المصوبة من النوافذ ومن المارة لهذا المشهد المهيب، وحرص المتظاهرون أنفسهم على التقاط صور للمظاهرة، كأن الكل يدرك أنها لحظة تاريخية فارقة لا ينبغي أن يفوت عليه أمر توثيقها بالصور. شعرت لأول مرة بالحميمية مع غرباء ألقاهم لأول مرة. كان يجمعنا حلم واحد طوال الطريق هو أن يسقط النظام والظلم معه.

تحولت الجموع في شارع شارل ديجول على كورنيش النيل، وبدأ الإعلاميون يتجولون بكثافة بين المتظاهرين ويلتقطون الصور.. كانت السيارات تسير في صف واحد وباقي الطريق مفتوح للمتظاهرين.. و " كلكسات " السيارات تهتف بالتنسيق التلقائي مع هتافات الشباب، " الشعب يريد إسقاط النظام" وكأننا في عرضٍ عسكري نرج الأرض بأقدامنا وخطواتنا وهتافاتنا المتناسقة، حتى وصلنا إلى ميدان نهضة مصر قبالة كوبري عباس.. هذا الكوبري بأضلاعه الطويلة والبطولات التي شهدها على يد الشباب للعبور من الجيزة إلى القاهرة حيث ميدان التحرير، دائما ما يذكرني بحادثة كوبري عباس التي وقعت في 9 فبراير عام 1946م حيث خرج الطلاب في مظاهرة من جامعة القاهرة إلي قصر عابدين و سلكوا طريق الكوبري، وكان مفتوحا لمرور السفن فنزل بعض طلاب كلية الهندسة أسفل الكوبري لغلقه كي يعبر الطلاب إلى وجهتهم النهائية قصر عابدين في تحدٍ صارخ لقوة البوليس الإنجليزي.

وكنت قد تقدمت المتظاهرين بعد ما بح صوتي في الهتاف؛ فوجدت قوات الأمن بالآلاف متمركزة على الكوبري بمواجهة تمثال نهضة مصر ، وأفسحت لنا قوات الأمن الطريق في شارع شارل ديجول واحتشدت على الكوبري، وتركزت بكثافة حول السفارة الإسرائيلية، وعندما اقتربت منها الجماهير هتفت " سلمية.. سلمية " واستمرت في سيرها حتى وصلت ميدان الجلاء.. وهذا الميدان يُعد بمثابة بؤرة ساخنة تلتحم فيها المسيرات الحاشدة القادمة من ضواحي الجيزة وتتوحد قبل وصولها ميدان التحرير، فهو أقدم معبر في التاريخ بين محافظتي القاهرة والجيزة.

كانت الأحداث تدور في أنحاء العاصمة وكافة محافظات الجمهورية بنفس الوتيرة لتعزف سيمفونية الانتفاضة الشعبية، وتكررت مجموعة من المشاهد في المناطق الحيوية عبرت عن الغضب الشعبي في كافة الشوارع والميادين.

المشهد الأول:

في ساحة مسجد الفتح بميدان رمسيس، دعا إمام المسجد في خطبته رجال الأمن إلى الرفق بالشباب قائلا : رفقا بشبابنا، دعوهم يعبروا عن رأيهم"، ووجه خطابا مماثلا إلى المصلين؛ رجال الشرطة إخونك، ونحن جميعا إخوة، الجندي الذي يقف لحفظ الأمن، حرام أن يسفك دمه، وحرام أيضا سفك دماء الشباب الذي خرج لمجرد التعبير عن رأيه.." وبمجرد إتمام صلاة الجمعة، صعد النداء كما هو حال كل مساجد مصر في ذات اللحظة " الله أكبر.. الله أكبر"، وكانت الآلاف من قوات الأمن تحاصر

ساحة الميدان، وحاول المتظاهرين الخروج من الحصار الأمني؛ فتقدم أحد الشباب وتحدث إلى أحد ضباط الأمن قائلا " إحنا بنعبر عن رأينا ولازم نعدى " فرد عليه ضابط الأمن " إنت بتعبر عن رأيك وأنا باعمل شغلي ومش هتعدي "، وعلى أثر هذا الحوار القصير اشتعلت المواجهات بين الفريقين، فريق المتظاهرين يهتف " الشعب يريد إسقاط النظام "، وفريق الأمن يرد بقنابل الغاز وطلقات الصوت والرصاص المطاطي والخرطوش.. ومع إطلاق المئات من القنابل تحولت ساحة المسجد والميدان إلى سحابة من الدخان وتفرق المتظاهرون بعضهم إلى داخل المسجد وبعضهم في الشوارع القريبة حتى هدأت سحائب الدخان؛ فتجمعوا مرة أخرى ليتم تفريقهم بالغاز ثانية، وتسارعت الأحداث.. سقط الكثير من الجرحى والمصابين بالاختناق.. والشباب يحملون المصابين من السيدات وكبار السن وحتى جنود الأمن لإسعافهم داخل المسجد، والأطباء المتطوعون يحاولون إنقاذ الجرحى.. ويتناقص عدد المتظاهرين بسبب الهجمات العنيفة.. والأهالي يحضرون الكثير من الإسعافات.. زجاجات المياه والخل والبيبسي والشاش وكمامات الوجه وكميات من البصل لإفاقة المصابين بالإغماء والاختناق.. المتظاهرين والأهالي يصعدون أسطح العمارات ويقذفون قوات الأمن بالحجارة.. قوات الأمن تسيطر على الميدان وتشدد حصارها على ساحة المسجد.. والجنود يسحبون من تطوع من الأطباء والشباب لإسعاف المصابين ويوسعونه ضربا بهراواتهم وعصيهم سحلا وركلا بالأقدام.. ومن فقد وعيه يحملونه ويلقونه بطريقة مهينة على الرصيف.. ويعتقلون الكثير من الشباب والإعلاميين والصحفيين والمصورين.. ويصعد جنود الأمن العمارات السكنية ليعتقلوا المئات من الشباب والكثير من الإعلاميين دون أن ينسى أفراد الأمن تفتيش الغرف المغلقة بحثا عن الناشطين..

الساعة تقترب من الثالثة عصرا.. مسيرة حاشدة قادمة من غمرة تزيد عن ثلاث آلاف.. تتمكن من إنقاذ الموقف وكسر الطوق الأمني لتدخل ميدان رمسيس وسط مقاومات الأمن.. تشتعل سيارة أمن في الميدان وتشتعل معها الأحداث.. تلحق بها سيارة شرطة أخرى.. قوات الأمن تطلق الرصاص الحي بشكل عشوائي في الهواء.. ربما إذانا بانسحابها والمتظاهرون يسيطرون على ميدان رمسيس وأعدادهم تتزايد بعد انهزام قوات الأمن.. المتظاهرين يتفرقون ويتجمعون في مظاهرة حاشدة تلتقي أطرافها في ميدان العتبة ووسط البلد، حيث كانت الأحداث مشتعلة في هذه المنطقة، فتزايدت كثافة الحشود وتحركت الجماهير بهتافاتها ولافتاتها في شوارع وسط البلد متجهين إلى ميدان التحرير.

المشهد الثاني:

في ميدان المطرية، حيث تجمع الآلاف عقب صلاة الجمعة أمام المساجد متجهين إلى ميدان المطرية حيث اعتادوا التظاهر في هذا الميدان باستمرار احتجاجا على سوء أوضاعهم المعيشية والاقتصادية.. قوات الأمن تحصد الجميع بالقنابل والرصاص المطاطي والخرطوش.. وقرب الثالثة عصرا، قوات الشرطة تطلق النار بشكل عشوائي تحصد الجميع في الشوارع والبلكونات أمام قسم المطرية.. يسقط خمسة عشر شهيدا بينهم فتاة توثق أحداث الثورة في مفكرتها،ومأمور قسم المطرية يرديها قتيلة برصاصة في القلب.. والجماهير تغضب وتتجمهر في ميدان المطرية..

المشهد الثالث:

في ساحة مسجد شبرا الكبير، قوات الأمن تبادر بإطلاق القنابل على المصلين قبل أن يخرجوا من صلاتهم.. الأقباط يتطوعون لحماية المصلين من قنابل الأمن ويشكلون درعا بشريا ما بين قوات الأمن والمصلين حتى إتمام صلاتهم.. بعد الصلاة، المتظاهرون يهتفون وقوات الأمن تضيق الحصار.. يتقدم رجل مسيحي في الثمانين من عمره ويتحدث إلى جنود وضباط الأمن قائلا " نحن نحمي مساجدكم من قنابلكم؟.. أليست هذه بلدكم، وهؤلاء أهلكم؟ " جنود الأمن يجهشون بالبكاء من مرارة الأوامر العسكرية ويثبتون في أماكنهم دون هجوم.. وبعد مرور ساعة من الحصار الأمني يتمكن المتظاهرون من كسر الحواجز الأمنية.. القنابل تنهال عليهم بالآلاف.. طلقات الخرطوش والمطاط تلاحق الجميع.. مأمور قسم شبرا يأمر جنوده بضرب كل من وجد في الشوارع والبلكونات بالرصاص الحي.. أحد جنوده يرفض الأوامر فيقتله فورا برصاصة في رأسه.

أعداد الجرحى والمصابين والشهداء تتزايد.. والمسيرة الحاشدة تتحرك من منطقة شبرا الشعبية مثل كرة الثلج مُحملة بالغضب.. كلما تقدمت في طريقها إلى ميدان التحرير، انضم إليها المئات والآلاف من مناطق مختلفة.. من إمبابة والعجوزة والمهندسين وبولاق ومنطقة ناهية، وآخرها كانت مسيرة حاشدة في شارع جامعة الدول العربية تتمكن من اختراق الحصار الأمني أمام مسجد مصطفى محمود، لتتسع الدائرة وتتحرك الجماهير إلى ميدان الجلاء في طريقها إلى التحرير..

المشهد الرابع:

في ساحة مسجد رابعة العدوية بمدينة نصر..الآلاف يهتفون " الله أكبر.. الله أكبر" وهو أمر لم يكن متوقعا بالنسبة للكثيرين؛ فغالبا ما تكون الطبقات الأرستقراطية في غنى عن المظاهرات والثورات وما يصحبها من اضطرابات، لكن على ما يبدو أن الوضع قد اختلف هذه المرة؛ فسكان مدينة نصر من الطبقة الراقية ينفذون خطة المناطق الشعبية بحذافيرها، ويتجمعون بالمئات والآلاف في

الشوارع والممرات التي يصعب محاصرتها، ثم يتجمعون في بعض الشوارع الفرعية والرئيسية ليحاصروا قوات الأمن أمام مسجد رابعة العدوية.. فقوات الأمن نفسها مُحاصرة بين فكين، الأول في ساحة المسجد والثاني من خلفهم، فتعلن انسحابها بكل أدب واحترام.. هكذا، دائما ما يكون الأغنياء محظوظين أكثر من الفقراء حتى في مظاهراتهم.. فقد حرروا أنفسهم من قبضة الأمن دون إراقة قطرة دم واحدة وقبل أن تطلق عليهم رصاصة واحدة.. وتتحرك الحشود بما يزيد عن عشرة آلاف مرورا بالحشود أمام مسجد الرحمن ومسيرة قادمة من العباسية ليلتحم الجميع في ميدان رمسيس وتهتف الجميع " كرامة.. حرية.. عدالة اجتماعية "، وصولا إلى مشارف ميدان التحرير..

المشهد الخامس:

في ساحتي مسجد الحسين والجامع الأزهر، قوات الأمن تكثف قبضتها في المكان وتمنع المصلين من الوصول إلى المساجد.. فقط سمحت لألفي شخص بدخول الجامع الأزهر.. خطبة الجمعة لم تتجاوز العشر دقائق.. ترتفع الهتافات عقب الانتهاء من صلاة الجمعة.. الجماهير تضغط على قوات الأمن من كل اتجاه وقد نشرت متاريسها وحواجزها المعدنية في الشوارع لمنع وعرقلة الحركة الجماهيرية.. واستمرت قوات الأمن تطارد المتظاهرين في الشوارع .. في العتبة، والغورية ، وأغلقت محطة المترو ..المتظاهرون ينتشرون في تجمعات متفرقة في الشوارع لتفتيت قبضة الأمن وتشتيت قواته.. تتجمع مظاهرة حاشدة في العتبة وتتجه إلى ميدان التحرير.

المشهد السادس:

في مسجد السيدة زينب، صعد الإمام المنبر وأخذ يعنف التظاهر ويصف المتظاهرين بالتخريب ونشر البلبلة وتكدير الأمن والسلم العام.. المصلين يصعدون إليه في محاولة لإنزاله .. خطيب المسجد يستغيث بقوات الأمن.. تنتهي الخطبة.. يخرج المصلين.. عشر دقائق من الصمت..المكان مكثف بقوات الأمن والسيارات المصفحة، غير أنه قريب من قسم شرطة السيدة زينب..المتظاهرين يتحركون جماعات في صمت إلى ميدان التحرير..قوات الأمن ترسل مجموعات من البلطجية خلفهم.. خطف وضرب وسحل واعتقال في سيارات الأجرة التي تمت مصادرتها من موقف السيارات.. وعلى أثر هجمة البلطجية، الدنيا تشتعل حرب شوارع.. سيارات الأمن تجوب الشوارع وتغرقها بقنابل الغاز.. الشباب يجمعون عربات القمامة الخضراء ويضعونها في صف في عرض الشارع لمنع سيارات الشرطة، ويحرقون الإطارات.. يهتفون فتندفع نحوهم سيارة الشرطة بجنون.. يمطرونها بسيل من الحجارة.. تتراجع السيارة أمام عربات

القمامة.. قوات الأمن تنتشر ومع ذلك يتجمع البسطاء والفقراء من كل جانب، وسائقي الأجرة، أحدهم يقول: " كويس إنكم جمعتم بعض ع الفيس بوك ده "

المتظاهرون يتناولون أقنعتهم و كمامات الوجه ومناديل مبللة بالخل ومعونات أخرى هلت عليهم من الأهالي ويتقدمون وسط غبار الغاز الخانق في تحدٍ لقوات الأمن.. جرحى يتساقطون بالعشرات.. شائعة وفاة شخص بالاختناق بالغاز.. الغضب يشتعل أكثر .. قوات الأمن أنهكت دون دعم .. والمتظاهرون في الصفوف الأولى يتزايدون ويتبدلون والدعم متواصل.. قنابل الغاز ترتد إلى جنود الأمن والحجارة تلاحقها بكثافة.. ضابط يجري.. يدرك الجنود أن القصة انتهت فيتفرقون في ذعر خلفه .. آلاف المتظاهرين يزحفون نحو ميدان السيدة.. سيارات الأمن تهرب.. الفتيات يزغردن والشباب يُكبِّر..

قسم شرطة السيدة؛ مغلقة أبوابه ونوافذه بإحكام.. يقف الضباط فوق سطحه، ويطل أحدهم على الشباب ويطلق سيلا من الرصاص الحي بسلاحه الآلي بطريقة استعراضية لتخويف المتظاهرين.. يتأمل شاب منظر الضابط وينتظره حتى ينتهي ثم يسأله بهدوء: خلصت؟.. لحظات ويحترق قسم الشرطة.. شخص يتأمل مشهد حريق القسم ويعقد النية للتوجه مسرعا إلى قسم الأميرية لحرقه والذي كان قد عذِّب فيه..وينطلق المتظاهرين في الشوارع وتزداد أعدادهم وحماستهم بعد هزيمة الشرطة في طريقهم إلى ميدان التحرير.

المشهد السابع:

خارج القاهرة؛ السويس تعلن غضبها وتكشر عن أنيابها.. أكثر من خمسين ألف يتظاهرون في ميدان الأربعين وميدان الإسعاف.. والشيخ حافظ سلامة يقود المظاهرات في ميدان الأربعين ويهتف لسقوط النظام.. والشيخ سلامة من مواليد 1925، وقد عمل واعظا بالأزهر وتدرج حتى تولى مستشارا لشيخ الأزهر، وقاد حملة المقاومة الشعبية بالتعاون مع قوات الجيش في حرب أكتوبر عند اختراق القوات الإسرائيلية للثغرة.. وتمكنت المقاومة من إفشال خطة احتلال السويس، وبقي الشيخ سلامة قائدا للمقاومة الشعبية حتى بعد أن تجاوز السادسة والثمانين من عمره، وقد اشتعل غضب المتظاهرين خاصة بعد انتشار شائعة اغتيال الشيخ سلامة، فامتلأت شوارع وميادين السويس بالمتظاهرين..وعدد كبير من سيارات الأمن تحترق.. قسم شرطة الأربعين يحترق بالمولوتوف.. والمتظاهرون يتوجهون إلى مبنى المحافظة في محاولة لاقتحامه تعبيرا عن غضبهم..العنف يشتعل في كافة ميادين السويس.. مواجهات عنيفة بالرصاص الحي ما يين قوات الأمن والمتظاهرين.. بعض الأهالي يحملون أسلحة نارية،

والعشرات يسقطون قتلى في المواجهات بين الطرفين.. المتظاهرون يسيطرون على أسلحة قسم شرطة الأربعين، ويستخدمون القنابل المسيلة للدموع ضد رجال الأمن..

الإسماعيلية تلمع بوضوح على الخريطة الثورية.. بعض محافظات الدلتا تشهد حشودا بعشرات الآلاف خاصة المنصورة ودمياط والبحيرة وكفر الشيخ ومطروح والعريش.. مواجهات عنيفة في كفر الدوار وعشرات من الشهداء..

المشهد الثامن:

ساحة القائد إبراهيم بالإسكندرية، تشهد عشرات الآلاف من المصلين داخل المسجد وخارجه.. حشود في ميدان سعد زغلول.. وعلى طول شارع الكورنيش.. قوات الأمن تبدأ بإطلاق القنابل على المصلين قبل ختام صلاتهم.. المصلون يتظاهرون ويهتفون " الله أكبر.. الشعب يريد إسقاط النظام ".. قوات الأمن تتعامل بعنف مع المتظاهرين.. متظاهرو الإسكندرية أقل عنفا من السويس وأكثر عنفا من القاهرة.. والمواجهات تتحول إلى التراشق بالحجارة.. الشباب يقفون في الصفوف الأولى والفتيات يهرولن إليهم بأكياس الحجارة.. العنف يتزايد بالقنابل والرصاص المطاطي والخرطوش.. الأهالي يفتحون أبواب منازلهم للمتظاهرين كي يستنشقوا هواءً نقيا بعيدا عن الدخان.. السيدات يسعفن المصابين.. الشباب يتجمعون في الشوارع والممرات الجانبية ويهاجمون قوات الأمن بطريقة الكر والفر.. السيدات والفتيات يقفن خلفهم يدفعونهم للتقدم دفاعا عن الكرامة.. النخوة تشتعل في الصدور.. قنابل الأمن تغطي الميدان بسحابة من الدخان الخانق.. الأقباط يحتمون داخل مسجد القائد إبراهيم (مع أن هذا المسجد بالتحديد قد شهد مظاهرات طائفية من قبل).. هجمات الشباب تتواتر وقوات الأمن تتراجع وتنسحب..

وقرابة الثالثة عصرا..متظاهر بالإسكندرية: في جمعة الغضب أمام قسم شرطة المنشية بوسط الإسكندرية، الذي يخدم مناطق المنشية والسبع بنات، وهي مناطق شعبية إلى حد كبير. هاجمت مجموعة من البلطجية قسم الشرطة، واقتحمته، ففر الضباط من القسم، إلا المأمور وهو ضابط كان برتبة عقيد حينها، رفض الفرار. وكنت أنا ومجموعة من الأصدقاء بالقرب من القسم، وشاهدنا واقعة اقتحام البلطجية، وفرار الضباط، فدخلنا القسم ووجدنا المأمور ملقى على الأرض بعدما طعنه أحدهم بسكين في كتفه وتصور أنه مات، حملنا المأمور على أكتافنا، وقال لي "أرجوك ما تسيبنيش ليهم. فقلت له مش هسيبك غير في المستشفى، وهجيلك البيت بعد ما تخرج علشان أتطمن عليك".

مأمور قسم الرمل ثان يأمر أحد جنوده بحصد كل من وجد أمامه بالرصاص الحي.. والجندي يرفض.. مأمور القسم (وائل الكومي) يأخذ السلاح بعنف من يد الجندي ويحصد أرواح 28 شاب وفتاة في الشوارع والمنازل والبلكونات المواجهة لقسم الشرطة.. ثم يدخل إلى الزنازين ويأمر أحد المحبوسين احتياطيا بخلع ملابسه ويستبدلها هو بملابسه العسكرية ثم يخرج متخفيا من الباب الخلفي في الشوارع حتى لا يعرفه أحد..

مأمور قسم الجمرك يفعل نفس الشيء لتأمين انسحابه ويصب غضبه على الأهالي.. يحصد أرواح 25 منهم رميا بالرصاص.. ونفس الشيء يحدث في قسم المنتزه ويسقط أكثر من 13 شهيد.. والإسكندرية بأكملها تفور بعد انتقال الأخبار من مناطق لأخرى.. شارع أبو قير على استقامته وعرضه يمتلئ بالحشود الغاضبة التي تهتف بإسقاط النظام وحتى محطة قطارات "سيدي جابر" .. قوات الأمن تحجم عن إثارة الغضب أكثر..تشكيل من جنود الأمن المركز يرفض إطلاق قنابل الغاز على المتظاهرين..الجماهير تحاصر قسم "باب شرق" بالآلاف في محاولة لاقتحامه، ثم تشتعل النار في قسم باب شرق.. وتبدأ موجة إحراق جميع مراكز الشرطة في الإسكندرية وانسحاب الأمن من المدينة بعد الفشل في قمع المتظاهرين.



مئات الآلاف يتجمهرون على شريط الكورنيش وحول الميناء من قلعة قايتباي مرورا بمسجد المرسي أبو العباس وميدان الجندي المجهول بالمنشية وميدان سعد زغلول ومسجد القائد إبراهيم وحتى ساحة

مكتبة الإسكندرية.. مراسل التليفزيون المصري يرصد الحدث بالصوت والصورة ويعلن أن الوضع مستقر وأنه تمت السيطرة على الأمور ولم يبق إلا عشرات المتظاهرين في شوارع متفرقة.. ولسوء حظه تلتفت الكاميرا فجأة إلى البحر عن طريق الخطأ من المصور لتنقل قوس قزح من الشعب السكندري الثائر يعانق البحر.. فالجماهير تلقي بنفسها في الشوارع كما الحيتان التي تنتحر على الشواطئ.

الكاميرا ترصد مئات الآلاف من المتظاهرين في شارع الكورنيش بامتداده بعدما أعلن التليفزيون أنهم عشرات من الصبيان في شوارع متفرقة.. لتأتي هذه اللقطة الخاطفة بمثابة آخر مسمار في نعش الإعلام المصري الخائن والمزيف للحقائق.. وعلى ما يبدو أن المصور كان ذكيا جدا..



الغريب أن ذات المشهد يحدث في القاهرة بالتزامن على كوبري أكتوبر وبذات التفاصيل.. حيث سلطت عدسات ماسبيرو على مكان هادئ أعلى الكوبري من خلف الحواجز الأمنية لينقل الصورة واضحة للمشاهد خالية تماما من أي أثر لمتظاهرين ويعلن أن الوضع مستقر والأمور سارية على ما يُرام.. وفجأة تضغط حشود المتظاهرين على قوات الأمن في محاولة لاختراقها.. يحاول القائمون على كاميرات ماسبيرو سحب الصورة إلى الرصيف بعيدا عن المواجهات والاشتباكات العنيفة وقنابل الغاز.. ويزدحم الرصيف فجأة بالمتظاهرين وسط الدخان.. فتتراجع قوات الأمن نتيجة الضغط الجماهيري، فيضطر القائمون على عدسات ماسبيرو مرة أخرى لسحب الصورة بعيدا عن الرصيف لتسقط على

صفحة مياه النيل ليعلنوا للجميع أن القاهرة هادئة هدوء النيل ولم يدركوا بعد أن هناك ثورة على ضفاف النيل تكاد تكتب آخر فصولها البطولية وآيات مجدها على ضفافه..

كتب الأستاذ محمد النجار في مدونة ثورة الغضب يقول: هذه السخافة وانعدام المصداقية هي ما دفع بمذيعتين في تلك القنوات إلى تقديم استقالتهما وهما المذيعتين :سها النقاش ورجاء إبراهيم، وقد بررت الأولى استقالتها بافتقاد الأخلاقيات المهنية في تغطية الاحتجاجات المتواصلة التي تطالب برحيل الرئيس مبارك، وقالت إنها قرأت خمس نشرات إخبارية في قناة النيل للأخبار في 26 يناير، وهو ثاني أيام الغضب، وأنها استاءت لأن شوارع القاهرة صورت على أنها هادئة، بينما كانت تعج بآلاف المتظاهرين، وأنها قررت ألا تعود مرة أخرى لمزاولة نشاطها الإعلامي في تلك القناة، لأن التغطية افتقرت إلى الحد الأدنى للأخلاقيات المهنية، كما أضافت أنها خلال الاستراحة كانت تذهب مع الزملاء الذين كانوا يتجمعون أمام قنوات تلفزيونية أخرى لمشاهدة ما يحدث في مظاهرات علنية مستمرة في كل مكان في مصر!

كما اعترف الإعلامي محمد ناصر رئيس تحرير برنامج" العاشرة مساء "أن وزير الإعلام" أنس الفقي "يحاول أن يسيّر الإعلام بعقلية الستينيات، فهو يضغط لعدم نشر الحقائق والصورة الكاملة، وأنه يريد منهم أن يتبنوا وجهة نظر وزارة الداخلية فقط والتي تقول أن ثورة الغضب المصرية ما هي إلا أحداث شغب تقودها جماعة الإخوان المحظورة، وأنه هدده هو وصاحب القناة التي يذاع عليها البرنامج بإغلاقها أو بمنعهما من السفر وغير ذلك من الأساليب القذرة الملتوية.

أضف إلى ذلك منع المذيع محمود سعد من الظهور على التليفزيون المصري في برنامج" مصر النهارده "أثناء الثورة وذلك بسبب رغبته في استضافة شخصيات معارضة للنظام المصري على البرنامج وهو ما رفضه أمن الدولة، مما دفع به إلى تقديم استقالته احتجاجا على هذا القرار.

(6)

"يا نعيش أحرار.. يا نموت أبطال"

عصر جمعة الغضب 28 يناير

عقارب الساعة تتجاوز الرابعة عصرا جمعة الغضب.. القاهرة في ساحة ميدان الجلاء والجماهير تتوافد من كل حدبٍ وصوب لتتلاحم في ميدان الجلاء الذي ينطلق منه شريان الحركة عبر قصر النيل إلى ميدان التحرير.. المسيرات والحشود تتجمع وتتلاقى لتصب زخمها في ساحة الجلاء.. وكثيرون أرهقهم التعب والإجهاد فاستلقوا أرضا في حدائق الميدان.. حوارات ونقاشات تدور بين الجميع حول مصير البلاد.. الصبيان والفتيات وأطفالٌ يتجولون حاملين بعض الإسعافات وكمامات الوجه وأقنعة الغاز.. وبعض الأطعمة المعلبة من وجبات المجندين التي تحصل عليها الشباب من سيارات الأمن المركزي بعد أسرها وبعض الأسلحة بدون ذخيرة والدروع والخوذات..ومن وقتٍ لآخر يهرع مجموعة من الشباب حاملين مصابا لإسعافه.. وكانت عدسات الإعلاميين تتجول لتنقل دقائق وتفاصيل الأحداث إلى شاشات التلفزة العالمية في صراع حميم مع الإعلام المصري..



قوات الأمن متمركزة بالآلاف على امتداد شارع التحرير من ميدان الجلاء مرورا بالأوبرا وكوبري قصر النيل وحتى ميدان التحرير.. وآلاف يصعب حصرها من ألوان الجماهير المحتشدة في ساحة الجلاء والشوارع القريبة في سابقة هي الأولى من نوعها، تذكرنا دائما بعصر الاحتلال ومليونية التحرير ومطالب الجلاء عام 1954 التي احتشدت الجماهير من أجلها في ميدان التحرير.. وهنا يسهل على الراصد من قريب أو بعيد أن يتأكد من ميلاد الثورة.. التي تحولت من مظاهرة يقودها الشباب والصبيان إلى ثورة بمعناها الدقيق، فلأول مرة نرى أطفالا وشيوخا، هذه الجموع لم نعهدها في الشوارع هكذا إلا في حالات الكوارث.. وفيما قبل كان الجميع ينظر إلى المظاهرة باعتبارها حفلة شغب للصبية وتلاميذ المدارس المشاغبين يتسلون بفراغ وقتهم في الفوضى.. أما اليوم فصارت كلمة مظاهرة تحمل معنى النضال وتلقي كل احترام وتشيع الحماس والوطنية في النفوس، وما أعطاها هذا المعنى الجديد هو جدية الشباب وحماسهم الوطني..

لم يعد هناك مجال للكر والفر والهجمات الخاطفة أو التراشق بالحجارة.. وتحول الموقف إلى هجمات من الأمن يقابلها صمود وإصرار وضغط متواصل من الشباب، وتتخللها فترات هدنة، كانت الصفوف الأولى من الشباب في فترات الهدنة تقترب من جنود الأمن وضباطه.. يتبادلون الآراء والنكات والضحكات والمشروبات.. وفي لحظة ود حميمية تصدر الأوامر العسكرية من الخلف لضرب المتظاهرين؛ فتنهال عليهم مضخات المياه وسيل من قنابل الغاز الفاسدة والرصاص المطاطي والخرطوش.. وفي لحظات يسقط العشرات من الجرحى والمصابين بالمئات من الشظايا الحارقة وطلقات الرصاص المطاطي التي تفقأ العيون.. والمصيبة أنها تأتي مُصلتة عمدا وبعناية على الوجه والرقبة..

كانت بقع المياه والدماء تغطي المكان.. هلع وصراخ وصمود في المقدمة.. بعض الشباب والأطباء يحاولون إنقاذ ما يمكن إنقاذه من المصابين فتتصيدهم قوات الأمن لتنزف دمائهم إلى جوار جرحاهم وتصيبهم قنابل الغاز فيصابون بالإغماء والاختناق مع نزيف الدم المتواصل.. وكنا نحاول في خلسة اختطاف المصابين أمام الصفوف الأولى لجنود الأمن ونقلهم على دراجات نارية للمستشفيات.. وبعض سيارات الأجرة والميكروباص المتطوعة ولم يكن لدينا سيارات إسعاف في حين أنها كانت تخترق صفوف الأمن ذهابا وإيابا لنقل الخدمات والمؤن والذخيرة.. والأغرب من ذلك أن الأجهزة الأمنية كانت تترصد الشباب والمصابين وسائقو سيارات الأجرة والدراجات النارية فور وصولهم إلى المستشفيات وتقوم باعتقالهم..

استمرت الهجمات على هذه الحال واختنق الجو بالغاز وتراجعت قوات الأمن قليلا مع تغطية تراجعها بمضخات المياه الكبريتية الحارقة؛ فهجم المتظاهرون عليها وأسروا أربع سيارات لوري مصفحة وثلاثة من الضباط وجنودهم، وبمجرد أن حاصرهم الشباب وأنزلوا سائقي السيارات بالقوة، نزل الضباط وخلعوا ملابسهم العسكرية ووضعوها تحت أقدامهم تفاديا لصفعات بعض الشباب المحروقة قلوبهم. كان الجنود يقفون بجوار السيارات مثل القطط المذعورة وتعاطف الجميع معهم بعدما أخبرونا بأنهم لم يناموا منذ ستة أيام وأنهم على حالة الاستعداد القصوى منذ 23 يناير، ومن يرفض منهم تنفيذ الأوامر العسكرية سيكون مصيره الإعدام فورا.. وصعد الشباب أعلى السيارات وأخذوا يلوحون بالأعلام وعلامات النصر ويهتفون " يا نعيش أحرار.. يا نموت أبطال ".وحاول مجموعة من المتظاهرين إتلاف السيارات وحرقها لكن الباقون رفضوا واكتفوا بتحريكها إلى جانب الطريق وتعطيل إطاراتها كاملة.. وخلال ذات الهجمة كانت وحدة من جنود وضباط الأمن حوصرت بسياراتها خلف فندق شيراتون القاهرة وعزلت تماما عن باقي الحشود الأمنية وتدخل بعض الشباب للتفاوض معهم بعدم الانضمام لباقي قوات الأمن أو الاشتباك مع المتظاهرين، ووافقوا على وضع سيارتي إطفاء للفصل بينهم وبين المتظاهرين..



أما حبيب العادلى وزير الداخلية فقد كان يستخف بالأمر، ولم يقدر حجم الغضب.. يقول عبدا لله كمال في حديث لـ«الأهرام»: قابلت العادلى يوم 26 بعد ساعات من أحداث يوم 25 وفوجئت به يلقى على مسامعي قفشات جنسية، في محاولة منه ليبدو متماسكا، حتى إنه وضع في يدي 20

قطعة شيكولاتة على سبيل الهزار! أدركت وقتها أن هناك مشكلة حقيقية، كان العادلى يقول لمبارك، إنها أزمة وتمر، وذهب لافتتاح مسجد الشرطة بمدينة أكتوبر بعد ظهر جمعة الغضب"، وكان يعتقد أنه قادر علي السيطرة، وأن الداخلية يمكن أن تنهي المظاهرات في ساعاتها الأولي، ولم يكن علي ضباط الداخلية بعدها إلا أن يعودوا إلي بيوتهم ليتناولوا الغداء مع أولادهم وزوجاتهم. لكنه عاد إلى بيته قبل أن يعود إلى مكتبه مهرولا مساء نفس اليوم، ثم لم يستطع الخروج من مكتبه بعد أن حاصره المتظاهرون.

تراجعت قوات الأمن قليلا بجوار دار الأوبرا وعدلت صفوفها وقد استشاطت غيظا من مشهد الشباب الذي يرتعون فوق المصفحات الأربعة المأسورة وهم يلوحون بأعلامهم وهتافاتهم " يا نعيش أحرار يا نموت أبطال" ترج المكان وتغازل عدسات الإعلاميين.. فكثفت قوات الأمن هجماتها على المتظاهرين وصبت جام غضبها على الجرحى والمصابين ومن يحاولون إسعافهم وتعاملت معهم بالطريقة التي يتم بها تصفية أسرى الحروب.. ورغم ذلك كانت قوات الأمن تتراجع شبرا شبرا ونحن نتقدم مترا بمتر، ويسقط الكثير منا مصابين وقد اختنق الجو تماما بالغاز والجميع يستعمل كمامات الوجه وأقنعة الغاز تفاديا للاختناق والإغماء.. والحشود الخلفية تتقدم بسرعة ضاغطة عندما تصلها أخبار الطليعة بأن قوات الأمن تراجعت خطوة للخلف.. في ذات الأثناء كان أحد مباني الأوبرا قد اشتعل به حريق، ربما بسبب الطلقات العشوائية لقوات الأمن وأسرع الشباب لإخماده حتى تقدمت سيارة إطفاء وتولت الأمر.. وللحقيقة كان الشباب أكثر وطنية وخوفا على بلدهم وممتلكاتهم بينما كان رجال الشرطة أكثر ولاء وتفانيا في أداء الأوامر، مع أن الفريقين أبناء وطنٍ واحد، لكنهم لا يعيشون ذات الظروف.



وفجأة تراجعت قوات الأمن مسافة مائتي متر إلى الخلف وتمركزت في ميدان سعد زغلول وصرنا على مرمى حجر من كوبري قصر النيل (مدخل ميدان التحرير).. كانت قوات الأمن قد انتشرت بكثافة عالية في الميدان والشوارع المؤدية إليه، وبدأ إطلاق الرصاص الحي بعنف من شارع مجلس قيادة الثورة إلى أن جاءت هدنة، واقترب الشباب من جنود وضباط الأمن وتبادلوا الحوارات كعادتهم.. وأخبرهم أحد الضباط بأنهم سوف ينسحبون من كافة مواقعهم في تمام الرابعة والنصف عصرا وستدخل القوات المسلحة لتتولي الأمر.. وبعد وقت تراجعت قوات الأمن من ميدان سعد زغلول إلى كوبري قصر النيل وتمكنت خطواتنا الأولى من مدخل كوبري قصر النيل ، وصارت أكتافنا بمحاذاة أسدا قصر النيل، ووقفنا انتظارا للحظة التي ستعلن فيها قوات الأمن انسحابها الأخير..



وعلى مرمى البصر كانت ألسنة اللهب وأعمدة الدخان تتصاعد من سيارات الأمن المحترقة على كوبري أكتوبر وأسفله وفي ميدان عبد المنعم رياض وحول المتحف المصري وأمام المجالس القومية المتخصصة.. كانت جبهة أخرى عن قرب منا لكن أكثر سخونة تشتعل بالأحداث والمواجهات العنيفة التي دارت بين مجموعات الأمن التي حاصرت المكان والمسيرات الحاشدة التي قدمت من مناطق مختلفة من أنحاء الجيزة والقاهرة في اتجاهها إلى ميدان التحرير عبر كُوبري أكتوبر وميدان عبد المنعم رياض.. وكانت صافرات سيارات الإطفاء لا تنقطع بالتوازي مع طلقات الرصاص الحي تدوي في كل مكان من حين لآخر معلنة عن سقوط ضحايا وشهداء؛ فقوات الأمن منذ صلاة الجمعة تحاول تطويق المظاهرات لمنعها من دخول الميدان وتتصدى لها بعنف، لكن إرادة الجماهير العنيدة تنتصر في النهاية بعد أن تحولت المنطقة إلى ساحة قتال تنتشر فيها المصفحات المحترقة ومضخات المياه وسيارات الإطفاء وقنابل الغاز وطلقات الرصاص والخرطوش وأكوام الحجارة نتيجة موجات التراشق ما بين المتظاهرين وجنود الأمن، فكلما حمي الجنود في إطلاق قنابل الغاز والخرطوش كان الشباب يمطرونهم بوابل من الحجارة.

وعلى كوبري قصر النيل، أحد الشباب يؤذن للصلاة ويصطف الجميع على طول الكوبري مستغلين فترة الهدنة من أجل الصلاة.. قوات الأمن تبادر بإطلاق قنابل الغاز وتطلق مضخات المياه على المصلين أثناء الركوع والسجود.. ولا أحد يتحرك من مكانه رغم قوة ضغط المياه الكبريتية.. الاحتقان يزداد والغضب يشتعل في صدور الشباب بسبب الاعتداء على حرمة الصلاة.. المصفحات

تقتحم الجموع بعشوائية.. كثيرون سقطوا تحت عجلاتها الغاشمة أثناء دورانها بعنف.. شاب يسقط تحت عجلاتها الخلفية فتنفجر رأسه وتسيل دماء الرأس وتتهشم عظامها..كانت هذه اللحظات من أعنف المواجهات وأغزرها دماء ومع ذلك لم يتراجع المتظاهرين شبرا واحدا، كان يتزاحمون ويضغطون بصفوفهم على قوات الأمن فتختنق فتضطر للتراجع كي تعدل صفوفها وتعطي الجنود قدرا من حرية الحركة والوقوف، ثم تقدمت سيارات الأمن تناطح الجماهير بصدرها، وكان الشباب يتعلقون بمقدمتها في تحدٍ صارخ للقوة، ثم تعود السيارات للخلف فتدهس من يقع تحت عجلاتها.. كان المشهد قاسيا جدا.



شاهد فيديو جمعة الغضب على كوبري قصر النيل: https://youtu.be/PujwO_iY5BU)



وكما وصف المشهد ". الناشط السياسي محمد القصاص ذي المرجعية الإسلامية، يقول:كلما اقتربنا من الميدان تصاعد إصرارنا على الوصول وتضاعف حماسنا لتقديم أي تضحية، مهما كانت، لتحقيق الحلم..كان كوبري قصر النيل هو المحطة الأخيرة قبل الوصول لميدان التحرير، "شهد معركة ضروس بين قوات الأمن التي دهست مركباتها المتظاهرين عمدا وبشكل عشوائي، في محاولة جدية لإجبارهم على التراجع. وسقط الكثير من الشهداء على الكوبري، من بينهم الشهيد مصطفى الصاوي، كان بعضهم يؤدي الصلاة، وأطلقت قوات الأمن قنابلها بكثافة، فالتقطها بعض الشباب وألقوها في النيل، واضطررنا لتكسير الأرصفة وقذفنا قوات الأمن بالحجارة التي كانت سلاحنا الوحيد."(فيديو استشهاد مصطفى الصاوي– صديق القرآن https://youtu.be/Xk1ManDAbPY)



كانت المصفحات تتحرك إلى الأمام والخلف بعشوائية على أجساد من سقطوا تحت عجلاتها في جولتها الأولى وتعود للخلف على من سقطوا أثناء رجوعها وكأنها عملية إعدام للبذور والنباتات الفاسدة.. الشباب يتراصون بصدورهم لصد قوات الأمن ومصفحاتها لوقف المجزرة فتوجه الرصاص الحي إلى صدورهم العارية.. الصفوف الأولى تلتقط قنابل الغاز بقطع من القماش أو الورق المقوي وتعيدها إلى جنود الأمن فيتبادلونها ركلا بأقدامهم إلى أن تعود إلينا ثانية.. والصفوف الخلفية تقذف القنابل في مياه النيل لتنفس دخانها فيذهب بعيدا مع الرياح.. أعمدة الدخان الخانق تتصاعد.. السيارة التي دهست المتظاهرين على الكوبري تحترق بعد أن أشعلوا فيها النيران.. لم يعد مكانا فارغا على الكوبري.. زحام شديد.. مياه متراكمة ودماء سائلة في كل مكان.. الطريق مغطى بفوارغ قنابل الغاز والرصاص، وكمامات الوجه والمناديل المبللة بالخل وبقع الدماء تنتشر في كل مكان تحت أقدام المتظاهرين.. والغاز يغطي الرؤوس وقد ترسب في ملابسنا المبللة وحتى على أرض الطريق.. وحتى صدورنا امتلأت برواسب الغاز وأعيننا لا تكف دموعها عن غسلها باستمرار حتى غامت الدنيا في عيوننا من كثرة الغاز الذي ترسب بها.. وما زلت لافتاتنا وأعلامنا ومعنوياتنا تعلو..

قال الشاعر الساخر أمل دنقل «إن الرصاصة التي ندفع فيها ثمن الكسرة والدواء.. لا تقتل الأعداء.. لكنها تقتلنا إذا رفعنا صوتنا جهارا.. تقتلنا وتقتل الصغارا».... لكن الشباب تركوا صوت التشاؤم وهتفوا جميعا : "أهلا أهلا بالرصاص بس أموت مرفوع الراس".. وهنا نظر أحد المجندين في يأس إلى قائده ليقول: يا باشا خلاص، الشعب كده ركب».. بعدها بقليل بدأت قوات الأمن تنسحب بهدوء، لكن خطوات المتظاهرين كانت أسرع من خطوات السيارة الأخيرة لقوات الأمن فسبقتها إلى مشارف ميدان

التحرير. خرجت من هذا المشهد المؤلم دون أضرار لكنني رأيت أجسادا تنزف، وفقد كثير من المتظاهرين وعيهم وآخرون أكثر فقدوا عيونهم.

وتحكي الآنسة "هبة غنام" في هذا الوقت عن تفاصيل جمعة الغضب كما رآها الجميع في الفيديوهات المصورة على كوبري قصر النيل، والتي التقطها المراسلون من فندق سميراميس، أن المشهد جعلها تغير مسارها مع أصدقائها بالتوجه إلى الزمالك ومنها إلى كوبري 15 مايو كطريق بديل للوصول إلى التحرير وتقول «كما توقعنا كان الأمن يتربص بنا على مشارف الميدان، وبدأ في ضربنا وقذفنا بقنابل الغاز، وقتها أتذكر أن أسوأ مشهد لن أنساه هو وجود رجل مسن أصيب بأزمة من استنشاقه للغاز وجرينا به إلى أحد الفنادق الكبرى لإسعافه ومساعدته، فإذا بأمن الفندق يمنعه من الدخول، وأغلقوا كل الأبواب في وجوهنا، حتى إن نزلاء الفندق من الأجانب شاهدوا ذلك من الشرفات فنزلوا محاولين فتح الأبواب لإسعاف المريض، ولكن دون جدوى، وبكل أسف تكرر المشهد عند فنادق أخرى اتبعت الأسلوب نفسه، رغم أننا لم نطلب سوى إدخال المريض».



إن النظام قد انتحر عمليا بوقوع هذه المجزرة، وانعدمت فرصته للنجاة بعد اليوم كما انعدمت إنسانيته في التعامل مع زهور الحياة.. يقول الدكتور عبد الحليم فنديل ردا على سؤاله: هل توقعت نجاح الثورة بعد اندلاع شرارتها الأولى؟أجاب؛ قبل ثورة 25 يناير بيوم واحد سألني مراسل لوس انجلوس تايمز عما يمكن أن يحدث في 25 يناير فقلت له بالحرف الواحد: إنها في الغالب بروفة الثورة، ولما سألني ومتى تحدث الثورة إذن؟أجبته إنه في الغالب إذا حدث خطأ أمني ستتحول البروفة إلي ثورة حقيقية كاملة لأن الخطأ الأمني في نظم من هذا النوع ليس مجرد خطأ، إنما هو خطأ خلقي لا يمكن تجنبه؛

فأنت لا تستطيع أن تربي وحشا ثم تمنعه من نهش الناس، ونظام مبارك كان يعتمد علي قاعدة أمنية تتكون من مليون وسبعمائة ألف شرطي، وهو أكبر جهاز في العالم بعد جهاز الأمن في الصين. وفي اليوم الأول للثورة لم يتجاوز عدد المتظاهرين في ميدان التحرير وبقية مدن مصر المائة ألف، متظاهر وكان سقف مطالب الشباب المتظاهر هو إقالة حبيب العادلي لكن مع الخطأ الأمني الخلقي الذي حدث عند مواجهته للمظاهرات بالقوة واستخدام الغازات المسيلة للدموع، تصاعد الغضب ليصل إلي ذروته في جمعة الغضب التي وصل فيها عدد المتظاهرين إلي مليون في ميدان التحرير، وفي جمعة الغضب أيضا وصل الخطأ الأمني إلي ذروته، وهنا تأكدت تماما من نجاح الثورة وسقوط مبارك وقلت إن الأمر قضي تماما"

وبالفعل كان الخطأ الأمني الخلقي كافيا لأن تقوم ثورة كاملة.. على كل حال، تراجعت قوات الأمن إلى مقر جامعة الدول العربية وأحكمت قبضتها لمنع الجميع من دخول الميدان.. والمتظاهرون يتسربون في شارع الكورنيش ومنه إلى شارع ميريت أمام المتحف المصري.. مراسل الـ " بي. بي. سي" يصعد بكاميرته محتضنا عمود الإنارة على حافة كوبري قصر النيل ويثبت كاميرته ليلتقط مجموعة من المشاهد والأحداث الساخنة في بوتقة الميدان..

المشهد الأول:

في قلب ميدان التحرير، الجماهير تتدافع من كل الجهات فرادى وجماعات بعد أن تمكنت من كسر كردونات الأمن في مناطق مختلفة بأنحاء العاصمة.. وقوات الأمن تلملم عتادها على عجلٍ فلا تتمكن بسبب مطاردة المتظاهرين.. الضباط يختفون عن الأعين ومتظاهرون يهجمون على مصفحات الأمن لتحرير المعتقلين بعد سحب الجندي من سلم السيارة.. سيارات الأمن تتواتر من جهة عبد المنعم رياض في محاولة مستعصية لاختراق الجماهير والوصول إلى مقر الوزارة، ثم ترتد عائدة للبحث عن ممرٍ آمن، وقد ترك الضباط جنودهم في الشوارع بلا قيادة ولا أوامر.. الجنود يحتارون في التصرف بعتادهم وعهدتهم (سيارات وأسلحة)، ثم يذهب إليهم شايين قرب ميدان طلعت حرب ويتفقا معهم على تأمينهم للمرور إلى مدخل وزارة الداخلية، وينصرفوا بعدها لإقناع المتظاهرين في المكان بترك " الغلابة يعدو".. وبالفعل تنطلق السيارات المصفحة مسرعة وسط صيحات المتظاهرين بالنصر، ويعبر خلفها طوابير الجنود بالخطوة السريعة، يتقدمهم أقدمهم، حتى عبروا بسلام إلى شارع الفلكي.. بينما آخر جندي في الطابور يتلفت خلفه فزعا من حين آخر حتى استقرت قدماه على رصيف الوزارة..

المشهد الثاني:

قوات الأمن مُحاصرة أمام جامعة الدول العربية بين المتظاهرين في ميدان التحرير والمتظاهرين على كوبري أكتوبر.. تخلي طريقها بسرعة منسحبة إلى شارع عمر مكرم وتسلك طريقها من خلف مجمع التحرير إلى شارع قصر العيني لتنضم إلى القوات المتمركزة ما بين الجامعة الأمريكية والمجمع.. حشود المتظاهرين تدخل الميدان من كافة الاتجاهات.. قوات الأمن متمركزة بأعداد غفيرة في مدخل شارع قصر العيني في حماية القناصة المتمركزون على الجانبين فوق مباني الجامعة الأمريكية ومجمع التحرير ووزارة الداخلية ومجلسي الشعب والشورى والسفارات..

المعركة التي بدأت في ميدان التحرير تشتعل بعنف قرب غروب الشمس.. قوات الأمن أمام الوزارة تطلق المئات من قنابل الغاز فترتفع في الهواء لتسقط بأعمدة الدخان في قلب الميدان بصورة متتابعة ليتحول الميدان إلى عاصفة دخانية بيضاء.. قوات الأمن تطلق الرصاص المطاطي والخرطوش بعنف على وجوه وصدور الشباب بشكل مباشر فيسقطون وثقوب الموت منتشرة على وجوههم وصدورهم.. فريق من المجندين يطلق الرصاص الحي على الأقدام والنصف السفلي من الجسد.. في حين القناصة فوق المباني المجاورة يمطرونهم بوابل من الرصاص الخارق للجماجم وفي منتصف الصدر.. طلقاتهم لا تحيد عن هدفها قيد أنملة.. الشباب يأخذون من ألواح الصاج ومصدات المرور ودروع الشرطة التي استولوا عليها أثناء المواجهات دروعا لهم وبعضهم يحمل ألواح من الخشب ويدخلون بها على قوات الأمن ويشعلون مصفحاتهم أو يقذفونهم بالحجارة.. بعضهم يسقط مُصابا والبعض يجري لإسعافه فتلاحقه رصاصات القناصة من الأعلى والأمن من أسفل.. قوات الأمن تجاهد في حماية آخر معاقلها (مقر وزارة الداخلية)، والمتظاهرون مصرين على اقتحامه..

محترفي التصوير يتجولون وسط الميدان لالتقاط اللحظات البطولية النادرة ومن ثم نشرها لإشعال الرأي العام كي تهب جماهير الشعب لإنقاذنا من هذه المجزرة.. الدكتور أحمد بسيوني – أستاذ التربية الفنية بجامعة حلوان– يرصد بكاميرته أحد القناصة متمركزا فوق المجمع لاصطياد الشباب.. فيأمر من حوله من المتظاهرين بالابتعاد عن أماكنهم ولو خطوة واحدة كل دقيقة حيث القناص يرصد الواقفين بعدسته.. فيقوم أحمد بسيوني بتنبيه الشباب حوله لتغيير أماكنهم باستمرار حتى يبتعدوا عن مرمى القناص.. مرة وراء أخرى..يتحول إليه القناص ويضعه تحت المجهر .. فيسقط على الأرض وتدهسته مدرعة للأمن المركزي قبل أن يتمكن أصدقاؤه وتلاميذه من إنقاذه.. وسقطت كاميرته بما تحمل من بطولات كان آخرها هو نفسه ليرقى شهيدا في الحال..

المشهد الثالث:

سيارة الأمن تناطح المتظاهرين بعنفٍ وسط الميدان ويظهر من فتحتها العلوية جندي يطلق النار بكثافة عالية في محيط نصف دائري يدور معه حيثما توجهت مدرعته .. يقف أمامها شاب متحديا الموت.. ثم يقفز في وجه السيارة ويصعد ليفاجئ الجندي مثل النثر الذي هبط عليه من السماء.. الجندي ينكمش داخل السيارة مثل القوقعة خوفا.. وفي شارع قصر العيني يتحرك تشكي من قوات الأمن تتقدمه سيارة ضخ المياه لتغطي عرض الشارع بقوة مضخاتها.. يقف أمامها شاب متحديا جبروتها والأهالي يهتفون له من النوافذ .. رااجل .. راااجل.. رااجل. (شاهد الفيديو



(https://youtu.be/kWr6MypZ-JU)



وكانت السمة الميزة ، والمشهد الملفت للنظر تقريبا في كل المظاهرات، أن يخرج شاب من بين المتظاهرين متهورا ليصعد سيارة ضخ المياه محاولا إغلاق محابسها وتقييد حركة الجندي الذي يعمل عليها، وغالبا ما ينجح في مهمته فترتد السيارة عائدة به إلى الخلف، بينما الأكثر تميزا في ميدان التحرير أن يصعد الشاب على ظهر المصفحة، حيث يقف جندي مصوبا سلاحه في وجه المتظاهرين يمطرهم بسيل من طلقات الخرطوش.. يصعد إليه الشاب خلسة ويلتقط البندقية من يد الجندي ليعود بها.. وآخر يصعد إلى المصفحة التي تضخ المياه الكبريتية على زملائه ويحاول إغلاق محبسها، فيصعد له ضابط الأمن ويشتبكا فوق السيارة بعد أن ينجح الشاب في مهمته، وفي النهاية ينزلان معا وكأن شيئا لم يكن وتدير المصفحة عجلاتها عائدة إلى الخلف.

أما السمة الثانية وهي كيفية اختراق الحواجز الأمنية، حيث اعتاد الشباب استغلال لحظة هدوء بين ضباط وجنود الأمن المصفوفين بنظام مواجه للمتظاهرين، ثم يشبكون أيديهم في أيدي بعض ،

بحيث يصبحوا كتلة متشابكة ويندفعون فجأة وبقوة كما السهم فيشقوا صفوف الأمن وينشطر الجنود فرقين يتباعدان بمجرد تزاحم الشباب خلف المجموعة التي مثلت نصل السهم، ويتماسك ويتشابك الجميع بحيث لا تتمكن قوات الأمن من ضبط أو احتجاز أو اعتقال أحدهم، وينطلقون بسرعة تجاه ميدان التحرير وهم يتراقصون ويتقافزون فرحا ويهتفون ؛ حرية.. حرية..حرية..حرية.. وهو ما يصيب جنود وضباط الأمن بالذهول.

أما الثالثة وهي الأهم، فكانت تعاطف الشباب المتظاهرين مع جنود الأمن المركزي، وقد ظهر ذلك على كوبري الجلاء بعد أن أسر المتظاهرون أربع سيارات أمن مركزي وأنزلوا الجنود والضباط ولم يعتدوا عليهم وقدموا لهم الطعام، بينما في السويس، أنزل المتظاهرون الجنود من سياراتهم وأعطوهم ما يكفي من المال والطعام كي يصلوا بيوتهم بأمان، فيقول أحد المتظاهرين بالسويس " أعطيناهم أكل وفلوس وخليناهم يروحوا". وأما في ميدان طلعت حرب، وكانت الشرطة قد انسحبت واحتجز تشكيلين أمن مركزي بسياراتهم وأسلحتهم دون قادتهم من الضباط، وكان المتظاهرون قد قطعوا عليهم طريق الوصول من شارع ثروت إلى مقر وزارة الداخلية عبر الاحتشاد في ميدان طلعت حرب، وتطوع مجموعة من الشباب مستعطفين زملاءهم بعبارة " خلو الغلابة يعدو" لتأمين عبور الجنود بسياراتهم وأسلحتهم إلى وجهتهم.. ولن ننس بالطبع هتاف بعض المجندين مع الشباب " الشعب يريد إسقاط النظام" ولا تشكيل الأمن المركزي الذي رفض الهجوم على المتظاهرين بالإسكندرية، ولا جندي الشرطة الذي رفض إطلاق الرصاص عليهم في قسم شبرا الخيمة فتناول مأمور القسم السلاح من يده وقتله برصاصة في رأسه..هذا على العكس من عناصر الأمن في زي مدني التي تعتقل المتظاهرين .

المشهد الرابع:

بدخول الليل تتحرك سيارة دبلوماسية بيضاء اللون من شارع وزارة الداخلية وتنعطف في شارع القصر العيني.. تعطي إشارات خاطفة بكشافاتها الأمامية.. وتنطلق في اتجاه ميدان التحرير بسرعة جنونية ويسقط تحت إطاراتها العديد من القتلى والمصابين بكسر في الأطراف أو فصل تام في الذراع أو القدم.. وتدور السيارة في ميدان التحرير وتعود إلى شارع قصر العيني تجدد جولتها القتالية.. وتعود إلى وزارة الداخلية تقف أعلى الرصيف بعد أن قتلت وأصابت اثنين ثلاثين شابا. [1]

1- فيما بعد لاحظت هذه السيارة اللعينة تقف راسية على الرصيف الخلفي لوزارة الداخلية وقد بدا على مقدمتها وإطاراتها آثار الدماء وفتات اللحم والعظم الذي أكلته .. كانت مقدمتها أشبه بأنياب سمك القرش التي تخضبت بدماء فريستها، ولذلك كلما أتيت إلى مجلس الشعب كان لابد أن أمر عليها وألتقط لها صورة بكاميرتي، وكان الجناة قد نزعوا لوحاتها المعدنية.. والغريب في الأمر

المشهد الخامس:

في مسجد النور خلف مطعم هارديز المطل على ميدان التحرير.. المسجد قد تحول بطريقة عفوية إلى مستشفى ميداني لإسعاف المصابين بحالات الاختناق والجرحى بالإضافة إلى عدد من الشهداء الذين سقطوا في الأحداث وتم تغطيتهم بملاءات بيضاء في ركن من المسجد.. الأخبار تصل قوات الأمن بتحول المسجد إلى مستشفى ميداني فيتوجه إليه الجنود ويمطرونه بالعشرات من قنابل الغاز حتى تحول المسجد إلى كتلة معتمة من الدخان الخانق.. بعض المصابين يتوفون في الحال بسبب الاختناق.. جنود الأمن يعتقلون الأطباء المتطوعين ومساعديهم من الشباب والفتيات ويصادرون الأدوية والإسعافات الأولية..

وفي الوقت ذاته تتوافد سيارات الإسعاف لنقل المصابين إلى مستشفى قصر العيني وتخترق جموع المتظاهرين وقوات الأمن في طريقها من وإلى المستشفى الميداني.. وبمرور الوقت لاحظ الشباب أنها تتوقف عند قوات الأمن واكتشفوا أنها تقوم بنقل صناديق الذخيرة إليهم أثناء قدومها وتحمل المصابين إلى المستشفى حيث يتم اعتقالهم في مقر أمن الدولة بميدان"لاظوغلي ".. فأوقفها الشباب ومنعوها من نقل المصابين وتم إسعافهم في الميدان في مداخل العمارات السكنية القريبة..

المشهد السادس:

من أعلى كبري قصر النيل، حيث بدأت قوات الأمن المركزي تنسحب من جهة كوبري أكتوبر وماسبيرو في طريق الكورنيش عبر النفق المار تحت كوبري قصر النيل، وكان آلاف من الشباب يقفون

هو تقرير أمن الدولة الذي صدر بعد الأحداث واصفا الثورة بالمؤامرة الأجنبية. فقد تحدث التقرير بشكل واضح عن وجود قناصة أعلى مباني وزارة الداخلية يوم ٢٨ يناير، ونسب إليهم قيامهم بإطلاق النار على قائد السيارة الدبلوماسية المجهولة التي تم الاستيلاء عليها من مقر السفارة الأمريكية واصطدمت عمدا بالمتظاهرين في شارع قصر العيني. وذكر التقرير أن القناصة المسئولين عن حماية وزارة الداخلية قاموا بقتل سائقها وأن الشرطة تمكنت لاحقا من ضبط ٧ سيارات من أصل ١٢ سيارة دبلوماسية سرقها "مجهولون"، حسبما ورد بالتقرير، وكان وزير الداخلية حبيب العادلي في أثناء دفاعه عن نفسه أمام محكمة جنايات القاهرة.

فكلا الوزيرين على التوالي رفضا الاعتراف بوجود عناصر للقناصة بالوزارة، بينما تقرير أمن الدولة اعترف بوجود عناصر القناصة لكنه حرّف مهمتها، إذ ذكر كذبا أنها دافعت عن المتظاهرين وقتلت سائق السيارة الدبلوماسية التي دهست المتظاهرين، بينما تحقيقات النيابة العامة فيما بعد أثبتت من خلال التحريات أن سبعة من كبار قيادات الداخلية استقلوا السيارة من أمام السفارة الأمريكية وتوجهوا بها إلى ميدان التحرير، في مهمة ثأرية من المتظاهرين المعتصمين به، وقد عثرت النيابة على اللوحات المعدنية داخل السيارة، ورفعت بصمات الجناة من بقايا أعقاب السجائر التي وجدت بالسيارة لفحص عينة الحمض النووي بها ومعرفة الجناة.. أما القناصة فقد استمروا في قتل المتظاهرين بلا رحمة، حتى أن سبعة من الشباب حاولوا اجتياز السور الخارجي مساء جمعة الغضب فسقطوا جميعاً في لحظة واحدة برصاص في منتصف الدماغ والقلب.. وللصدفة، كانت كاميرات الجزيرة تقف في شرفة بيير السيوفي ورصدت القناصة بوضوح أثناء عمليات القنص المتواصل للشباب من فوق أسطح مبنى الوزارة...تقرير أمن الدولة عن سيناريو الأحداث التي شهدتها البلاد وتطوراتها https://www.scribd.com/document/252212645

على مسافة من النفق وأعلى رصيف الكوبري، وعند مرور أول مجموعة من مصفحات الأمن المركزي انهالت الحجارة عليها مثل المطر، وكانت الحجارة عند سقوطها على المصفحة أثناء سرعتها ترتد إلى أعلى بقوة فتسقط على السيارة التي خلفها أو تسقط في مياه النيل، وتكررت هذه الهجمات أكثر من مرة حتى سقط حجر في مقدمة السيارة فانحرفت عجلة القيادة من يد سائقها وتوقفت مصفحته في منتصف النفق مما أدى إلى توقف الحركة وتوقفت السيارات القادمة خلفها وعادت إلى الخلف في طابور، فقام أحد الشباب بتعطيل إطارات السيارة الأخيرة في الصف أمام مقر الحزب الوطني حتى توقفت باقي السيارات وحوصرت ونزل جنودها فأعطاهم المتظاهرين الأمان بعدما أشعلوا النار في السيارة الأولى والأخيرة في الطابور المصفح..

بالطبع كان من الصعب السيطرة على كل المتظاهرين الغاضبين ومنعهم من حرق سيارات الأمن والاكتفاء بتعطيل إطاراتها، فهي من أموالنا، وإذا احترقت سندفع ثمن ما يعادلها وأكثر لشراء غيرها، لكن بعض المتظاهرين تعاملوا مع الموقف باعتباره انتصار على عدو أو كأنه انتقام من قوات القمع.. وكأن إحراق سيارات الشرطة وارتفاع ألسنة اللهب فيها هو علامة النصر.. مع أنها في الحقيقة ليست إلا مزيد من نزيف الخسائر..

المشهد السابع:

أعلى كوبري أكتوبر ،حيث تحركت أول كتيبة من قوات الحرس الجمهوري في اتجاهها إلى ماسبيرو، كان واضحا الفارق في التسليح والقدرة القتالية، والمدرعات، فبادر المتظاهرون بالهجوم عليها بقوة قبل أن تتمكن من الوصول إلى ميدان التحرير، توقعوا هجومها لإخلاء الميدان، فاندفع المئات من الشباب على أوّل مدرعة رشقا بالحجارة ومحاولة تعطيل حركتها؛ وقذف شاب بزجاجة مولوتوف سقطت قدرا في الفتحة العلوية للمدرعة والتي يقف فيها جندي مسلح يتصيد المتظاهرين بالرصاص الحي لإخلاء طريقه، وسقطت زجاجة المولوتوف أمام صدر الجُندي في الفتحة التي يقف فيها وأدت إلى انفجار المدرعة فورا وتصاعدت ألسنة اللهب وعمود من الدخان، ربما كان بداخلها صناديق ذخيرة ما جعلها تنفجر في لحظة، فاضطرت كتيبة الحرس الجمهوري للعودة بظهرها إلى الخلف من حيث أتت، وكان الطريق ضيّقا بسبب مصفحات الأمن المركزي المحترقة على جانبي الكوبري؛ فعادت مدرعات الحرس الجمهوري دون أن تدير وجهها وتفرقت إلى مجموعتين وغيرت طريقها، الأولى توجهت إلى وزارة الداخلية لمساعدة القوات بها وانتشر أفرادها في مكاتب ومنافذ وزارة الداخلية ومجلس الشعب والشورى

ومجلس الوزراء، المجموعة الثانية توجهت إلى ماسبيرو لحمايته خوفا من تسلل المتظاهرين إليه وسيطرتهم على الإذاعة والتليفزيون..

المشهد الثامن:

مجموعة من الشباب يتوجهون إلى مقر الحزب الوطني في شارع قصر العيني ويشعلوا النار فيه ثم يقوموا بإطفائها بسرعة لقربه من محطة بنزين.. ومجموعة أخرى تتوجه إلى المقر الآخر للحزب في شارع الكورنيش، وتدافعوا بالعشرات داخل مقر الحزب وفتحوا أبوابه ومكاتبه ولملموا ما بها من متعلقات وكراسي ومكاتب وتحف وأنتيكات مذهبة.. مقاعد وسجاد أحمر ومراوح وأجهزة لاب توب وشاشات بلازما ولوحات معلقة وأقلام مذهبة.. كل شيء تم جمعه على سجادة وإلقائه في مياه النيل عِبرة لمن لا يعتبر من الفاسدين.. وتم إغراق هذه الأشياء في النيل حتى لا تشيع فكرة السلب والنهب بين ضعاف النفوس وغير الواعين بمصلحة الوطن.. طابور مثل طابور النمل.. بعضه ذاهب والآخر عائد من وإلى مقر الحزب وحافة النهر.. الجميع يلقي ما يستطيع حمله في مياه النيل.. وكان "ياخت" الحزب الوطني راسيا في مياه النيل أمام مقره فأحرقوه بما فيه من أجهزة لاب توب ومقاعد فاخرة حتى غرق في مياه النهر بما يحمل من الفخامة والشموخ.. أكلته ألسنة اللهب وابتلعه النهر.. ومع أن كثير من القوارب والأتوبيسات النهرية كانت راسية بجواره إلا أنه لم يتم الاعتداء على أيٍ منها..

ومع ذلك تسلل بعض المتظاهرين حاملين أجهزة لاب توب وكراسي جلدية ثمينة إلى كوبري قصر النيل لنقلها إلى منازلهم.. لكن مبدأ الشرف قد انتشر سريعا بين المتظاهرين لمنع السلب والنهب، فتم إرغام هؤلاء على إلقاء ما يحملونه في مياه النهر من أعلى الكوبري.. لم يكن ذلك عملا تخريبيا بقدر ما هو رسالة إلى النظام الحاكم، فما تم هو عملية إعدام لأدوات هذا النظام وليس بهدف تخريب الممتلكات العامة، بل رسالة واضحة للنظام بهدم أعتى قلاعه وإهدار قيمته السياسية في أعين الجماهير حتى تضعف شوكته وتنكسر، فحينما قامت الثورة الفرنسية، قام الثوار بإحراق سجن الباستيل، فسقط الملك وسقط نظامه وسقطت الطبقة الأرستقراطية بأكملها، وفى مصر جاء القيام بنفس الفعل الرمزي ممثلا في إحراق مبنى الحزب الحاكم وهو عمل أكثر بلاغة في توصيل الرسالة.. وفي الحقيقة لم تكن هناك خطة مسبقة للقضاء على مقر الحزب الوطني، لكنه جاء انتقاما تلقائيا من الشعب، فالمتظاهرون الذين يصرون على اقتحام وزارة الداخلية هم ذاتهم الذين أحرقوا مقر الحزب الحاكم بشارع قصر العيني وأسرعوا بإطفائه عندما اكتشفوا قربه من محطة بنزين، وهم ذاتهم الذين أحرقوا مقر الحزب بشارع الكورنيش..

وربما كان لدى البعض ممن تعرضوا للاعتقال والتعذيب أو السحل والضرب نوعا من غريزة الانتقام تجاه من كانوا في تعذيبه وسلب حقوقه، مع أننا كنا نهتف عادة " لا للانتقام " عندما كنا نأسر ضباط وجنود الأمن المركزي.. لكن البعض من هؤلاء احضروا خراطيم قصيرة وقاموا بسحب كميات من البنزين من السيارات المتواجدة داخل مقر الحزب في "جراكن" وعبوات بلاستيكية وقاموا بتفريغها في مكاتب مقر الحزب "جركن لكل مكتب"، وبدأ إشعال النار أولا في مكتب السفاح أحمد عز وتبعه مكتب جمال مبارك وغيره بترتيب حدده المتظاهرون حسب فخامة الكرش كما قالوا وقتها..

ولم ينس بعض الشباب أن ينزلوا إلى " الغواصة" في الطابق السفلي من مقر الحزب، وهذه الغواصة من تسمية أحمد عز واختصاصاته، وقد تم تفريغها ليلة أمس 27 يناير من محتوياتها من ملفات سرية وخاصة بأحمد عز والحزب الحاكم.. كانت بمثابة مكتب أمن دولة سياسي واقتصادي يحتوي معلومات وبيانات عن شخصيات معينة وأقاربها وأسرها وعائلاتها بكل دقة وتفصيل، سواء شخصيات سياسية أو دبلوماسية أو أمنية أو عسكرية أو اقتصادية ، ملفا لكل شخص حسب تصنيف الحزب..

ومع اشتعال النار في مقر الحزب وهبوب الرياح انتقلت ألسنة اللهب إلى جميع السيارات المتواجدة داخل المقر حتى تفحم تماما بملحقاته ولم يبق إلا لافتة إعلانية عريضة مكتوب عليها " من أجل مستقبل أفضل لأولادك.. صوتك للحزب الوطني ".. وعلى ما يبدو أن الشباب تعمدوا ترك اللوحة الإعلانية المضيئة على مقر الحزب المحترق لتكون ذات مغزى ساخر.. أما ذات اللافتة من الخلف فكان مكتوبا عليها عبارة " من أجلك أنت" !

وتوجه مجموعة من الشباب إلى كوبري أكتوبر حيث عشرات المصفحات المحترقة منتشرة في كل مكان على الكوبري وأسفله وخلف المتحف، بينما تقف سيارة إطفاء معافاة تماما من أيَ أعطال إلا أن خراطيم المياه كانت مُلقاة في كومة بشكل عشوائي، فحاول الشباب سحبها على بكرتها داخل الصندوق الخلفي للسيارة، ولم يكن أحد بإمكانه سحب الخرطوم أليا فتم سحبه يدويا.. شابان يعملان على إدارة البكرة يدويا، وآخرون يعملون في سحب الخراطيم بعيدا لفك تشابكها ومن ثم إعادة لفها على البكرة في الصندوق الخلفي للسيارة.. تعاونوا في فك تشابك خراطيم الإطفاء وإعادة تنظيمها كلٌ على حدة.. الأحمر.. الأخضر.. والأبيض إلى جانب ليتم لفه على البكرة، ثم يتطوع شاب بقيادة سيارة الإطفاء باتجاه مبنى المجلس القومي في محاولة لإطفائه، لكن ولسوء الحظ كانت النيران مشتعلة فقط في الطوابق العليا ، وكانت السيارة قد أفرغت مياهها بالكامل أثناء تزويد مضخات الأمن

وتركوها فارغة.. فلم يتمكنوا من إطفاء حريق المجلس القومي وعادوا بالسيارة إلى جراج بجوار المتحف المصري.. ولم يعرف أحد سبب احتراق مبنى المجلس القومي، والغريب أن النار بدأت من الطوابق العليا أولا!

المشهد التاسع:

حول المتحف المصري بعد انسحاب الشرطة من شارع ميريت وانسحاب أمن المتحف بجميع أفراده.. اتجه الشباب بفطرتهم النقية إلى تشكيل درع بشري يحيط بالمتحف لحمايته من السلب والنهب.. جاءت الفكرة بين المتظاهرين الذين نبهوا بعضهم لخطورة تعرض المتحف للسرقة بعد انسحاب الأمن وتركه خاليا.. كان مشهدا رائعا أن أرى الشباب يقفون صفا واحدا متشابكي الأيدي في سلسلة بشرية تدور حول المتحف بالكامل.. مع أنه لو كان هؤلاء الشباب خرجوا لتخريب البلاد كما أشاع إعلام النظام لكفاهم أن يدخلوا المتحف ويخرج كل شاب بقطعة أثرية واحده تكفيه عناء العمل أو البطالة مدى الحياة، لكنهم خرجوا من أجل التغيير والحرية والعدالة الاجتماعية. وقد تمكن بعض المتظاهرين من القبض على لصين حاولا سرقة البنك المجاور للمتحف وكان بحوزتهما خزانتين لماكينات الصرافة الآلية؛ فأخذهما الشباب ووضعاهما في كشك الأمن الخاص بالمتحف ووقفوا على حراستهما حتى قدمت وحدات الجيش.. وكانت البازارات الداخلية بالمتحف قد تم نهبها من قبل عناصر مجهولة قبل تشكيل حماية من المتظاهرين للمتحف، وربما اعتقد الجناة أن القطع الفنية المعروضة في هذه البازارات هي آثار حقيقة، بينما هي محض تحف وأنتيكات تم تصنيعها لأغراض التجارة والترويج السياحي وليست آثار.. وكان من أوائل الفنانين الذين ساندوا بقوة ثورة الشباب هو الفنان خالد يوسف، وقد وجه دعوة للشباب للتركيز على حماية المتحف المصري وحتى وصول قوات الجيش، وشارك الثوار معظم تظاهراتهم في ميدان التحرير.

وبالتزامن مع انسحاب قوات الأمن والشرطة من الشوارع بالإسكندرية، تجمع الشباب السكندري في ساحة مكتبة الإسكندرية لتشكيل لجان أمنية لحمايتها، واستمروا رغم وصول قوات الجيش، حتى أن صحيفة الجارديان البريطانية، كتبت عن ذلك على صفحتها في اليوم التالي "Alexandria youth 'protecting library from looters'" واتصلت بمدير المكتبة د. إسماعيل سراج الدين، وأكد لها أن الشباب السكندري يلتفون حول المكتبة لحمايتها من اللصوص والخارجين عن القانون: www.theguardian.com/books/2011/feb/01،

المشهد العاشر: بطولات إنسانية، سطرها ذوو الجواكت البيضاء التي تلونت بدم الشهداء والمصابين؛ هؤلاء هم الأطباء وطلاب كليات الطب والصيادلة والتمريض الذين وقفوا تحت خدمة الشباب من اللحظات الأولى، وبادروا بتقديم الإسعافات الأولية وقدموا خدماتهم الإنسانية دون أن يندبهم إليها أحد، قاموا بدورهم البطولي – ليس خلف الصفوف – وإنما في أكثر الأماكن عرضة للخطر، وكثير منهم تعرض للاعتقال والتعذيب بسبب تطوعهم لتضميد جروح المتظاهرين.. تركوا عياداتهم ومكاتبهم المكيفة وحاولوا قدر استطاعتهم إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأرواح في كافة الميادين والطرق والشوارع وعلى الأرصفة..



وحتى في مسجد عباد الرحمن الذي تحول بعد وصول المتظاهرين ميدان التحرير إلى مستشفى ميداني، وبدأ الأطباء بتقسيم ساحة المسجد إلى تخصصات طبية متنوعة لاستقبال المصابين وقد تحول سجد المسجد النظيف إلى اللون الأحمر القرمزي بعد أن غرق في دماء الضحايا ، واضطر الأطباء إلى تحويل "الجزامة " إلى صيدلية لتخزين الأدوية، وكل خانة مكتوب عليها اسم نوع من الأدوية، وامتلأ سقف المسجد بالمحاليل.. وينضم إليهم الفنان خالد أبو النجا، ومجموعة من الشباب الأقوياء بدنيا لنقل المصابين والشهداء. ثم يتشكل معهم فريق للتمريض بعد التدريب الميداني، وانضم إليهم أصحاب المحال التجارية المحيطة بالميدان، وأصبح المسجد هو مقر إدارة المستشفى الميداني والمحلات المجاورة عيادات للكشف وعمليات الجراحة.. ثم امتدت فروعه حتى وصلت إلى 17 فرعا تقريبا في الميدان وانتشرت إلى المقاهي بوسط البلد التي تحولت إلى عيادات، وكذا وصلت ميدان عبد المنعم رياض وحول مجلس الشعب ومجلس الوزراء وحول مبنى الإذاعة والتليفزيون..



بينما على الجانب الآخر، وعلى مسيرة ساعة بالمترو جنوب القاهرة، وقفت رضوى الشاذلي تصف الوضع في المشرحة تقول: هذا هو المكان الذي استقرت فيه الجثث بعد تنقل مرير بين المستشفيات، "مشرحة زينهم" مكان يتسع فقط للموت لا يعرف معنى الحياة، هو أكثر الأماكن توثيقا لأحداث الثورة؛ فبداخلها ترى كل من دفع ثمنا نفيسا مقابل حرية هذا الوطن، فلم يدخل أروقتها ولا أدراجها شخص مخادع أو منافق، ولا وجود للمنافقين، فقط شهداء في سبيل الحرية، ستمر السنين ولا أحد يمكنه أن ينس الأحداث التي غيرت مصر كثيرا، ليس فقط تغيير السياسيين، بل تغيير قائمة أعمال الوطن..

مئات الجثث تستقبلها المشرحة يوميا على مدار أيام الثورة، إصابات بالرأس وبعضها في الصدر وغيرها في أماكن رغم اختلافها إلا أنها اختارت نهاية متشابهة مؤلمة وهى الموت، صراخ وبكاء ومشدات كلامية.. هذا ما يحدث داخل أروقتها وقت الثورة، الكثير من أهالي الشهداء يرفضون تشريح جثث أبنائهم، والكثير من الجثث أيضا مجهولة لا تجد أحدا يسأل عنها.. ذكريات باللون الأسود لن يكون في وسع أحد أن يمحوها من ذاكرته وتحديدا العاملين بالمشرحة الذي تعرضوا وقت الثورة لضغوطٍ شديدة لم يعيشوها من قبل، خصوصا أن أعداد القتلى التي كانت تتوافد على المشرحة في ذلك الوقت كثيرة مقارنة بطبيعة عملهم في السابق مما كان يضاعف عملهم لساعات طويلة.

شهداء بدأوا رحلتهم من ميدان التحرير باحثين عن الحرية وأنهوها بمشرحة زينهم آملين في أن يجدوا مكانا لهم في ثلاجة حفظ الموتى.. كثيرين في ميدان الثورة، ولكن قليلا منهم من كان شاهدا على ما حدث بداخل المشرحة على مدار أيام، وما خلفتها من شهداء، فبمجرد أن يصل الشهيد إلى المشرحة يعرض على طبيب التشريح الذي بدوره يحدد سبب الإصابة ويعد تقريره عن الحالة ليسلم

الشهيد بعدها ليد العامل الذي يقوم بغسله لينتهي بذلك مشواره ويقبع في أدراج ثلاجة الموتى، لا يفرقه عمن ينام بجواره سوى أرقام وعلامات لا يفهمها سوى العاملين بهذا المكان.. مجهولي الهوية بالمكان قصصهم تدمى القلب و"توجعه" فكما دخلوا من باب المشرحة خرجوا دون صخب في جنازات جماعية بعد أيام ولم يحصلوا على الحرية التي طالبوا بها أو فرحوا بعيشة في وطن أفضل، بل خرجوا إلى مثواهم الأخير ولم يأخذوا من هذا الوطن سوى علم لف نعوشهم..

حقا.. قد يغيب الإنسان جسدا، لكن مواقفه وأحلامه وأفكاره تظل حية لا تموت..

المشهد الحادي عشر:

أبطال العدسة والقلم؛ هؤلاء هم الصحفيون والإعلاميون والمراسلون، الذين انتشروا في كافة المظاهرات والمسيرات الاحتجاجية.. عاندوا الخطر وحملوا أرواحهم هم على أكفهم واخترقوا الأحداث الأكثر سخونة، يجوبون الشوارع والأزقة ويطاردون الموت ويهرولون بعدساتهم وأقلامهم خلف الحدث أينما وقع، لا تلهبهم عصى الأمن الغليظة.. كافحوا وناضلوا ليوثقوا بأقلامهم وعدساتهم نضال شعبهم كي تصل رسالته، فقد كانوا يتعرضون للاعتقال والتعذيب ومصادرة متعلقاتهم وكاميراتهم وحتى التحرش بالصحفيات في الشوارع من قِبل عناصر النظام الفاسد لعلمهم أن مداد أقلام هؤلاء لا يقل أهمية عن الدماء التي سالت في الشوارع والميادين، وأن عدساتهم لا تكذب. هؤلاء الأبطال برغم أنهم الأكثر عرضة للخطر كونهم معروفين بالاسم لرجال الأمن، وهو ما يهدد مصير حياتهم المهنية والأسرية، إلا أنهم قرروا أن يكونوا مرآة مُضيئة تعكس نضال هذا الشعب العريق، وأخص بالذكر صحفيَ جريدتي المصري اليوم والشروق ومراسلي قناة الجزيرة والـ" بي بي سي "عربي والـ"سي إن إن" وقناة العربية وغيرهم من الإعلاميين والمناضلين الذين لم يكن دورهم مجرد أداء مهام وظيفية، ولكن ملاحم بطولية.

ويستمر دور الصحفيين حتى فيما بعد الأحداث، لرصد التفاصيل البطولية والتضحيات التي قدمها الشعب المصري، فقد صدر ضمن باكورة المؤلفات التي توثق لأحداث الثورة كتاب "دماء على طريق الحرية" عن دار صفصافة للنشر، وقامت بتأليفه حنان بدوى وحنان السمني وهما من الصحفيات اللاتي انصب جل اهتمامهن منذ قيام ثورة 25 يناير على توثيق قصص واقعية لشهداء الثورة . وكان نتاج الجهد الذي بذلته المؤلفتان هو كتاب جمعتا فيه أسماء ما يزيد على 900 شهيد من خلال المعلومات الشخصية أو مؤسسات المجتمع المدني أو ائتلافات شباب الثورة.



الكتاب الذي تبرعت المؤلفتان بمجهودهما فيه لصالح "مصابي الثورة" يتضمن العديد من المفاجآت والقصص المؤلمة، حيث اعتمد على اللقاءات الحية مع أسر الشهداء للوصول إلى أدق تفاصيل حياة هؤلاء الأبطال الذين خرجوا دفاعا عن كرامة المواطن المصري في العيش بحرية وكرامة وعدالة اجتماعية. ويرد الكتاب على من اتهموا الشهداء الذين لقوا حتفهم أمام أقسام الشرطة بأنهم بلطجية ليقدم إلى كل المجتمع المصري قصص لشباب وبنات ـ زى الورد ـ ماتوا وهم يتظاهرون بسلمية وآخرون ماتوا داخل منازلهم المجاورة لأقسام الشرطة.

يبدأ الكتاب بقصة الشهيد مصطفى رجب أول شهداء الثورة في السويس والذي لم يكن يمسك حجرا أو سلاحا بل صوت يهتف به هو وزملاؤه داخل ميدان الأربعين لتأتى رصاصات الغدر وتقتل مصطفى دون أن يودع أمه المريضة أو إخوته البنات اللاتي كان مصطفى هو سندهم في الحياة بعد وفاة الأب منذ سنوات. ثم ينطلق الكتاب إلى واحد من أنبل الشهداء وهو اللواء البطران الذي أكدت المؤلفتان في بداية سطور قصته أنهما تكتبان عنه بضمير مستريح. فليس لأحد منا عداء ضد الشرطة. وفى قصة اللواء البطران الدليل على أن من يموت دفاعا عن الوطن لابد أن يسجل التاريخ اسمه في صفحات من نور. ويستعرض الكتاب الذي حرص على أن تكون كل كلمة فيه عن الشهداء حقيقية ـ قصة الصحفي أحمد محمود والذي قتل قنصا أمام وزارة الداخلية أثناء وجوده داخل مكتبه المقابل للوزارة، وكذلك الفنان د.أحمد بسيوني الذي استشهد في ميدان التحرير بعد أن وثق بالكاميرا الخاصة به وقائع قتل الشهداء من فوق سطح فندق "هيلتون".

ويتعرض كذلك لقصص الأطفال الشهداء الذين راحوا بلا ذنب وقتلوا بالرصاص ضربا مباشرا أدى إلى مقتلهم في نفس اللحظة . كان من ضمن صفحات الكتاب سواء قصة الطفل بلال سالم "شهيد رفح"

الذي قتلوه وهو خارج منزله يلهو مع أقرانه لتبدأ طلقات الرصاص عند مبنى أمن الدولة تصطاد كل من في الطريق حتى ولو كان طفلا لم يتعد العشر سنوات. أما الطفل إسلام صالح الذي لم يتعد الثانية عشر من عمره فقد قتلوه وهو خارج من المسجد في إمبابة مع والده لتخطئ الرصاصة الأب وتستقر في صدر الصغير . ولأن الصغار كانوا أيضا مستهدفين بالرصاص فاغلبهم لن ينسى ثأره أو دم والده، ومنهم ابن الست سنوات الطفل الصغير بدر محمد البدري الذي يصف آخر لحظات كان فيها مع والده في الميدان يقومون بإطفاء الحريق الذي شب في المتحف المصري ليسقط الأب شهيدا ويطوفون به في الميدان وسط صرخات الطفل الذي يصف لحظات استشهاد والده. حتى الفتيات الصغيرات لم يسلمن من الرصاص الغادر في كل أنحاء مصر والتي رصدت المؤلفتان قصص تثير الحزن والألم منها قصة الشهيدة أميرة سمير فتاة الإسكندرية التي قتلها قناص وهى داخل منزل صديقتها لتسقط الفتاة غارقة في دمها دون أن تدرى والدتها بأي ذنب قتلت أميرة .

كما تحكى السطور قصة الشابة مريم مكرم نظير التي قتلوها بالرصاص وهى تلتقط الصور لما يحدث في قسم الزاوية الحمراء لتخترق الرصاصة وجه الجميلة مريم وتموت بعدها دون أن تعرف من الذي حرمها فرحة العيد. أما الصغيرة هدير سليمان فقد أغرقت بدمائها سلالم عمارتها التي تسكن فيها بالقرب من منزل السفير الإسرائيلي لتقتلها الرصاصات في لحظة. ومثلهما رحمة محسن التي كانت أول جثة تصل إلى مستشفى القصر العيني قادمة من ميدان التحرير بعد أن قتلتها الرصاصات الغادرة أمام الجامعة الأمريكية وهى تمسك بيد أخيها وترفعها عاليا لتهتف بسقوط النظام لتسقط قبله رحمة "شهيدة في الميدان"

الكتاب تناول أيضا قصص الشهداء الأقباط شركاء الوطن والذين تظاهروا ضد الظلم الذي زاد عن الحد ومنهم يوسف أرمانيوس الذي قتلوه أمام قسم السلام وهو ينقذ أصدقاء له من المسلمين الذين وجدهم غارقون في الدماء، ليسقط يوسف بعد أن أنقذ ما يقرب من عشرة من أصحابه برصاصة في الصدر أدت إلى تهتك الفقرات الظهرية. أما مينا اسطفانوس وجرجس لمعي ومايكل وصفى، ففى قصة كل منهم ما يؤكد أن الفزاعة التي استخدمها النظام السابق كانت أكذوبة كبرى؛ فكل الشهداء الأقباط ماتوا وهم ينقذون إخوانهم المسلمين الذين قتلتهم رصاصات الغدر.

من بني سويف إلى السويس والإسكندرية وحتى رفح دارت صفحات الكتاب التي حرصت الكاتبتان على أن تجمع فيها القصص وتدور في كل مكان تبحث عن قصة شهيد،ففى بني سويف كانت قصة الشهيد أحمد سعد الذي ظل ينقذ الأطفال الصغار ثم قتلوه وظلت جثته حتى الصباح في

محكمة بني سويف، وكذلك الشهيد أشرف سالم الموجه العام بالتربية والتعليم الذي قتلوه أثناء عودته إلى المنزل. كما يحكي الكتاب عن المساومات والتهديدات التي تعرض لها أهالي الشهداء للتنازل عن القضايا مرة بالتهديد ومرات بالإقناع بقبول الدية ليعلن الجميع أنهم في انتظار القصاص العادل. وهو السبب الذي يجعل أغلب أهالي الشهداء كما تقول الكاتبتان في سطور الكتاب يلفون الدنيا من شرقها إلى غربها بحثا عن دليل، وأملا في قصاص عادل يريح قلب أم الباش مهندس محمد سليمان الذي قتلوه أمام قسم المرج عند عودته من الميدان وهتافه ضد النظام ليستشهد الشاب يوم عيد ميلاده. كما يرصد الكتاب لحظات الألم التي عاشها أهالي الشهداء ومنهم إسلام رأفت شهيد السيارة الدبلوماسية ومحمود خالد الذي دهسته المدرعة وظل في عذاب لشهور حتى تدهورت حالته ووصل إلى وضع الجنين ثم توفى بعد أن عانى من الإهمال والعذاب بلا رحمة.

ومن أجل هؤلاء الأبطال كتب هاني محمود أيضا يقول: " أحسب أن البطل الأساسي في هذه الحالة الفريدة أولئك المجهولون الذين شوهدت بطولاتهم ورويت آثارهم وجهلت أسماء أغلبهم، هؤلاء هم الذين وهبوا مصر تلك الصفحة المضيئة وأضافوا للذاكرة الوطنية صورة فريدة في حب الوطن والانتماء والتضحية والشجاعة والتفاني، ستبقى شاهدة على جرم كل من يصر على تفتيت المصريين وإخضاعهم لسلطان الخوف والحاجة. وحكايات هؤلاء هي التي جعلت اليوم مختلفا في شكله وطعمه ولونه ومآلاته.. لولا مئات المجهولين والمغمورين.. لكان اليوم عاديا.. ولكانت أيامنا بعده شاحبة كغيرها من الأيام. لولا أبناء الأحياء الشعبية، الذين تفاعلوا مع مظاهرات الناشطين التي انطلقت من أماكن مختلفة، لكان اليوم "عاديا". ولولا المواطنون في البيوت الذين احتضنوا هذه المظاهرات معنويا وراحوا يلقون إليهم الأعلام وزجاجات المياه.. لم اليوم "عاديا".

ولولا صمود الشباب في مواجهة الحواجز الأمنية التي اعترضتهم الواحد تلو الآخر، واخترقوها، حتى بلغوا التحرير بحشود لم تشهدها شوارع مصر في أعدادها ولا روحها.. لكان اليوم عاديا..ولولا الشباب الذين واجهوا مدرعات وآليات الشرطة بصدر مفتوح، لكان اليوم عاديا.. ولولا تلك الحالة الوطنية التي ذابت فيها كل الرايات في "علم مصر" وتوارت كل الشعارات خلف شعار "عيش حرية كرامة إنسانية عدالة اجتماعية".. لكان اليوم عاديا..ولولا بطولات الأولتراس في مواجهة الداخلية في أقصى طرف الميدان.. لكان اليوم عاديا..ولولا السيدة المسنة التي حملت أرغفة الخبز وراحت توزع منها على بعض الشباب الذين ربما لم يكن الجوع قد نال منهم بعد.. لكنها أعطتهم درسا قيما.. لكان اليوم عاديا..ولولا الشباب المختلفون شكلا وجنسا ودينا وفكرا ومستوى اجتماعيا، بين الشاب "الكيوت"

والشيخ "السلفي" والفتاة "المسيحية" وشباب الإخوان واليسار الذين تحلقوا يغنون للوطن، فصبغوا الثورة بصبغة كانت علامة تميزها ومفتاح إنجازها.. لكان اليوم عاديا.

ولولا الذي هتف لأول مرة "الشعب يريد إسقاط النظام" عند دخولنا التحرير، ليرسموا سقف الميدان والحلم، في اللحظة التي جلس فيها البعض يرتب لسقف مطالب ينتهي قبل نهاية اليوم.. لكان اليوم عاديا.ولولا الشباب الذين انطلقوا في أرجاء الميدان ينادون على كل متململ بعد ساعات من دخول الميدان، ويستوقفون كل من يرونه قريبا من مخارج الميدان..يقولون له: أوعى تكون زهقت ومروح.. وينشدون بمرح "الجدع جدع والجبان جبان.. واحنا يا جدع هنبات في الميدان".. لكان اليوم عاديا..ولولا أصحاب المحلات المحيطة بميدان التحرير الذين كانوا يوزعون الطعام والمأكولات على الشباب المتظاهرين دون مقابل.. لكان اليوم عاديا..ولولا الشباب الذين صمدوا بعد ضربة الشرطة للميدان في منتصف الليل، فرفضوا أن يهربوا وينفضوا إلى بيوتهم بعد يوم شاق ومرهق، وانتشروا مجموعات في شوارع وأحياء وسط البلد مرورا برمسيس وبولاق أبو العلا، وصولا لروض الفرج بعد طلوع الفجر، وغيرها من المناطق والشوارع، ثم العودة للتحرير مع الصباح.. لكان يوما عاديا.."[1]

فعلا لولا بطولات هؤلاء لكان اليوم عاديا، ونحن مدينون بما حققناه لهم وبدمائهم وتضحياتهم النبيلة.. وعلى الرغم من ألحكومة قد قطت كافة وسائل الاتصال في منذ صباح اليوم ، إلا أن الأخبار ظلت متداولة عبر الإنترنت. وكانت مجموعات من المراسلين والصحفيين قد وثقوا الأحداث بكاميراتهم من نوافذ فندق سميراميس وغيره، وقاموا بنشرها على القنوات المختلفة، وكانت وسيلة الاتصال الوحيدة المتاحة لأغلب الناس هي التليفون الأرضي، وكان الإنترنت متاحا للقليل، هذا إلى جانب مشاركة المصريين بالخارج والعرب بالتغريدات عبر تويتر، نستطلع بعضها معا على هاشتاج الثورة #jan25#egypt.

تحديث صوتي جديد من الإسكندرية وانضمام عناصر من الأمن للمظاهرات

http://audioboo.fm/boos/264934- #aljazeera#jan25#egypt

- "متظاهرون عرب ومصريون يقتحمون السفارة المصرية في كاراكاس. وزيرا الداخلية والخارجية الفنزويليان وصلا المكان الآن"

1ـ مقال للأستاذ هاني محمود، منشور بجريدة العربي

- " أتمنى أن يعود الإنترنت إلى مصر الآن. أتمنى رؤية الفرح في تغريدات المصريين.. سيكون تغريدا حقيقيا لا مجازيا"
- "صورة فظيعة لمصاب في المظاهرات (الصورة الثانية): هل هذه آثار طلقات مطاطية أم رصاص حقيقي؟ "
- "طيب الجد بقى الانسحاب التام للشرطة الغرض منه أن تعم فوضى لكن ثوارنا أكبر منها. وأدائهم قبل الانسحاب زي ضرب المصلين بالغاز أبلغ دليل "
- "الشرطة المصرية انسحبت لإشاعة الفوضى .. لأنها لا تجيد و لا تعرف إلا قمع الشعوب "
- قام الشباب المصري الشرفاء بتكوين فرق شعبيه لحماية المتحف المصري وقالوا إنهم لن يسمحوا بنهب تاريخ مصر
- المتظاهرون يحمون المتحف المصري http://twitpic.com/3u92i6

****

وصلات خارجية

1. مجزرة كوبري 6 أكتوبر 28 يناير قتل وقنص ودهس جماعي للثوار

   https://www.youtube.com/watch?v=_w_8nOll0YY

2. معركة كوبري قصر النيل يوم 28 يناير

   https://www.youtube.com/watch?v=tEleh6SrbEc

3. وثائقي: سلسلة يوميات الثورة المصرية- يوم 28 يناير

   https://www.youtube.com/watch?v=SJUjIP7JRNU

4. جمعة الغضب 28 يناير https://www.youtube.com/watch?v=ETn6W1Ca-mo
5. مصادمات عنيفة مع المتظاهرين جمعة الغضب 28 يناير

   https://www.youtube.com/watch?v=4nxnPtCujEo

6. أبرز أحداث "جمعة الغضب" في مصر https://www.youtube.com/watch?v=IEzhZB6QKiU
7. وثائقي الجزيرة عن جمعة الغضب https://www.youtube.com/watch?v=uKza68MzwK8
8. ثورة مصر https://www.youtube.com/watch?v=JYuxjgU6yeE

(7)
كثيرون حول السلطة.. قليلون حول الوطن

مساء جمعة الغضب 28 يناير

غربت أضواء الشمس وزادت الأعداد حتى تخطينا الخمسين ألف في ميدان التحرير. كنا نهتف ونغني وعندما نتعب نجلس على الأرض أو الأرصفة كيفما اتفق الحال.. بعد المغرب كون الشباب لجنة للإعاشة ولجنة للنظافة، البعض ينحني لجمع الأوراق والمهملات وينظف الميدان ، والبعض يجمع تبرعات من المتظاهرين ليشتروا لنا الطعام ، تم توزيع الطعام بعدالة وتنظيم مدهش، الجميع يتسابق ليعطي الماء للعطشان والطعام للجائع.. وكان الجميع يتسابق في أن يؤثر الآخر على نفسه..

أما حبيب العادلي وزير الداخلية، فلم تعد لديه أي قدرة علي التفكير، ولم يكن أمامه إلا أن يتصل من مكتبه بالرئيس مبارك ليخبره بأن الوضع أصبح خارج السيطرة.. وأن قوات الأمن لم تعد قادرة علي التصدي لملايين المتظاهرين الذين خرجوا من كل مكان.. وزحفوا علي الشوارع والميادين، وأن الخيار الأوحد هو نزول الجيش ليتعامل مع المتظاهرين ولينقذ جهاز الشرطة الذي تحطم أيضا.. تردد مبارك في البداية لتفادى الحرج لأن طنطاوي قائد الجيش طلب منه نزول الجيش أكثر من مرة لكنه رفض.. لكن هذه المرة طلب مبارك من حبيب العادلي أن يبلغ القرار للمشير طنطاوي، وهو ما أربك العادلي، فمبارك هو رئيس الدولة ورئيس الجهاز الأعلى للشرطة، وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة، وهو وحده من له الحق في إبلاغ المشير بالأمر.

حتى هذه اللحظة لم يكن مبارك مدركا خطورة ما جرى، ولم تكن لديه معلومات كاملة عما يحدث في ميدان التحرير وغيره من ميادين مصر.. فلم يتحرك ليتحدث مع المشير، لكنه ترك المهمة لحبيب العادلي، الذي أبلغ طنطاوي بمضمون ما دار بينه وبين مبارك.. أخذ المشير طنطاوي المبادرة، وأجري اتصالا بالرئيس مبارك الذي طلب منه أن ينزل الجيش إلي الشارع فورا.. وأن يحافظ علي الشرعية.. وعلي الفور طلب المشير طنطاوي من اللواء حسن الرويني قائد المنطقة المركزية أن ينزل بالقوات إلي الشارع فورا..

وما كان من جمال مبارك إلا أن يعنف وزير الداخلية حبيب العادلي من فرط الغضب في اتصالٍ هاتفي؛

- **جمال مبارك: خربت البلد يا حبيب أنت ورجالتك؟**
- **حبيب العادلي: أنا اللي خربتها ؟ دا أنت وأبوك اللي ضيعتوها. ثم يغلق حبيب هاتفه في وجه جمال.**

كان حبيب العادلي وزير الداخلية ذا سلطة واسعة جدا خلال الفترة الأخيرة حتى أن مبارك قال في مذكراته أنه كان يحكم مصر فعليا خلال الأيام الثلاثة الماضية حتى 28 يناير 2011

فقد حكى مبارك في مذكراته تفصيلا عن العادلي وعن علمه بوجود ملفات عديدة تدينه حصل عليها من مصادر عدة لكنه كان مضطرا للإبقاء عليه لأنه تحكم في خيوط الأمن كلها وكان مبارك يخشى في أعوام حكمه الأخيرة من المشاكل الداخلية حتى إنه شهد بأن أجهزة أمن أمريكية وأوروبية كبيرة حذرته عدة مرات من العادلى لدرجة أن المخابرات المركزية الأمريكية أطلعته على معلومات لديها تفيد أن العادلى يمكنه الانقلاب على مبارك بما توفر له من السيطرة على كل مقاليد الحكم حتى أنه كان يخيف الجيش نفسه، أما جهاز المخابرات الفرنسي فأخبر مبارك أن العادلى سيطر على رأس جمال مبارك تماما في حين ذكر مبارك في مذكراته أن علاء إبنه كان يكره العادلى، كان يشمئز منه ويرفض الجلوس معه ويتحجج، وكان لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة القصوى، أما سوزان زوجته فكانت تتعامل مع العادلى بشكل يومي في تنفيذ المشروعات التي كانت تتولاها، وأن علاء كان يطلب منها داخل الأسرة علانية عدم التعاون مع العادلى محذرا والدته منه.

نسب مبارك إلى العادلى تقريبا كل ما جرى لنظامه بما في ذلك الانهيار الأخير لنظامه وقال: «كان العادلى رئيسا للجمهورية لمدة ثلاثة أيام كانت الأخطر والأهم في حياتي وحياة أسرتي، وهى الفترة من 25 يناير إلى عصر 28 يناير 2011» حيث وصف مبارك تلك الفترة بالخارجة عن سيطرته تماما. وقال أنه لولا نزول الجيش للشارع يوم جمعة الغضب 28 يناير 2011 لنهبت مصر في 24 ساعة، وحكى مبارك أنه طلب من المجلس الأعلى للقوات المسلحة في هذا اليوم النزول لتسلم المسئولية وحماية الشعب وليس قمع الشعب، ولأول مرة يكشف مبارك بصراحة أنه كان قد عرف أن تلك هي نهاية حكمه وقال: «عندما شاهدت أخبار الـ"سى إن إن" وما تناقلته الشبكات الأخرى وعلمت بهول ما حدث تيقنت أنها النهاية».

ويقول مبارك أنه يوم 28 يناير 2011 تواردت على مخيلته مشاهد من نكسة 1967 وشعر أن مصر تتعرض لنكسة جديدة، وذكر أنه خشي لساعات أن تنتهز إسرائيل الفرصة في هذا اليوم بالذات ومصر لا تستطيع الرد وتحاول إعادة التاريخ للوراء كي تنتقم من هزيمتها، وقال: أعطيت الجيش أوامر باتخاذ وضع القتال وصد الهجوم على جبهات الجمهورية، ولم أفاتح أحد في مخاوفي ولم أهدأ إلا

بعد أن أكد لي المستشار بنيامين بن إليعازر أن هذا الأمر أبعد ما يكون عن الفكر الإسرائيلي.(روزاليوسف 30 /3/ 2012)

وفي هذا التوقيت.. قرابة السادسة مساءً ، وقد تسربت إلينا في ميدان التحرير أخبار بأن حبيب العادلي ما زال مُحاصرا في مكتبه، فتطلعت الأنظار إلى الطابق الثاني بالوزارة، وتشجع المتظاهرون للالتفاف حول الوزارة وتطويقه لمنع خروج الراس الكبيرة، وبدأت حركة الشباب تصادف انتشار مفاجئ لقوات الأمن حول الوزارة مع خروج مدرعة من وزارة الداخلية فقاموا باعتراضها ورشقها بالحجارة، فعادت مرة أخرى..ربما كانت تحمل الوزير بداخلها، لكن لا أحد يعلم.. والغريب أننا علمنا بعد ذلك بأن هذه المدرعة بالفعل كانت تحمل الوزير بداخلها في طريقه إلى منزله، وعندما اعترضها المتظاهرون اضطرت للعودة مرة أخرى، حتى تولت قوات الجيش نقله إلى معسكر للأمن المركزي، وكان لا يزال مُصرا على أنها " أزمة وتعدي " وأمر بإعداد استعراض عسكري بحضوره في معسكر الأمن المركزي على أن يتم إذاعته مباشرة على التليفزيون المصري ، لكن ضباط الجيش رفضوا ذلك لعدم إثارة غضب المواطنين.

وكان الرئيس مبارك قد أعلن حظر التجوّل في المحافظات الثلاث (القاهرة – السويس – الإسكندرية)، بصفته الحاكم العسكري، والغريب أن تنفيذ حظر التجول بدأ في السابعة مساءًا أي بعد الإعلان عنه بأربعين دقيقة فقط، وهو وقت غير كافٍ بالمرة إلا في ظروف الحرب..

إن مبارك عندما تبنى وجهة نظر العادلى ليلة الثلاثاء الماضي، كان يخوض أكبر مغامرة، ويضحى بجهاز الشرطة وقوات الأمن.. كان المفترض أن تنسحب الشرطة من أمام الجماهير الغاضبة وتركز على دورها في حماية المنشآت العامة وأقسام ومراكز الشرطة والسجون، لكن تم الدفع بأغلب القوات لمواجهة المظاهرات حتى فقدت السيطرة تماما ووصلت إلى أقصى درجات الإنهاك، وانقطعت الاتصالات وصدرت تعليمات عشوائية من القيادات للضباط بالانسحاب، وهو ما أدى لانسحاب عشوائي كما حدث في نكسة 1967 حينما انسحب الجيش بأوامر عشوائية من سيناء، وأدى انسحاب الشرطة لتعرض عشرات من رجال الشرطة للضرب والسحل من قبل المتظاهرين الغاضبين.. وبدأ الانهيار الأمني خاصة بعد أن تم قطع خدمة اتصالات المحمول، ولم تسعفها شبكة اتصالاتها اللاسلكية الخاصة بها.. فضلا عن عدم وجود تعليمات واضحة لقوات الأمن الموجودة في الشارع بما يتعين عليها أن تفعله، بعد أن احتشد المتظاهرون بأعداد هائلة وتمت محاصرة بعض القوات..

ولو كان مبارك قد تولى إدارة الأزمة بنفسه يوم الثلاثاء أو الأربعاء، ولو كلف نفسه بالنزول إلى ميدان التحرير للحوار مع الشباب وسمع مطالبهم ومظالمهم، لما كان الشباب قد أثاروا الشعب كله ضده ونظامه وحكومته؛ فقد كانوا في البدء يهتفون بإصلاحات، حتى وإن تطورت في نهاية اليوم الأول إلى مطلب إسقاط النظام، لكن هذا المطلب لو تم التعامل معه مبكرا لتم إسقاطه من حسابات الشباب، لكنه تعامل معهم من برجه العاجي، ورفض حتى مجرد توجيه خطاب مساء هذا اليوم لتهدئة نفوسهم وامتصاص غضبهم وتركهم لليوم الثاني والثالث والرابع على التوالي يحرقون نفوسهم في الشوارع من أجل الوصول إلى الميدان والاعتصام به حتى يسمعهم من لا يسمع، بينما هو اعتمد فقط على قمع الشرطة وتعتيم الإعلام، ظل الشباب ينادونه وهو يسمعهم من شرفات قصره ويغلق بابه في وجوههم حتى تجمعوا وجمعوا الشعب كله وكسروا قوات الشرطة في أنحاء الجمهورية وجلسوا في ميدان التحرير منتظرين رحيله..

وفي هذا التوقيت بدأت وحدات الجيش انتشارها بكثافة في شوارع وميادين العاصمة وبعض المحافظات الساخنة للعمل على حفظ الأمن وحماية المنشآت العامة والخاصة بالتنسيق مع وزارة الداخلية، لكن قوات الشرطة والأمن قد انسحبتا تماما من مواقعها قبل وصول وحدات الجيش والتنسيق معها كما كان مقررا،.. مما أدى إلى حالة الفراغ الأمني خلال عدة ساعات بعد انسحاب قوات الأمن والشرطة من مواقعها وقبل وصول وحدات الجيش.. وبدأت الفوضى تدب في كل اتجاه وكأن الأمر مُدبرا عمدا لإحداث فوضى عارمة في البلاد.

وعلى ما يبدو أن قوات الشرطة قد انسحبت من كافة مواقعها في طول البلاد وعرضها، وليس فقط من المناطق الساخنة، حتى أن شرطة المرور والحراسات الأمنية للبنوك والشركات ومحطات المترو انسحبت تماما من مواقعها، كل قطاعات الشرطة والتأمين عدا مقر وزارة الداخلية ومقرات الجهات السيادية فقط والقصور الرئاسية ومبنى الإذاعة والتليفزيون برغم أنه يقع في قلب الأحداث الساخنة، فلم تنسحب منه قوات الشرطة بل عززته بقوات من الحرس الجمهوري بتسليح مكثف، وانسحبت عمدا من أمام المتحف المصري وتركته برغم أنه لم يحدث أي اعتداء على أفراد أمنه، مع إن قيمة المتحف لا يمكن مقارنتها بقيمة مبنى الإذاعة والتليفزيون، بل قطعة أثرية واحدة من بين ملايين القطع الموجودة في المتحف تعادل مبنى الإذاعة والتليفزيون..فلا شك أن أمر انسحاب الشرطة من كافة مواقعها بهذا الشكل وقبل وصول الجيش كان مدبرا؛ وخصوصا أنه تزامن مع عمليات اقتحام السجون وإطلاق المساجين لنشر الرعب في نفوس الشعب الذي لم تجد معه العصا الأمنية ومحاولة قمعه

بالتخويف من الفوضى وانتشار السلب والنهب والجرائم. فطالما فشلت الشرطة في التصدي للشعب الغاضب وانهار خط دفاعها الأول من خلال تنفيذ الخطة 100 ، فمن الطبيعي أن تبدأ المرحلة الثانية باستخدام عناصر الخارجين عن القانون.

والخطة 100: هي خطة وضعتها وزارة الداخلية لمواجهة الأحداث الخطيرة أو الطارئة كوقوع انقلاب أو ثورة شعبية أو حالة فوضى عامة مع إنشاء غرفة عمليات داخل وزارة الداخلية بقيادة وزير الداخلية لمتابعة الموقف دقيقة بدقيقة. وتم الكشف عن الخطة أثناء محاكمه مبارك حين أدلى الشاهد التاسع للواء حسين فرج أن حبيب العادلي قرر يوم 27 يناير تنفيذ الخطة 100 التي وضعتها وزارة الداخلية. وتقضي الخطة 100 بنشر تشكيلات مسلحة من الشرطة وقوات الأمن المركزي في شوارع القاهرة تستخدم أقصي درجات العنف مع المحتجين لتحقيق عدد من الأهداف أهمها:

- منع وصول أعداد المتظاهرين إلى مليون متظاهر بأي وسيلة وبأي طريقة عن طريق حشد ضباط أمن الدولة وجنود الأمن المركزي وقوات مكافحة الشغب بأعداد ضخمة، والاستعانة بمدرعات وسيارات نقل الجنود والسماح باستخدام الرصاص الحي والقنابل المسيلة للدموع لمواجهة أي تحركات.

- حماية مدينة القاهرة بعزلها بقوات أمن ضخمة تحيط بمداخل ومخارج العاصمة ومنع أي تحرك منها أو إليها لوقف أي إمدادات للانقلابيين أو المتظاهرين.

- منع وصول المتظاهرين إلى ميدان التحرير بأي وسيلة كانت عن طريق غلق المنافذ المؤدية إلى الميدان بسيارات نقل الجنود وضربهم بالرصاص في مناطق مختلفة بالقاهرة قبل أن يصلوا إلى التحرير.

- حماية عدد من الشخصيات الهامة في الدولة على رأسهم جمال مبارك نجل الرئيس وفتحي سرور رئيس مجلس الشعب، وإذا كانت الحالة هي وفاة الرئيس، فسيتم فورا الإعلان عن تولي رئيس مجلس الشعب للرئاسة لفترة انتقالية، أما في حالة وقوع انقلاب أو تحرك شعبي ضخم فسيتم إخفاء الرئيس في مكان آمن خوفا من إصابته بأي مكروه، ويسمح له بإلقاء خطاب للشعب من مكانه الآمن لطمأنة الجماهير.

- تأمين المناطق الحساسة والمنشئات الحيوية بقوات ضخمة وعلى رأسها القصر الجمهوري ومبنى الإذاعة والتليفزيون ومطار القاهرة ومجلس الشعب ووزارة الداخلية والسفارات الأجنبية ومديريات الأمن

ومقار مباحث أمن الدولة وغلق كل الطرق المؤدية إليها وتقوم طائرات الهليوكوبتر بنقل القوات بشكل سريع إلى هذه الأماكن الحساسة.

- تذخير قوات الأمن المركزي وفرق أخرى من الشرطة بالرصاص الحي وطلقات الرش والقنابل المسيلة للدموع.
- تخزين أسلحة مختلفة في سيارات الإسعاف المحيطة بميدان التحرير حتى يمكن استخدامها في حالة الطوارئ.
- فتح المعتقلات لجميع أعضاء القيادات المحركة للجماهير سواء كانوا حزبيين أو حركات احتجاجية أو الإخوان المسلمين.
- فرض حظر التجوال وتعليق الدراسة بالمدارس والجامعات، ومنع المواطنين من الذهاب إلي أعمالهم.
- تقوم القوات بالسيطرة على الإذاعة والتليفزيون بإذاعة أخبار متوالية تؤكد أن البلد تحت السيطرة.
- استخدام وسائل التشويش على الاتصالات لإفساد أي تنسيق بواسطة الهواتف المحمولة وقطع خدمة الانترنت عن بعض المناطق أو الجمهورية بالكامل.

وهي الخطة التي أنكرتها السلطات المصرية تماما وقت أحداث الثورة..وكأن ما حدث كان عشوائيا.. أما الخطة 101 فهي خط الدفاع الثاني، وتفاصيلها تقتضي عمل فجوة أمنية بانسحاب جميع العناصر الأمنية من جميع أماكنها وإطلاق البلطجية والشبيحة وعناصر أمن الدولة في ملابس مدنية لإشاعة الذعر وترويع أهالي الثوار والمواطنين البسطاء حتى يضطر كل ثائر للعودة لمنزله ليحمي عائلته وأولاده.

وما يؤكد تدبير هذه الفجوة، هوا معرفتنا السابقة بانسحاب قوات الأمن والشرطة كاملة في تمام الرابعة عصرا، حيث كان ضباط الأمن على كوبري قصر النيل على علم بذلك وأخبرنا أحدهم بأنهم سينسحبون كليا في تمام الرابعة عصرا، أي أن خطة الانسحاب كانت موضوعة مسبقا ولم تأت فجأة مع تدهور الأوضاع، وبرغم أن القانون يقتضي نزول الجيش لمعاونة الشرطة، إلا أن صدر الأمر بانسحاب الشرطة قبل تبليغ الجيش بالنزول، وهذا ما أكده اللواء حسن الرويني في شهادته للمحكمة، حيث قال: قلت للمشير أنا لا أستطيع أن آمر الدبابات المجنزرة بالنزول إلا بعد صدور أمر بذلك من القائد

الأعلى للقوات المسلحة وحتى سيادة المشير، وبعد ذلك جاء لنا الأمر حوالي الساعة الخامسة ونزلنا المجنزرات من الهايكستب على الأهداف الحيوية لميدان التحرير ومبنى الإذاعة والتليفزيون وحماية المتحف المصري بالإضافة إلى أن المتحف المصري سُرق في ذلك الوقت وقبضنا على ناس داخل المتحف لأن ديوان المتحف كان قد أغلق عليهم".

كان كمينا مدبرا بدقة وإحكام لهذا الشعب المغبون..ففي ذات الوقت أعلن موقع ويكيليكس الإلكتروني عن العثور على وثيقة يبدو أنها صادرة من وزارة الداخلية المصرية بصفة غير رسمية؛ فلا تحمل توقيعات رسمية وليست ممهورة بخاتم الدولة الرسمي.. ولم يبق سوى دليل واحد قد يثبت مصداقية هذه الوثيقة من عدمه، وهو مقارنتها بما حدث في الواقع من مخطط لإجهاض الانتفاضة والقضاء عليها من خلال إرهاب الشعب بنشر الفوضى وأعمال البلطجة والسلب والنهب وترويع المواطنين حتى يعودوا إلى منازلهم، وهو ما يمثل الخيار الوحيد أمام المواطنين ما بين بقاء مبارك ونظامه وإما الفوضى.. ذلك أن المعتاد في خطوات الجهات السيادية الخاصة بكل ديكتاتور أن تدفع بقوات الأمن والشرطة بالسلاح في المرحلة الأولى، ثم تليها قوات الفوضى الخارجين عن القانون وفتح السجون للانتقام من الشعب، بالتوازي مع حملات التشويش الإعلامي والدعايا السوداء، ثم مرحلة الطابور الخامس.

وكشفت الوثيقة المنسوبة إلى مكتب الوزير عن مخطط يقضي بإخلاء أقسام الشرطة لتسهيل نهب الأسلحة وإطلاق سراح المجرمين وإشاعة الفوضى والسلب والنهب، وكذا كشفت عن مخطط يقضي بنشر عناصر مخربة والدفع لها بمبالغ مجزية مقابل إثارة الفوضى بالتزامن مع انسحاب متعمد لقوات الشرطة والأمن من كافة مواقعها، وكشفت كذلك عن طريق بث الإشاعات الكاذبة وتضليل الإعلام الخارجي لكسب ثقة الشعب في الإعلام المحلي، ومن ثم تنفيذ عملية التعتيم الإعلامي على ما يحدث من مظاهرات لإجبار المتظاهرين على التراجع عن مطالبهم تحت اعتبارات أمنية، وهذا نص الوثيقة :

وزارة الداخلية

مكتب الوزير

تعميم 1-60 /ب/م ت

سري وهام للغاية

الموضوع : خطة التصدي للمظاهرات الشعبية

الاستراتيجيات

1. السماح للمظاهرات بالمرور في شوارع مدن وقرى الجمهورية وذلك اعتبارا من تاريخه، وعدم اعتراض مسيرتهم وتوخي الحذر الشديد في إطلاق النار الحي والرصاص المطاطي والقنابل المسيلة للدموع إلا بأمر من المختص وذلك حسب جدول الاختصاص المدون لديكم.

2. توظيف عدد من البلطجية والدفع لهم بمبالغ مجزية والاجتماع بهم في دورهم وفي مواقع التجمعات وعلى انفراد من قبل العناصر المصرح لها بذلك دون وجود صفة رسمية بذلك وتوضيح خطة الانتشار حسب الجدول المرفق للموقع المعنون بـ 1 وإبلاغهم بوقت التحرك وخطة إشاعة الفوضى التدريجية المذكورة في البيان.

3. مراقبة أفراد التنظيمات والأحزاب والتنسيق مع المطابع ودور النشر وأجهزة الاتصالات وفرض سجل كامل بالرسائل والمكالمات الصادرة والواردة وتوضيح فحواها بتقرير مباشر حال تلقيكم المعلومات.

4. سيتم قطع وسائل الاتصال (موبايل – انترنت) اعتبارا من الساعة السادسة صباحا من يوم الجمعة الموافق 2011/01/28، مع الإبقاء بالخدمات الأرضية، لذلك يجب على جميع المكلفين من ضباط وأفراد استخدام أجهزة الاتصالات اللاسلكية اليدوية والتأكد أنها في وضع التشفير.

5. خطة نشر أفراد الشرطة ورجال المباحث والعناصر الأمنية بالزي المدني وحسب المرفق المعنون بـ 2.

6. حصر مسيرة المظاهرات في حال وصولها إلى مناطق التحرير حسب الخريطة المرفق المعنون بـ 3.

7. التأكد من تسليح أفراد العناصر الأمنية بالزي المدني بعصا خشبية وهراوات حديدية صغيرة الحجم (يدوية) لاستخدامها في القبض على العناصر الرئيسية المتواجدة في المظاهرات دون إظهار لأي عنف.

8. إطلاق الرصاص المطاطي والقنابل المسيلة للدموع دون استخدام الرصاص الحي والتنبيه بذلك إلا في الضرورة القصوى.

9. إظهار عجز جزئي اعتبارا في الرابعة عصر يوم الجمعة المذكورة لقوات الشرطة لإظهار تفوق المظاهرات والسماح بتغلغل عناصر البند 2 لإحداث فوضى محدودة أثناء المظاهرة وحسب الخطة المتفق معهم عليها.

10. الانسحاب التام لقوات الشرطة والأمن المركزي ولإدارة تنظيم المرور والحراسات وجميع فئات الضباط والأفراد المختصين لحماية المواقع الحكومية والشركات والمؤسسات مع ارتداء الزي المدني والتواجد بجانب الطرقات وحول الأشجار والانخراط بين خطوط المنظمين للمظاهرات وبين مواقف السيارات دون التدخل في أي ظواهر سلبية ودون الكشف عن الهويات الخاصة بهم وعدم التدخل في الشارع حتى يتم إبلاغكم بذلك.

11. إفراغ مراكز الشرطة من الأسلحة والذخائر والمسجونين ونقلهم إلى السجن المركزي ووضعهم تحت حراسة مشددة وإدخال أفراد الأمن الخاص والعناصر الأمنية إلى السجون بدلا منهم وعناصر الأحياء وأفراد المتابعة والبحث الجنائي والمتعاونين من المجندين.

12. بث الإشاعات عبر جميع وسائل الإعلام بوجود أعمال سلب ونهب وذلك بالاتصال من قبل العناصر النسائية على جميع وسائل الإعلام المختلفة مع سماع قوى لحالات الهلع والبكاء حسب الخطة بث الإشاعات المرفقة لكم.

13. بث رسائل مباشرة عبر أفراد أو وسائل غير مباشرة بتوزيع منشورات لوسائل الإعلام الخارجية فقط خاصة المتواجدة بالقرب من الأحداث بوجود أعمال سلب ونهب وتكسير لبنوك ومحال تجارية ومراكز شرطة تزامنا مع خطة انتشار البلطجة بالبند 2 وذلك لبث حالة من الهلع والرعب لدى الشارع العام ووجود مطالبة أهلية وشعبية لتواجد رجال الجيش والأمن العام وعامة الشعب بالتواجد في هذه المواقع.

14. إصدار تلميحات مباشرة وغير مباشرة لأجهزة الإعلام الداخلي والخارجي بتشكيل لجان حماية شعبية داخل الأحياء وذلك لتوجيه أفراد المظاهرة إلى التوجه إلى مواقعهم دون فرض القوة من الجيش.

15. إرسال إشاعات كاذبة ومغلوطة عبر جميع الوسائل لمحطات الإعلام الخارجي فقط ويتم تصحيحها من قبل محطات الإعلام المحلي وذلك لكسب الثقة من قبل العامة لصرف الأنظار عن هذه المحطات وتشويه سمعتها في جميع الاتصالات الواردة إلى محطات الإعلام المحلي.

16. بث الإشاعات القوية عبر جميع وسائل الإعلام المحلي والخارجي بوجود فوضى عارمة وهروب المساجين وتحديد أعداد وهمية كبيرة وكذلك مسجلي الخطر وأنهم شوهدوا داخل الأحياء السكنية.

17. مطالبة جميع الشعب عبر جميع وسائل الإعلام بتشكيل لجان شعبية تسهر ليلا ونهارا لحماية الأحياء وتكوين المطالبات من قبل أصوات نسائية من عناصر الأمن حسب ما تم الاتفاق عليه في الاجتماع السابق معكم.

18. متابعة الوضع ميدانيا من قبل العناصر الأمنية الميدانية والدفع لنا بأعداد المتظاهرين التقريبي ومعرفة مواقعهم لإرسال مجموعة البند 2 إلى أحيائهم حتى يتم امتصاصهم وإفراغ الساحات من المتظاهرين.

19. اتصالات مكثفة ومكالمات وتواجد شخص لدى جميع وسائل الإعلام يظهر تحسنا ملحوظا بعد تواجد اللجان الشعبية لحماية الأحياء والمجمعات السكنية والتجارية.

20. البدء بإظهار التلاحم مع القيادة تدريجيا وذلك بإظهار بعض الشعارات في الوقت المحدد وحسب ما يتم إبلاغكم به.

سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان سلطان

هكذا كان نص الوثيقة، أيا كان مصدرها ومدى مصداقيته، فلا يوجد دليل على صحة مصدرها سوى كونها عبرت ووصفت ما حدث في واقع الأمر بكل دقة وتفصيل ، بدءا بعملية انسحاب الشرطة والأمن والحراسات من المواقع والمنشآت والشركات في الرابعة عصرا ونهب الأسلحة من أقسام الشرطة وحرقها في وقتٍ واحد بالتزامن على مستوى الجمهورية وبنفس الخطة " الهجومية " بعناصر أمنية " بلطجية مُستأجرين"، وكذا سحب قوات الأمن تماما من مواقعها وانتشار عمليات البلطجة والسلب والنهب.. مع الحفاظ فقط على المواقع الخاصة بالمؤسسات الحكومية الحساسة والوزارات خاصة

شارع قصر العيني والقصور الرئاسية وماسبيرو.. وإن قيل بأن ماسبيرو يدخل ضمن المؤسسات السيادية المخول تأمينها لقوات الحرس الجمهوري، فهذا واقع فعلا، وقد أوشك المتظاهرون على اقتحام ماسبيرو لولا وصول قوات الحرس الجمهوري قبل الاقتحام بدقائق، لكن قوات تأمين ماسبيرو والشرطية لم تنسحب!. وقد أكد لنا ذلك أحد ضباط الأمن أثناء الهدنة بين المواجهات أنهم سوف ينسحبون في الرابعة عصرا وستدخل وحدات الجيش في مساء ذات اليوم لتتولى الأمر، أي أن أمر الانسحاب لم يكن نتيجة لعجز الشرطة، وإنما كان مدبرا لإحداث أثر معين.وكانت المدة الزمنية الفاصلة ما بين انسحاب قوات الأمن والشرطة هي المدة الزمنية المحددة سلفا لتنفيذ مخطط وزارة الداخلية (الخطة 101). فكثيرون حول السلطة قليلون حول الوطن "كما قالها غاندي".

وقد صرح أحد ضباط الشرطة أن أمرا صدر لقوات الأمن المركزي بالقاهرة من أحد قيادات الشرطة بالانسحاب وصدرت أوامر للضباط بارتداء الزى المدني و الانصراف ثم انقطعت الاتصالات بهم عقب صدور هذا الأمر، وتأيد ذلك بما قرره أحد أطباء قصر العيني من أنه في حوالي الساعة الخامسة مساء لاحظ حرس المستشفى يخلعون ملابسهم الرسمية ويرتدون ملابس مدنية ، وذلك بناء على أوامر صادرة إليهم بذلك. كما شوهد في كافة الشوارع والميادين انسحاب قوات الأمن المركزي بشكل منتظم في توقيت واحد بما يؤكد صدور أمر بالانسحاب، وليس انكسارا للشرطة وتراجعها، لأن الأخير يتحتم أن يكون هناك تفاوت بين تراجع القوات وانهيار قدراتها على صد المظاهرات وصمود قوات أخرى في ظروف زمانية ومكانية مختلفة، لا انسحاب كل قطاعات الشرطة حتى حرس المستشفيات ومحطات المترو وأمن الشركات. بالإضافة إلى أن ما أعلن عنه عقب نزول القوات المسلحة أنها نزلت لمعاونة الشرطة في تأمين المنشآت الحيوية بالتنسيق مع وزارة الداخلية وضباط الأمن، وانسحاب الشرطة في هذا الوقت قبل نزول القوات المسلحة لا يعني انتظار عملية تنسيق ومجاهدة في تأمين المنشآت بل يحمل معنى واحد فقط هو نشر الفوضى حتى يضطر الجيش للقضاء على الكل باسم الأمن. وفرصة نشر الفوضى خلال فترة الفراغ الأمني تعطي مبررا بعد ذلك أمام الجيش للقضاء على المظاهرات باعتبارها صانعة الفوضى.

فالخطة واحدة والتنفيذ بنموذج موحد، صحيح أن الجماهير الغاضبة أقدم بعضها على حرق بعض أقسام الشرطة انتقاما منها، لكن ليست كل الجماهير، فقط أفراد ربما تعرضوا للتعذيب على يد ضباط الشرطة في أقسام بعينها فأسرعوا للانتقام، كما حكى لي شاب بأنه حينما انسحبت الشرطة اتجه مسرعا إلى قسم الجيزة للانتقام والتشفي، حيث كان به ضابط قد لفق له تهمة – كما يذكر – قضى بسببها ست سنوات في السجن ظلما وبعدما خرج من السجن اتجه إلى قسم الشرطة كي

ينتقم من الضابط فوجده قد انتقل من القسم إلى جهة أخرى لا يعرفها، وحينما قامت المظاهرات استغل فرصته وأحرق القسم انتقاما على ما ضاع من عمره. وغير ذلك كثير من حالات المعاناة، فمثلا، حينما انسحبت الشرطة ونحن متكدسون على كوبري قصر النيل، تسارع الشباب إلى مقر الحزب الوطني وقاموا بعملية إعدام منظمة لمقر الحزب كما سلف ذكرها تفصيلا، بينما على بعد خطوة واحدة كان مقر المجلس القومي للمرأة يحترق فسارع الشباب لتحريك سيارة الإسعاف يدويا لإطفائه. وعلى بعد خطوة أخرى انسحبت قوات الأمن من المتحف فتدخل الشباب لحمايته من بلطجية الأمن، بل ضبط الشباب بعض اللصوص والمخربين يحاولون اقتحام المتحف وتبين من بطاقات الرقم القومي الخاصة بهم أنه بلطجية مستأجرين أمنيا وبينهم أفراد شرطة " أمناء شرطة".

غير أنه ليس من المنطقي أن ينسحب رجال الشرطة من أي قسم ويتركونه بأسلحته للنهب والسلب، فخطة الانسحاب ذاتها جريمة خيانة عظمى لأن كل قسم به سجن للمحبوسين احتياطيا وبه مخزن للأسلحة والذخيرة، ولا يعلم مدى خطورة هذا على الشعب والوطن أكثر من ضباط الشرطة الذين انسحبوا عمدا، فلم تقع منهم أي محاولات دفاع عن أنفسهم أو أي ما من شأنه أن يثبت تمسكهم بالأمانة والتزام مواقعهم وقت الخطر، فلم نر منهم ضابطا سقط شهيدا دفاعا عن قسم شرطة واحد على مستوى الجمهورية، فلا يعقل أن يقوم المتظاهرون بحرق كافة أقسام الشرطة دون أن يصاب أو يقتل ضابط واحد إلا إذا كانوا مأمورين بالانسحاب والحرق بطريقة هجومية بعد الانسحاب للتضليل، حتى أن ضابط الشرطة الوحيد الذي قتل في الثورة كان على يدهم وبرصاصهم وهو اللواء محمود البطران عندما رفض فتح السجون ودخل بنفسه سجن القطا لتهدئة المساجين ففاجأته رصاصات الغدر من برج الحراسة. وبذلك ينضم إلى خطة انسحاب الشرطة والأمن من الشوارع خطة فتح السجون لتهريب المساجين وإشاعة الفوضى والسلب والنهب في البلاد، وذلك كله يأتي تكملة ضرورية لعناصر الخطة 101 التي رسمها حبيب العادلي وزير الداخلية وشرع في تنفيذها عصر جمعة الغضب.

بل إن العقل والمنطق يقتضي إعادة تدوير الأحداث مرة أخرى وإعادة النظر في العيد القومي للشرطة؛ لأنه في 25 يناير 1952 تصدى ضباط الشرطة لقوة الاحتلال الإنجليزي التي حاولت اقتحام القسم ومبنى المحافظة بالإسماعيلية لتنكيس العلم المصري، كانت قوة القسم من أفراد وضباط وبعد هجوم قوات الاحتلال تبقى منهم 80 مصاب فقط، أي أن تمسك أفراد الشرطة وقتها بالأمانة والشرف والواجب وصل غايته، أن يستمر قسم شرطة بقوته المحدودة في السلاح والعتاد ويصر على التصدي لقوة عسكرية بهذا الحجم، ما جعل الضباط الإنجليز بعدما اقتحموا القسم وشاهدوا حجم الدماء

والقتل، ينظرون إلى أنفسهم نظرة ازدراء لما فعلوه، واعترفوا بأنهم لم يكن لديهم أي إنسانية في التعامل مع المصريين الشرفاء، أيام كان رجال الشرطة شرفاء.. لكن اليوم يهرب جهاز الشرطة والأمن بالكامل من المتظاهرين العزل !! فما فعله الأجداد مسخه الأحفاد ولم يعد لهم حق الاحتفال بعيد للشرطة خاصة في شهر يناير لأنهم خانوا الوطن خيانة عظمى حينما انسحبوا من كل مواقعهم وتركوا البلاد للنهب والسلب، وليس من المنطقي الاحتفال في ذات الظرف الزمني بأنهم تصدوا لقوات الاحتلال في 1952

لكن اللواء محمد نور الدين مساعد وزير الداخلية الأسبق يقول إن يوم جمعة الغضب 28 يناير 2011 كانت بمثابة انطلاق شرارة التخريب والتدمير في مصر ،وانطلاق ثورة كانت سلمية في بدايتها من يوم 25 يناير ،سرعان ما تحولت إلى كابوس وخطة مدبرة ومحكمة لتدمير البلاد وحرقها ،وكان الفاعل والعقل الرئيسي والمدبر لتلك الفتنة الكبرى ،وقد نسق الإخوان والقيادات التابعة للتنظيم الدولي مع قيادات حماس وحزب الله ومخابرات إقليمية ومنها تركيا وقطر للتسلل إلى مصر والوصول إلى أهدافهم المحددة ومنها الهدف الأول وهو اقتحام السجون والأقسام الشرطية ،وتهريب قياداتهم وعناصر من البلطجية لإثارة الرعب والخوف في نفوس المصريين. وبدأت خطوات المسلسل والحلقة الأولى منه ودخلت العناصر المسلحة من تلك الجماعات عبر الأنفاق في سيناء، واتحد بعض البدو من قبائل سيناء معهم، وتم استئجار عناصر أخرى منهم لإرشادهم على الطريق وكيفية الوصول إلى السجون المعدة للاقتحام.

ويضيف نور الدين أن العملية بدأت في دخول الأنفاق فجر 28 يناير محملين بالأسلحة الثقيلة والمتعددة ،بالإضافة إلى الدعم من قبائل سيناء وإمدادهم بالأسلحة أيضا وبعض السيارات ،حتى وصلوا إلى نفق الشهيد أحمد حمدي في السويس، وتم التقابل مع عناصر من قيادات الإخوان، حتى وصلوا إلى السجن الأول المعد للاقتحام وكان سجن المرج وأبو زعبل، وتم الاشتباك مع القوات المتواجدة لحماية السجن، وحتى نفدت ذخيرتهم تماما، وسقط منهم قتلى وجرحى، وكانت عدة لوادر مجهزة لهدم أسوار السجون وتم تحطيمها وتهريب المساجين وقيادات من حزب الله وحماس،كان مقبوضا عليهم في قضايا فتنة وخاصة بأمن الدولة. وأن عدد المشاركين في الهجوم كان نحو 500 شخص من حماس و150 من حزب الله، ونحو 500 من بدو سيناء،وكذلك عدد كبير من جماعة الإخوان، وتم تقسيم تلك الأعداد إلى أربع مجموعات مستقلين سيارات دفع رباعي حديثة، ومعهم الإخوان مجهزين بخرائط الأقسام. وبعد

اقتحام المرج وأبو زعبل، توجهوا إلى سجن 330 و440 في وادي النطرون، وحدثت الاشتباكات أيضا، وتم إخراج الإخواني محمد مرسي، وقد حدثت حالة من الهياج والغضب في صفوف المساجين وهربوا أيضا بعد الضغط عليهم، وأصيب عدد منهم بالرصاص بسبب الضرب العشوائي،وكانت المكالمة الشهيرة لمرسى مع قناة الجزيرة عبر هاتف الثريا علامة فارقة في ظهور الإخوان على المشهد الرئيسي والانضمام إلى صفوف المتظاهرين في ميدان التحرير.. وبعد خروج عدد من قيادات حزب الله من السجن توجهوا على الفور وعبر الأنفاق والحدود إلى بلادهم خلال 4 ساعات وتحدثوا في مؤتمر أعدوه على عجل في غزة."

ما يرويه اللواء نور الدين مساعد وزير الداخلية لأمن الدولة، هو قراءة جزئية للأحداث، فمن الوارد أن يقوم الإخوان سرا بالتنسيق مع أشقائهم في غزة وتسريب أخبار البلد وظروف الدعوة مبكرا إلى جمعة الغضب كي يستعدوا للهجوم على السجون وإخراج ذويهم.. وبالفعل تعرضت السجون التي ذكرها اللواء للهجوم في جمعة الغضب، وبالفعل خرج الإخوان وخرج محمد مرسي وتحدث إلى قناة الجزيرة من هاتف الثريا المتصل مباشرة بالقمر الصناعي لأن الحكومة كانت قد قطعت وسائل الاتصال منذ جمعة الغضب، وبالتالي فلن يتمكن محمد مرسي من الحديث مع الجزيرة سوى عبر هاتف الثريا الخلوي.. لكن تثور هناك تساؤلات عديدة حول هذه القراءة، وأهمها كيف تمكنت الجماعات المسحة بسيارات الدفع الرباعي من اجتياز نفق الشهيد أحمد حمدي والعبور تحت قناة السويس إلى داخل القاهرة؟ فهذا الفرض وارد فقط في حالة واحدة وهي حالة انسحاب الأمن والشرطة من النفق وتركه للإرهاب، وإن كان قد حدث فإنه يؤكد نية ضباط الشرطة في خيانة الوطن من الدرجة العظمى لأن المتظاهرين لن يتركوا ميدان التحرير ويلاحقوهم على حافة قناة السويس..

ثانيا: إذا كان قد حدث فعلا هجوم خارجي على الأقسام التي حددها اللواء نور الدين، باعتبار العناصر المهاجمة تبحث عن السجون التي بها ذويهم وفقا للخريطة التي يحملونها، وهذا وارد.. لكن سيادة اللواء تغاضى عن باقي الإثنى عشر سجنا التي حدث بها تمريد متعمد للمساجين بقطع المياه والكهرباء عنهم، ثم تهريب متعمد بإطلاق رصاص عشوائي وقنابل مسيلة للدموع كما شهد المساجين، ثم إلقاء ملابس مدنية لهم كي يخرجوا، فالعناصر الأجنبية لا يهمها إجبار باقي المساجين على الهروب، هم فقط أخرجوا ذويهم وهربوا، حتى أنه ذكر أنهم وصلوا بيوتهم بعد أربع ساعات وعقدوا

مؤتمرا في غزة، فما مصلحتهم في التهريب المتعمد للمساجين الذين ذهبوا وسلموا أنفسهم في أقسام الشرطة التي لم تحترق..

فقد وردت العديد من شهادات السجناء تأكيدا على ذلك بعد انتهاء الأحداث، فقد انتشر على شبكة الإنترنت مقطع فيديو يظهر فيه ما يبدو أنه سجين هارب من سجن أبو زعبل، ويروي كيف قامت وزارة الداخلية بمساعدتهم على الهرب وإعطائهم سلاح لترويع المواطنين. وقال الشخص الذي يظهر في الفيديو مربوط الساقين وخلفه مسلحين من الجيش قاموا بإلقاء القبض عليه: "إن المسئولين عن السجن قبيل أحداث يوم الثلاثاء الماضي، قامت بتجهيزهم للهروب، حيث أحضروا سيارات لنقلهم، وفتحوا لهم أبواب السجن قائلين: "يللا.. البلد بتاعتكم.. إطلعوا اللي تعملوه اعملوه".وأضاف السجين الهارب إن: "الداخلية قامت بتوزيع السلاح على بعض منهم لاستخدامه بعد هروبهم، وقالوا لهم: "أوضة السلاح أهي ومخازن الذخيرة أهي، ويلا توكلوا على الله"، مشيرا إلى أنه سلم نفسه بعد يوم من هروبه".وأكد أن الضباط بقسم شرطة الأزبكية وقسم الخليفة والوراق قاموا بتهريب المساجين منه ليضربوا في المواطنين والمتظاهرين بالتعاون مع المباحث، وأن ضباط قسم المطرية قبل حرقه قاموا بتهريب المساجين وطلبوا منهم سرقة المحال الموجودة في شارع "الترولي" بالكامل. (مصراوي)

غير أن سجن الفيوم الذي قتل فيه اللواء البطران لم يكن به عناصر من الإخوان ولم يصل إليه أحد من الخارج ولم يتعرض للهجوم بل فقط تعرض لعمليات تمريد متعمد، وعندما ذهب إليه اللواء البطران وجده هادئا ودخل السجن وتم قتله داخل السجن من برج الحراسة الخارجي دون أن يكون هناك أي داعٍ لإطلاق النار، بل إن البطران نفسه قبل تحركه من مكتبه قال لشقيقته " حبيب العادلي عاوز يولع في البلد"

وهذا ما أكده جسني مبارك نفسه في مذكراته، إذ وجه مبارك التحية الشريفة إلى ألد أعدائه وهم شباب الثورة اعتقادا منه أنهم ساهموا في حماية المنشآت العامة من عمليات النهب التي كان مقررا لها الحدوث في ربوع مصر كلها، وأن الجيش حمى البلاد من النهب بعد أن أفرغت السجون من سكانها. وفى أول تأكيد منه كشف مبارك أن عملية إطلاق السجناء كانت عملية مدبرة وممنهجة، وقال إن اللواء عمر سليمان مدير المخابرات العامة كشفها فور حدوثها مؤكدا أنه لأجل إطلاق سراح السجناء يجب فتح 12 بوابة لكل منها، طبقا لمعلومات عمر سليمان، مفتاح مع شخص معين بدفتر خاص بكل بوابة ومعنى فتح 12 بوابة وراء بوابة للسجناء يعني أن شخصا ما جمع أفراد الخدمة بالسجون التي

فتحت في توقيت واحد وهو ما لا يمكن حدوثه عمليا وإداريا في مكان واحد حيث تبعد كل بوابة عن الأخرى عشرات ومئات الأمتار وأن ذلك الشخص الذي أمر بالتنفيذ فتح جميع الأبواب مرة واحدة، وطلب مبارك ممن لا يصدقه في مكتب النائب العام أن يعد البوابات ويقوم بعمل رسم كروكي هندسي لها وساعتها سوف تكتشف مصر كلها حقيقة ما حدث في السجون، وأن بعد ذلك ستكون عملية الكشف عن الفاعل مجرد تحصيل حاصل من واقع دفاتر خدمات الأيام التي حدث فيها تهريب السجناء لترويع مصر كلها وللتعجيل من سقوط نظام حكمه، مع أنه يؤكد أن الحكم كان سينهار في كل الأحوال.. ثم يعود مبارك لقصته مع العادلى سريعا بين السطور ليكشف أنه يعتقد بقوة أن العادلى كان ينفذ خطة للانقلاب على النظام فشلت منه يوم 28 يناير 2011.

(**روزاليوسف** 30 /3/ 2012).

وما يؤكد شهادة مبارك التي وردت في مذكراته بالإضافة إلى تحليل اللواء عمر سليمان مدير المخابرات العامة، هو هذه الشهادة التفصيلية التي أدلى بها أحد المساجين لصحيفة اليوم السابع؛ يقول محرر الصحيفة: هو صديق مثقف ظل في السجن 26 شهرا في سجن الفيوم ، وبعد أن وصف صديقي سجن الفيوم، وأكد أن المساجين لم يكونوا على أي معرفة بما يدور في الخارج من ثورة تطالب بإسقاط النظام، قال، فوجئنا ونحن في عنابر السجن بالحراس يفتحون كل أبواب العنابر، ويقولون بأعلى صوت: «أخرجوا.. اهربوا.. أخرجوا.. مفيش حد يفضل هنا.. اللي هيفضل مفيش حد مسئول عنه»، فخرج المساجين مسرعين، تاركين وراءهم كل أمتعتهم الشخصية، وكانت المفاجأة أمامهم أن أبواب السجن الـ 11 مفتوحة على آخرها، وكانت هذه الخطوة تحديدا هي أكثر ما يلفت الانتباه في القصة كلها.

وأضاف، أنه وآلاف المساجين الذين معه، ومن هول المفاجأة، ظنوا مثلا أن البوابة الرئيسية ستكون مغلقة، لكنها أيضا كانت مفتوحة، وفى عبور البوابات لم يكن هناك جندي واحد من جنود الحراسة، أو ضابط مسئول، أو قائد السجن، وحتى كلاب الحراسة لم تكن موجودة، ولم يكن هناك أيَ أثر لوجود الجنود الذين يقومون بمهام الحراسة الخارجية، ولم يتم إطلاق طلقة واحدة.. بدأت القصة تقريبا في حوالي الساعة السادسة مساء، وخرج المساجين إلى الصحراء حيث يقع مبنى السجن، وفى الوقت الذي كانوا يتفرقون فيه في السير، ويترقبون أيَ وسيلة تنقلهم، بلغت الإثارة ذروتها برؤيتهم لسيارات تقف أمام السجن، وينزل منها أشخاص يدخلون ويعودون بأسلحة وأمتعة وأشياء أخرى كثيرة، وحملتها على السيارات لتنطلق إلى أماكن لا يعرفها سواهم، وقطعنا المسافة إلى المدينة سيرا

على الأقدام، وبمجموعات متفرقة، وأثناء السير كان هناك من يهرب داخل الحقول، ومن يدخل في أيَ شارع يقابله، ومن يركب أيَ سيارة أجرة، ويؤكد أن الأهالي كانوا يقدمون المساعدة، ويضرب المثل بنفسه، حيث أعطاه رجل جلبابا أبيض كي يرتديه بدلا من ملبسه https://www.youm7.com/509986.

على أيَ حال عندما اقتربت الساعة من التاسعة مساء جمعة الغضب، في ميدان التحرير، بدأت أعدادنا تتناقص والأغلبية أرهقها الإجهاد، فيما وقف مجموعة من الشباب يناوشون قوات الأمن في مدخل شارع قصر العيني، وفي ذات الوقت بدأت الشرطة العسكرية تجوب الميدان بسرعة فائقة بمدرعاتها لتفتح الطريق أمام وحدات الجيش، وكانت مركبات الشرطة العسكرية تخترق الجموع في ميدان التحرير حتى تصل قوات الأمن ثم ترتد عائدة مرة أخرى باتجاه ميدان عبد المنعم رياض.. وقد لاحظ بعض الشباب أن مركبات عسكرية تقوم بإنزال صناديق ذخيرة عند قوات الأمن فحاولوا التصدي لها في جولاتها التالية وحاولوا تعطيلها بقطع الحجارة وقوائم إشارات المرور وبهذه الطريقة عجزت سيارات الجيب العسكرية عن المرور وتم حرقها..

يقول زميلنا عمرو عز، عضو حركة 6 إبريل: أمام وزارة الداخلية كان هناك ضرب نار مباشر، أي حد كان بيعدي يتم ضربه بالنار..وفي كل الأطراف تجمعات كبيرة منتظرين يروا أي حد من الشرطة كي ينتقموا منه من لما حدث طول النهار، وكان بيننا ضابط سابق أو شخص عنده خبرة أمنية كشف لنا أن الأمن يتحرك بشكل عصبي وبيحاولوا يفتحوا ثغرة، عشان يجيبوا منها ذخيرة، هو رأى ذلك،حتى أنه فسر لنا تفسير غريب إن الأمن بدأ يضرب بعد ما كان هدي الضرب.. وكان يضرب ذخيرة بشكل قليل، الآن زود الذخيرة جدا، وهذا دليل عكسي.. دليل إن الذخيرة بتخلص منه فهو يحاول أن يستخدم الذخيرة المتبقية معه يضرب بها الناس لكي يفتح ممر كي يحصل على ذخيرة. .لكن الشباب لما اكتشفوا إنها حرس جمهوري تنقل ذخيرة للأمن بدأوا يناموا قدام المدرعات. .وبدأوا يقفلوا الطرق، وفتشوا السيارات الجب، واشتعلت النيران في إحدى السيارات في الميدان وكان بداخلها ذخيرة وقنابل غاز مسيلة للدموع ورصاص حي ورصاص مطاطي. .وحمل الشباب بعض من الرصاص الحي أعطوه للإعلامي أحمد كي نذيعه كخبر مباشر على قناة الجزيرة. .ويقول عمرو عز:" الشباب نزلوا العساكر من العربية وراحوا مولعين فيها. .أمام مطعم هارديز وكانت هذه بداية صناعة الحواجز وإغلاق الميدان.. "

وفي ناحية ميدان عبد المنعم رياض قام المتظاهرون بسكب كميات من البنزين في خطوط عرضية مثل " المطب" على حارات الطريق المؤدي إلى ميدان التحرير من جهة عبد المنعم رياض، وبمجرد اقتراب مركبات الشرطة العسكرية، قاموا بإلقاء عود من الثقاب مشتعلا على الطريق فاحترقت المركبات ولم تسعفها المكابح، وبالكاد تجمع المتظاهرون وأنقذوا الجنود بداخلها . وتمكنت حاملة مشاة مدرعة تابعة للشرطة العسكرية من اختراق خط النيران فقاموا بتعطيل عجلاتها بقطع الحجارة ووضع قوائم إشارات المرور ما بين التروس وجنزير الحركة حتى توقفت تماما وحاولوا إخراج الجنود من داخلها وإنقاذهم من الاختناق بعد أن صعد المتظاهرون بكثافة أعلى المدرعة، لكن الجنود اشترطوا خروجهم بأسلحتهم وعدم تسليمها للمتظاهرين وهو ما رفضه المتظاهرون خوفا منهم؛ فغالبية المتظاهرين ليس لديهم خلفيات عسكرية وليست لديهم المعرفة بأن تسليم السلاح يعني لدى العسكريين فضيحة..مع أن الجنود اعترفوا للشباب بأنهم مأمورين بنقل الذخيرة لقوات الأمن وإخلاء الطريق للجيش دون التعرض للمتظاهرين، لكنهم رفضوا الخروج وأغلقوا جميع فتحات المدرعة وجلسوا داخلها في سكون..

وفي ذات الوقت وصلت أولى مدرعات الجيش، حاملة مشاة مدرعة تمكنت من عبور كافة خطوط النيران حتى أن المتظاهرين كانوا قد وضعوا سيارات الأمن والشرطة المحترقة بعرض الطريق لمنع عبور أيِ مركبات أخرى تابعة للشرطة العسكرية، إلا أن مدرعة الجيش تمكنت من العبور على السيارات المحترقة وحولتها إلى ألواح من الصفيح ملتصقة بالأرض ووصلت في طريقها للدوران أمام المجمع، لكن المتظاهرين تمكنوا من إشعال النار فيها بسكب البنزين عليها أثناء الدوران في الميدان وإشعالها.وكان بها بعض الجنود ووجبات أفراد الجيش المكلفين بحماية الميدان.. لكنها احترقت وخرج الجنود سالمين وأخبرونا أنهم تابعين لوحدات الجيش وليسو من وحدات الشرطة العسكرية وأن مهمتهم حماية المتظاهرين والمنشآت العامة والخاصة في دائرة الميدان وليس نقل ذخيرة للأمن، ووجهوا اللوم للمتظاهرين على ما سببوه من حرج بالغ للجيش بإحراق إحدى مركباته.. فاعتذر لهم البعض عمّا حدث دون قصد وأخذوا يهتفون تحية لهم " الجيش والشعب ..إيد واحدة ".[1]

1ـ وهذا ما ذكره اللواء حسن الرويني قائد المنطقة المركزية في شهادته للمحكمة فيما بعد، قال: " استغرقنا حوالي أربع أو خمس ساعات للانتشار في المناطق الحيوية والحركة كانت على دفعات، وأول مركبتين تمركزتا بميدان التحرير احترقتا وقام المتظاهرون بحجز العساكر المتواجدين عن المركبتين، معتقدين حسب كلامهم، أننا جئنا بسلاح وذخيرة لأن أسلحة الداخلية نفدت."



وفي بادئ الأمر كُنا مرتابين جدا في موقف الجيش، ولكن الجنود حاولوا طمأنتنا، وأكدوا لنا إنهم لم يتلقوا أي أوامر بضرب النار إلا في حالات القبض على البلطجية، وكنا نهتف لهم دائما " الجيش والشعب إيد واحدة "وكانت ساحة الميدان قد مُلئت بعشرات الدبابات والمدرعات متراصة خلف بعضها وصعد إليها المتظاهرون احتفالا بقدومها.. وأنزلوا أحد ضباط الدبابات وحملوه على الأعناق وطافوا به الميدان بهتافاتهم.. وللحقيقة، من خلال الحوارات والمحادثات الطويلة مع أفراد الجيش شعرت بأنهم سعداء جدا بما حققناه ، كانوا يتعاملون معنا وكأنهم جاؤا ليحتفلوا بنا وبما حققناه.. تعاملوا معنا على أننا أبطال

كانت فكرة النظام الحاكم من وراء استدعاء الجيش بعد خطة وزارة الداخلية بسحب قوات الشرطة والأمن من مواقعها وعملية الانفلات الأمني ونشر البلطجية والسلب والنهب وحملات الترويع الإعلامي..كان مخططا أن يدخل الجيش بعد ذلك لفرض حظر التجول حفاظا على أمن واستقرار البلاد وحماية المنشآت، وهو ما يعني فض المظاهرات والقبض على كل من وجدوه بالشوارع والميادين العامة أثناء حظر التجول.. لكن خاب ظنهم ودخل الجيش لحماية المتظاهرين من بطش قوات الأمن وهو ما كان بمثابة صدمة قاسية للنظام الحاكم.. إذ أن الجيش تضامن مع الشعب ولم ينفذ خطة الحكومة لفض المظاهرات بهذه الطريقة..وأيا كانت الوسيلة ، فقد كان مبارك ينتظر من الجيش فض المظاهرات بالقوة وليس احتضانهم.

اقتربت الساعة من العاشرة مساءً في ميدان التحرير، وانتشر باعة الصحف في الميدان كالعادة، نستطلع حصيلة أخبار اليوم؛ جريدة الشروق:

- خبراء : الإعلام الرسمي « في غيبوبة » وحجب المواقع أفكار قديمة

- العالم: الصحف القومية تعمدت إغماض عينيها عن المظاهرات ثم استخدمت فزاعة التيار الإسلامي
- سماء الجيزة تمطر قنابل دخان ..والبرادعى يحتمي بجمعية الاستقامة
- مصدر أمنى : تم القبض على 3 آلاف شاب
- قنابل وأعيرة لتفريق مئات الآلاف في الإسكندرية، واشتباكات في المنشية والعطارين والرمل. والمتظاهرون أفسدوا خطة الأمن لتطويق المظاهرات أمام "القائد إبراهيم"
- حقوقيون : الأمن حشد البلطجية والمسجلين وخزن شكاير طوب وزلط في الأقسام
- المظاهرات تتجه إلى المناطق العشوائية والأكثر فقرا.
- قنابل الشرطة تفشل في منع مظاهرات وسط البلد
- نفق إلكتروني لنشطاء مصر لكسر الحجب الحكومي للإنترنت
- تعرض مواقع وزارات الداخلية والاتصالات والحزب الوطني للقرصنة لساعات
- زغاريد ابتهاجًا بحصار قسم شرطة السويس
- السويس ترفع شعار" مش هنموت".. الإصابات تصل إلى 600 وحالات انهيار عصبي بين الضباط.. الشرطة تلجأ إلى مفاوضة الغاضبين «وتقدم 30 معتقلا عربون صلح» والعمال والمحامون يدخلون على خط المواجهات.. مصادر تؤكد ارتفاع نسبة الوفيات بسبب الاختناق .. وضباط من الصعيد والقناة لدعم القوات في السويس
- آلاف المتظاهرين يواجهون الأمن في بنها
- شعار جمعة الغضب في بولاق" يا نعيش عيشة لوكس ..يانروح كلنا على البوكس".. واشتباكات عنيفة في السيدة زينب
- الجيزة جمعة الغضب الأمن للمتظاهرين بعد استسلامه: "مبروك لمصر"
- انقسام في واشنطن حيال المظاهرات المصرية، وقلق من خسارة الحليف القوى لأمريكا. والجمهوريون يريدون مساندة المحتجين أملا في التغيير الديمقراطي.. الاندبندنت : ورطة النظام المصري.. وكندا تطالب مصر بضبط النفس والحفاظ على حرية الإنترنت
- احتراق ديوان محافظة الإسكندرية والحزب الوطني وأقسام الشرطة
- شهود عيان : سجن الغربانيات أطلق السجناء في شوارع الإسكندرية

- **لجان إغاثة ومعيشة في التحرير "لحماية الثورة من التلوث"**

الحادية عشر مساءا.. كان المتظاهرون قد صعدوا أعلى الدبابات وأخذوا يغنون بأغاني وطنية ويشيرون إلى قوات الأمن بتلميحات مستفزة وهو ما دفع قوات الأمن لإطلاق بعض الرصاصات بشكل عشوائي؛ فتحرك القائد العسكري بدبابة القيادة باتجاه مدخل قصر العيني ووجه إنذارا لقوات الأمن بوقف إطلاق النار والانسحاب فورا من أماكنهم لأن التقاليد والأعراف العسكرية تقضي بانسحاب الشرطة تماما بمجرد وصول الجيش، إلا أنهم اعتذروا له عن الانسحاب بحجة أن لديهم أوامر بالضرب والتزام مواقعهم دفاعا عن وزارة الداخلية، ولم تنتهي الأوامر حتى بوصول الجيش.. ولذلك التزموا أماكنهم مع وقف إطلاق النار حتى تأتيهم الأوامر بالانسحاب.

ويؤكد ذلك ما قاله عمرو عز، عضو حركة 6 إبريل: ناحية وزارة الداخلية، كان الناس مصممين على الاقتحام، كانت مجموعة كبيرة من الشباب وكان الحماس واخدهم لدرجة إنهم مصممين على اقتحام وزارة الداخلية، كان آخر رد فعل للأمن هو الدفاع عن الوزارة، مجموعات كانت بتطلع تروح عند الأمن عند المكان اللي فيه ضرب نار إللي جنب المجمع وتروح راجعة شايلين واحد، مضروب برصاص فيسلموه للإسعاف ويقوموا راجعين تاني داخلين الشارع..."



وبمرور الوقت، لم تلتزم قوات الأمن بتعهداتها أمام استفزازات المتظاهرين المستمرة وإشاراتهم وتلميحاتهم الساخرة والبذيئة؛ فبادروا بإطلاق الرصاص مرة أخرى، فوقف ضابط الجيش على مقدمة دبابته فأصابته رصاصة في كتفه، فأمر قوات الأمن بالانبطاح أرضا، فوضعوا أسلحتهم على ظهورهم

واستلقوا على وجوهم ثم أمرهم بالزحف في شارع الجامعة الأمريكية ودخلوا وزارة الداخلية من الباب الخلفي، وأثناء انسحابهم من شارع قصر العيني خرج شخص من وسطهم وألقى قنبلة يدوية في إحدى نوافذ مجمع التحرير الخلفية، وكان بجوارها سيارة إطفاء فاشتعلت بها النار لكن المتظاهرين أسرعوا بإطفاء غرف المجمع المحترقة وسيارة الإطفاء التي احترق نصفها الخلفي.. لم نر أحدا منهم وهو يحرق المجمع لكن لم يكن بإمكان أحد من المتظاهرين الاقتراب من هذا المكان لأنه يقع خلف قواتهم، وبمجرد انسحابهم اشتعلت النار وأسرع المتظاهرون بإطفائه..

وظهر شارع قصر العيني لأول مرة خاليا تماما من كل شيء إلا من عشرات المصفحات المحترقة ومصدات المرور والمتاريس المعدنية وألواح معدنية وآلاف من فوارغ القنابل المسيلة للدموع وفوارغ الرصاص المطاطي والخرطوش والرصاص الحي وأكوام من الحجارة مبعثرة..

وفي هذه الليلة كان الشباب قد أعدوا بعض من ضروريات الاعتصام، وأحضروا آلاف البطاطين من مركز هشام مبارك للقانون والمركز المصري للحلول الاقتصادية والاجتماعية، كانت هذه المراكز الحقوقية تحتفظ بكميات هائلة بصفة مستمرة لدعم الاعتصامات والإضرابات بوجهٍ عام التي من شأنها دفع عجلة التغيير ومواجهة النظام القمعي الحاكم. وكان الدكتور ممدوح حمزة يساعد الشباب قدر استطاعته، وفر لهم مقر لحركة شباب 6 إبريل وفتح لهم فيلا قديمة له في شارع السواقي في القصر العيني، وكان الشباب يعقدون اجتماعاتهم بها منذ 25 يناير، بالإضافة إلى أنه يتواصل مع أصدقاءه ورجال أعمال وطنيين لدعم الشباب بتوفير الاحتياجات المادية. وكذلك أحضر الشباب أجهزة الإذاعة الميدانية، وسماعات كانت متواجدة بمقر تيار التجديد الاشتراكي بوسط البلد.

وفي مساء ذات اليوم أعلن التليفزيون المصري عن خطاب للرئيس مبارك.. وكثيرا ما انتظرنا هذا الخطاب على أنه خطاب الرحيل مع الاعتذار عما حدث وما سقط من شهداء وجرحى..لكن كانت المفاجأة، فقد جاء الخطاب متأخرا جدا وفي منتصف الليل وتحدث عن مظاهرات وأحداث جمعة الغضب وكأنها فقط مجرد شغب لصبية المدارس وصاحبها نهب وسلب وتخريب.. وربما لم يشعر بأنها انتفاضة شعب ثار من أجل حريته وحقوقه المسلوبة، وبرغم أن الخطاب قد تم تسجيله في وقت مبكر من ذات اليوم إلا أنه تم تأخيره عمدا لسببين؛ الأول هو أن تكون الخطة 101 قد ظهرت نتائجها جلية ليعتمد عليها الخطاب، وأما السبب الثاني فسوف نعرفه مع الخطاب الأخير. وجاء نص الخطاب الأول على النحو التالي :



" الإخوة المواطنون، أتحدث إليكم في ظرف دقيق يفرض علينا جميعا وقفة جادة وصادقة مع النفس تتوخى سلامة القصد وصالح الوطن. لقد تابعت أولا بأول التظاهرات وما نادت به وما دعت إليه، وكانت تعليماتي للحكومة تشدد على إتاحة الفرصة أمامها للتعبير عن آراء المواطنين ومطالبهم، ثم تابعت محاولات البعض لاعتلاء موجة هذه التظاهرات والمتاجرة بشعاراتها وأسفت كل الأسف لما أسفرت عنه من ضحايا أبرياء من المتظاهرين وقوات الشرطة . لقد التزمت الحكومة بهذه التعليمات، وكان ذلك واضحا في تعامل قوات الشرطة مع شبابنا ، وقد بادرت إلى حمايتهم في بدايتها احتراما لحقهم في التظاهر السلمي طالما في إطار القانون، وقبل أن تتحول هذه التظاهرات لأعمال شغب تهدد النظام العام وتعيق الحياة اليومية للمواطنين .إن خيطا رفيعا يفصل ما بين الحرية والفوضى، وإنني إذ أنحاز كل الانحياز لحرية المواطنين في إبداء آرائهم، أتمسك بذات القدر بالحفاظ على أمن مصر واستقرارها وعدم الانجراف بها وبشعبها لمنزلقاتٍ خطيرة تهدد النظام العام والسلام الاجتماعي ولا يعلم أحد مداها وتداعياتها على حاضر الوطن ومستقبله.إن مصر هي أكبر دولة في منطقتها سكانا ودورا وثقلا وتأثيرا، وهي دولة مؤسسات يحكمها الدستور والقانون، وعلينا أن نحاذر مما يحيط بنا من أمثلة عديدة انزلقت بالشعوب إلى الفوضى والانتكاس، فلا ديمقراطية حققت ولا استقرارا حفظت.

أيها الأخوة المواطنون؛ لقد جاءت هذه التظاهرات لتعبر عن تطلعات مشروعة لمزيد من الإسراع لمحاصرة البطالة وتحسين مستوى المعيشة ومكافحة الفقر والتصدي بكل حسم للفساد. إنني أعي هذه التطلعات المشروعة للشعب وأعلم جيدا قدر همومه ومعاناته ولم أنفصل عنها يوما وأعمل من

أجلها كل يوم، لكن ما نواجهه من مشكلات وما نسعى إليه من أهداف لن يحققه اللجوء إلى العنف ولن تصنعه الفوضى، وإنما يحققه ويصنعه الحوار الوطني والعمل المخلص والجاد . إن شباب مصر هو أغلى ما لديها وهي تتطلع إليهم كي يصنعوا مستقبلها وتربأ بهم أن يندس بينهم من يسعى إلى نشر الفوضى ونهب الممتلكات العامة والخاصة وإشعال الحرائق وهدم ما بنيناه. إن اقتناعي ثابت لا يتزعزع بمواصلة الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي من أجل مجتمع مصري ديمقراطي يحتضن قيم العصر وينفتح على العالم.

لقد انحزت ، وسوف أظل، للفقراء من أبناء الشعب على الدوام، مقتنعا بأن الاقتصاد أكبر وأخطر من أن يترك للاقتصاديين وحدهم، وحرصت على ضبط سياسات الحكومة للإصلاح الاقتصادي كي تمضي بأسرع مما يحتمله أبناء الشعب أو ما يزيد من معاناتهم .إن برنامجنا لمحاصرة البطالة وإتاحة المزيد من خدمات التعليم والصحة والإسكان وغيرها للشباب والمواطنين تظل رهنا بالحفاظ على مصر مستقرة وآمنة، وطنا لشعب متحضر وعريق لا يضع مكتسباته وآماله للمستقبل في مهب الريح. إن ما حدث خلال هذه التظاهرات يتجاوز ما حدث من نهب وفوضى وحرائق لمخطط أبعد من ذلك لزعزعة الاستقرار والانقضاض على الشرعية.

إنني أهيب بشبابنا وبكل مصري ومصرية مراعاة صالح الوطن وأن يتصدوا لحماية وطنهم ومكتسباتهم، فليس بإشعال الحرائق والاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة تتحقق تطلعات مصر وأبنائها، وإنما تتحقق هذه التطلعات للمستقبل الأفضل بالوعي والحوار والاجتهاد من أجل الوطن والمزيد من الحرية للمواطنين، وبخطوات جديدة لمحاصرة البطالة ورفع مستوى المعيشة وتطوير الخدمات، وخطوات جديدة للوقوف إلى جانب الفقراء ومحدودي الدخل.

إن خياراتنا وأهدافنا هي التي ستحدد مصائرنا ومستقبلنا وليس أمامنا من سبيل سوى بالوعي والعمل والكفاح لنحافظ على ما حققناه ونبني عليه، ونرعى في عقولنا وضمائرنا مصالح الوطن، إن أحداث اليوم والأيام القليلة الماضية ألقت في قلوب الأغلبية الكاسحة من أبناء الشعب الخوف على مصر ومستقبلها والتحسب من الانجراف إلى مزيد من العنف والفوضى والتدمير والخراب، وإنني – متحملا مسؤوليتي الأولى في الحفاظ على أمن الوطن والمواطنين – لن أسمح بذلك أبدا، لن أسمح لهذا الخوف بأن يستحوذ على مواطنيها ولهذا التحسب بأن يلقي بظلاله على مصيرنا ومستقبلنا.

لقد طلبت من الحكومة التقدم باستقالتها اليوم وسوف أكلف الحكومة الجديدة اعتبارا من الغد بتكليفات واضحة ومحددة للتعامل الحاسم مع أولويات المرحلة الراهنة .وأقول من جديد إنني لن أتهاون في اتخاذ أية إجراءات تحفظ لكل مصري ومصرية أمنهم وأمانهم، وسوف أدافع عن أمن مصر واستقرارها وأماني شعبها، فتلك هي المسؤولية والأمانة التي أقسمت يمينا أمام الله والوطن بالمحافظة عليها.حفظ الله مصر وشعبها وسدد على الطريق خطانا ".

في الوقت الذي كان مبارك يلقي فيه خطابه الأول إلى الشعب بعد أحداث جمعة الغضب،وقف الشباب يتفحصون كلمات الخطاب باحثين عن عبارة " التنحي ".. كانت أحلامنا وردية للدرجة القصوى، توقعنا أن عبارة التنحي سترد بأول خطاب له، وبذلك نحتفل بنجاح الثورة في الصباح.. وكان دكتور جلال أمين كتب صباح اليوم مقالة في الشروق في تكلم فيها عن ثورة الشعب المصري.

بينما جاء الخطاب مفعما بالعنف وإشارات التهديد والتخوين والاتهام، وكان ذلك واضحا في عبارة " إن ما حدث خلال هذه التظاهرات يتجاوز ما حدث من نهب وفوضى وحرائق لمخطط أبعد من ذلك لزعزعة الاستقرار والانقضاض على الشرعية". هذه العبارة وحدها كانت كفيلة بانصراف الشباب عما تبقى من خطابه .. فقد أشعل النفوس بلهجته هذه التي تشير بوضوح أنه يرى نضال الشعب ومعاناته وتضحياته خلال الأيام الثلاثة الماضية ومئات الشهداء الذين سقطوا بيد رجاله وآلاف الجرحى.. يرى كل ذلك ليس فقط عمليات تخريب وفوضى وإشعال للحرائق وإنما مخطط خارجي للانقضاض على الشرعية.. هكذا بدا مبارك منعزلا تماما عن الشعب لظروف الشيخوخة ولم يعد يسمع شعبه، بل فقط يسمع ما تراه الهانم وابنها ورئيس ديوان قصره ذكريا عزمي ووزير إعلامه الفاشل أنس الفقي والمغفل الذي كتب له الخطاب.. إذ كان الشباب في حاجة لمن يتحسس آلامهم برفق، لا من ينبش جروحهم بعنف وغشم. فلم يذكر حرفا واحدا يعبر عن اعتذاره لأي خطأ إنساني وقع منه خلال إدارته للدولة أو من معاونيه وحاشيته.. لم يعترف لا صراحة ولا ضمنيا بقضية الفساد ولا تزوير الانتخابات البرلمانية.. لم يعترف بعنف الشرطة ولا وطأة القمع ولا الآلاف من المواطنين الذين تم اعتقالهم وتعذيبهم..ثم ركز خطابه على انحيازه للفقراء والبطالة، مع أنه لو نظر في الشارع لعرف أن المعتصمين بالميادين هم من شباب الجامعات وليسو من الفقراء المعدمين.. كان بإمكان مبارك تفادي سقوطه إذا تابع الأحداث بنفسه وكتب خطابه للشعب بعقله وقلبه، لا أن يترك من حوله يعبثون بكل شيء.

كان الشباب يتحاورون في الميدان بما يعبر عن غضبهم ورفضهم لخطابه طالما جاء خاليا من عبارة " التنحي " أو ما يوازيها أو ما يعادلها ، وكان بعضهم يجمع فوارغ القنابل المسيلة للدموع ويغمس إصبعه

في بقايا محتوياتها المتفحمة بداخلها ليكتب على دروع الدبابات ومدافعها " ليرحل حسني مبارك " و " يسقط حسني مبارك "، " نريد التغيير لا التخوين - " نريد التغيير لا تغيير الحكومة ". غير أن خطاب مبارك كان واضحا فيه بجلاء نبرة التهديد والتحذير من الفوضى والاتهام بالعمالة والتخوين، ثم أنه ذكر ضحايا الشباب المتظاهرين بالتوازي مع ضحايا أفراد الشرطة، مع أن الشرطة هي الباغي ولم تحدث فيها إصابات تذكر مقارنة بمئات الشهداء والآلاف من الجرحى والمصابين الذي سقطوا من الشباب برصاص الأمن، وهو ما تجاهله مبارك في خطابه تماما.. تحدث عن الخسائر المادية من المال العام ولم يتطرق إلى الخسائر المعنوية من الأرواح والآلام والأوجاع وأدمغة الشباب التي طحنتها عجلات مدرعات ومصفحات الأمن الغاشمة..

غير أنه تجاهل الواقع الذي عشناه لحظة بلحظة وتحدث بخطابٍ غيبي يعتبر أن الشرطة قد بادرت إلى حمايتنا في بداية المظاهرات احتراما لحقنا في التظاهر السلمي، مع أن الواقع أن قوات الأمن بادرت بالعدوان وأمطرت الجميع لحظة خروجهم من المساجد على مستوى الجمهورية، ولم تتحرك معهم لحمياتهم بل حجزتهم وأمطرتهم على أبواب المساجد ونشرت متاريسها وحواجزها الأمنية في كل الشوارع والطرقات.. ثم يركز كثيرا على الفوضى والتخريب والحرق، برغم أنه الآمر بنشر الفوضى والحرق والسلب والنهب لتخويف الشعب وإرهابه ، وحذر من الانقضاض على الشرعية، ، وهذا ما جعل الشباب يزداد إصرارً وتصميما على إفهام مبارك ما معنى الشرعية؛ وأن الشرعية هي إرادة الجماهير التي لا زالت دمائهم ساخنة ومشاهد القتل ما تزال ماثلة بأعينهم، فكيف يترك مبارك كل ذلك ويصف ما حدث بأنه محاولة للانقضاض على الشرعية، ويتحدث عن عدم تركه الاقتصاد للاقتصاديين وحدهم برغم أن البلد تعفن فيه الفساد.. والكارثة الكبرى أن مبارك تحدث في خطابه عن التخوين والاتهام بالعمالة والتخريب وتعمد إحداث الفوضى والسلب والنهب مع أن الشباب المتظاهرين كانوا على وعي كامل بأن رجاله هم من يقومون بالتخريب وإحداث الفوضى بعدما انسحبوا كليا وبشكلٍ مفاجئ من مواقعهم، وأطلقوا المساجين يعيثون في البلاد فسادا. ثم يتحدث عن أن الإصلاح لا يأتي بالعنف وإحداث الفوضى وإنما بالحوار الوطني، فهو بذلك يرى تحركات الجماهير المصرية في الشوارع وهتافاتها ليل نهار ما هي إلا فوضى، ثم متى سمح سيادته بالحوار الوطني هذا؟ وأين كان القمع الذي مارسه بقانون الطوارئ ثلاثين عاما كاملة؟أم أنه يقصد حوار وطني في أروقة الحزب الوطني ؟ فلهذا السبب تم حرق الحزب بحواراته وأروقته..

ثم يتحدث عن مسؤوليته عن الخوف!. " لن أسمح بذلك أبدا، لن أسمح لهذا الخوف بأن يستحوذ على مواطنيها" فأين هذا الخوف الذي تحدث عنه وقد احتشدت الجماهير بالملايين في الشوارع غير عابئة بالموت نفسه، فعن أي خوفٍ يتحدث؟والأدهى من ذلك أن خطابه الطويل من بدايته لنهايته تناول في متنه حديثا عن فوضى وتخريب وسلب ونهب وحرق وخوف واندساس وانقضاض على الشرعية ومخططات خارجية ، ثم في آخر سطر فقط نظر إلى مطالب الشباب وقدم فديته نملة على الطاولة مما يطلبه الشباب، فقط "طلبت استقالة الحكومة" . فماذا تعني استقالة الحكومة مع ملايين من الجماهير تطالب بالتغيير؟ أوَكل هذا النضال والكفاح على مدار أربعة أيام كاملة ، وهذا الكم من الشهداء والضحايا كان فقط من أجل استقالة الحكومة؟ ثم بعد ذلك يأتي وزيره المقرب مفيد شهاب ليتحفنا برؤيته الجديدة في أنه "من الوارد أن تضم الحكومة شخصيات من خارج الحزب الوطني" !

كُنا مصرين على الرحيل، وكنت أكثر ما أخشاه هو أن ينقلب علينا الجيش، فنحن لا نعرف مدى السقف المسموح به من المطالب بالنسبة للجيش، وهل يظل موقف الجيش مع مطالب الشباب؟ أم مع مطالبهم المشروعة؟ وهل هذه المشروعية بمعيار الشباب أم بمعيار قادة الجيش؟ وهل يدخل مطلب إسقاط النظام تحت بند المشروعية في نظر الجيش؟.. فقد بدأت المظاهرات يوم الثلاثاء الماضي تنادي بالتغيير والحرية والعدالة الاجتماعية، ثم تبلورت مطالبها وانحصرت في " إسقاط النظام " ولكننا لا ندرك هل يسمح الجيش بتمرير مطلبنا هذا تحت هتافات التغيير أم أن حدوده تتوقف عن حدود الاستجابة التي يراها قادة الجيش كافية ؟ وهل سيظل الجيش حاميا للشعب محتضنا للشباب المعتصمين هكذا أم سيأتي وقت وينقلب علينا؟



خاصة وأن أعدادنا قد تناقصت بصورة واضحة، حيث لم يكن عددنا يزيد عن ألفين يتوزعون بين الدبابات، ولم تكن هناك أعلام أو لافتات تعبر عن وجودنا في الميدان، البعض جلس إلى الرصيف يلتقط أنفاسه بعد عناء يوم بليلٍ طويل.. والبعض الآخر أحضر أغطية خفيفة وتلحف بها على رصيف الميدان.. وآخرون جمعوا بعض الأخشاب وأشعلوا نارا للتدفئة وتحلقوا حولها فيما يشبه استراحة المحاربين.. والبعض انشغل بالقبض على اللصوص في الشوارع القريبة من الميدان وتسليمهم للجيش ليتم حبسهم داخل الدبابات.. وظللنا طوال الليل يقظين نتجول في جنبات الميدان، نلتقط الأخبار والمعلومات من جنود وضباط الجيش، نتجاذب معهم أطراف الحوار ونحاول التأكد من موقفهم بالنسبة لنا.. كانوا ودودين جدا ومتحضرين في حديثهم معنا، لكن يا ترى إلى متى يدوم هذا الود وهذا التحضر؟ ومع ذلك فقط ظللنا طوال الليل في ريبة من أمر الجيش مع أنه وعدنا بالحماية، إلا أننا لم نعطه كل الثقة، لعلمنا أن السياسة لعب وليست مبادئ، فكانت كلما تحركت إحدى الدبابات لتعديل موضعها أو أدارت مدفعها في اتجاه آخر ننظر إليها جميعا بحيطة وحذر متوقعين الغدر في كل لحظة، رغم أنهم تعاطفوا معنا كثيرا وأعطونا بعض المأكولات من وجباتهم، ولم يمنعونا من الكتابة على دباباتهم، بل قالوا لنا اكتبوا ما شئتم، فكتبنا " قطف الزهور لن يؤخر الربيع ".

وصلات خارجية

1. وثائقي: يوميات الثورة المصرية ـ يوم 28 يناير

https://www.youtube.com/watch?v=SJUjIP7JRNU

2. خطاب الرئيس مبارك يوم 28 يناير 2011

https://www.youtube.com/watch?v=YVKHvx3xE98

(8)

" اعتصام.. حتى يسقط النظام "

السبت 29 يناير

تكشفت أنوار الصباح في ميدان التحرير وبدأت الحركة تدب في أرجاءه مع أول موجة ذبذبات للمترو أثناء مروره تحت أرض الميدان.. وكان الجو باردا لكن الأحداث ساخنة إلى الدرجة القصوى جعلتنا نقف الليل بطوله متجولين في الميدان نستقي الأخبار والحكايات ونستطلع الآراء ..ومن أمام الجامعة العربية تتوافد إلى الميدان أمواج من الإعلاميين من كافة الجنسيات.. صحفيين ومراسلين لوكالات الأنباء المصرية والعالمية.. وتركزت عدسات الإعلاميين في قلب الميدان ومحيطه على مدرعات الشرطة العسكرية المحترقة وعشرات من مصفحات الأمن المركزي التي تفحمت أمس وتناثرت في محيط الميدان وتحولت إلى مقالب للقمامة.. ربما كان المشهد يحمل رسالة ما من الشباب المتظاهرين في ميدان التحرير إلى الشعب المصري والعالم أجمع بأننا لن نتراجع عن التغيير..

وكانت طائرة الجيش المروحية تحوم في سماء الميدان منذ وصول وحدات الجيش ليلة أمس، في مسار دائري، تحاول كشف الميدان والشوارع القريبة منه للوقوف على تطور الأحداث على مدار الساعة.. ثم توقفت لحظات في سماء الميدان والشباب يتجمعون تحت عواصفها الهوائية ويلوحون لها بأعلامهم ويهتفون.. " نحلف بسماها وترابها.. اعتصام.. اعتصام حتى يسقط النظام" وتدور الطائرة في محيط الميدان متمايلة والأعداد تتزايد في صعود مفاجئ مثل مؤشر البورصة الذي انتقل من ألفي متظاهر في الصباح الباكر إلى خمسين ألف في التاسعة صباحا..

بدأت صحف الصباح تنتشر في أيدي الشباب في الميدان، وكانت قد تقطعت كافة سبل الاتصال (موبايل – انترنت) ولم يعد ممكنا أن نعرف ما يدور حولنا أو ما يقال عنا خارج الميدان، لولا طالعتنا الصحف بما يُحاك من أساطير نسجت خيوطها خلف أستار الظلام بيدٍ نحيلة.. وساهمت الصحف الحرة في إذكاء وقود الحماس الوطني بما نشرته من صورٍ وتقارير عن أحداث الأمس وبطولات شهداء الثورة، جاءت بعناوين عريضة تحتفل بالورود التي فتحت في جناين مصر، بينما تجاهلت الصحف الحكومية ما حدث تماما وركزت عناوينها على الإصلاحات الضخمة التي يجريها الرئيس وعمليات التضخيم في حجم الفوضى والسلب والنهب والحرق والتخريب والقتل وأعمال البلطجة وقطاع الطرق في كل مكان،

وسرقة البنوك والشركات والمحال التجارية، بما يروع المواطنين الآمنين.. رغم أن هذا كله لم يكن سوى مؤامرة الأمنيين لدعم سيناريو الفوضى حتى يعود المتظاهرين إلى منازلهم لحماية أهلهم وذويهم..



وعلى العكس تماما، فقد تقصت بعض الصحف المستقلة حقيقة الأمر وتناولت تسريبات من داخل المطبخ السياسي الذي ضم حبيب العادلي وزير الداخلية وأنس الفقي وزير الإعلام وصفوت الشريف رئيس مجلس الشورى والوريث غير الشرعي جمال مبارك برئاسة سيدة المطبخ سوزان ثابت.. وأخبار تسربت عن خلافات فنية داخل المطبخ السياسي.. وأخبار عن أوامر سرية صدرت لقوات الأمن بالانسحاب الكامل وإخلاء جميع مواقعها تماما وإطلاق عناصر الأمن والشرطة السرية والبلطجية لدعم الفوضى ونشر الرعب والذعر في كل مكان لحرق ونهب المنشآت العامة والخاصة وحرق أقسام الشرطة وسرقة السلاح وإطلاق المحبوسين بالأقسام لنشر الفوضى والقتل والترويع.. كانت خطة منظمة ودقيقة للدرجة القصوى.. رغم أن المظاهرات التي خرجت سلمية في جمعة الغضب اقتصرت آثارها السلبية على حرق مقار الحزب الوطني في كافة أنحاء الجمهورية ومصفحات الأمن وبعض أقسام الشرطة التي عرف عنها التعذيب والاستبداد والتسلط على الأهالي تعبيرا عن الغضب الشعبي..

أيضا تجاهلت الصحف الحكومية أعداد الشهداء الذين سقطوا والجرحى والمصابين، وتجاهلت تماما أعداد الشباب الذين تم اعتقالهم في جمعة الغضب ومعظمهم من الشباب الناشطين سياسيا، وركزت على وفاة مجند أمن مركزي وإصابة بعض أفراد الأمن بجروح، برغم أن تقرير الطب الشرعي أفاد بأن وفاة المجند طبيعية.. وأفاضت الصحف الحكومية في وصف المسيرات بأنها بدأت سلمية وما

لبثت أن تحولت إلى العنف والتعدي على قوات الأمن والشرطة.. وأطالت الحديث عن التعديل الوزاري المرتقب واستقالة أحمد عز من أمانة الحزب الوطني.. وكأن نداء الجماهير في جمعة الغضب " الشعب يريد إسقاط النظام "، لم يصل المعنيين بالأمر أو تمت ترجمته في استقالة أحمد عز من الحزب الوطني (وهذا ما أكد الخلط والتداخل الفج بين الحزب والحكومة)، فكيف ننادي بإسقاط النظام وتتوالى الاستقالات من الحزب الوطني؟.. ومن هنا تصاعد هتاف الشباب في الميدان بهتاف " يسقط.. يسقط آل مبارك ".. وانتقل إلى الهتاف الأعم والأشمل " تغيير ".. حرية.. عدالة اجتماعية ".

في العاشرة صباحا كانت النيران لا تزال مشتعلة في الطوابق العليا من المجلس القومي (مقر سوزان مبارك) ، واستمرت سيارة الإطفاء العسكرية طوال الليل تجاهد الريح بزراعها الطويل في محاولة بائسة لوقف النيران، ولم تتوقف النيران بالفعل إلا بعد أن أكلت الأدوار العليا بكاملها وحتى السطح. ولم يكن ممكنا لأحد أن يصعد هذا البناء لإطفائه يدويا لأنه قديم جدا وقد أكله الزمن وأكلته النيران.. غير أنه من المفهوم بداهة أن إحراق هذا المبنى لم يتم من جانب المتظاهرين ولا حتى البلطجية ولا الغاضبين الذين أحرقوا أقسام الشرطة ؛ لأنه لو افترضنا أنهم هم من أحرقوا هذا المبنى، فلابد أن نتساءل؛ لماذا ترك العشرة طوابق الأولى وبدأ إشعال النيران من فوق؟



وفي أرجاء الميدان ثارت أحاديث الثورة للمرة الأولى بين الشباب منذ الساعات الأولى للاعتصام، فلم تكن لدى الشباب أدنى فكرة عن تحول وقفتهم الصامتة أو مسيراتهم الاحتجاجية في يوم الغضب 25 يناير، أن تتحول إلى انتفاضة شعبية في جمعة الغضب، لأننا لم نكن ندرك مدى الصمود الذي قد يتحقق في الشوارع ولم يكن متوقعا حجم التأييد الشعبي لتحركات الشباب، وبمجرد دخول الجيش وتضامنه مع الشعب تتحول الانتفاضة إلى ثورة شعبية، وإن كان أغلبنا قد قرأ أو سمع حكايات التاريخ عن ثورة يوليو 1952 م، إلا أن الوضع هذه المرة كان مختلفا تماما، فنحن لا نحيط القصر بدباباتنا ولكننا نملأ الميدان بلافتاتنا وشعاراتنا،ولم يكن أحدنا يتوقع أن تتحول المظاهرات إلى ثورة بمجرد وصول الجيش وامتناعه عن ضرب المتظاهرين أو محاولة تصفية الميدان كما حدث من قبل في الميدان السماوي بالصين حيث تم سحق الثوار فيه بالدبابات.

نحن فقط عبرنا عن غضبنا بأقصى درجات السلمية، ولم يكن لدينا مبادئ ثورية جاهزة مسبقا سوى بعض المطالب التي وردت في هتافات المتظاهرين عند نزولهم إلى الشوارع وتنوعت ما بين " تغيير.. كرامة.. حرية.. عدالة اجتماعية ".. مع التشهير بممارسات الشرطة وجهاز أمن الدولة والفساد السياسي وبعض الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية متضمنة القضاء على البطالة ووضع حد أدنى للأجور ورفض تزوير الانتخابات والتلاعب بالقانون واختراق الدستور وتفصيله لباسا رئاسيا للوريث المرتقب جمال مبارك، ومع تزايد أعداد المتظاهرين قرب غروب الشمس تولد مطلب ثوري لم يكن متوقعا منذ البداية وهو إسقاط النظام برمته.. لكن إلى حدٍ ما فإن المطالب الثورية التي تولدت بطريقة عفوية في مظاهرة خلال رحلتها من نقطة انطلاقها وحتى وصولها ميدان التحرير.. كان بالإمكان التنازل عنها مقابل بعض التنازلات أو الوعود التي كان بإمكان النظام أن يعرضها في سبيل تهدئة الوضع. ولحسن الحظ فإن استجابة النظام جاءت متأخرة ومتعالية جدا في الوقت ذاته، وأكثر ما عابها أنها تجاهلت نضال الشباب واختصرته في أعمال الفوضى المصطنعة، وتنكرت للشهداء والتضحيات وهو ما كان من شأنه امتصاص غضب الشباب، لكن نظام الحكم لم يعتد تقدير مشاعر الشعب وتحسس آلامه.. فبعدما قطع المتظاهرون الشوط الأول والأكبر من الثورة وراح ضحيته ثلاثمائة شهيد وألف وأربعمائة مفقوء العين وآلاف الجرحى والمصابين.. ولم يبق إلا الاعتصام ولو لأيام في ميدان التحرير لتكتمل الثورة.. جاءت استجابة النظام باهتة وباردة ومتعالية في الوقت ذاته وتجاهلت عن عمدا غضب الجماهير الثائرة واقتصرت على وعد بتغيير وزاري..

وكان الإعلاميون يتجولون في أرجاء الميدان يسألون الشباب عن مطالبهم وردود فعلهم على خطاب الأمس وتطلعاتهم وتصوراتهم عن مستقبل مصر المنتظر.. وربما لم يكن هناك تصورا مبدئيا للديمقراطية كمطلب عام وشامل تنضوي تحته كافة هتافات الشباب.. كان الحلم والتطلع يهدف فقط إلى هدم أعمدة الفساد بكافة أشكاله ومن ثم البدء في بناء نظام سياسي واقتصادي جديد بأي شكل يناسب الظرف الراهن، ولم يكن بإمكاننا – نحن الشباب – أن نتصور استمرارنا في الصمود والاعتصام في الميدان حتى تحقيق هتافاتنا كاملة، بل كنا نشعر أحيانا بأن هتاف " إسقاط النظام " بمثابة تأشيرة تقضي بقضاء ما تبقى من عمرنا خلف قضبان السجون والمعتقلات.. وربما خشي الكثيرون من هتافاتنا وانصرف بحلول الظلام في الليلة الماضية؛ خشية الوقوع في الأسر ليلا.. الجميع كان يشعر بأن من يقضي الليل في الميدان ستكون ليلته الأخيرة، فإما أن يُعتقل وإما أن تكتسحه مدرعات الجيش..

بينما كنا نتجول في الميدان نهتف ونغني ونلوح بأعلامنا ولافتاتنا، قرر أحد ضباط الجيش الانضمام إلينا رغم خطورة المسؤولية، فترك جنوده بجوار دبابته ونزل يهتف معنا " الشعب يريد إسقاط النظام " ، وأخذ المتظاهرون يحملونه ويدورون به في أرجاء الميدان وفي كل مكان وحول وزارة الداخلية، على مرأى ومسمع من قوات الأمن التي كظمت غيظها بفارغ الصبر لاعتبار التقاليد العسكرية تمنع أيا منهم من التحدث معه بنصف كلمة، لأن العسكرية تعلو على أجهزة الشرطة ووزارة الداخلية، لكنه بعد وقتٍ ، وبطبيعة فكره وفلسفته النظامية العسكرية، طلب أن نتعاون معه وأن نقف في الميدان بنظام، بمعنى صفوف أو أي أشكال منظمة وكأننا نقوم باستعراض ما، على أي حال لم تكن فكرة النظام في المظاهرة مقنعة بقدر ما كانت حرية الحركة والهتاف، لكنه عندما وجد صعوبة في تنظيم صفوف المتظاهرين بالشكل الذي يروق له، تنازل عن هذه الفكرة وأكمل مهمته، تعبيرا عن رفض الجيش لمشروع التوريث. مثل انضمام هذا الضابط إلينا دعما كبيرا لنا وشجعنا على الاستمرار وتعهد بالوقوف في وجه قوات الأمن إذا فكرت في الاقتراب منا..



طبعا كانت الرسالة واضحة من الجيش الذي نزل مساء الأمس لمعاونة قوات الأمن والشرطة في التصدي للمتظاهرين وفرض حظر التجول، لكن ما حدث كان العكس تماما، إذ تفرغ النقيب أحمد فودة للتظاهر مع الشباب في ميدان التحرير، وقضى وقتا طويلا جدا – على مسؤوليته الشخصية كما قال - وكأن المخابرات الحربية لا تعلم عن الأمر شيئا، قضى طوال النهار تقريبا في مأمورية الهتاف المتواصل حتى تمكنت كافة الصحف ووسائل الإعلام من التقاط صور له، حتى أن الصحف المستقلة نشرت الصور في الصفحة الأولى صباح اليوم التالي كي تكون الرسالة واضحة للنظام الذي عجز العجوز فيه عن السيطرة وترك مقاليد السلطة وإدارة البلاد لابنه جمال ومن حوله فأكثروا فيها الفساد، وما هكذا يرضى الجيش أبدا.. وهي ذات الرسالة التي حملها مشهد نزول قوات الجيش والذي ظهر على شاشات التلفزة عند مرور إحدى المدرعات العسكرية في طريقها إلى ميدان التحرير ومكتوب عليها " يسقط حسني مبارك"

يقول د.رفعت السعيد أنه حضر في لقاء مع مجموعة من أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة، اللواء محمد العصار، واللواء ممدوح شاهين، واللواء محمود حجازي، واللواء إسماعيل عتمان، الذي كان مسئولا عن الإعلام (إدارة الشؤون المعنوية بالجيش)، بالإضافة إلى اللواء عبد الفتاح السيسي الذي كان عضوا في المجلس بحسب وظيفته كمدير للمخابرات العسكرية والاستطلاع، وكان يتحدث في هذا اللقاء اللواء السيسي «لسبب لم أكن أعرفه»، وقلت لهم: حضراتكم لا تعرفونني.. أنا رجل لا أريد شيئا، ولا أتنازل عن رأيي إلا إذا اقتنعت بعكسه.. أريد فقط أن أتقدم بالنصيحة من وجهة نظري، وأن أستمع لأقدم رتبة عسكرية فيكم». وكان أقدم رتبة بينهم اللواء محمود حجازي، الذي بادره

بالقول: «نحن، في العسكرية، لا يتكلم الأقدم أولا، ولكن يتكلم الأقل أقدمية أولا». فسأله رفعت السعيد متعجبا: «ولماذا؟»، فقال له اللواء حجازي: «لأن الأقدم رتبة لو تكلم، وكان في كلامه شيء من الخطأ، فإن الأقل منه رتبة لن يستطيع أن يقول له إنه على خطأ، وما يجب وما لا يجب. لكن عندما يتكلم الأقل أقدمية أولا فإن الأعلى رتبة منه يستطيع أن يصحح له ويقول له أنت أخطأت في كذا وينبغي كذا ولا ينبغي كذا، وعلى هذا نستطيع أن نتبادل الأفكار وأن نتفاهم مع بعضنا بعضا».

ويتابع الدكتور رفعت قائلا إن السيسي، الذي كان أقل لواءات أعضاء المجلس العسكري أقدمية في ذلك اللقاء، واصل حديثه بعد ذلك و«تكلم باستفاضة شديدة، ولا أعتقد أنه مسموح لي بأن أقول كل تفاصيل الحوارات التي جرت هناك، لكني قلت لأحد أعضاء المجلس العسكري: أنتم جيش منضبط، فما معنى أن يكون مبارك جالسا في قصره وهو ما زال رئيسا للجمهورية، وتسمحون بمرور دبابة أمام كاميرات الإعلام مكتوب عليها "يسقط مبارك.."تمر هذه الدبابة بهذه اللافتة، فمن كان يقف وراء المكتوب عليها، وهل كان ذلك دون إذن من قادة الجيش، مثلا؟». وأجاب عضو عسكري البارز قائلا: «نحن مَنْ كتبها.. هذه رسالة للعالم، ولك، ولـ(25 يناير)، ولمبارك نفسه.. رسالة لمبارك بأن الجيش لم يعد معه».

فالقوات المسلحة مبكرا كانت تتبني خطة تحرك تتوقع فيها النزول إلي الشارع لمواجهة تداعيات إعلان التوريث وكانت المؤشرات تفيد بأن شهر مايو أو يونيو من ذات العام علي أكثر تقدير هو الموعد المحدد لإعلان التوريث قبل انتخابات الرئاسة بثلاثة أشهر، ومن ثم تكون الحاجة لنزول القوات المسلحة، دون تفكير في أي انقلاب علي غرار ما حدث في عام1952، لأن عقيدة القوات المسلحة تقوم علي عدم تكرار هذه التجربة، وكان التفكير أن كل ما سوف يحدث لابد أن يجري في إطار من الانضباط، والكتمان، وسلامة التقدير الذي يميز القوات المسلحة، مع الوضع في الاعتبار أن مثل خطط النزول إلي الشارع لا يمكن أصلا التدريب عليها، لأن القوات المسلحة في أي دولة لا تمارس هذا النوع من التدريب مطلقا.

ذلك أن القوات المسلحة كانت على علم تام بما يجري من أعمال تحضيرية لمشروع التوريث، وحجم الغضب الشعبي تجاه هذا المشروع، وبالتالي توقع حدوث اضطرابات شعبية، لكن لم يتوقع أحد أن تقوم الثورة مبكرا على نظام مبارك نفسه قبل مشروع التوريث. ويقول عضو بارز في الحزب الوطني لجريدة " الأهرام" أننا جميعا كنا نعلم أن جمال مبارك مؤسس هذه الأمانة – الأمانة العامة للسياسات بالحزب

الحاكم وأمينها العام يريد وراثة أبيه في منصب رئيس الجمهورية، وإن لم يصرح بذلك علنا حتى داخل هذه الأمانة، ولكننا كنا جميعا متأكدين من أنه لن ينال ما يريد، وأن فرصته لا تجاوز نسبة صفر في المائة، عدا الدائرة الضيقة جدا المحيطة به من أمثال أحمد عز وأنس الفقي. وحسب تفسير هذا العضو بأن العقبة التي كان هو وزملاؤه في أمانة السياسات متأكدين من أن آمال وخطط(مبارك الابن) سوف تتحطم عليها، هي رفض الشعب وقواته المسلحة تمرير مخطط التوريث، وهو ما كشفت عنه وثائق ويكيليكس، نقلا عن السفارة الأمريكية في القاهرة من أن وزارة الداخلية المصرية تري أن المؤسسة العسكرية هي أخطر عقبة أمام مشروع التوريث [1] .



عندما تحركت الشمس قليلا عن منتصف سماء الميدان ، بدأ خطاب الثورة أولى فعالياته بمجموعات من المتظاهرين تطوف الميدان وسط الجموع بهتافات تنادي بسقوط النظام وهدم الفساد وتدعوا إلى الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وعلى رأسها التغيير لا الإصلاح لأنه لم يعد يكفي لهدم نظام آل للسقوط وبناء نظام جديد.. وأما اللون الثاني من خطاب الثورة فقد تمثل في اللافتات واللوحات ومئات الأعلام التي بدأت ترفرف فوق رؤوس الجميع منذ الصباح.. اللافتات بدأت ببيت من قصيدة الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي " إذا الشعب يوما أراد الحياة.. فلابد أن يستجيب القدر..

1ـ شاهد الموضوع الأصلي من الأقباط متحدون في الرابط التالي:
https://www.copts-united.com/Article.php?I=795&A=35843

ولابد للقيد أن ينكسر.. ولابد لليل أن ينجلي.. " ولافتات تحمل الشكر والإعزاز للشعب التونسي الذي ألهمنا روح الثورة.. وأخرى تندد بالفساد والظلم . وقد حاولت حصر بعضها فيما يلي من عبارات؛





- اليوم حطمت قيودي
- كش ملك لأنها جمهورية
- هذا الجيل يسألك الرحيل
- نسألك الرحيلا
- الجيش والشعب إيد واحدة.. يد تبني ويد تحمي الوطن
- شكر الله سعيكم والعزاء في تل أبيب
- كانت أزمة برباط واتحلت
- ارحل اليوم.. غدا فجر جديد
- قرار سحب الأجهزة الأمنية يساوي قرار برايمر بحل الجيش العراقي من أجل الفوضى
- لن ينسي لك التاريخ قتل أبناء شعبك ولن يستطيع أعوانك تزويره لأنه محفور بدمائنا

- أريد الرحيل لكنني أخشى الفوضى
- صباح الخير على الورد اللي فتح في جانين مصر
- لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا
- علي الجيش أن يختار بين مصر ومبارك
- عفوا: الإعلام المصري خارج نطاق الخدمة
- اللي فوق ماسبيرو ده مش إرسال ده قرن خروف
- الإعلام المصري = سحرة فرعون
- الإعلام المصري لا يرى لا يسمع لكنه يتكلم
- الكذب حصري ع التليفزيون المصري
- سوزان: القراءة للجميع والظلم للجميع

ولوحات فنية وأعمال كاريكاتيرية تعبر عن الثورة ومطالبها وتحدياتها ببلاغة.. إحداها حملت رسما تخطيطيا لمدرعة عسكرية تصوب مدفعها في قلب الميدان على الجماهير، وبدلا من إطلاق قذائفها، تنشر الورود من فوهة مدفعها على جمهور الشعب الثائر..، وغيرها لوحات لدبابة مكتوبا عليها عبارة " حمامة الحب والسلام ".. ولم نكن نتخيل أن تكون المشاركة بهذا الحجم، ولم نتوقع أن يظهر أبداع شعبنا سريعا بهذه الصورة، وشعرنا أننا نستحق أن نعيش أوضاعا جديدة، وبدأنا نرتب وشباب من القوى السياسية على هذا الأساس. أما الخطاب الرئيسي للثورة فتمثل في "إذاعة التغيير من ميدان التحرير" ، فقد سعى شباب الائتلاف لإنشاء هذه الإذاعة بطريقة تلقائية كما حدث في يوم الثلاثاء الماضي لتكون نداء الثورة ومنبرها الرسمي من أجل التواصل مع الجماهير وتوحيد هدفهم، بدأت الإذاعة صباح اليوم ببعض أغنيات وطنية وثورية وتبعتها خطب حماسية.

ومن الشخصيات العامة التي ظهرت وسط الشباب في الميدان الدكتور صفوت حجازي وأخذ يطوف الميدان بالهتافات والشباب يهتفون خلفه " الشعب يريد إسقاط النظام "، وعند غروب الشمس حضر الكثير من المثقفين والشخصيات العامة التي شرفتنا بالحديث في إذاعة الثورة،مثل الدكتور علاء الأسواني أبرز رموز الثورة وآخرون من الشخصيات العامة الذين كنا نتوق لحديثهم.. بعضهم كشف لنا ما لم نكن نتوقعه من ينابيع الفساد في النظام الحاكم، وبعضهم عرفنا ببعض الثورات الناجحة وتاريخها وكيف حققت أهدافها.. وكما قال د.جورج إسحاق: هذه ثورة الشباب ونحن هنا فقط للدعم"

كانت غايتنا أن نتعلم من هذه الثورات قبل أن تضيع الفرصة من يدنا..فالنظام الحاكم لم يتعلم من دروس سابقيه، ولم يهتم بصرخات الغاضبين ولا إرشادات الناصحين، وليس هناك شعب يرغب في الثورة طول الوقت لأن الثورة في حد ذاتها حالة استثنائية في حياة الشعوب، هي لحظة انفجار بركاني للغضب المكبوت داخل النفوس عندما يغلق بوجهها المجال العام وتحجب رقابتها على المال العام ويعم الظلم والفساد، فالناس عادة ما تحاول أن تكون طرفا في صنع القرار كي تطمئن على حقوقها، لذا هم يثورون من أجل استعادة المجال السياسي واستعادة حقوقهم وحرياتهم المهدرة، ولن يفلح التخويف من الإرهاب كمسكن طوال الوقت ومبرر للقمع والتعتيم. ومن هنا يأتي الانفجار دون النظر إلى عواقب هذا الانفجار، حتى وإن كان الثمن هو الدماء والأرواح.. غير أننا بالفعل دفعنا الثمن كاملاً وتلقينا الضربات القاسية ونزفت دماؤنا على الأرصفة وفي الطرقات والميادين وانهارت قوات الأمن ورفعت راياتها البيضاء.. في واقع الأمر انتهت حالة الغضب في مشهد دخولنا ميدان التحرير وانسحاب الشرطة أمام أعيننا، ولم تعد هناك حاجة لتسمية " ثورة الغضب" لأن مرحلة انفجار الغضب قد انتهت في هذا المشهد وانفقأ الجرح ونزف ما بداخله، وبدأت مرحلة جديدة هي مرحلة البناء والتنظير للرؤية التي نتمنى أن يعيش وطننا عليها باقي عمره..

كان شغلنا الشاغل في هذا الوقت هو حجم الجماهير، ورد فعل النظام في هذا الوضع الجديد"وضع الاعتصام"، فالاعتصام جاء ردا واضحا برفض خطاب الأمس، الذي اختصر حجم نضالنا واختزله بالدرجة القصوى، ولم نشعر معه بأن شيئا جديدا قد حدث، وبالتالي انتشر حديث الثورة بين الجميع لأن الثورة بفقهها الثوري هي التي من شأنها تغيير النظام السياسي في مصر وليس مجرد استجابة هذا النظام لحفنة من المطالب.طرحنا الكثير من الأسئلة عن ماهية الثورة وخطة العمل وآليات التصعيد، وذهب أحد الثوار ليدون على سور محطة المترو تاريخ أول جمعية عمومية للشعب المصري في العصر الحديث "25 يناير 2011". وشكل المعتصمون حلقات نقاشية، لم تكن ثمة قضايا خلافية يتناقشون حولها، تحولت الحلقات إلى لجان ثورية.. هذه للإعاشة وتلك للتأمين، هؤلاء يكتبون بيانا وهؤلاء ينقلون الخبر للعالم. بدأت تروس الثورة في العمل المنظم، وبدأت كل حلقة تضع جدول أعمالها، وبمجرد تمكن هذه القوى الشبابية من اجتماع في مكان واحد وعلى طاولة حوار واحدة، كان كفيلا بإعلان الثورة، لأن النظام كان يعتمد على نظرية " فرق تسد" بينما اليوم أصبحت الفرصة سانحة للجميع فتبلورت المطالب واندمجت في معاني الثورة، وشكل الحوار الجماعي ذاته حالة من القوة وشكلت الجماهير نوعا من الدعم المعنوي للشباب.

ففي ذات اليوم، يقول زياد العليمي "بعدما تزايدت الأعداد بالميدان زاد إيماننا بأننا أمام ثورة تحدث ومصر قد تكون التالية بعد تونس، فقررنا تشكيل قيادة موحدة من القوى الثورية الموجودة بالميدان، وكان وقتها ائتلاف شباب الثورة الذي يضم اثنين ممثلين عن كل كيان". وفي حقيقة الأمر جاء هذا الائتلاف تشكيلا خاصة واستثنائيا لمواجهة الظرف الثوري، ولا يمكن اعتباره اندماجا للتيارات السياسية في الشارع المصري، بقدر ما هو حالة اتحاد للخصوم على الدب الأكبر، ولذلك كانت تحركات وقرارات الائتلاف ليست تعبيرا عن التوجهات السياسية لأعضائه منفردين أو مجتمعين ولكن تعبيرا عما يقتضيه الظرف، وكان هذا الائتلاف ناطقا ومتحدثا شعبيا باسم الميدان وليس صانع قرار لأن الجماهير بهذا الشكل يستحيل السيطرة عليها وتوجيهها بقرار ، وإن أمكن دعم توجهات الجماهير في اتجاه دو الآخر. فيقول محمد القصاص عضو الائتلاف: أثناء الثورة، لا يستطيع أحد أن يجزم بأن ميدان التحرير كان به قيادة تحركه أو تنسق بين الجموع الغفيرة التي كان يشهدها يوميا وكان السؤال المطروح في الميدان خلال الفترة الأولى من الثورة، ماذا يجب فعله؟ أو ما هي الخطوة المقبلة؟ وكانت الإجابة من بعض النشطاء هي أولا أن الاعتصام في الميدان يشكل قوة ضغط كبيرة جدا لا يمكن تجاهلها، لذلك كان لابد من الصمود بالميدان. ثانيا أن الناس هي التي صنعت الثورة، وسوف يحافظون عليها، أي أن القرار في النهاية سيكون لجموع الشعب.

يقول خالد تليمة، عضو ائتلاف شباب الثورة، وكان يعمل وقتها صحافيا بجريدة الأهالي: كنا نجتمع 20 أو 30 شابا في أماكن عشوائية أو في بعض الخيام في ميدان التحرير، أو في مقرات الأحزاب بمنطقة وسط البلد، كنا نجتمع سرا وفي أوقات مختلفة وأماكن مختلفة حتى لا تتم معرفة أو توقع ما نقوم به، كنا نبلور أفكارا، نتناقش فيها فيما بعد ذلك، كنا نعي أنه يجب أن تكون لدينا ردود فعل سريعة، فكنا نطبع البيانات والمنشورات ونوزعها على الناس، كما كنا نستخدم إذاعة الميدان لتحفيز الحماس لدى الناس، كان أهم ما يشغلنا هو كيف نحافظ على قوتنا في الميدان. وأمام محاربة الإعلام، كنا نصدر بيانات للناس تحضهم على الحفاظ على الثورة وقيمة التمسك بالاعتصام بالميدان. وأقمنا لجانا شعبية من الناس للتأمين.. كانت الثورة بمثابة خبرة جديدة نكتسبها، كنا نقف عند بعض المواقف لا نعرف ماذا نفعل ولكن كانت الأمور تسير". كان على من يريد استصدار القرار أن يصعد المنصة ويطرح رأيه على الجماهير، فإن قوبل بالتصفيق والتهليل كانت الموافقة، وإن قوبل بالاستنكار والتذمر كان الرفض، ولذلك دأبت هذه المجموعات وممثلي الغرف الثورية واللجان التنفيذية على الانتشار بين الجموع في الميدان لاستطلاع الرأي فرديا قبل أن تضع نفسها في موقفٍ محرج على المنصة..

وأما عن المقر الرئيس لإدارة فعاليات الثورة ، فقد قام النشطاء بالاستئذان من أصحاب شركة " سفير للسياحة" والتي يقع مقرها خلف المنصة الرئيسية مباشرة، لاستخدامه كمقر لتجمع أعضاء الائتلاف، وظل هذا المقر يجمع رموز الميدان طوال أيام الاعتصام. باعتبار موقعه المتميز داخل ميدان التحرير وخلف منصة الإذاعة الرئيسية وشاشة العرض، مما كان ييسر اتصاله بالجماهير، وكذا قربه من كاميرات القنوات الإعلامية ما جعل ظهور الشخصيات السياسية من داخل المقر على الهواء مباشرة أمرا سهلا ، كما تميز أيضا بقربه من منافذ الميدان (محمد محمود وقصر العيني وطلعت حرب وعابدين) وهو ما سهل عملية الخروج والدخول، وكان جميع ممثلي تيارات القوى السياسية يجتمعون في هذا المكان رغم أنه صغير وغير مجهز إلا أنه كان يفي بالغرض، وعلى واجهة هذا المقر تم تعليق أول لافتة عريضة بمطالب الثورة الستة والتي كان أولها رحيل الرئيس، وقد ساهم قرب هذا المقر من المنصة في أمور كثيرة منها توجيه البيانات والتنبيهات على المنصة لجمع المتطوعين للنظافة والإسعافات ونصب الخيام وتوجيه لجان ومجموعات التأمين الميداني وغيرها من خدمات أساسية للموجودين داخل الميدان.

ويقول إسلام لطفي، عضو الائتلاف، كان المسيسين قلة ضئيلة أمام جموع الشباب والمواطنين الذين شاركوا في هذه الثورة. ورغم أنه كان لائتلاف شباب الثورة دور ميداني في التحرير وكانوا يقيمون اجتماعاتهم فيه. إلا إن إسلام يحكي أن شابا رآهم جالسين معا في الميدان في اجتماع مغلق، فانتابه الشك من اجتماعاتهم وأصر على حضور إحداها محذرا إياهم أن يكونوا يتحدثون فيما قد يضر الثورة! "

في الواقع كان عدد الشباب المشاركين في الائتلاف يقارب 80٪ منهم من أعضاء الحركات السياسية مثل حركة كفاية و6 إبريل والعدالة والحرية وحملة البرادعي، ونسبة 20٪ فقط من الشباب المستقلين غير المنتمين لتيارات سياسية، بينما جموع المواطنين والشباب المتظاهرين الذين مثلوا جمهور الثورة، كان 80٪ منهم غير منتم لتيارات سياسية، أما شباب الحركات السياسية فيمثلون 20٪ فقط من الجماهير.

وراح شباب الائتلاف يعملون بجد على تنظيم فعاليات الثورة في يومها الأول للاعتصام في ميدان التحرير، فالتنظيم شيء مهم للغاية، وهو الذي من شأنه أن يجعل الثورة تبدو بمظهر حضاري يليق بمصر أمام العالم؛ فمن يطلب التغيير والإصلاح لا بد أن يكون هو نفسه نموذج للمثالية التي يطالب بها، وكان الشباب على وعي كامل بأن تصرفاتهم في ميدان التحرير ستكون قدوة للثوار في كل

مكان، وهو ما من شأنه أن يلفت أنظار الشعب المصري إلى السلوك الحضاري والفكر الراقي المنظم، ومن ثم تتجمع الحشود لتكتمل الثورة، فلا ثورة بدون الجماهير مهما كانت شرعية المطالب. وقد أتيحت الفرصة للشباب بهدوء وبحرية كاملة في الميدان لتنظيم حياتهم ونشاطاتهم، وكان من الضروري تنزيه المتظاهرين المعتصمين عن سلوكيات الفوضى والتخريب التي نشرها النظام في طول البلاد وعرضها لتشويه الثورة وإجبار الشعب على عدم التعاون مع الثوار والانصراف عنهم، ومن هنا بدأ تشكيل اللجان النوعية داخل الميدان.

وحينما نتكلم عن كيف أديرت الثورة في ميدان التحرير منذ اليوم الأول؛استمر الائتلاف شباب الثورة منعقدا بصورة مستمرة طوال أيام الثورة وحدد مهمته في اعتماد القرار الثوري من الناحية السياسية، وعاونته غرف أخرى جانبية تشكلت من سياسيين كبار مع مجموعات شبابية أخرى واتخذت من المكاتب الحقوقية والمكاتب الإدارية الخاصة بآحادهم مقراتٍ للانعقاد وغالبا كانت الخيام في الميدان هي مقر الاجتماع، واتخذت قراراتٍ مصيرية فيما يخص دعم الاعتصام ماديا ومعنويا، وكانت هذه الغرف الثورية مع الائتلاف محض مجلس تنفيذي تكون من 32 عضوا من متطوعين من عامة الناس دون اتجاهات سياسية، لأن العمل الذي يقومون به إداري تنظيمي وتنفيذي وليس سياسي.

وتشكلت اللجنة التنفيذية التي كانت تدير ميدان التحرير مرفقيا من 32 شخص متطوعين، مثال؛ الشاب إبراهيم عجاج من طنطا، سمى نفسه مسئول الزبالة، وكنا نسميه مسئول النظافة، لكنه قال " لأ أنا مسئول الزبالة".وشكل عجاج مجموعة معه من الشباب تتولى نظافة الميدان بصورة دورية،على أن تستمر مهمتها طوال أيام الاعتصام مهما طالت، وقد باشرت هذه اللجنة عملها بصفة مستمرة مرتين على الأقل كل يوم، مرة في الصباح ومرة أخرى في المساء، كان أفراد هذه اللجنة ينتشرون بأكياس القمامة ويتضامم معهم المتظاهرون تلقائيا ودون تمييز، فتنهي عملها خلال دقائق على الوجه الأكمل، الجميع ينحني لجمع ما قد سقط على الأرض لوضعه في الأكياس، والبعض يتطوع لكنس أرض الميدان بسعف النخيل، لكن ذلك يكون كل صباح فقط، حيث الأعداد قليلة.

أما اللجنة الثانية، فهي لجنة الإعاشة، حيث تكونت من مجموعة من الأفراد المتطوعين للقيام على خدمة المعتصمين وتوفير بعض الوجبات (رغيف خبز وقطعتي جبن) والبطاطين ومياه الشرب، وكان د. خالد حنفي مدير للمستشفى والأدوية والمستلزمات الطبية، وذلك من خلال جمع تبرعات بسيطة من المعتصمين بالميدان وخارجه، كلٌ حسب مقدرتها، وبعض التبرعات جاءت سخية من

شخصيات وطنية حاولوا أن يعتصموا في الميدان على طريقتهم فتبرعوا بما يسهل الاعتصام لغيرهم. وتبرع المهندس ممدوح حمزة بمبلغ مليون جنيه لتوفير ما يحتاجه المعتصمون بالميدان، وغيره من الشخصيات العامة، وكان على لجنة الإعاشة أن تتولى تنظيم هذه الأمور طوال مدة الاعتصام.

وتشكلت كذلك لجنة النظام والأمن، الدكتور أسامة ياسين مديرا لمجموعة أمن التحرير،كان عملها يقوم على أمرين، الأول هو تنظيم لجان تفتيش على مداخل ومخارج الميدان لمنع دخول عناصر التخريب والبلطجة والعناصر الأمنية المدسوسة بزي مدني لتخريب الاعتصام وغيرها، وكان أعضاء هذه اللجنة يتبدلون باستمرار لأن عملهم مرهق إلى حدٍ ما، وتفرعات عنها لجنة التوعية،يتولى فيها مجموعة من الشباب الانتشار بين المتظاهرين لمراقبة التصرفات الخارجة والتعامل معها فورا، حتى لا تقع حالات تحرش أو سرقات أو مضايقات أو غيرها على فرض تسرب عناصر الفوضى والبلطجة التي أطلقها النظام لإفساد المظاهرات، فمجموعة الأمن الميداني هذه كان دورها عظيما للغاية منذ بداية الاعتصام. وتشكلت كذلك لجنة للإشراف على تنظيم الاعتصامات داخل الميدان ووضع الخيام والشمسيات التي يحضرها المعتصمون، واللافتات التي يعلقونها عليها، وهكذا حتى سار العمل في تنظيم متكامل وغاية في الروعة..

وكذلك تشكلت لجنة لمباشرة المطبوعات واللافتات التي تحمل مطالب الثورة وصور الشهداء وجمع المعلومات وتنظيمها ومراقبة اللافتات التي يتم رفعا في الميدان بمبادرات فردية من المتظاهرين حتى لا تتعارض مع المبادئ العامة التي اتفق عليها المجموع ضمنيا، وتولت هذه المجموعة كذلك طباعة البيانات الثورية ونشرها في الميدان. هذا بالإضافة لتعيين أشخاص محددين لتولي أمن منصة الإذاعة وترتيب طلبات الأشخاص الذين يريدون التحدث إلى الجمهور على المنصة، وكذلك مسئول عن التنسيق مع وسائل الإعلام الأجنبية

وتولى شباب الائتلاف تنظيم فقرات الإذاعة الميدانية، وترتيب أغنياتها وتنظيم بيانات الثورة ولقاءات الشخصيات العامة والخطب السياسية على منصة الميدان. وكانت تعقد لقاءاتهم بصفة دورية للاتفاق على المسار العام للثورة وتشكيل رد الفعل المناسب على تصريحات النظام أو قراراته وتصرفاته العلنية والخفية، وعملت هذه المجموعة على تحصين خيمة لمراسلي قناة الجزيرة وحمايتهم لنقل فعاليات الثورة على الهواء مباشرة، بحيث يكون للثورة نافذة إعلامية على العالم من الميدان.

وتطوعت المراكز الحقوقية المنتشرة في منطقة وسط البلد مثل مركز هشام مبارك للقانون والمركز المصري للحلول الاقتصادية والاجتماعية وغيره كثير لتقديم خدماتها للمعتصمين بالميدان وفتحت أبوابها للجميع، من توفير أجهزة الكومبيوتر بمقارها والطابعات والورق وأماكن للقاء بين المثقفين والشخصيات العامة مع شباب الثورة، بالإضافة إلى توفير الدعم المادي قدر استطاعتهم، وكانت هذه المقرات مناسبة لأوقات النوم والراحة للكثير أيضا دون تفرقة.

أما الصحفية عبير السعدي فتقول عن تفاصيل البداية «في الحقيقة لم أكن أتخيل أن ما سيحدث سيكون ثورة، لكن كعادتنا في الانتخابات والأحداث الكبرى نستعد في نقابة الصحفيين لحدوث أي طارئ، ومن هنا كان تجمع عدد منا في النقابة لتشكيل غرفة الطوارئ، وفي صباح يوم 29 يناير، بدا كل شيء مختلف، كانت القاهرة شبه محترقة، وتجمع عدد كبير من الصحفيين في الطابق الأرضي للنقابة، وفي ذلك اليوم قرروا تشكيل المركز الصحفي في ميدان التحرير، فحمل بعض الصحفيون منضدة من البلاستيك وكراسي من داخل النقابة، ساروا بها نحو الميدان وقرروا التجمع أمام كنتاكي في بداية الأمر، ثم انتقل المركز ليكون أمام مقر شركة «بنها للإلكترونيات» على ناصية شارع طلعت حرب من ميدان التحرير، باعتبارها أسهل نقطة للتنقل بين النقابة والميدان..أراد صحفيو الثورة أن يلتحموا بالميدان ليصبحوا الإعلام المعبّر عن حقيقته، واستخدموا قدراتهم الصحفية في التحقق من الشائعات التي أخذت في الانتشار، ومنها توزيع ورق ومنشورات تفيد بأن هذه «ثورة إسلامية»، بينما وجد الصحفيون فيها أخطاء في الآيات القرآنية، وورق آخر يدعو للزحف نحو القصر الجمهوري في مرحلة من تاريخ الثورة يعد انتحارًا للثوار.وتحقق الصحفيون من كل شائعة وفندوها، واستخدموا المايكروفون لإعلان الصواب، كما تطوع عدد منهم لمساعدة الصحفيين الأجانب في الترجمة، رغبة في إظهار الصورة الحقيقية لما يحدث في «التحرير»، الذي أصبح قبلة لمتحدثين باللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية، بل والصينية والروسية، طوال أيام الثورة، ظل مدخل «بنها للإلكترونيات» بمثابة وكالة أنباء الثورة".

هكذا كانت تتشكل مجموعات عمل تلقائية، كل مجموعة تجيد عملا فتبادر بالتطوع به بطريقة منظمة، وكل مجموعة تنظم فريق عملها بما يتلاءم مع طبيعة هذه العمل، ولم يبق فقط إلا التنسيق بين مجموعات العمل هذه لتخريج ثورة شعبية في أرقى صورها.. وفي الواقع لم تكن أخلاق الناس وتصرفاتهم المتحضرة في الميدان بأمر أو إرشاد من شباب الائتلاف أو غيرهم،بل كانت تصرفات الناس تلقائية جدا، بل إنه كان مستحيلا السيطرة على هذه الجماهير وتوجيهها أو إلزامها حرفيا

بضوابط خلقية مثلا، كان عدد الجماهير أكبر من أن يخضع للسيطرة، حتى أنه قبيل العصر في ذلك اليوم اتجه مجموعة من المتظاهرين لمحاصرة وزارة الخارجية، وكانت قوات الأمن قد انحصر تواجدها داخل مبنى الوزارة، لكن المتظاهرين أصروا على اقتحامها لإعلان الانتصار النهائي، كانوا يشعرون بأنهم لم ولن ينتصروا فعليا إلا بإعلان سقوط الوزارة، أو أنهم غير مقتنعين بانتصارنا على السلطة الأمنية طالما ظلت وزارة الداخلية قائمة تحت حماية عناصر الأمن داخلها وفوق أسطحها، فاندفع مجموعة منهم يناوشون قوات الأمن بالحجارة، ورد الأمن بطلقات متتابعة من الرصاص الحي، لكنهم لم يرتدعوا، كان المتظاهرين يهجمون من شارع الشيخ ريحان ويعودون حاملين شهيدا أو مصابا يضعونه في المسجد ليعاودوا الكرة من جديد، وبرغم أن كثيرين حاولوا منعهم من الاقتراب من الوزارة، وتدخل شباب الائتلاف لكن لا حياة لمن تنادي،ولم يستطع أحد منعهم من اقتحام وزارة الداخلية، برغم أن قوات الأمن كانت تتعامل بالرصاص الحي، وكان القناصة فوق مبنى الوزارة يتصيدون المتظاهرين في الشارع، حتى سقط خلال ساعة ما يزيد عن عشرين مصابا وخمسة شهداء توفوا في الحال برصاص في الرأس والصدر، وهنا بدأ تشكيل المستشفى الميداني بمسجد عباد الرحمن حيث امتلأ بالمصابين من جراء هذه الأحداث.. كان من الصعب جدا السيطرة على أناس غير سياسيين وليست لديهم أي توجهات سياسية أو ثقافية، متظاهرين من عامة الناس ترسخت في أذهانهم عقيدة الكره لوزارة الداخلية على مدار سنين طويلة ولم يستطيعوا كبح غرائزهم الفطرية، حتى أنهم لا يتورعون في الإقدام على الموت لتصفية حسابهم.. فقط لمجرد أنهم شعروا بطعم الحرية والكرامة لمدة يوم في ميدان التحرير.

وأذكر من الأخبار التي ذاعت بصورة غريبة في الميدان طوال اليوم، كانت هي حديث الميدان وصارت شعلة ساخنة بيد الثوار، وهي حكاية تسربت من أروقة السفارة البريطانية، وبرغم مقتي الشديد للنظام ورموزه إلا أنني لم أكن أصدق أبدا أن يصل الأمر لهذه الدرجة، فقد تواردت أخبار عن لجوء شخصين هما من فجرا كنيسة القديسين بالإسكندرية بأوامر حبيب العادلي وزير الداخلية، لزرع الفتنة بين طوائف الشعب وإلهائه للتفكير بعيدا عن السياسة وتغذية مبرر القمع باسم الإرهاب، وكان قد تم احتجازهما مطلع الشهر الحالي في شقة بالهرم، ثم تمكنا من الهروب في أحداث جمعة الغضب وطلبا حق اللجوء السياسي من السفارة البريطانية.

وقد وردت الرواية من طريق آخر نقلا عن دبلوماسي بريطاني أمام دوائر قصر الإليزيه الفرنسي، أن سبب إصرار إنجلترا على المطالبة برحيل الرئيس المصري ونظامه، خصوصا أجهزة وزارة الداخلية التي كان يديرها الوزير حبيب العادلى، والسبب هو أن المخابرات البريطانية تأكدت، ومن المستندات

الرسمية المصرية الصوتية والورقية، أن وزير الداخلية المصري حبيب العادلى، كان قد شكل منذ ست سنوات جهازا خاصا يديره 22 ضابطا، إضافة لعدد من بعض أفراد الجماعات الإسلامية التي قضت سنوات في سجون الداخلية، وعدد من تجار المخدرات وفرق الشركات الأمنية، وأعداد من المسجلين خطرا من أصحاب السوابق، الذين قسموا إلى مجموعات حسب المناطق الجغرافية والانتماء السياسي، وهذا الجهاز قادر على أن يكون جهاز تخريب شامل في جميع أنحاء مصر في حال تعرض النظام لأي اهتزاز.

وكما كشفت المخابرات البريطانية أن الرائد فتحي عبد الواحد المقرب من الوزير السابق حبيب العادلى، بدأ منذ يوم 11 ديسمبر 2010 بتحضير المدعو أحمد محمد خالد، الذي قضى أحد عشر عاما في سجون الداخلية المصرية، ليقوم بالاتصال بمجموعة متطرفة، لدفعها إلى ضرب كنيسة القديسين في الإسكندرية، وبالفعل قام أحمد خالد بالاتصال بمجموعة (جند الله)، وأبلغها أنه يملك معدات حصل عليها من غزة يمكن أن تفجر الكنيسة لـ"تأديب الأقباط"، فأعجب محمد عبد الهادي (قائد جند الله) بالفكرة، وجند لها عنصرا اسمه عبد الرحمن أحمد على، قيل له إنك ستضع السيارة وهى ستنفجر لوحدها فيما بعد، لكن الرائد فتحي عبد الواحد كان هو بنفسه من فجر السيارة عن بعد، بواسطة جهاز لاسلكي، وقبل أن ينزل الضحية عبد الرحمن أحمد على من السيارة، وكانت الجريمة المروعة التي هزت مصر والعالم ليلة رأس السنة الماضية.

ثم توجه الرائد نفسه فورا إلى المدعو أحمد خالد، وطلب منه استدعاء رئيس جماعة (جند الله)، محمد عبد الهادي، إلى أحد الشقق في الإسكندرية، لمناقشته بالنتائج، وفور لقاء الاثنين في شقة في شارع الشهيد عبد المنعم رياض بالإسكندرية، بادر الرائد فتحي إلى اعتقال الاثنين ونقلهما فورا إلى القاهرة بواسطة سيارة إسعاف حديثة جدا، واستطاع الوصول خلال ساعتين ونصف إلى مبنى خاص في منطقة الجيزة بالقاهرة تابع للداخلية المصرية، حيث حجز الاثنين إلى أن حدثت الانتفاضة يوم جمعة الغضب، وبعد أن تمكنا من الهرب لجآ إلى السفارة البريطانية في القاهرة حفاظا على سلامتهما.[1]

1ـ بعد ذلك بأسبوع تقدم المحامى ممدوح رمزي ببلاغ للنائب العام يتهم فيه اللواء حبيب العادلى وزير الداخلية، بالتورط في تفجير كنيسة القديسين الذي راح ضحيته 24 قتيلا وما يزيد عن 90 مصابا ليلة رأس السنة، حسبما ذكرت تقارير أجنبية. وأحال النائب العام المستشار عبد المجيد محمود، البلاغ رقم 1450 لسنة 2011 عرائض النائب العام، البلاغ إلى نيابة أمن الدولة العليا للتحقيق فيه، وسماع أقوال مقدمه ممدوح رمزي. (اليوم السابع الاثنين، 7 فبراير 2011)

ومع ذلك كان موقف الكنيسة الرسمي في غاية التناقض والسلبية، ما أثار غضب الأقباط كثيرا ضد موقف الأنبا شنودة، فقد تصاعدت حالة الغضب في الكنيسة الأرثوذكسية، اعتراضا على تأكيد البابا شنودة الثالث على تضامنه مع مبارك، وقد خرج الملايين من المصريين مسلمين ومسيحيين إلى الميادين في القاهرة والإسكندرية ومحافظات أخرى للمطالبة بسقوط النظام، بقى الكهنة الأرثوذكس حبيسي الكنائس، ومن احتج منهم ترك الكنيسة ليعتصم في منزله، دون أن يجرؤ أي منهم (يقارب عددهم 3500 كاهن) في داخل مصر وخارجها، على مخالفة تعليمات البابا المشددة بفصل كل من يتظاهر من رجال الكنيسة.[1]

لكن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قد تراجعت أمام ضغط الشباب المسيحي الغاضب الذي يرغب في التظاهر والمشاركة في المطالبة بإصلاحات سياسية واقتصادية للمصريين. فقد تسربت الأخبار من داخل الكنيسة الأرثوذكسية أن البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية طلب من الأساقفة في المحافظات أن يدعو الشباب إلى عدم التظاهر، وإن أصروا على ذلك فلا

1- قال أحد أشهر كهنة القاهرة الكبرى، دون أن يذكر اسمه "عندما سمعت تصريحات البابا لطمت على وجهي، لقد أغلق البابا كل الفرص في وجه الأقباط في المشاركة علنيا في الثورة.. كلنا نود أن ننزل للشارع، لكننا اكتفينا بتشجيع الأقباط في الكنائس على المشاركة، فهناك تعميمات على الكنائس بعدم نزول الكهنة، وكلنا أباء ولدينا أسر نعولها ولا يمكن لنا أن نجازف.. الأقباط شاركوا وسيشاركون، ولا يحق لأي شخص في الكنيسة السيطرة عليهم، من حق الكنيسة الإرشاد الروحي فقط، لقد خسر البابا الكثير من شرعيته وانتهت شرعية أقباط المهجر علمانيين وأساقفة بعد أن غابوا عن التضامن مع نضال مصر، لقد تصرفوا جميعا وكأنهم نسوا فجأة الوجوه القبيحة للنظام الحاكم مثل مفيد شهاب وفتحي سرور وحبيب العادلى ومحافظي الإسكندرية والمنيا وعبد الرحيم الغول وأحمد عز وصفوت الشريف ورجال أمن الدولة".

وفي وقتٍ لاحق أصدر عدد من المثقفين والكهنة الأقباط بالتعاون مع التيار العلماني القبطي بيانا أعربوا فيه عن تضامنهم مع مطالب الثورة، و تحت عنوان "الأقباط وحتمية التغيير"، قالوا فيه "يشهد الوطن هذه الأيام انتفاضة شعبية شبابية تقود حركة التغيير في اتجاه تأسيس الدولة المدنية على أسس ديمقراطية وهى تعيد الحياة للروح المصرية التي شهدت محاولات لقتلها ولبث الفتنة بين الشعب الواحد من منطلقات طائفية، لكنها لم تصمد أمام وعى شباب المسلمين والأقباط. وأكد الأقباط أنهم لا ينفصلون عن المطالب الوطنية وأنهم في قلب الوطن، وقد أكدوا من خلال مشاركتهم الإيجابية في انتفاضة 25 يناير بشخوصهم أنهم لا يتوانون عن المشاركة الفعالة بالتحرك الوطني، يؤكدون أن التظاهرات والاعتصام هي آليات مشروعة في الدولة المدنية وفى إطار الدستور والقانون، وهم يؤكدون تمسكهم بوحدة الوطن، يقفون مع شركائهم في الوطن. ويؤكدون رفضهم للتصريحات المتخاذلة المنسوبة للقيادة الكنسية التي ترفض مشاركة الأقباط، ويؤكدون شرعية المشاركة التي تتأكد مصريتها وسلميتها".

وطالب الموقعون على البيان، وهم عدد من الكهنة الكاثوليك من عدة رهبانيات وعدد من الكهنة الإنجيليين، وعدد من رموز اليسار الأقباط بالإضافة إلى مجموع اللجنة المنسقة للتيار العلماني القبطي، أربعة مطالب أولها الاستجابة للمطالب الشعبية التي رفعها شباب 25 يناير فورا، من أجل استقرار الوطن وحماية لمستقبله، ثم تشكيل لجنة قومية لوضع دستور جديد يؤكد مدنية الدولة ويضبط العلاقات بين المؤسسات الشرعية الثلاث، ويعيد الحق في الترشح للرئاسة بدون التعديلات الدستورية القديمة ولمدتين فقط ومحاكمة كل من شارك بالفعل أو التخطيط أو التحريض على إذاعة الفوضى والتخريب المنظم الذي شهده الوطن يوم الجمعة 28 يناير، وانسحاب الأمن بشكل رهيب وملابسات فتح السجون وتيسير هروب السجناء. كذلك إلغاء القيود المؤسسة للأحزاب على أسس مدنية، على أن يكون تأسيسها بمجرد الإخطار. (الشروق)

مانع من مشاركتهم بشرط التظاهر السلمي وبشكل راق وفق ما حدده الدستور والقانون المصري والبعد عن التخريب. وكانت دعوات لشباب مسبحين بالمشاركة والتلاحم بين مظاهرات الكنائس والمساجد والخروج في الميادين العامة ووسط الضغط على القساوسة وافقت الكنيسة على السماح، لكنها أصرت على عدم خروج القساوسة بشكلٍ رسمي.(مصراوي)

معركة لا تبدو سهلة مع نظام احترف السلطة والإمساك بمفاتيحها بيد من استخبارات.. فهذا النظام منذ نشأته يتعامل مع الشعب بآليات عديدة، ليس فقط تشويه وتفتيت الوعي، بل بالتخويف والتهديد أحيانا، بالحديد والنار أحيانا أخرى، وجميع هذه الآليات تفسرها نظرية الخنزير، ونظرية الخنزير هذه تتلخص في حكاية بسيطة؛

أحد الحكام الظلمة أمر باعتقال مواطن وحبسه انفراديًا في زنزانة مساحتها ثلاثة أمتار مربعة دون أي سبب، فغضب المواطن وظل يركل باب زنزانته ويصرخ: " أنا بريء، لماذا تم اعتقالي وإيداعي السجن"، ولأنه تجرأ ورفع صوته قائلا "أنا بريء" وأحدث بعض الضجيج، أتت الأوامر بنقله إلى زنزانة مساحتها متر مربع فقط، فعاود صراخه، لكن هذه المرة لم يقل أنا بريء وإنما قال: "حرام سجني في زنزانة لا يمكنني النوم فيها إلا جالسًا"!

صراخ المواطن مرة أخرى أزعج سجانه، فأمر الأخير بإدخال تسعة سجناء آخرين معه في نفس الزنزانة، ولأن الوضع أصبح غير محتمل، نادى المساجين العشرة مستغيثين: "هذا الأمر غير مقبول، كيف لعشرة أشخاص أن يحشروا في زنزانة مساحتها متر مربع واحد؟ هكذا سنختنق ونموت، أرجوكم انقلوا خمسة منا على الأقل إلى زنزانة أخرى"، فما كان من السجان الذي غضب منهم كثيرًا بسبب صوتهم المرتفع، إلا أن أمر بإدخال خنزير في زنزانتهم وتركه يعيش بينهم.

رجع المواطن لبرئ يبكي ندما على ما فقده، فقد كان يعيش منعما منفردا براحته في زنزانة مساحتها عشرة أمتار، وتسبب استياءه في نقله إلى زنزانة مساحتها متر واحد مع عشرة نزلاء آخرين، وجن جنون هؤلاء المساكين وأخذوا يرددون: "كيف سنعيش نحن العشرة مع هذا الحيوان القذر في زنزانة واحدة، شكله مقزز، ورائحة فضلاته التي ملأت المكان تكاد تقتلنا، نرجوكم لا نريد سوى إخراجه من هنا"، فأمر الحاكم السجان بإخراج الخنزير رأفة بحالهم وتنظيف الزنزانة لهم، وبعد أيام، مر عليهم وسألهم عن أحوالهم، فقالوا: "حمدًا لله، لقد انتهت جميع مشاكلنا"! وشكروا صاحب الفضل والنعم..

هكذا تحولت القضية إلى المطالبة بإخراج الخنزير من السجن فقط، ونسيت قضية مساحة السجن والقضية التي قبلها والتي قبلها ، حتى القضية الرئيسية الأولى وهي "سجن المواطن البريء ظلما" لم يعد أحد يتذكرها، بمن فيهم أنت عزيزي القارئ، وهذه هي "نظرية الخنزير" باختصار.. هكذا حال شعوب دول العالم الثالث.. يخلقون لهم مشاكل جديدة لكي ينسوا المطالبة بحقوقهم و العيش كبشر.. نعم يطبقون نظرية الخنزير بكل براعة، ولهذا عندما بدأ صراخ المتظاهرين يعلو وأحدث ضجيجا في الشوارع زادت قبضة الأمن والشرطة واعتقلت الآلاف .. وعندما زاد الصراخ والضجيج فتحت السجون انتشرت فرق الفوضى والعربدة والنهب والسلب والتخريب لكي ينشروا الرعب في قلوب الشعب ويجبروا المتظاهرين على العودة إلى منازلهم وينسوا مطالبهم التي خرجوا من أجلها ابتداءً.

وفي مساء اليوم الأول تناقصت الأعداد إلى النصف تقريبا.. بعض الناس تذهب إلى منازلها لتعود في الصباح، والشباب مرابطون في الميدان، بعضهم استلقى على الرصيف وفي حديقة الميدان، ومجموعات انتقلا للمبيت في مسجد عمر مكرم، ومجموعات أخرى أشعلت نيرانا للتدفئة والتفوا حولها بعدما ارتفعت برودة الجو ليلا، والأغلبية لا تزال واقفة أمام مكبرات صوت الإذاعة تتابع أغنياتها الوطنية.. وبحلول منتصف الليل، خرجت من دائرة الميدان بحثا عن طعام، وكنت أتجول في شوارع القاهرة.. الشوارع ساكنة وهادئة تماما، تنتشر وحدات الجيش وأسلاكها الشائكة في كل مكان أمام المنشآت العامة، السفارات والبنوك وغيرها.. هدوء كامل يسود المكان وليس هناك حركة إلا آثار خطواتي تخترق سكون الليل، وحتى جنود الجيش وقفوا صامتين دون أدنى حركة، كنت ألقي عليهم تحيتي فيردوها بالإشارة فقط..

وعثرت على مقهى شعبي بسيط، فجلست استطلع آراء وتعليقات الحضور من عامة الناس على ما يحدث في قلب العاصمة.. إلا أنهم استنكروا المظاهرات وحالة الفوضى والانفلات الأمني التي عمت البلاد وعلقوا ذلك كله على مظاهرات المشاغبين على الفيس بوك والتي لن تؤدي إلى شيء إلا الفوضى والخراب ثم اعتقالهم في نهاية الأمر.. فلم يكن أحد يشعر أن هناك ثورة تصرخ في الميدان إعلانا بميلادها، ولم يكن أحد يتوقع أن حياة المصريين من الممكن أن تتغير إلى الأفضل ولو قيد أنملة.. وكانت الوجوه مشدودة إلى شاشة العرض في وسط المقهى التي ركزت على القناة الأولى المصرية دون غيرها جبرا.. ووقفت الصورة ساكنة على كبري أكتوبر، ترصده خاليا من كل شيء، وتعليقات المحللين تكيل التهم بالسلب والنهب والتخريب للمتظاهرين أنفسهم.. مع أن ما يظهر على يمين الشاشة هو عبارة " مباشر من ميدان التحرير".. فطلبت من القائم على المقهى التنقل بين القنوات الإخبارية الأخرى المستقلة

لكشف الحقيقة، فقال في صوت خافت " هذه أوامر الأمن" ، وأشار إلى أحد المخبرين السريين يجلس إلى طاولة في مدخل المقهى يتابع دوره برصد الحوارات الجانبية والتنقل من مقهى لأخرى لإجبار أصحاب المقاهي على فتح قنوات الإعلام المحلي دون غيرها..

بعدها تحركت في الشوارع بحثا عن هدف.. وجدت كافة المحال التجارية مغلقة إلا بعض الأكشاك الصغيرة في الحارات الضيقة، فاشتريت بعض المأكولات الجافة وانصرفت عائدا إلى ميدان التحرير.. مررت بأحد حارسي العقارات وقد وضع أمامه خلف البوابة تلفازا صغيرا يتابع فيه قناة الجزيرة الإخبارية فوقفت لدقائق.. شاهدت حصيلة اليوم على قناة الجزيرة.. كانت تنقل الخبر حيًا من قلب الأحداث إلى الفضاء مباشرة مع بعض التعليقات والتحليلات السياسية التي تفسر ما يحدث في واقع الأمر. رغم أن السلطات المصرية قد أغلقت مقر قناة الجزيرة بالقاهرة وطاردت مراسليها واعتقلت بعضهم وصادرت أجهزتهم وسحبت بطاقات اعتماد مراسيلها وتراخيص مكاتبها في مصر وقطعت خطوط الاتصال بالأقمار الصناعية ومن ثم اختفت إشارة البث عبر النايل سات، برغم كونها شركة خاصة ولا يجوز لها التلاعب بالعقود، فنقلت الجزيرة بثها علي شاشات قنوات أخري مستقلة، وكانت الجزيرة تحصل على هذا البث من مقاطع حية يرسلها بعض الشباب من الميدان، فكان الشباب يرسلون إليها ما بحوزتهم من صور وأخبار ومقاطع فيديو توثق الحدث بالصوت والصورة.. في مشاهد بطولية أثارت الرأي العام في ظل التضليل والتعتيم الإعلامي الذي يمارسه الإعلام المصري على مواطنيه. والذي استغرق ساعات بث طويلة لنشر الرعب في قلوب الآمنين عن أعمال قتل وعنف وسلب تتخللها صرخات استغاثة والإعلان عن خطوط اتصال ساخنة للنجدة الوهمية، مع أنه في حقيقة الأمر فإنها خطة مدبرة بدقة وإحكام؛ فالأفراد المستغيثين إما من عناصر أمن الدولة المخصصة لذلك، وإما من داخل ماسبيرو واستوديوهات محطات الإذاعة والقنوات الإعلامية ذاتها.

وأشاع الإعلام المصري أخبارا كاذبة عن مهاجمة الأهالي لأقسام الشرطة ونهب السلاح وإطلاق المحبوسين على ذمة قضايا والمسجلين خطر والهجوم على السجون لتهريب المساجين ليعيشوا في البلاد خرابا.. مع أن الواقع يؤكد أن وزارة الداخلية هي التي نفذت الخطة دعما لسيناريو الفوضى والانفلات الأمني، فقد هاجمت عناصر من الأمن السجون وأطلقوا أعيرة نارية وقتلوا الحراس وأطلقوا سراح المساجين بعد اقتحام سجن أبو زعبل شديد الحراسة وحدوث إطلاق نار مكثف، وانتشار شائعات عن تصفية المعتقلين السياسيين، ولما رفض المساجين الهروب أطلقوا عليهم قنابل مسيلة للدموع وألقوا إليهم ملابس مدنية تساعدهم على الهرب، والغريب أن بعض المساجين سلموا أنفسهم في أقسام الشرطة التي لم

تحترق ومنها قسم مدينة نصر، وكانت معهم ملابسهم الخاصة بالسجون والملابس المدنية التي ألقيت إليهم وبعض من فوارغ الرصاص وقنابل الغاز التي أطلقت عليهم من عناصر مجهولة ترتدي زيا بدويا.. وكذا انتشار عصابات تقوم بأعمال نهب وسلب في كافة أنحاء الجمهورية مع اختفاء غريب لعناصر وزارة الداخلية بما فيها شرطة المرور، بالتزامن مع انتشار دعوات عبر رسائل الهاتف المحمول للمتظاهرين للعودة لحماية منازلهم وممتلكاتهم، ما دفع سكان الأحياء لتشكيل لجان شعبية وفرض أطواق أمنية لحماية أنفسهم وعائلتهم. وأخبار عن تصدي الجيش لمحاولة اقتحام مطبعة البنك المركزي، وتفجير مبني مباحث أمن الدولة في رفح، وصولا إلى حظر التجول من الرابعة عصرًا إلى الثامنة صباحًا، مع أننا لم نعد نعبأ بحظر التجول بعد أن عشنا عقودا طويلة من الحظر السياسي والأمني.

فقد بدأت المرحلة الثانية في صد احتجاجات الشباب من خلال نشر سيناريو الفوضى في البلاد وإطلاق نزلاء السجون للنهب والسلب والتخريب وترويع الأهالي كي يجبر الشباب على العودة إلى منازلهم لحماية أعراضهم وممتلكاتهم بعد سحب الشرطة لإذاقتهم طعم الخوف والرعب في غياب الدولة التي تحميهم..

واقتصرت تقارير الإعلام المصري عن المظاهرات والاعتصامات على أنها مجرد قلة مندسة توقف عجلة السير في ميدان التحرير يقودها مصطفى بكري وصفوت حجازي وأيادٍ خارجية تعمل على قلب نظام الحكم في مصر. وأن المتظاهرين السلميين اكتفوا بما قدمه الرئيس وعادوا إلى بيوتهم، برغم أن الرئيس نفسه قال أن المظاهرات بدأت سلمية وتحولت لأعمال التخريب والنهب! بينما كانت الصحافة المستقلة تناضل إلى جانب شباب الثورة، ونطالع عناوينها كالعادة؛

- السويد تدعو إلى "انتخابات رئاسية ديمقراطية" والسعودية تدين الفتنة الخبيثة وتتضامن مع مصر.
- قيام ليل وأناشيد وأغانٍ ومحاضرات لحث المعتصمين على الصمود..
- شادية والشيخ إمام ونجم والبرغوتي يلهبون حماس الثوار
- لجان شعبية لتنظيف القاهرة .. والكنائس أكثر أمانا بدون شرطة
- مسجلو خطر يقتحمون سجن أبو زعبل باللوادر ويسرقون مخازن السلاح.. أشلاء بشرية على طريق مسطرد مجهولون يطلقون الرصاص على مساجين رفضوا الهروب لأن أحكامهم خفيفة ، ومساجين يخرجون يبحثون عن طعام .. ولجان دفاع من الأهالي في الشوارع لحماية البيوت
- من أوباما إلى مبارك :نريد أبعد من مجرد تشكيل حكومة جديدة

- الخارجية الأمريكية تنتقد التمسك بـ "موقف متصلب" وتدعو إلى أعمال إصلاحية وليس أقوالا فقط
- إجلاء سريع للرعايا الأجانب من مصر
- ومبارك يستجيب لطلبات الشباب ويشكل لجنة لتعديل الدستور – يُعيّن عمر سليمان نائبا له – حل حكومة نظيف إلا خمسة عشر وزيرا من بينهم أحمد أبو الغيط وزير الخارجية وأنس الفقي وزير الإعلام، وغيرهم من الوجوه القبيحة.. مع أننا لم نعرف من أبلغه بأن هذه هي طلباتنا، ربما لم يسمعنا من شرفة قصره ونحن نهتف " الشعب يريد إسقاط النظام "..

حينما أشارت عقارب الساعة إلى الثانية بعد منتصف الليل، تجولت وسط الميدان باحثا عن مكان هادئ استلقى فيه لأحصل قسطا من الراحة.. وفجأة سمعت ما يشبه صوت انفجار، والتفت الجميع بحثا عن مصدر الانفجار فلم نجده.. ثم تكرر الصوت ثانية وسط غبار يتصاعد على الرصيف بواجهة المحال التجارية بالعقار رقم 1 طلعت حرب المطل على ميدان التحرير.. وإذ بأحد الأشخاص يطل برأسه الكبير من الطابق العاشر في العمارة ويلقي بكتل من الجرائد القديمة، وعند سقوطها على الرصيف نسمع صوتها مثل دوي انفجار ويتصاعد الغبار حولها.. ثم تدفق الجميع على كومة الجرائد ليحصل كل منا على واحدة يطرحها ويريح جسده عليها، وقد بدت لنا وكأنها نجدة السماء من برودة الجو في ليل الشتاء القاسي.. فليس الكثير منا يحمل ملابس ثقيلة، ومنذ الصباح في جمعة الغضب ونحن نكافح أمام الشرطة ونتصدى لضربات الخرطوش والغاز والمياه الباردة الملوثة، وقضينا الليل بطوله يقظين نحاول بصبرٍ أن نتحسس نوايا الجيش، وقضينا اليوم الأول للاعتصام متصلبة أعصابنا طول النهار نهتف في الميدان كي نظهر بوضوح أمام الشعب وعدسات الإعلام ولم نأخذ قسطا من الراحة ولو دقيقة..مع انقطاع كل وسائل الاتصال بأهالينا..

وقد تحصلت على إحدى الجرائد التي سقطت من أعلى وللصدفة كانت بتاريخ نوفمبر 2010 وتناولت في عناوين عريضة فضائح تزوير الانتخابات البرلمانية التي كانت فتيلا ساخنا في مشاعل الثورة، وعلى أيِّ حال طرحتها على الأرض وقبل أن أركن للراحة عليها جاءني أربعة أو خمسة من زملائي المعتصمين وطلب كل واحد مني ورقة لتعصم جسده من الرطوبة والنوم على النجيلة ، فأعطيت كل واحد ورقتين.. ولم يبق لي في النهاية ورقتين، لكنها كانت أفضل من سرير الملك في

ليلة عرس.. حقا كانت أفضل.. فيكفي أن تشعر بطعم الحرية.. وحرية العقل أولى من حرية الجسد، وسجن العقل أبغض من الموت..

أما الشخص الذي طل علينا برأسه الكبير من البلكون في الطابق العاشر مع سقوط رزمة الجرائد الأولى، فكان هو الفنان " بيير السيوفي".. ابن الأثرياء الأقباط الذي عشق البسطاء وعاش بأحلامهم.. ورث بيير تجارة للتحف والأنتيكات والعمارةرقم1 على ناصية شارع طلعت حرب، وتخرج من الجامعة الأمريكية، وأتقن أربع لغات.. وله باع في الفنون التشكيلية وجمع التحف واللوحات والأنتيكات، وهو ممثل مغمور، اشترك بعدة أدوار في أعمال سينمائية لا تتجاوز 13 عملا ، ولم يظهر إلا في مشاهد قليلة في "المنسي" و "أرض الخوف"، وشارك في فيلم "من نظرة عين"، وجسد شخصية رجل الأعمال في مسلسل "أهل كايرو"، و"الهروب من الغروب"، نصف أعماله عربي ونصفها الآخر أجنبي، ولم يكن بيير السيوفي راضيا عن إقامته في ميدان التحرير، حيث الضوضاء تأتي من كل مكان، والصخب يحل بالميدان أوقات طويلة لا تساعده على العمل، وكان ناقما على جده لشراء العمارة في الميدان، لكن وجهة نظره تغيرت تماما في جمعة الغضب، فقد امتلأ الميدان عن آخره بالأحلام التي نثرها الشباب على أرصفته مثل ورود الربيع.. كان أهالي وسط البلد يعرفونه جيدا وكثير من المثقفين من خلال جلساته الحوارية على مقهى " زهرة البستان" بوسط البلد والمجاورة لمحل التحف والأنتيكات الذي يملكه.. وكما تغيرت مقهى "زهرة البستان" عند قيام الثورة وتحولت من نادي للمثقفين والمشاهير إلى مستشفى ميداني للمتظاهرين في جمعة الغضب.. تحول بيير هو الآخر ليصبح قلبه مساكن شعبية تمتلئ بأحلام هؤلاء الشباب.. شعر وكأن مصر تولد من جديد فأحب بيير التحرير، صانع الأحلام..

كان بيير السيوفي يشاهد بطولات المتظاهرين من شرفة منزله في جمعة الغضب، وتصاعدت إليه أبخرة القنابل المسيلة للدموع، وأفزعته صيحات الشباب وهتافاتهم واستغاثاتهم، حيث أن شقته تطل مباشرة على ميدان التحرير مما يكشف الرؤية كاملة لكل ما يدور في جنبات الميدان من زاوية علوية، ومن هنا قرر بيير الانضمام إلى صفوف المتظاهرين، ونزل في مساء جمعة الغضب يتجول في ميدان التحرير يستطلع آراء المتظاهرين.. أذكر أنني قابلته على حافة رصيف عمارته ولم أكن أعرفه، لكنه بادر بسؤالي: هل تريدون شرعية ثورية أم شرعية دستورية؟فقلت: نريد تغيير النظام السياسي في البلد.. قال: تمام يعني شرعية ثورية ؛ لأن الشرعية الثورية تقتضي إسقاط الدستور وإزاحة المسئولين عن مناصبهم وتشكيل حكومة انتقالية تتولى إدارة الأمور مؤقتا حتى يتم وضع دستور جديد للبلاد.

احتضن بيير شباب الثورة، وأعلن عن مطالبهم من شرفته المطلة على العالم كله في ميدان التحرير، وسمح للجميع بالدخول دون استئذان، كانت شقته مرفق عام لشباب الثورة، فيها يستريحون ويتحاورون ويتشاورون حول بيانات الثورة، والجميع ينهمك في عمله دون أن يعرف من هو صاحب الشقة الذي عرض نفسه للخطر واستقبل تهديدات أمنية صريحة، لكنه انصرف إلى تلبية احتياجات الشباب.. تحول بيير من الفن إلى الثورة مع الشباب، وتحولت شقته أيام الثورة إلى غرفة عمليات ثورية، فجعل من شقته مركزا لتجمع الشباب الحالم بغدٍ أفضل.



وعلق شباب الائتلاف لافتة عملاقة يبلغ طولها خمسة عشر مترا من شرفته المطلة على ميدان التحرير بمطالب الثورة السبعة، ومثلت هذه اللافتة ردا جاهزا على تصريحات لنائب الرئيس عمر سليمان، بأن 90٪ من مطالب المتظاهرين تحققت. وهي إسقاط الرئيس، وحل مجلسي الشعب والشورى، وإنهاء حالة الطوارئ فورا ، وتشكيل حكومة وحدة وطنية انتقالية، وبرلمان منتخب يقوم بعمل التعديلات الدستورية لإجراء انتخابات رئاسية، وإجراء محاكمات فورية للمسئولين عن قتل شهداء الثورة، ومحاكمة عاجلة للفاسدين، واسترداد ثروات الوطن.. " بتوقيع: شباب مصر المعتصمين"

وغرد له فيما بعد زياد العليمي -عضو ائتلاف شباب الثورة- على صفحته قائلا: "قلبه مساكن شعبية.. شايف البلكونة اللي متعلق فيها مطالب المعتصمين دي؟ ده بيت بيير السيوفي، الراجل اللي أحلام ملايين المصريين اتعلقت ببلكونته، ورسم كل أحلامهم -في المطالب اللي وقتها كانت ممكن

تكلفه حياته على واجهة عمارته"، كما يقول زياد: كان بيير يصنع حلم المصريين من داخل شقته، "بابه مفتوح ٢٤ ساعة، تدخل تلاقيه قاعد في نفس المكان أمام الكمبيوتر وبيكتب أو بيتابع حاجة، وباقي البيت زحمة بشكل رهيب.. ناس معظمها لا يعرف من هو صاحب البيت أصلا". فكانت شقة بيير السيوفي هي حقا "بيت الأمة"

سلطان سلطان

سلطان سلطان سلطان سلطان

وصلات خارجية

1. يوميات الثورة المصرية - 29 يناير

https://www.youtube.com/watch?v=EMPbYiqoM0U&feature=youtu.be&list=PLvah45Gv0-CfBHXERlwOw5AUSPFq1OLkQ

2. وثائقي: سلسلة يوميات الثورة المصرية - يوم 29 يناير

https://www.youtube.com/watch?v=5JQv0jjI9X0

3. مظاهرات يوم الغضب 29 يناير يوم الغضب السبت 2011 مصر

https://www.youtube.com/watch?v=xP8oee3CUFs

(9)

"الشعب في خدمة الوطن"

الأحد 30 يناير

كان علينا أن نمد يدنا في الضباب لنشد نور الفجر، وقد شعرت بقشعريرة البرد، وذبذبات المترو ترج الأرض من تحتي، فأزيح أستار الليل عن عيني وأكسر نومي الخفيف.. أدير عيني وأتفقد الميدان حولي.. أنظر ساعة معصمي فتشير عقاربها إلى الخامسة فجرا..أتلفت حولي.. مجموعات الشباب تتوضأ للصلاة ومجموعات تصلي الفجر.. والبعض يمارس تمارين الصباح الرياضية الخفيفة.. ومجموعة أخرى تقاوم البرد بالجري الرياضي في حارات الميدان.. والبعض لا يزال نائما في أغطيته.. وفرق تتوزع على حارات الميدان تكنس الطرق والأرصفة بسعف النخيل.. وفريق آخر يلملم المهملات والأوراق وأعقاب السجائر.. يلملمها فريق النظافة ليضعها في أكياس سوداء يلقونها داخل مصفحات الأمن المحترقة في أطراف الميدان وقد وضع عليها الشباب لافتات "مقر الحزب الوطني"..



" وبخرطوم مياه يتلوى على أرض الميدان مثل ثعبان أبيض طويل، بدأ بعض الشباب الذي يبدو على ملابسه مستوى اجتماعي جيد في غسل الإسفلت، ارتدى محمد قفازا بلاستيكيا وقبض على «مساحة» وبدأ في العمل بجد. وبعد أن انتهى وجلس يلتقط أنفاسه على أحد الأرصفة المجاورة، قال «البلد بلدنا وبنظفها، لسبب بسيط هو أن هذه المنطقة من مصر الآن أصبحت ملك لنا وتعبر عنا، الكل

يعمل ويشارك من أجل أن تكون الأفضل في مصر كلها» «محمد» الذي كان يعد العدة للسفر خلال شهور، يقول«لو كملنا وانتصرنا في معركتنا لن أسافر، كنت أرغب في السفر فقط حتى أكون في مكان يعطى كل صاحب حق حقه، والآن أملنا كبير في أن تتحول مصر هذه إلى بلد عادل.. مثل ميداننا هذا."

" ودون قصد دهس الشاب الضخم قدم رجلٍ عجوز، فالتفت سريعا ورفع يده ليربت على كتف العجوز، الذي ربت بيدٍ واهنة وابتسامة عريضة «ولا يهمك حبيبي»..في الميدان سادت روح من الود والمحبة والتسامح تملأ الجو، في مدينة فاضلة صغيرة بدأت تتكون وتتشكل داخل الميدان.. مدينة يحرس حدودها الجميع، في كمائن صغيرة على مداخل الميدان يتبادل الوقوف فيها أعداد من الشباب الذي تنادى عليه الإذاعة في «ورديات» مدة الواحدة ثلاث ساعات، وعلى عكس كمائن الشرطة، كما يقول «محمد الهواري، كمائن المدينة الفاضلة تعامل الجميع سواء، لا واسطة، ولا «إنت مش عارف أنا ابن مين» وفى النهاية هدف الكمين هو تأمين الميدان فقط وليس إهانة المواطنين". (تقرير)

التاسعة صباحا، بدأت إذاعة الميدان أولى فقراتها بكلمة افتتاحية تبعتها أغنية المطرب النوبي محمد منير " يا بيوت السويس " وبعدما انتهت الأغنية تحدث شاب في ميكروفون الإذاعة وأبلغنا بقرار الوزير " التافه" أنس الفقي وزير الإعلام بوقف إذاعة هذه الأغنية لأن الثوار بميدان التحرير يذيعونها في إذاعتهم الميدانية.. بينما جاء رد الفنان محمد منير صاعقا له؛ ففي أول ظهور تليفزيوني له مع قناة "العربية"، أبدى الفنان محمد منير كامل دعمه لثوار 25 يناير، حيث قال: "الثورة هبة من الله لكل مصري كان عنده حلم وأمل قتله الفساد.. الثورة ستكون أمله الأخير.. فقد عشنا 60 سنة من حياتنا في عدم تقدم وديكتاتورية كانت كفيلة بأن تنيمنا مش تأخرنا بس."

" حمل الرجل العجوز ورقة بيضاء كتب عليها «هنا دولة التحرير وهى تقوم على العدالة والكرامة والحرية... وخارج الميدان هناك دولة مبارك التي تستند إلى الفساد والاستبداد» لوحة تلخص الحالة في الميدان الذي أقام فيه المسيحيون قداس عزاء للضحايا بالتزامن مع صلاة المسلمين الغائب على أرواح الضحايا بدون «قبلات وكلام مصطنع باسم الوحدة الوطنية» كما تقول «نيرمين» المسئولة عن إحدى الإذاعات داخل الميدان، في الميدان الجميع واحد، والجميع متصالح ومتسامح، والجميع يعرف حدوده ويلتزم بالنظام» في الميدان مدينة فاضلة صغيرة تحاول أن تمتد لتشمل مصر بأكملها ".

وكانت المروحية العسكرية لا زالت تحوم في سماء الميدان في مسارها الدائري، لا تتوقف عن الطيران إلا ربما للتزود بالوقود أو تغيير طاقمها.. وكعادتها، تتوقف لحظات في سماء الميدان، ربما لترصد شيئا ما، وقد ألهمتنا بذلك الكثير، كنا نعرف أن طاقمها يقوم بتصوير كل شيء ونقله للإدارة العليا، فأفسحنا مكانا على أرض الميدان وكتبنا كلمات وعبارات بالحجم الكبير لتلتقطها عدسات الطائرة.. كتبنا كلمة " ارحـــــــــل" في مساحة مائة متر مربع، وكتبنا مطلب الثورة" الشعب يريد إسقاط النظام" وكتبنا تحتها عبارة" Yes We Can" في مساحات تماثلها، وأقمنا تشكيلا بالأطفال يجلسون بنظام دقيق حاملين الأعلام ترفرف فوق رؤوسهم بما يشكل عبارة " تغيير.. حرية.. عدالة اجتماعية ".. كان تشكيلا رائعا ومعبرا للغاية، فكنا نكتب أولا على الأرض كلمة تغيير بالطباشير.. ثم يجلس مجموعة من الأطفال بنظام على حروف الكلمة وكل نقطة يجلس فوقها طفل، وإذا كان الحرف يحتوي على نقطتين فيجلس طفلان متجاوران بما يشكل حروف الكلمة.. فتظهر من الطائرة وكأن الكلمة مكتوبة بطابور الأطفال بلون العلم المصري، مع أنها مرسومة بالأطفال وتظهر رؤوسهم ترفرف فوقها أعلامهم.. كان مشهدا بديعا وقد توقفت الطائرة أكثر من مرة ليقرأ طاقمها ما نكتبه لهم كل جولة على أرضنا فيعرفوا مطالبنا من فضاء طائرتهم.. وربما يسجلونها ليشاهدها حسني مبارك وحاشيته.. واستمرت إبداعات الشباب على مدار الأيام التالية في تشكيل كافة مطالب الثورة ومبادئها في لوحات جدارية على أرض الميدان، لتقف فوقها المروحية لحظات للمشاهدة.

بمرور الوقت، تتوافد الجموع إلى الميدان بالآلاف.. الأحداث تتسارع.. أقلام الإعلاميين ترصد تفاصيل الأحداث بدقة.. كل لحظة تظهر لافتات جديدة تظهر إبداع شعبنا وعبقريته في التعبير السلمي عن رأيه ومطالبه المشروعة.. الكثير من المثقفين والسياسيين المخلصين والذين استبعدهم النظام الحاكم من خليته بحكم إخلاصهم للشعب ورفضهم للفساد يتوافدون إلى الميدان رغم ما يحيط بهم من أخطار.. وكنت أتجول سياحة في الميدان، أجد كتابا وصحفيين يتحدثون.. يتساءلون ويتحاورون مع شباب وفتيات وبسطاء.. وآخرون يتحاورون مع شباب الجامعات والمثقفين الذين يجيدون التعبير عن أفكارهم ومبادئهم ويشعرون بآلام شعبهم.. وغيرهم يتحدثون إلى شباب الجامعات الأجنبية في مصر، يجيدون التعبير بطلاقة بالغة، بلغات أجنبية مختلفة، لكن بأفكار وثقافات مصرية وعلى أرض مصر وبملامح مصرية حتى النخاع.. بعضهم أراد الاطلاع على الثقافات الأخرى فتعلم لغاتها.. وغيرهم، مصريون كانوا في أرض المهجر، في أوروبا وأمريكا، وعندما وصلتهم صرخة شعبهم

في جمعة الغضب، لبّوا نداء الوطن وعادوا لينضموا إلى ثورتنا.. وهذا ما جعل بيننا مصريون يتحدثون بكل لغات العالم، لكن دون أجندات خارجية ولا أيادٍ خفية، ولا هدف لهم إلا وطنهم وشعبهم.. وكان الإعلام المصري يرصد خلسة هذه المحادثات والحوارات باللغات الأجنبية وينقل الخبر كذبا إلى المصريين في منازلهم ويقنعهم بأن المعتصمين في ميدان التحرير هم قلة مندسة، وأيادٍ خارجية وأجندات خاصة وأجانب يرطنون بلغات لا نعرفها ويهدفون إلى قلب نظام الحكم في مصر.. بل إن الغريب في بداية احتجاجات الثورة، احتشد الصحفيون أمام نقابتهم وأخذوا يهتفون حتى تجمعت حولهم الجماهير، وذات الأمر حدث بالتزامن أمام نقابة المحامين ودار القضاء العالي، فجميعهم في شارع واحد وكتلة معمارية واحدة، وتركزت عليهم عدسات الإعلام منذ اللحظة الأولى، ثم نجد صحيفة قومية كبيرة تعلن صباح اليوم التالي أن شخصا يرطن بالفرنسية أمام نقابة الصحفيين فتجمعت حوله المظاهرة وتحركت من وسط البلد إلى ميدان التحرير ! وهذا استخفاف بثقافة الشعب المصري..

ومن هنا أخذ الإعلام المصري فرصته ليشن حربا إعلامية قذرة على المعتصمين في الميدان بإشاعات مغرضة تهدف إلى تشويه الصورة العامة للثورة، والادعاء بأن المتظاهرين الأصليين في جمعة الغضب اكتفوا بما قدمته الحكومة وعادوا إلى منازلهم.. وحكايات توزيع وجبات كنتاكي ساخنة على المعتصمين، ومبالغ بالدولار يتم توزيعها يوميا (أجرة المظاهرة).. ودعم من شيعة إيران وحزب الله اللبناني.. واتهم الإعلام المصري المعتصمين بالانفلات الخلقي وممارسة الرذيلة وتعاطي المخدرات.. إلخ. مع أن صور الميدان كل يوم تثبت بوضح إقامة الصلوات الجماعية في أوقاتها. على كل حال؛ الأخيار ينتصرون على الأشرار في جميع العروض إلا في نشرة الأخبار ، كما قال "فلاديمير تشونسكي"

حينما اقتربت الشمس من خط الزوال من يوم الأحد 30 يناير، كانت المروحية العسكرية لا تزال تدور في سماء الميدان مثل الفراشة ونحن نلوح لها بالأعلام ونهتف في صوت جماعي غنائي" مش عاوزينه.. مش عاوزينه.. قولولو يمشي.. فاضله زقة".. ثم غابت عن أنظارنا دقائق.. وفي هذا الوقت اخترقت طائرتان حربيتان من طراز " إف16" حربي، اخترقتا سماء الميدان بسرعة عالية جدا وبارتفاعات منخفضة جدا.. وتكررت مناورات الطائرات الحربية أكثر من مرة، وكانت في كل مرة تزيد من انخفاضها مما يُشعر الجميع بأنها تقترب من رؤوسنا للقيام بعمل عسكري ما، قد يكون إطلاق قذيفة جوية..



مع أن هذا مستحيل حدوثه، وإن حدث، فطائرة واحدة تكفي للقيام بمهمتها على الوجه الأكمل، وقذيفة واحدة تكفي لسحق مئات الآلاف في الميدان، مع أن الميدان ممتلئ بقوات الجيش ومعداته وأفراده.. وأجمل ما في الأمر أنه لم يتحرك أحدنا من مكانه، بل أخذ الجميع يهتفون في صوت جماعي عند مرور الطائرات فوق رؤوسنا بهتاف موّحد " حسني اتجنن.. حسني اتجنن "، خاصة أنه انتشرت شائعة بين الجماهير تقول أن هذه الطائرات تابعة لرئاسة الجمهورية وليست تابعة للجيش، ربما من ليس لديهم خلفية عسكرية صدقوا هذه الخرافة، فأقصى ما يمكن أن تديره مؤسسة الرئاسة هو سلاح الحرس الجمهوري برغم كونه قطاع من الجيش، وهو معروف بأن تسليحه من النوع الخفيف سريع الحركة، وليس لديه مقاتلات حربية وإنما هليكوبتر فقط.

وربما كانت المرة الأولى التي يتوحد فيها الهتاف في الميدان في لحظة واحدة وبصوت واحد لا يخترقه إلا أزيز المقاتلات الحربية العابرة فوق رؤوسنا بأسرع من الصوت، وكان واضحا جدا أنها في مهمة معادية؛ لأن وضعها كان هجوميا ومركزا على بؤرة ميدان التحرير. وتكررت مناورات المقاتلات الحربية بما لا يقل عن عشرة جولات هجومية فوق الميدان.. وكانت واحدة والأخيرة من هذه الجولات هي الأكثر انخفاضا لدرجة أننا لم نتحمل ضجيج محركاتها الذي يصلنا بعد عبور الطائرات بمسافة زمنية، وكانت هذه المقاتلات تقوم بمناورات حربية عالية المستوى، مثل انقلابها في الجو واعتدالها مرة أخرى أثناء الطيران وبسرعة فائقة، أو الانعطاف الحاد عن مسارها الجوي فجأة والهبوط والصعود المفاجئ وكأنه استعراض للقوة في ميدان الحرب، ولم نر مثل هذه المناورات إلا في عروض حفلات تخرج دفعات طلبة الطيران التي تقيمها الكلية كل عام بحضور الرئيس، ولا ميزة لاستعراض هذه العمليات أمام الجماهير المدنية لأنهم لن يصفقوا لها وهي بهذا المستوى.

كنّا نتوقع أن تكون مناورة عسكرية قذرة لترويع الجماهير وإخماد ثورتهم وإجبارهم على العودة إلى منازلهم، لكنني لم أتوقع أبدا أن توافق قيادات الجيش على استخدام أسلحتها وطائرتها المقاتلات الحربية في إرهاب وترويع الشعب استجابة لطلبات النظام الذي فقد شرعيته، خصوصا الفريق سامي عنان رئيس أركان القوات المسلحة الذي نمت شعبيته بين الجماهير الثائرة لدرجة عالية فاقت شعبية جميع قادة الجيش وحتى المشير نفسه خلال هذه الفترة.. رغم أن كثيرين تخوفوا بذات القدر من الفريق سامي عنان بسبب شخصيته القوية التحررية.. فهذه المؤهلات قد تؤهله بالضرورة للقيام بانقلاب على السلطة الحاكمة وحتى المشير نفسه.. لكن في هذه الحال سوف تكون الطامة الكبرى في تحول الثورة من مسارها الصحيح وشرعيتها النابعة من ضمير الشعب إلى انقلاب عسكري يبتعد كثيرا في الفقه الثوري بمفهومه الشعبوي الذي سعينا إليه وعن الشرعية الثورية التي تعبر عن إرادة الشعب..

وقد علق محللين سياسيين على هذه المناورة بأنها محاولة لإخماد الثورة، واعتبروها خطأ عملياتي فظيع، فكيف لمقاتلات حربية من هذا النوع أن تقوم بمناورات عسكرية لترويع الشعب على هذا النحو فوق منطقة آهلة بالسكان وخاصة ميدان التحرير الذي يعج بمئات الآلاف من جماهير الشعب الثائرة، وأمام عدسات الإعلام من كل مكان في العالم، فالأمر ليس سريا أبدا..

وكرد فعلٍ من الشباب علي استعراض الطيران الحربي أحضر شابين طائرات ورقية وبدأوا بإطلاقها لتعلو في الهواء كإشارة رمزية ساخرة.. ومع ذلك بقيت مناورة هذه الطائرات الحربية لغزا محيّرا للجميع.. فهل تم تنفيذها بمعرفة قادة الجيش؟ وهل يمكن إقلاع هذه الطائرات من قواعدها دون علم قادة الجيش؟ فقط كان المؤكد لنا أن طائرة الهليكوبتر العسكرية التي كانت أجنحتها تحتضن الميدان ليل نهار وكأنها تتحاور مع الجماهير، وتقف في سماء الميدان لحظات ليقرأ طاقمها ما نكتبه من مطالب الثورة على أرض الميدان، هذه الطائرة توقفت عن الطيران ما يقارب نصف الساعة حتى أنهت المقاتلات الحربية مناورتها ثم عادت من جديد.. وهذا ما يؤكد موافقة الجيش مبدئيا على هذه المناورة الرديئة..

هذا اللغز يمكن أن نعثر على مفاتيحه في رواية الكاتب الصحفي محمد الباز، يقول: تفرغ طنطاوي ومعه رئيس الأركان وبقية رجال المجلس العسكري لمتابعة الأمر علي أرض الواقع بعيدا عن مؤسسة الرئاسة. كان مقرهم هو غرفة العمليات (م10) ، وهي غرفة العمليات التي أديرت منها حرب أكتوبر.. وتقع تحت جبل المقطم. وكان المشير ورئيس الأركان يتابعان عبر الشاشات وقائع اليوم

السادس للثورة، وفجأة جاءهما إخطار عاجل بأن الرئيس ونائبه عمر سليمان في الطريق إلي مركز العمليات. وبعد دقائق دخل مبارك إلي مركز العمليات، ويبدو أنه كان يخشى من اغتياله أو اعتقاله، لذلك جاء في سيارة مرسيدس مدرعة ضد الرصاص وضد دانات الدبابات والمدرعات.. كما أنه لم يخطر المشير بهذه الزيارة إلا قبل وصوله بدقائق.لكن المفاجأة أن جمال مبارك كان في صحبة أبيه. وكان مبارك يدرك أن ظهور جمال في الصورة بأي شكل من الأشكال سيكون مستفزا للجماهير الثائرة فضلا عن العسكريين، لذلك طلب من المشير أن يصدر تعليماته بعدم إظهار صورة جمال في هذا اللقاء الذي سيبثه التليفزيون، وألا يظهر في الصورة التي سترسل للصحف.

وبالفعل كانت المنصة التي ظهرت إعلاميا تضم من اليمين كلا من الفريق سامي عنان رئيس الأركان وإلي جواره نائبه عمر سليمان ثم الرئيس مبارك ثم المشير طنطاوي.. وخلفه بثلاثة صفوف كان يجلس جمال مبارك إلي جوار القادة العسكريين.. أما الصورة التليفزيونية فلم تلتفت إلي المشير، واعتقد البعض أن الرئيس يريد أن يحجبه ليصور للعالم أنه – مبارك ـ لا يزال وحده في الصورة.. لكن العلة كانت في جمال الذي كان يجلس خلف المشير واضطر المونتاج لحذفهما معا حتى لا يظهر جمال الذي كان مزعجا للجميع حتى اللحظة الأخيرة.. لكن هذا يثير لغزا جديدا، فلماذا حضر جمال إذن؟ طالما كان ظهوره مستفزا للمواطنين، ووجوده أيضا بلا صفة مزعجا للعسكريين.. وبذلك تتراكم الألغاز حول سبب ظهور تلك الطائرات الحربية، وحول السبب وراء حضور جمال مبارك إلى غرفة العمليات الحربية، وأيضا سبب اختفاء صورة المشير من الاجتماع برغم ظهور الأقل منه رتبة عسكرية، فهل جاء جمال فقط ليحجب المشير؟.

غير أن ذهاب مبارك إلي غرفة العمليات لم يكن قراره.. ولم تكن فكرته.. وطبقا للتقارير الإسرائيلية عما حدث أيام الثورة، فقد كانت هذه فكرة أصدقاء مبارك في الموساد حتى يرسل للعالم برسالة مفادها أنه لا يزال قويا وممسكا بزمام الأمور.. وأن الجيش في يده.. وهي ذات الفكرة التي لجأ إليها الملك عبد الله الثاني ملك الأردن حينما ثارت ضده الاحتجاجات الشعبية، فظهر على شاشة التليفزيون من غرفة العمليات وسط القادة العسكريين مفتول الذراعين يتابع (المؤامرة في التي تحاك ضد الوطن) في شوارع عمان ويدير الأزمة بنفسه ليعبر بالوطن بر الأمان..

ولم يستمر هذا اللقاء بين مبارك وقادة الجيش سوى عشر دقائق فقط لالتقاط الصور.. بدا فيها مبارك مبتسما ومرتبكا.. وطلب إطلاعه علي الموقف الميداني للقوات المسلحة في حماية المنشآت وتواجدها في الميادين والمناطق الرئيسية، وبالفعل أعطاه طنطاوي فكرة مختصرة عن الأوضاع.. مع أن هذه

الفكرة كان بالإمكان نقلها هاتفيا أو حتى في قصر الرئاسة دون أن يستلزم الأمر تحرك الرئيس من القصر بموكب رئاسي وحراسات وسيارة مدرعة إلى غرفة العمليات الحربية.. حيث أنه لن يشارك في وضع خطط عمليات حرب.. بل إن القوات بالفعل منتشرة في الشوارع ولا يستدعي الاطلاع على مثل هذه المعلومة زيارة غرفة العمليات في بطن الجبل.

لكن مبارك قبل أن ينصرف من مركز العمليات أمر قائد سلاح الجو بتنفيذ الخطة " إرادة "..

والخطة " إرادة " هي عبارة عن مناورة عسكرية ذات مغزى واضح من اسمها، وهي خطة تقوم علي استخدام سلاح الطيران فبالاستعراض لتهديد المتظاهرين وترويعهم.. لكن المشير اعترض علي الخطة خوفا من فداحة الخسائر، ومع ذلك تم تنفيذ الخطة "إرادة" وتوقفت الطائرة الهليكوبتر نصف ساعة عن الدوران في سماء الميدان حتى انتهت المقاتلات الحربية من المناورة ثم عادت من جديد.. وتقريبا كان هذا هو نهاية الخلاف بين الرئيس والمشير.. وبعدها سار كل منهما في طريق..

ومن غرفة العمليات.. نعود إلى ميدان التحرير..حينما اقتربت الشمس من الغروب، وبدأت حرارة الجو تنخفض حدتها، زادت كثافة الجماهير في الميدان وزادت وفود المثقفين، الدكتور صفوت حجازي، وقيادات الإخوان الذين خرجوا صباح اليوم من المعتقلات بعد اقتحام السجون وإجبارهم على الخروج من العنابر تحت تهديد السلاح وطلقات الرصاص وقنابل الغاز في سجن وادي النطرون الذي تم هدم أسواره وعنابره بمعدات ثقيلة بهدف تهريب المساجين، ومن أبرز هذه الشخصيات التي وصلت الميدان في المساء، الدكتور محمد مرسي والدكتور عصام العريان والأستاذ سعد الكتاتني ومحمد محي وسعد الحسيني ومصطفى الغنيمي ومحمود أبو زيد وصبحي صالح وحسن إبراهيم وسيد نزيلي وحمدي حسين وأحمد دياب، بالإضافة إلى الكاتب والمعارض السياسي مجدي أحمد حسين، ومعظمهم حضروا إلى الميدان لمباركة الشعب المصري ثورته ومعظمهم رفض التحدث في ميكروفونات الإذاعة حفاظا على شعبية الثورة وقيادتها الشابة، رغم مطالبة الجميع لهم بإلقاء كلمة، واكتفى الدكتور عصام العريان بإلقاء كلمة لم تتعد ثلاث دقائق ثم غادر الميدان وزملاءه.. وكانت أجهزة الأمن قد اعتقلتهم يوم الاثنين 27 يناير وتم ترحيلهم وبدون محاكمات باعتبارهم من حركوا الشباب ودفعوا بهم في الخفاء لقلب نظام الحكم، مع أن الحقيقة تجافى ذلك تماما لأن الإخوان لم يشاركوا في الثورة منذ بدايتها (على مستوى القيادات) واكتفوا بالمتابعة فقط رغم انضمام كثير من شباب الإخوان إلى المظاهرات خاصة في جمعة الغضب.

وكما ورد في المذكرة التي تقدم بها عدد من شباب الإخوان السابقين، أبرزهم أحمد عبد الجواد، وإسلام لطفي، ومحمد القصاص، وأحمد نزيلى، وهاني محمود، عقب الثورة لمجلس شورى الجماعة؛ " أنه يوم الأحد 30 يناير، تم توزيع بيان باسم الجماعة في ميدان التحرير يحمل عددا من المطالب في مقدمتها: إلغاء قانون الطوارئ.. وقد صنع هذا البيان أزمة في الميدان من ناحيتين: الأولى: أنه كان هناك اتفاق بين القوى السياسية على عدم رفع أي شعارات فئوية، أو توزيع بيانات لفصيل، أو استخدام هتافات لفئة.. حتى يتوحد الميدان. الثانية: أن سقف المطالب في هذا البيان أدنى بكثير من سقف مطالب الشعب في الميدان.. ففي الوقت الذي استشهد فيه من استشهد وأصيب من أصيب، والكل على نداء واحد "الشعب يريد إسقاط النظام – الشعب يريد محاكمة السفاح" كان بيان الإخوان يطالب إلغاء قانون الطوارئ. وبعد أن رأينا البيان وردود الفعل القاسية والعنيفة عليه من الناس في الميدان ضد الجماعة.. ذهب أحمد نزيلي وهاني محمود إلى مكتب الإرشاد، وقابلا د.محمود عزت، ونقلا له أن هناك حالة رفض عام في الميدان لبيان الجماعة، وصل إلى تجرأ البعض بالهجوم بعنف على الإخوان، وشرحنا له مبررات الأمر.. وتفهم د.محمود عزت الكلام، وقال سننزل بيان آخر نصحح فيه الأمر. ويومها عدنا إلى الميدان ومعنا د. عصام العريان ود. الكتاتني الذين كانا قد وصلا بعد إطلاق سراحهما.. وبالفعل انطلقنا معهم إلى الميدان وحين وصلنا قدمنا د.عصام العريان وحملناه على الأعناق ليلقي كلمة في المتظاهرين وألقي د.الكتاتني أيضا كلمته وكانت حفاوة من في الميدان بهما واضحة بالأخص بعد إشاعة تصفيتهم في السجن".

وفي مساء ذات اليوم وعقب صلاة العشاء حضر إلى الميدان الأستاذ سعد عبود المناضل السياسي النبيل، وكانت قد أنشئت إذاعة ميدانية أخرى صغيرة في مواجهة تمثال عمر مكرم، ودعاه الشباب لإلقاء كلمة بها، كان هذا الرجل رغم صغر حجمه قامة سياسية وقانونية وطنية من الدرجة الأولى، وكان من أوائل المناضلين السياسيين الذين انضموا إلى مظاهرات الشباب يوم الثلاثاء 25 يناير، وكان أول من نظم مظاهرة وصل عددها إلى مائتي شاب قادهم في مسيرة من شارع الجلاء إلى دار القضاء العالي، وتحدث هذا الرجل باستفاضة، وكشف لنا الكثير مما لم نكن نعرفه من خفايا القانون وثغرات الدستور التي خرقها النظام للعبث بمقدرات البلد وحقوق الشعب، بحكم مهنته كمحام وعضو مجلس الشعب في دورة عام 2005 م، وفضح الكثير من ملفات الحكومة المطوية بعيدا عن أنظار الشعب وخارج نطاق الاستجوابات في المجلس "سيد قراره" وأخبرنا أن الدكتور فتحي سرور رئيس مجلس الشعب لمدة 21 عاما لم يكن يناديه إلا بـ "الواد سعد عبود" وكذا عرفنا على الكثير من صفحات التاريخ

حول الثورات الشعبية في العالم مثل الثورة الفرنسية والبلشفية والإيرانية وثورات دول أوروبا الشرقية في ثمانينات القرن العشرين، وأعطانا نبذة عن الفقه الثوري بوجه عام.. وكشف لنا كيف تقوم الثورات ومراحلها وشرعيتها الثورية التي تقضي على الشرعية الدستورية لتلد نظاما سياسيا جديدا يحقق آمال الشعب وطموحاته وتطلعاته ويعبر عن آرائه بشفافية بعيدا عن عبث الحكام.. وبدأت تتسع في عقولنا دائرة الوعي السياسي وخبايا الشأن العام..وهو أول من قال لنا أن ثورتنا هي ثورة مخملية بيضاء لأنه لم تسقط فيها قطرة دماء بيد الثوار، ولأن الثوار الذين قادوا الجماهير كانوا ومازالوا سلميين لأقصى درجة.

وقد حضر اليوم إلى الميدان الدكتور محمد البرادعي (مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية سابقا)، وأثير موضوع تفويض البرادعي لقيادة المرحلة الانتقالية، لكن هذا الأمر لم يكن محل اتفاق أو إجماع. للحقيقة كانت هناك اعتراضات واضحة على وجود البرادعي في الميدان برغم كونه من أول الداعين للتغيير، وعلى صوته قامت الحركة الوطنية للتغيير وقبلها الجمعية الوطنية للتغير، وقامت حملة دعم البرادعي للتغير، فهو من أول الداعين للتحرك الشعبي بما له من ثقل سياسي دولي إضافة لكونه موظفا كبيرا في منظمة دولية مثل الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ما يمنع أمن الدولة عن الاقتراب منه وإلا وضع الحكومة المصرية في موقفٍ حرج لا تحسد عليه، لكن قد يكون هناك تيار ما بعينه يرفض وجود البرادعي في الصورة حتى لا يستحوذ عليها، وأعتقد أن الإخوان كانوا معارضين لوجوده، سواء كان ذلك بمبررات من خلفيات سابقة عن الحرب الأمريكية على العراق أو من منطلق ليبرالية البرادعي المفتوحة وميول الإخوان الدينية، ومن هنا يمكن أن يكون لرفض الإخوان عائقا أمام البرادعي. وكنت في هذا الوقت أرى لو التف الميدان حول شخصية واحدة تكون أقرب للاتفاق وليس الإجماع، فسيكون ذلك نقلة نوعية في مسار الثورة، وخصوصا بالنظر إلى مطلب إسقاط النظام، فهذا المطلب لا يمكن تحقيقه إلا بتقديم البديل.

وقد أثير الجدل حول القرارات التي اتخذها مبارك أمس مثل خطوة تعديل الدستور وتعيين عمر سليمان نائبا لرئيس الجمهورية، فالنسبة لمسألة تعديل المادتين اللتين اقترحهما مبارك من الدستور لتوسيع فرص الترشح لرئاسة الجمهورية، فهذا الأمر لم يكن محل نقاش أو حوار في الميدان نهائيا، خاصة بعدما استمر إصرار الشباب على مطلب التغيير لا توسيع فرصة الترشح أمام أشخاص آخرين غير مبارك وابنه جمال، كان هذا مجرد ضيق أفق من رؤية مبارك للأحداث، ومحاولات عابثة ممن حوله

للجود على الشباب بفتات الموائد، بعدما شعر الشباب أن السلطة بيدهم وهم من يأمرون بوضع دستور جديد للبلاد لا قبول مجرد تعديل.

أما الغطاء الثاني وهو تعيين عمر سليمان نائبا للرئيس فلم يكن أيضا محل نقاش أو حوار بين الشباب المعتصمين بالميدان نظرا لمطلبهم الرئيس هو الرحيل، بينما كان موضوع عمر سليمان من الموضوعات التي سبق طرحها منذ عامين، ولكن شباب الحركات السياسية كانوا على علم ووعي تام بأن طرح عمر سليمان وقتها كان مجرد معبر آمن لنقل السلطة بهدوء من مبارك للوريث غير الشرعي جمال مبارك. فالنسبة للشباب، كان عمر سليمان مجرد شخص من آل مبارك، ومنصبه كرئيس للمخابرات العامة لا يبعده كثيرا عن سياسيات مبارك بل كان مطروحا من قبل ضمن نظامه، خصوصا أن الشباب لم يغب عن وعيهم كون عمر سليمان مجرد ظِل لمبارك طالما ظل مبارك في الحكم، فليس له سلطات ينازعه فيها، بل هو معاون ومساعد له ولا يمكنه معارضته في شيء، مثله كمثل عشرات الوزراء الذين يتم تعيينهم واستبدالهم كل يوم، والحقيقة أن عمر سليمان كان رجلا مخلصا لكنه يكن احتراما كبيرا لمبارك باعتباره قائد عسكري، وكان الجميع حول مبارك يضللونه عن أحوال الشعب وظروفه ، بينما كان عمر سليمان صريحا جدا مع مبارك في نقل الصورة الواقعية . وكما أمكن مبارك تعيين عمر سليمان نائبا له اليوم، يمكنه تعطيل كل صلاحياته سرا دون أن يعلم أحد، فهو ليس شريكا له في السلطة.. ورفع المتظاهرون لافتات تقول: احترسوا من الثعبان عمر سليمان"ـ " الرجال الذين لديهم كرامة وعزة نفس عندما يشعرون أنهم غير مرغوب فيهم يرحلون في صمت.. لن تخدعنا مرة أخرى يا مبارك " – " وراء ثورة مصر فكرة الحرية.. والأفكار بطبيعتها مضادة للرصاص والبلطجة "

إلى هذا القدر كانت الإذاعة الميدانية قد وصلت إلى مستوى النضج الإعلامي في الخطاب الثوري، وبدخول المنصة الإذاعية الثالثة التي نظمها شباب الائتلاف أمام المجمع صار ميدان التحرير منصة إعلامية ثورية ومركز اتخاذ القرار الثوري بما تعرضه إذاعاته من فقرات وأغانٍ وطنية حماسية وندوات ثقافية وخطب سياسية متنوعة عبّرت عن الاتجاه السياسي العام للثورة، وأذاعت أولى بيانات الثورة ووجهت المعتصمين إلى اتخاذ الكثير من التدابير الاحترازية لحماية الثورة من التلوث، وبهذا صار ميدان التحرير منصة إعلامية ثورية بالنسبة لكافة محافظات الجمهورية، فلم تكن المظاهرات والاعتصامات قاصرة على ميدان التحرير فقط، بل كانت مستمرة في كافة محافظات ومدن مصر الكبرى، وإن ظل ميدان التحرير هو المقر الرئيسي لاتخاذ القرار الثوري، وصارت مصر ممثلة في ميدان

التحرير ومئات العدسات والأقلام الإعلامية التي تتجول بين شبابه منصة إعلامية للعالم أجمع، فأنظار العالم تتجه مباشرة إلى مصر حيث القاهرة وبالتحديد ميدان التحرير ليرو ويتعلموا كيف يصنع المصريون التاريخ، وكيف يكون الطريق إلى الديمقراطية، وكيف تكون الثورات سلمية وعفوية وآمنة وحازمة وصارمة.. فكاهية ومرحة في الوقت ذاته، بل أن شوارع مصر ذاتها دخلت التاريخ من أوسع أبوابه وعلمته كيف تكون الدروس مستفادة.. وكيف لشعوب العالم أن تحفظ أمنها إذا غاب عنها الأمن..

فحينما انتصف ليل القاهرة، كان الميدان يعج بعشرات الآلاف من الشباب وحتى كبار السن والفتيات والسيدات والأطفال، بعض الأسر ذهبت إلى منازلها لقضاء ساعات الليل ثم العودة في الصباح، لكن الغالبية فضلت البقاء للحفاظ على أمن الميدان وضمان استمرار الثورة. وكانت قد انتشرت الدعوات إلى إضراب مدني عام، وجاءت هذه الدعوة في سبيل لفت أنظار موظفي الدولة لتعطيل العمل بالمؤسسات والشركات حتى يستجيب النظام، وجاء ذلك بالتزامن مع الدعوة لتنظيم مظاهرة مليونية في ميدان التحرير يوم الثلاثاء القادم، بحيث يكون هناك تفاعلا بين الثورة في الميدان وكافة جماهير الشعب خارجه..بينما جلسنا مجموعة نتصفح جرائد الصباح التي تسللت إلينا منتصف الليل معا، فنقرأ في حلقة سمر ونناقش موضوعاتها ونصنع من بعضها نكاتا للتسلية، ونعد للبعض الآخر ردود الفعل المناسبة في الميدان؛

- لليوم الثالث..ميدان التحرير خارج نطاق حظر التجول
- مقترحات عمر سليمان احتواء انتفاضة الغضب: إلغاء ملف التوريث –تعديل الدستور – تخلى مبارك عن رئاسة الوطني
- أمريكا تتراجع وتطالب مبارك بانتقال سلس للسلطة
- مصدر رئاسي نفى وجود خطة لسفر مبارك للخارج..وعلاء وجمال ما يزالان في مصر
- القبض على أمناء شرطة حاولوا سلب مجلس الشعب
- عودة الشرطة للشوارع بعد غياب48ساعة
- زويل في رسالة للمصرين: مطلوب لجنة حكماء لوضع دستور جديد
- القوى الوطنية تبحث حكومة إنقاذ وطني
- تعقيدات في تشكيل الحكومة بسبب رفض بعض المرشحين دخولها
- مصادر غربية: السلطات أبلغتنا أن خدمات الإنترنت لن تعود قبل الثلاثاء

- بلطجية يقتحمون مستشفيات قصر العيني والكبد والباطني وينهبونها
- قهوة العجوزة تتحول إلى مجلس شعب أمنى..وشارات بيضاء لتمييز الأهالي من البلطجية
- الدكتورة منى مينا تشارك في إسعاف المصابين بمسجد عباد الرحمن تحت قصف القنابل المسيلة للدموع
- مركز حقوقي يتهم التليفزيون المصري بإثارة الفزع
- مئات الآلاف يواصلون مسيرات الغضب في الإسكندرية
- قضاة وحقوقيون: سليمان امتداد للنظام الحاكم
- دعوات سكندرية للاعتصام في ميدان محطة مصر
- جماهير السويس يكشفون بالمستندات أسباب حصارهم قسم الأربعين وحرقه..قضايا التعذيب داخل قسم الأربعين شملت القتل والضرب والسحل والتحرش بالسيدات
- اعترافات المتهمين بالنهب: مديرية أمن السويس قامت بجلبنا من سجون وأقسام شرطة الجيزة
- عصابات مسلحة تطلق النار على الشباب من سيارات الشرطة
- عناصر أمنية تحرض البلطجية على الفوضى

****

إلى حدٍ ما ليس هناك خطر على الثورة، وما زالت جماهير الإسكندرية والسويس والمحلة متضامنة معنا. لكن ما لفت نظرنا هو قرارات الاستجابة التي تأتي في مسار مختلف تماما عن طلبات الثورة، فلا تنتظر ظلا مستقيما لعود أعوج (مثل فرعوني)، فلم يطالب الميدان بتعيين نائب للرئيس أو تعديل الدستور، ولم نطلب استقالات من الحزب الوطني بأي حال. لكن النظام يبحث عن حيلة للتخلص من الثورة، وما يؤكد التداخل بين الحزب والحكومة وأن مبارك لم يكن هو المتحكم في الأمور هي هذه الاستقالات التي توالت من الحزب الوطني دون أن يطلبها أحد لكنهم يشعرون بالسبب الذي أغضب الشعب.

انتهت جلستنا للقراءة، وقرابة الثانية بعد منتصف الليل.. ترددت كثيرا ما بين البقاء في الميدان أو الذهاب إلى منزلي للحصول على قسطٍ من الراحة، واستعادة والحيوية والقدرة على مواصلة فعاليات الثورة.. وفي ظل برودة الليل وما شعرت به من إجهاد، قررت أن أترك الميدان لأعود في الصباح.. اتجهت إلى كوبري قصر النيل، وكان ساكنا تماما ليس به حركة ولا صوت وكأن الزمن قد توقف تحت خيوط

الظلام.. أوكأن الحياة لملمت أطرافها من كافة شوارع القاهرة وانكمشت في ميدان التحرير، حصن الأمان للجميع..

سرت في شارع التحرير، مررت بالأوبرا وقد أطفأت أنوارها إلا بعض خيوط الضوء الخفيف تنبثق حول قبتها على استحياء، وأما برج القاهرة فتعلن عن وجوده شارات ضوء أحمر تومض أعلى ساريته، وعندما وصلت ميدان الجلاء، كان الوضع مختلفا تماما. كانت دبابات الجيش راسية على كبري الجلاء، وقوات الشرطة متواجدة في فناء قسم شرطة الدقي الذي كان معافى تماما من أي عمليات تخريب أو اعتداءات برغم وقوعه في بؤرة الأحداث الساخنة في جمعة الغضب.. ومجموعات من الشباب شكلت لجانا شعبية.. ألقيت على الجميع السلام فردوه، وسألني بعضهم من أين أتيت وإلى أين ؟ لكن لم يتطوع أحدهم بتفتيشي ذاتيا كما توقعت.. ومع أنه مفروض حظر التجول ليلا في شوارع القاهرة إلا أنه على ما يبدو أن أحدا من شعب مصر لم يلتزم به، ربما كان حسني مبارك هو الذي أعلن حظر التجول بصفته الحاكم العسكري وهو الشخص الوحيد الذي التزم به خوافا من مواجهة شعبه الغاضب..

انطلقت سيرا في شارع شارل ديجول وكنت أتعثر في لجنة شعبية كل مائتي متر تقريبا وعلى نواصي ومداخل الشوارع الفرعية، وكذا قوات الجيش أمام السفارات والبنوك وكافة المنشآت العامة.. كنت ألقي عليهم السلام فيشيروا إليَ بالمرور في سلام، إلى أن وصلت شارع مراد وتوقفت أمام مطعم "جاد" وبحثت عن مفكرتي لأدون ذاكرتي..

كانت مجموعة من الشباب تقف على ناصية شارع الغرفة التجارية لحماية الأهالي والمنشآت من عصابات السطو والبلطجة المنظمة.. ومع أنني كنت أشعر بالإجهاد وعناء السهر إلا أنني قد ملأني الحرج أن الجميع يسهرون في حماية الشارع وأذهب أنا للنوم، ففضلت الانضمام إليهم رغم أنني قطعت كيلو مترين أو ثلاثة سيرا على أقدامي لأستريح ساعة ولم يبق على منزلي سوى خطوات..

كان العاملون في مطعم "جاد" قد سهروا الليل مع الشباب ووزعوا عليهم أدوات عملهم في المطعم من سكاكين وقضبان الكفتة والكباب.. إلخ، وأعطوني أداة منها، يبدو أنها كانت سفودا مدبب طرفه تفوح منه رائحة الكباب، وجلست أتابع الموقف، من يعبر ومن يتوقف للتفتيش والبحث عن هويته، وما يدور من أحاديث وحوارات جانبية ، محادثات وحوارات من أمثلة: " فترة حكم مبارك هي الأسوأ في تاريخ مصر الحديث.. علاقاتنا الخارجية سيئة.. ولا توجد دولة عربية لها علاقات ناجحة معنا..

السودانيين ضربناهم في جامعة الدول العربية.. وليبيا والجزائر خسرناهم عشان ماتش كورة.. وعلاقاتنا مع سوريا ولبنان توترت على حس حزب الله.. والسعودية بتستعبد العمالة المصرية بنظام الكفيل.. وعلى مستوى الاقتصاد بقى الجنيه بقيمة العشرة قروش".. وآخر يقول " عندما سمعت صوت المنادي في المساجد يقول : احترسوا من العصابات وكونوا لجان شعبية، قلت لنفسي حي على الجهاد.. هي موته ولا أكثر" وكل واحد في مصر يعرف على الأقل مجموعة من أصحابه وأهله نزلوا المظاهرات.. أما العصابات فهم بلطجية ومسجلين خطر جاءوا للسلب والنهب بعد تخلي الداخلية عن البلد.. إما القمع وإما الفوضى.. هم بس فالحين يضربوا نار علينا مع إننا أهاليهم وبندافع عن حقوق بلدنا وبلدهم.. لكن طالما هما هربوا فهي مش بلدهم دي بلدنا احنا بس".

كانت هذه العبارات البسيطة وبكل ما تحمله من تلقائية وعفوية باللهجة المصرية الدارجة تلخص ظروف الثورة بالكامل وتعبر وبكل صدق عن معدن الشعب المصري وآلامه، ومدى التزامه بالواجب والشرف تجاه الأزمات التي يمر بها الوطن، وإن كانت الجهات الأمنية المنوط بها حماية أمن الوطن قد خانته وتقاعست عن أداء واجبها، فإن الشعب المصري سيكون هو الحارس لأمن الوطن برجاله وشبابه وحتى أطفاله..

وخلال رحلتي في شوارع القاهرة من الميدان إلى المنزل، لاحظت أن الشباب قد نظموا أنفسهم في جماعات ووقفوا على طول الشوارع والنواصي يحفظون أمن بلدهم ويحمون منشآته وممتلكاتهم وأهلهم وأعراضهم من الخارجين عن القانون، وقد جاء ذلك استجابة فورية وسريعة لنداءات حملة " احمي بيتك الكبير" ، بعد أن انسحبت قوات الأمن من كل مواقعها في ربوع الوطن وحلت الفوضى، وبدأ بتشكيل اللجان الشعبية بوضع علامات مميزة للتعرف على بعضهم البعض وتنظيم عملهم، بعضهم وضع كمامات الوجه على أكتافهم مثل شارات المرور والشرطة وبعضهم وضع كوفية على ذراعه ليبدو مثل رجال الشرطة، وآخرون تطوعوا لوضع علامات شفرية بالطباشير على السيارات التي تم تفتيشها بالتنسيق مع الكمائن الأخرى لتسهيل مرورها في الكمين الذي يليه.. وكانت هذه علامة مميزة حتى يتجنبوا إرهاق السيارات في التفتيش المتكرر بحثا عن آلات حادة أو متفجرات أو أسلحة أو مسروقات.. إلخ.

وعمل أعضاء اللجان في مجموعات، وتم تقسيم حراستهم للأحياء إلى ورديات تساعدهم في البقاء في المهمة لمدة 24 ساعة، بل ووصلوا لاختراع كلمات سر لضمان تسليم "الوردية" للأعضاء الحقيقيين للجنة، وفي بعض اللجان تم إعداد شعار صغير يرمز للجنة الشعبية لتسهيل تعاونهم معا، واستمرت هذه

اللجان أسبوعين كاملين. وساعد العدد الهائل للمتطوعين في هذه اللجان، في تأمين معظم شوارع مصر، وقد نجحت الفكرة بشكل غير متوقع، ومنعت وقوع سرقات واعتداءات، فضلا عن إلقاء القبض على عدد كبير من الهاربين من السجون، وأدت لفرض نوع من النظام في الشارع المصري.



وحتى سائقي السيارات تقبلوا اللجان الشعبية بسعة صدر وتعاونوا معهم طالما عرفوا أنهم تحت الحماية الشعبية.. وقد تتوقف سيارة يبحث سائقها عن طعام أو مياه، فيبدي الشباب تعاونا مع الجميع ويرشدونهم إلى أقرب المحال التجارية وقد وقف بعضهم أمامه لحراسته مع العاملين به، لأنه بطبيعة الحال سيكون أول أهداف عصابات السطو للسلب والنهب وربما القتل من أجل ذلك.. وتجد تعاون الأهالي مع بعضهم وشبابهم، لا تعرف من منهم مسلما أو قبطيا، وربما مررت أمام الكنائس فترى حراسها جميعا من شباب المسلمين، أو تمر بمسجد فتجد الأقباط وسط المسلمين في حراسته. ومن وقت لآخر تجد سيدة تلقي زجاجات المياه والعصائر من شرفة منزلها للشباب والرجال في الشوارع، وأخرى أعدت مأكولات خفيفة وشطائر ساخنة وتمشي وحدها في الثالثة ليلا لتقدمها إلى شباب اللجنة الشعبية في ناصية الشارع، وقد تجد من وضع سيارته طوع لجنته الشعبية كي يستخدمونها كبوابة عبور بحيث لا يسمح بمرور السيارات إلا بعد تفتيشها، أو تجد أحد الأهالي يتولى إعداد الشاي والمشروبات الساخنة بشكل منظم، وربما تجد بعض الشباب أشعلوا أغصان الشجر الجافة للتدفئة بعدما ارتفعت برودة الجو ليلا، ومجموعات أخرى نظمت أفرادها في دوريات حراسة بحيث يقسم الليل إلى فترتين أو ثلاث لينال كل منهم القدر الكافي من الراحة لمواصلة العمل لحين الاستقرار، وآخرون وزعوا أنفسهم ما بين الاستعداد لقذف الحجارة من البلكونات أو الضرب بالآلات الحادة حين هجوم العصابات ومنهم فرق

استطلاع، عندما تطلق صفيرا مميزا يكون ذلك إنذار بخطر، فتتحرك مجموعة للقبض على لص قد يكون داخل سيارة أو بحوزته مسروقات، ومجموعة تبقى في أماكنها ولا تترك الكمين دون حماية، اللصوص والبلطجية يتم تسليمهم في أقرب وحدات الجيش..

وتجد مسلمون يشكلون لجان لحراسة الكنائس بالعياط: حيث واصلت جمعية " التآلف بين الناس" جهودها في حماية المنشآت و الممتلكات العامة ، حيث شكلت الجمعية بمدينة العياط بمحافظة السادس من أكتوبر لجانا شعبية لتأمين الكنائس للتأكيد على وحدة الوطن، كما قدمت نفقات إعاشة للمتطوعين بمناوبات الحراسة بمدينة بالعياط، وتخصيص سيارات لتفقد عمل المناوبات و توزيع الأطعمة عليهم. كما تم الإعلان عبر مكبرات الصوت الموجودة بالمساجد عن حرمة الدماء و الأعراض و الأموال، وحث الناس على عدم الانسياق وراء الشائعات.

تشكلت هذه اللجان الشعبية بالتزامن مع بداية اعتصامنا في ميدان التحرير وانسحاب الشرطة والأمن من الشوارع وانتشار مخطط الفوضى وأعمال السلب والنهب والبلطجة التي حاول النظام تهديد الشعب بها، وانتشرت النداءات التلقائية في المساجد بالتزامن، فاستجاب الجميع وتشكلت اللجان الشعبية لحراسة الأموال والأعراض والبيوت، وربما حاول النظام استغلال هذا الظرف لبعض الوقت كورقة للضغط على المتظاهرين حتى يعودوا لمنازلهم، إذ كانت التقارير الأمنية تركز على معرفة المناطق التي يخرج منها المتظاهرون بكثافة لإطلاق موجات من البلطجة عليها ومن ثم إجبارهم على العودة لحماية منازلهم.

وأجمل ما في الأمر أن تجد جميع فئات المجتمع المصري ماثلة في المظاهرات والاعتصامات في الميادين وفي تشكيل اللجان الشعبية.. مسلمين وأقباط.. وأرستقراط وأوساط وفقراء.. حتى الفنانين والممثلين ورجال الأعمال كانوا ضمن تشكيلات اللجان الشعبية " كل واحد يحرس بيته بنفسه".. وكان الشباب يقومون بتفتيش كافة السيارات.. سيارة الباشا والوزير قبل الفقير، حتى سيارات الإسعاف التي كان يستقلها أفراد الشرطة ويطلقون النار عشوائيا من نوافذها، ولم يكن غريبا أن تخضع بالطبع سيارات الشرطة للتفتيش هي الأخرى من قبل اللجان الشعبية ليشعر كل شابٍ بأنه يمارس دور وكيل النيابة على ضباط الشرطة. ((شاهد الفيديو، اللجان الشعبية تقوم بتفتيش سيارات الشرطة

(youtube.com/user/MaSrYNoW#p/a/u/2/8ecjmGt_PWI.)

والمفاجأة تأتي في الرابعة فجرا، عندما تمر مدرعة الجيش بسرعة عالية، وكان عليها أن تتوقف لحظات ليتم إخلاء طريقها من الحواجز والمتاريس الشعبية، ويخرج الجندي من الفتحة العلوية للمدرعة.. يلقي التحية العسكرية على الشباب بجدية وصرامة واحترام ، فيشعل إحساس الشباب بالفخر والشرف ويردوا عليه التحية العسكرية بمثلها، ثم تتصاعد بعدها صيحات الفرح يتردد صداها في فضاء الشارع.

وقرب الفجر على عتبات برج مراد بميدان الجيزة، كانت مفاجأتي: ممتاز القط.. هذا القط هو الصحفي الذي كان يستقل السيارة معنا ليلة الاثنين 24 يناير في طريقنا إلى الثورة، كان مستلقيا على ظهره في الأريكة الأخيرة للسيارة متحديا صيحات الشباب ودعواتهم إلى وقفة احتجاجية، وبرغم أنه وعدني بمشاهدة منظر الشباب وهو يهرولون أمام الشرطة مثل الدجاج المذعور، لكن لم أرد إحراجه ، لأن الحفلة لم تبدأ بعد. قابلته على مدخل البرج وكان يحمل لوحة لتمثال أبو الهول بوجه مبارك يندس بها بين الثوار في ميدان التحرير ليجمع ما استطاع من أخبار .. كان واضحا على ملامحه مدى خشيته من اهتزاز النظام لأن مصالحه قد تتهدد بسب هذا الاهتزاز الذي يرج الدنيا بعنفٍ في ميدان التحرير.. هذا القط كان صحفيا يتسكع بين الصحف ويهادن ويُداهن كل من قابله قدر استطاعته، وعمل محررا يغطي أخبار مجلس الوزراء لفترة، ثم فوجئ ذات يومٍ بتعيينه رئيسا لتحرير "أخبار اليوم" ، فانتابته صدمة هزت كيانه وكأن قنبلة ذهنية انفجرت في وجهه وأغدقت الخير عليه، حتى أنه كان يزور المدرسة الابتدائية التي تعلم فيها حسني مبارك ليقف على الأطلال يتغزل ويتفاخر بعظمتها ويسبح بحمدها وحمد من تخرج منها، وكتب مقالا شهيرا عن مناقب السيد الرئيس وكيف أنه "رجل مريض وليس من العدل انتقاده.."

وصلات خارجية

1. فيلم وثائقي: سلسلة يوميات الثورة المصرية ـ يوم 30 يناير

https://www.youtube.com/watch?v=CAgYpGtV4tA

2. يوميات الثورة المصرية ـ 30 يناير

https://www.youtube.com/watch?v=JjoYOOIBp2Y&index=2&list=PLvah45Gv0-CfBHXERlwOw5AUSPFq1OLkQ

الطبعة الثالثة

مقترحات عمر سليمان لاحتواء انتفاضة الغضب

- ١ إلغاء ملف التوريث
- ٢ حكومة بلا رجال أعمال
- ٣ تعديل الدستور
- ٤ محاسبة المقصرين
- ٥ تخلى مبارك عن رئاسة الوطنى



الاثنين
السنة الثانية - العدد ٧٣٠ - ٣١ من يناير ٢٠١١ - ٢٧ من صفر ١٤٣٢ هـ
www.shorouknews.com
١٦ صفحة - جنيه واحد



أمريكا تتراجع وتطالب مبارك بانتقال سلس لـ«السلطة»

مصدر رئاسى ينفى «وجود خطة لسفر مبارك» للخارج.. وعلاء وجمال ما يزالان فى مصر

البرادعى: مبارك سيضطر للرحيل خلال أيام

إعداد: قسم الشئون العربية والدولية

اقرأ ص٣

حظر التجول من الثالثة عصرا

كتب: مصطفى هاشم



تصوير: مجدى إبراهيم

١٤٥ شهيدًا حصيلة ٦ أيام من المواجهات فى القاهرة.. والمظاهرات تستمر «رغم حظر التجول»

القبض على «أمناء شرطة» حاولوا سلب مجلس الشعب



أحمد زويل

زويل فى مصر غدًا

كتب: مصطفى هاشم

اقرأ ص٣

سقوط «سيد قراره»

سرور: البرلمان سيصحح عضويته بناء على أحكام القضاء

القاهرة: (أ.ش.أ)

عودة الشرطة للشوارع بعد غياب ٤٨ ساعة

كتب: ممدوح حسن

تفاصيل ص٢

(10)

هذا الجيل يسألك الرحيل..

الاثنين 31 **يناير** 2011

في صباح يوم جديد، تستوقفني لحظات على حافة كوبري قصر النيل .. أرصفة النهر بهدوئها غير المعتاد، فالحياة ساكنة تماما على ضفة النيل، ربما لم تعرف الأجواء الثورية الصاخبة كما عرفتها أمواج البحر وحشود الجماهير الغاضبة، وبرغم ذلك، فآثار الغضب ما تزال ماثلة على طول الطريق ومنتشرة على الأرصفة التي لمعت تحت ضوء الشمس صافية لا يشوبها إلا آثار الغضب، رغم مرور يومين..فشعرت وكأن ذكريات الثورة وأحداثها ومشاهدها البطولية محفورة بأزميل من فولاذ هنا على أرض الطريق، ومرسومة بدماء الشهداء والجرحى على بقايا الغضب..فوارغ القنابل وطلقات الرصاص وأرتال من الحجارة، زجاجات مياه فارغة..أوراق ولافتات قماشية وبلاستيكية وأعلام مزقتها العصي الغليظة.. بقايا ملابس وأحذية مخضبة بالدماء..وبقع المياه تراكمت واختلطت بدماء الأبرياء..آثار الغاز المترسب على الطريق تثيره خطوات العابرين إلى الميدان حتى اختنقت الصدور به ودمعت الأعين..وحطام سيارات الأمن والشرطة أغلقت الطريق وانتشرت بقايا هياكلها متفحمة بجوار أسدا قصر النيل العتيقين، توقفت حركة السيارات على الكوبري وفي شارع الكورنيش، وعلى امتداد شارع التحرير مرورا بدار الأوبرا وحتى ميدان الجلاء، أفواج من الجماهير تتوافد في هدوء..يملأها الحماس وحب الوطن..يتوافد الشباب متلفعين بالأعلام في طريقهم إلى الميدان.

وقد انتشرت فرق النظافة من المتطوعين.. أحضروا أدواتهم من منازلهم.. مكانس يدوية وأكياس سوداء وقفازات لليد لجمع الأوراق والمهملات والفوارغ وأعقاب السجائر، الشباب إلى جانب الفتيات والأطفال وحتى كبار السن من الرجال والسيدات.. الجميع يعملون بإخلاصٍ وتفانٍ وكأنهم ينظفون أروقة منازلهم.. ففي الليلة الماضية تشكلت اللجان الشعبية بشكلٍ تلقائي أبهر الجميع.. وفي صباح اليوم تشكلت فرق النظافة وانتشرت في الشوارع والميادين بتلقائية وعفوية وحماس لا نظير له.. فإذا كان النظام قد أطلق الفوضى والبلطجة للنيل من حقوق الشعب وكرامته، فقد جاء رد الفعل المتحضر من الشعب على حكومته بتشكيل لجان الأمن الشعبية ولجان النظافة التي انتشرت منذ الصباح في الشوارع والميادين.. وهو ذات التنظيم التلقائي الذي اتبعه الثوار في ميدان التحرير بمجرد بدء اعتصامهم بدأ تشكيل لجنتي النظام والنظافة.. ومنذ الصباح الباكر وأفواج البشر تتوالى خروجا من محطة المترو

متجهين إلى ميدان الثورة، إذ أن محطة مترو التحرير ما تزال مغلقة حتى الآن، وتبقى المنافذ الرئيسة للثوار والجماهير القادمة إلى ميدان التحرير هي محطتي دار الأوبرا ومحمد نجيب.

وحينما تقف لتتأمل العابرين حولك فتلاحظ كل وجه يحمل ملمحا بارزا من ملامح الثورة ومقوماتها، بل بإمكانك أن تضع الأسس والمقومات الرئيسية في بحث ثوري تجده واقعا على بعد خطوات في ميدان التحرير.. ستجد شابا يكتب "بالإسبراي" على مدخل محطة المترو " يسقط حسني مبارك ".. وآخر يحمل علم مصر كبير المساحة ويتلفع به مثل عباءة أبو زيد الهلالي، تتطاير أطرافه مع هبوب نسائم النهر.. وفتاة تأخذ من علم مصر حجاجا تضعه على رأسها.. وشاب يرفع العلم على قصبة صيد بارتفاع عشرة أمتار.. وآخر يرتدي كفنا أبيض كتب عليه باللون الأحمر" فداكي يا بلدي".. وسترى أشياء كثيرة.. لافتات وأعلام ومأكولات ومشروبات وعصائر.. جميع احتياجات الميدان من مؤن غذائية وأكياس الخبز وأغطية وبطاطين وخيام ومواقد لتحضير الشاي والقهوة.. ومكبرات الصوت وآلات موسيقية وكاميرات للتصوير لالتقاط ذكرياتٍ خالدة.. الجميع يحث الخطى في طريقه إلى الميدان..



فوق مقر الجامعة العربية، تعبر المروحية العسكرية في مسارها الدائري المعتاد ، ويطالعنا هدير الجماهير الثائرة في قلب الميدان.. الإذاعة الثورية تعمل بأقصى طاقتها.. ورغم كون الشباب هم العنصر الفاعل والمحرك الرئيس في الثورة إلا أن إذاعتهم لم تنحصر في جيل المطربين الشباب.. ولهذا كانت أغنيات عبد الحليم حافظ وشادية والشيخ إمام وجيل الطرب الأصيل هي بطل الإذاعة الثورية دون منافس.. ولازالت أعداد المعتصمين بالميدان في تزايد مستمر، حيث وفد الكثير من سكان المحافظات وجلبوا معهم بعض الأمتعة الخفيفة لقضاء يومين أو أكثر إذا تطلب الأمر، فأحضروا بعض الحقائب والملابس والأغطية والمأكولات الجافة والمفروشات وخيام بلاستيكية وشمسيات بسيطة تقيهم حرارة النهار وبرودة الليل، ومثل ذلك مؤشرا واضحا أمام الحكومة على مدى إصرار المعتصمين على مطالبهم، وربما كان ظهور هذه الخيام في الميدان هو ما أثار استياء وقلق النظام والقائمين على السلطة إلى درجة تدفعهم إلى العنف والاضطراب والتردد في القرارات، خاصة إزاء ما يتعلق بمصيرهم ومصالحهم.. وكان مبارك لا يزال مُصرا وعلى يقين في هذا الوقت أن المعتصمين في ميدان التحرير هم الإخوان.

يقول الكاتب الصحفي بلال الدوي: بعد يوم الثلاثاء 25 يناير طلب المشير طنطاوي من مبارك إقالة العادلي ونزول الجيش في المظاهرات ثلاث مرات حتى جمعة الغضب، ولكن مبارك رفض لأن حبيب العادلي وذكريا عزمي وجمال مبارك وجمال عبد العزيز(سكرتير مبارك) أقنعوه أنها ثورة في الفضائيات فقط، وأن كل الموجودين في الميدان من الإخوان، وأن الجزيرة تضغط للدفع بالإخوان، حتى أن زكريا عزمي طلب من الرئيس الاتصال بحمد بن عيسي أمير قطر لتوقيف الجزيرة عن العمل في ميدان التحرير، ولكنه رفض وقال سوف يظن أني ضعيف، فاقترحوا عليه أيضا طلب وساطة القذافي حيث أنه علي علاقة جيدة بأمير قطر، ولكنه قال " القذافي مجنون وسوف يقول للأمريكان مبارك يتودد مش عاوز الأمريكان يفتكروني ضعيف"، وأصر علي رفض الوساطة في موضوع الجزيرة. ولكن الأمور زادت سوءا خاصة وأن تقارير حبيب العادلي قالت أن الموجودين في الميدان إخوان وتساندهم قناة الجزيرة، بينما قالت تقارير المخابرات الحربية أن الشعب المصري بكل طوائفه في ميدان التحرير، ولكن مبارك لم يرد أن يصدق ذلك، فطلب من المخابرات الأمريكية تقارير عن الموجودين في ميدان التحرير فأرسلوا له تقارير أكدت أن مختلف طوائف الشعب المصري متواجدة بالميدان، فأضاف ذلك سببا جديدا لغضب المشير من الرئيس لأنه لم يرجع إليه في هذه الخطوة".

وهنا فكر مبارك في القضاء على هذه القناة بالذات دون سائر القنوات الإخبارية التي كانت تغطي الأحداث حتى أغلق مكتبها وسحب تراخيص مراسليها وفي النهاية اعتقل مدير مكتبها وعدد

كبير من الصحفيين بها ؛ وكانت كلما تقوم بتغيير التردد لا تمر دقائق أو ساعات حتى يقوموا بالتشويش عليها وقطع بثها؛ مما جعل الكثير من القنوات الأخرى تتضامن معها وتبث إرسالها عبر شاشاتها، وهي القناة الوحيدة تقريبا في هذا الوقت التي كان الشباب في الميدان يراهنون على تغطيتها لما يحدث بشكل حقيقي ومهني بالإضافة لقناة "العربية".. وجاءت هذه الخطوة كإجراء تحضيري لخطاب ثانٍ أعده مبارك ليلقيه على الشعب مساء غد الثلاثاء 1 فبراير، ومن ثم بعد مداهمة مقر قناة الجزيرة واعتقال فريق عملها ومصادرة وإتلاف معداتهم، أخذ الإعلام الحكومي فرصته في التمهيد لهذا الخطاب.. فكانت أزمة التحرير الأبرز يوم الإثنين 31 يناير 2011، بسبب انعدام التغطية الإعلامية للميدان، فقد كان التلفزيون الرسمي والقنوات الموالية للنظام تحاول إظهار الميدان الفارغ من المتظاهرين، وأن المواطنين المصريين المتظاهرين السلميين الذين خرجوا يوم الجمعة للتعبير عن غضبهم من سوء بعض الأحوال، وقاموا بإيصال صوتهم للحكومة، عادوا إلى بيوتهم، ولم يبق إلا المخربين المندسين أصحاب الأجندات الخاصة، وهؤلاء قلة قليلة لا تعبر عن الشعب، وكانت كاميرات التلفزيون المصري مسلطة على كورنيش النيل، حيث الحركة هادئة وشوارع الوطن وأموره مستقرة!

يقول الكاتب الصحفي محمد النجار: لقد بذل هؤلاء الخونة القائمون على هذه القنوات الحكومية العميلة جهدهم لطمس الحقائق بشتى الطرق وتوصيل مفاهيم مغلوطة لعامة الشعب؛ عن طريق تجنيد بعض العناصر النسائية التابعة لجهاز الأمن اللاتي يتصلن ببعض برامج هذه القنوات ويقمن بالادعاء بأن هناك أعمال سلب ونهب حدثت لهن من قبل مجموعات كبيرة من البلطجية يطوفون على البيوت، مطالبين المتظاهرين بالرجوع إلى بيوتهم لحمايتها، وهو ما تم فضحه بعد ذلك؛ وثبت أن هذه العناصر كانت تابعة لجهاز الأمن الذي دسها لترويج الشائعات بغرض فض المظاهرات وتفريق المتظاهرين وإرجاعهم إلى بيوتهم.كما أن برنامج "48 ساعة "الفاشل الذي يذاع على قناة"المحور"استضاف فتاة لم تذكر اسمها وناداها مذيع البرنامج باسم مستعار هو "شيماء" وظهرت صورتها على الشاشة مشوشة ادعت بأنها ناشطة سياسية، وأنها كانت ضمن الفريق الذي نظم المظاهرات والذي كان يضم قيادات من جماعة الإخوان المسلمين وحركة 6 أبريل وكفاية وغيرها من الحركات المعارضة، وأن هذا الفريق قد تلقى تدريبات في قطر وأمريكا على أيدي عناصر يهودية من الموساد بغرض قلب نظام الحكم وإسقاط النظام المصري، وكانوا يتلقون مكافآت تصل إلى 50 ألف دولار من المنظمة التي كانت تقوم على تدريبهم والتي تسمى" فريدم هاوس"، وأن ما دعاها إلى

كشف هذه الحقائق وقيامها بالاعتراف هو رؤيتها للرئيس مبارك وهو يهان بعد أن خدم البلاد 30 عامًا، وشبهته بأنه مثل أبيها وأنها تأثرت عندما رأت أباها يهان بهذا الشكل، ولا مانع من إضفاء بعض دموع التماسيح وافتعال البكاء من أجل حبك المشهد الدرامي الذي لابد وأنه سيؤثر على عدد كبير من المصريين أصحاب القلوب الطيبة الذين يصدقون كل شيء وينسون في لحظات عذاب سنوات ودهور! كيف يتسنى لنا تصديق هذا الهراء الذي لا يصدقه إلا ساذج مغفل من شخص لم يصرح باسمه ولم يسمح حتى بظهور صورته؛ غير أن هذه الفتاة لو لم تكن مدفوعة من قبل الجهات الأمنية لتلفيق هذا الحديث لكانت في لحظة خروجها على الشاشة تم القبض عليها فورًا وتقديمها للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى . مع أن الجميع يعرف أن هذه المظاهرات المليونية خرجت إلى الشارع بطريقة عفوية تلقائية من كافة أطياف الشعب دون تخطيط مسبق ولا شيء يجمعهم إلا رغبتهم في إسقاط نظام ديكتاتوري استمر ثلاثين عامًا تدهورت فيها البلاد وصارت في ذيل الأمم."

وأخيرًا فقد فضح هذه الكاذبة الكاتب الصحفي "بلال فضل"في اتصال له على برنامج" العاشرة مساءً للإعلامية منى الشاذلي، وأكد لها أنه يعرف هذه الفتاة؛ وأنها صحفية بإحدى الجرائد، وأن زملاءها يشهدون عليها بفبركة التحقيقات الصحفية [1] . ومن صور التلبيس أيضًا التي قام بها هذا الإعلام الخائن لوطنه ولشباب بلده هو محاولته تقزيم المظاهرات الضخمة في ميدان التحرير ؛ وذلك عن طريق بث جانب صغير جدًا من المظاهرة من إحدى الزوايا والتي لا يتعدى الظاهرون فيها بضعة آلاف، مع

1ـ بتاريخ 2/7 2011 نشرت جريدة الشعب الإلكترونية خبرا بعنوان: سمير رجب: إيقاف الصحفية التي فبركت قصة تجنيدها في 48 ساعة

أكد الكاتب الصحفي سمير رجب رئيس مجلس إدارة جريدة "24 ساعة" في تصريح لـ"اليوم السابع"، أن الفتاة التي ظهرت ببرنامج "48 ساعة" على قناة المحور يوم الأربعاء الماضي وادعت أنها ناشطة سياسية وتلقت تدريبات على يد إسرائيليين في أمريكا وقطر هي صحفية تعمل بالجريدة، وأنه لا يعلم شيئا عنها وعن المزاعم التي ادعتها ولا دخل للجريدة بما قامت به. وأضاف، أنه فور علمه بالأمر عقد اجتماعا عاما أمس بمقر الجريدة بحضور جميع العاملين واستدعى الفتاة التي أقرت أنها قامت باصطناع الموضوع، وأنها لم تتلق أي تدريبات ولم تسافر إلى أمريكا من الأساس، وقامت بالاتفاق مع بعض العناصر باختلاق الوقائع ونسج قصة من وحي الخيال لإحداث إثارة في الشارع المصري وقت المظاهرات. وأشار إلى أنه بعد اعترافها التي قامت بكتابة إقرار به تم اتخاذ إجراء بوقفها عن العمل من قبل كل العاملين في الجريدة الذين رفضوا وجودها معهم وتم إخطار نقابة الصحفيين بذلك لاتخاذ الإجراءات اللازمة تجاهها، لأنها أساءت لمهن الصحافة وللجريدة التي تعمل بها وأساءت للنقابة أيضا. وجاء في نص اعترافها "أقر أنا (ن.ع (إنني قمت باختلاق هذه القصة دون علم أحد من قيادات الجريدة بذلك، ولا دخل للجريدة من قريب أو بعيد بها وهذا إقرار مني بذلك.

جعل التصوير من الأعلى وعلى بعد لاحتواء وحصر كل المشاركين في هذا الجانب الصغير من المظاهرة إمعانا في التدليس والتضليل . هذا بالإضافة إلى قطع كل وسائل الاتصال (موبايل- انترنت) التي تمكن النشطاء والمتظاهرين من التواصل لشل حركتهم، مع التعتيم الإعلامي بمصادرة قناة الجزيرة ونشر الشائعات الكاذبة ..

وفي هذه الأثناء، فكر الشباب في ضرورة إنشاء إعلام ميداني؛ لأن الإذاعة الداخلية في ميدان التحرير غير كافية أو محصور نطاقها الإعلامي في حدود الميدان، والإعلام في حد ذاته هو سلاح خطير ومهم جدا كي تعرف العالم مطالبك المشروعة أو تفضح ما قد يحدث لك من الطرف الآخر.. وأذكر من تاريخ الثائر الكبير تشي جيفارا، أنه ورفاقه أول شيء فكروا فيه في اجتماعهم الأول، هو إنشاء وسائل إعلامية، فاستعانوا أولا بطابعة بدائية واستخدموها في طباعة بيانات الثورة والمنشورات التي يوزعونها على بعضهم ومؤيديهم لكسب أرضية شعبية توفر لهم موردا مستمرا من المتطوعين، ثم بعد ذلك استعانوا بجهاز إذاعة ميدانية بسيط بالإضافة إلى أجهزة الاتصال اللاسلكي التي كان يوفرها لهم أحد خونة النظام مقابل وفرة من المال، حتى أن جيفارا كان يستلم منه الأجهزة على حافة النهر ويلعنه لجشاعته في طلب المال، واستمر في تزويدهم بأجهزة الاتصال اللاسلكي اللازمة، ومن هنا بدأت خطواتهم تتقدم للأمام.. وهذا ما يعني أننا لا يمكن أن ننجح في ثورتنا بدون وسائل اتصال وأجهزة مناسبة للإعلان عن بيانات الثورة ..

وبالأمس كان شريط الأخبار بقناة الجزيرة والعربية قد عرضا بعض الأرقام لهواتف دولية، وحملها أحد الشباب على لافتة يتجول في الميدان، كتب عليها أرقام الهواتف الدولية، مشجعًا المعتصمين على ترك رسائلهم الصوتية مجانا عبر الهواتف، ليتم نقلها فيما بعد إلى وسائل الإعلام بطريقة غير معروفة.. توقع البعض أن تكون هذه الأرقام خاصة بوكالات أنباء دولية، لكن الأمر كان غير ذلك.. كانت هذه الوسيلة منفذا للتحدث إلى العالم الخارجي وتساهم في كسر التعتيم الإعلامي الذي فرضته الحكومة على الثورة بقطع الإنترنت والاتصالات.. وعلى كل حال كانت كافة الوسائل مطروحة كبدائل على طاولة البحث..

وكانت هناك أطروحات لجلب أجهزة اتصال مباشر بالقمر الصناعي، والتي توفر خدمة الإنترنت مباشرة على الستلايت بنظام الحزم الضوئية، وهذه التقنية تستخدمها الفنادق والقرى السياحية البعيدة على سواحل البحر الأحمر وفي الغردقة لصعوبة توصيل خدمات الإنترنت الأرضي، بالإضافة إلى أن هذه التقنية سريعة جدا في نقل البيانات وتستخدمها القنوات الإعلامية والصحف ووكالات

الأنباء العالمية، فلو تمكنا من تنفيذ هذه الفكرة لأمكن حل الكثير من مشاكل الاتصال، وساعتها ستنتشر خدمة الوافاي في الميدان بسرعة تفوق الإنترنت التي توفره الحكومة المصرية في الأوقات العادية، لكن كان من الصعب جلب الأجهزة اللازمة، غير أن الحكومة بالفعل قد أوقفت هذه الخدمة أيضا تحسبا لاستخدامها في الميدان وكذلك لأن وسائل الإعلام العالمية كانت تستخدمها بالفعل، ولم يكن حتى لدينا أجهزة هواتف الثريا التي تتصل عن طريق القمر الصناعي مباشرة.. فقد يتم ذبحنا في الليل دون أن يشعر بنا أحد، خاصة أن ضباط الداخلية وأمن الدولة وأعضاء النظام والحزب الوطني يعيشون في أقصى حالات الغضب واشتعال غريزة الانتقام بشكل جنوني مثل الأسد الجريح، ولن يفكر أحدهم في العواقب.

وكما يذكر الأستاذ هاني محمود؛ " كان يؤرقنا كيف نوصل صوتنا إلى مصر، وننقل لباقي الوطن حقيقة الميدان ونبضه؟ كيف نضمن ألا يذبح الميدان في صمت إذا ما أقدموا على خطوة كهذه؟ .. كان زميلنا عبد الرحمن هريدي قد اقترح أن ندرس إمكانية أن يكون للميدان إعلامه الخاص الذي يوصل صوته للخارج، وأطلق دعوة على المنصة لكل الفنيين الموجودين بالميدان الذين يعملون بمجال الاتصالات ومن لهم علاقة بأعمال التلفزيون أو البث الإذاعي أو الشبكات للتجمع في مدخل شارع طلعت حرب أمام كنتاكي، وبدأ الشباب يتوافدون وبدأنا ورشة عمل حول "كيف يكون للميدان إعلامه الخاص" وكانت هناك عدة اقتراحات، من ضمنها عمل دائرة بث تلفزيونية مغلقة تغطي المنطقة المحيطة بالميدان مبدئيا، لحين بحث إمكانية توسيع نطاق التغطية، وكان من بين الشباب الموجودين، مهندس في شركة من شركات الهاتف المحمول، وأخبرنا أن إحدى شركات المحمول لديها أجهزة بث فوق سطح إحدى عمارات الميدان، وأنه بإمكانه، تقنيا محاولة استخدام شفراتها لعمل بث تلفزيوني من الميدان، غير أن الأمر يحتاج لدراسة تفاصيل تقنية وقانونية لتأمين موقفنا.. وغير ذلك من الأفكار التي ظل النقاش حولها مستمرا فترة طويلة. وحاولنا التفكير مع الشباب الموجودين بشكل مفتوح في كل الخيارات التي يمكن توفيرها لتوفير تغطية إعلامية للميدان، مع محاولة تلافي الاعتداء على الملكيات الخاصة، وأخبرناهم أننا سنسعى من خلال الإمكانات المحدودة المتاحة في الميدان والتي أغلبها إمكانات فنية وبشرية، أن ننفذ ولو فكرة من هذه الأفكار. وتم اختصار الأفكار المطروحة لعدد محدود، وتم تقسيم الشباب الموجودين إلى فرق عمل حسب التخصص، ليقوم كل فريق بدراسة تفصيلية سريعة حول احتياجات تنفيذ واحد من هذه المقترحات، وأعطيناهم فرصة من الوقت حتى يصل كل فريق إلى نهاية تصوره، ونرى أي هذه المقترحات قابل

للتنفيذ. ويقول هاني ؛ خلال هذه الفترة كان هناك رقم تلفون غريب يتصل بي لأكثر من ساعتين، ونظرا لانشغالنا بتقسيم فرق العمل، لم أستطع الرد عليه.

" كان المتصل أحد أفراد طاقم قناة الجزيرة الإنجليزية واسمه (أحمد ي.)، وأخبرني أنه يريد مقابلتي لأمر هام وعاجل.. اتفقنا والتقينا قريبا من محل كنتاكي بقلب الميدان، فأخبرني أن قوات الأمن قد داهمت مقر القناة وحطمت أغلب الأجهزة واعتقلت عددا من زملائه، وأنه استطاع تهريب بعض المعدات (كاميرا وجهاز للبث وبعض المعدات الأخرى) من مقر القناة إلى شقة بالطابق الأعلى بذات العمارة قبل اقتحام قوات الأمن، وأن صديقا مشتركا نصحه أن يتصل بي لعلنا نستطيع مساعدته في الخروج بالأجهزة.

وكما يروي هاني: كدت أسقط على الأرض من دهشتي وفرحتي، وقلت له: "يا عم انت فين من الصبح؟!! قال لي: بحاول اتصل عليك وانت ما بتردش!! وها هي الأدوات التي كنا نحتاجها قد توفرت". وكلمت زملاءنا وأخبرتهم بالأمر، وطلبت من عدد منهم مرافقتي. وكانت الأجهزة مخبأة في الدور العلوي في العمارة التي يقع فيها مقر القناة، فراقبنا المكان ونزلنا بالأجهزة حتى أدخلناها إلى الميدان في حراسة مشددة من شبابنا، وخضنا في مناقشات حول المكان المناسب الذي يمكن أن يتم تثبيت الأجهزة والكاميرا فيه، بما يتيح تغطية جيدة للميدان وسهولة تأمينه وحمايته، إلى أن اتفقنا على وضع الأجهزة فوق لوحة إعلانات ضخمة كانت موجودة أمام حديقة مسجد عمر مكرم، على مدخل الميدان من جهة كوبري قصر النيل، وصعدت مع أحمد فوق اللوحة لتقييم الموقع الجديد للتصوير، وبدأ هو بالتواصل مع زملائه في القناة لمعرفة الأدوات والمعدات المطلوبة لإتمام المهمة.

وتولى مجموعة من الأصدقاء توفير حماية لموقع البث الجديد، ومنع أحد من الوصول إليه. وأخبرنا أحمد بحاجته إلى بعض الأجهزة والمعدات التكميلية، فاتصلت بأحد أصدقائنا العاملين في الإنتاج الفني، والذي عمل في الجزيرة فترة سابقا، وأخبرته بما حدث وقام من جهته بالاتصال ببعض الأطراف، ليطلب منه تقديم المساعدة وتوفير المعدات المطلوبة.. لكنه سيحاول البدء في البث ولو بشكل محدود حتى يتم توفير باقي الاحتياجات.. وبالفعل، بدأت خلال وقت قصير أول تغطية إعلامية من داخل ميدان التحرير. وبعد ذلك وصل طاقم صغير من القناة ومعهم الأجهزة المطلوبة، وذهب بعض أصدقائنا (زين وإسلام) لاستقبالهم في المطار، وعادوا بهم إلى الميدان بعد مغامرات ومخاطر عديدة تعرضوا لها في أكمنة الجيش والشرطة.

ثم أرسلت الجزيرة أحد أعضاء فرق الإنتاج لديها (منتصر مرعي)، ليتولى متابعة التغطية، وقمنا بنقل موقع البث من أمام مسجد عمر مكرم إلى وسط الميدان إلى أن استقر موقعهم أخيرا خلف ما سمي لاحقا "المنصة الرئيسية". لتكون أكثر أمنا، ولم يسلم فريق القناة بعدها من الملاحقة، وكنا لا نفصح عن شخصياتهم ونخفي أماكن وجودهم بسبب محاولات استهدافهم واعتقالهم. حتى أننا اضطررنا إلى توفير مبيت لهم في بعض الليالي داخل خيمة بالميدان. كنا نخشى على سلامتهم وعملهم، وكنا أحوج ما نكون إلى الدور الذي يقومون به في إيصال صوتنا وأخبارنا للعالم بصورة حقيقية ومهنية".

إلى هنا واستقر موضع أجهزة البث ومأوى طاقم القناة، وبقيت منصة الكاميرا حائرة، فلم يكن من السهل العثور على زاوية رصد يمكن من خلالها نقل المشهد الثوري بكافة محتوياته، خاصة في هذه الظروف، وليس هناك أحد بإمكانه دعمنا من شرفته المطلة مباشرة على ميدان التحرير سوى عمنا الفنان بيير السيوفي الذي عشق الثورة والثوار واندمج في أفكارهم ومشاعرهم.. وكانت شرفته متاحة لعمل كافة التقارير الإعلامية. يستقبل جميع الإعلاميين والصحفيين والمراسلين مصريين وعرب وأجانب ليضعوا كاميراتهم في شرفة منزله وينقلوا للعالم هدير الجماهير الحالمة بالحرية.. لا يضع شروط لدخول مراسلي القنوات العربية والأجنبية، الجزيرة والعربية والـ" بي بي سي" وغيرها إلا شرطا واحدا فقط؛ هو استمرار البث المباشر على مدار 24 ساعة يوميا دون توقف..!! يا الله.. منذ ساعة كُنا نخشى الذبح في الظلام دون أي وسيلة اتصال حتى بأهلنا، والآن صار بإمكاننا استخدام أجهزة قناة الجزيرة والعربية كيفما شئنا.. ثم تعثرنا في البحث عن مكان مناسب لتثبيت الكاميرات والاجهزة، وجاء الفرج من عند الله أن رزقنا بعم بيير السيوفي الذي اشترط استمرار البث المباشر 24 ساعة.. يا الله.. وهو القرار الذي عرض حياته للخطر وأنقذ حياة الكثيرين. أصبح منزل بيير، الذي سرعان ما اعتبر "بيت الثورة"، ساحة لتجمع وتواصل المتظاهرين من الأعمار والخلفيات كافة، سواء كانوا فنانين ومفكرين أو طلبة أو صحفيين، أو حتى قليل من الإسلاميين والعمال. كان بيير السيوفي شخصا ضخما، طيب القلب، له طابع بوهيمي، وكان له دورٌ خاص أداه في الثورة، فعل ما بوسعه لمساعدة المتظاهرين وتشجيعهم بكل ما يملك..

جاءت كافة هذه الجهود في محاولة مستميتة ضمن الأعمال التحضيرية التي قام بها الشباب لتهيئة الجو للمليونية التي دعوا إليها غدا الثلاثاء، وبرغم انقطاع كافة وسائل الاتصال إلا أن الدعوة انتشرت عبر الصحف والقنوات التليفزيونية، وبدأت تحركات الجماهير من كل الأقاليم والمحافظات

متجهة نحو القاهرة للانضمام إلينا في ميدان التحرير لتعزيز المليونية.. وفي المقابل كان النظام يقاتل من أجل البقاء بضراوة، فبجانب التعتيم الإعلامي الذي فرضه علينا، والتشويه والحرب الإعلامية والنفسية، بدأ في اتخاذ خطوات وتحركات على الأرض، حيث خرجت مظاهرات مؤيدة للنظام ومناوئة لميدان التحرير بمساعي وجهود أعضاء الحزب الوطني، وتم وقف خطوط القطارات بين القاهرة والمحافظات لمنع نزوح المواطنين إلى القاهرة، وانتشرت فرق البلطجية للهجوم على سيارات الميكروباص التي تنقل المتظاهرين من المحافظات إلى القاهرة، وجاء ذلك كله بالتزامن مع الإعداد المتقن للخطاب العاطفي الذي سيلقيه الرئيس مبارك مساء الثلاثاء ردا على المليونية الأولى.

بينما كان مبارك قد كلف الفريق أحمد شفيق بتشكيل الوزارة الجديدة.. لكنه بذل محاولات مضنية لإبعاد المشير طنطاوي عن قيادة الجيش قبل أن يجلس مع شفيق، الذي ذهب لمقابلة الرئيس فوجده مجتمعا بطنطاوي، وهو ما جعله ينتظر خارج غرفة الاجتماع 45 دقيقة كاملة، لا يعرف علي وجه الدقة ما الذي يحدث في الداخل..

في هذا الاجتماع عرض مبارك علي طنطاوي أن يكون نائبا للرئيس، لكنه رفض، فعرض عليه أن يشكل هو الحكومة الجديدة.. فواصل طنطاوي الرفض، فلم يكن من مبارك إلا أن ألقي بما لديه من أوراق.. وقال له إنه سيكلف الفريق أحمد شفيق بتشكيل الحكومة.. ومعني ذلك أن طنطاوي سيكون وزيرا في وزارة يرأسها شفيق وهو الأقل منه رتبة عسكرية.. لم يعبأ المشير بما قاله مبارك.. ولم يظهر له ضيقا مما قاله، فزاد مبارك وقال له: "ولو حدث خلاف بينك وبينه فسوف أنحاز له هو.. لكن المشير أصر علي موقفه وعلي رفضه.. وطلب مبارك من طنطاوي تعيين الفريق سامي عنان نائبا للرئيس، لكن المشير طنطاوي رد قائلا : " لا أنا محتاجه معايا ".. رفض المشير طنطاوي كل ما عرضه عليه مبارك، لكن مبارك حاول توريطه من ناحية أخري.. فقد أراد أن يعينه في حكومة شفيق وزيرا للدفاع ونائبا لرئيس الوزراء..

ويروى أحمد شفيق قصة تكليفه برئاسة الوزراء ويقول: اتصل بي رئيس ديوان الرئاسة زكريا عزمي، وفى القصر على باب المصعد التقيت جمال مبارك، كان يقف وحده، قال لي أنا استقلت من الحزب ومن كل العمل الذي أمارسه، ودخلت إلى السكرتارية فقالوا لي: المشير طنطاوي لا يزال في الداخل، وبعد أن خرج المشير طلبوا شفيق، ويقول: التقيت الرئيس، قال لي: أرسلت في طلبك لأبلغك أنني أرغب في أن تشكل الوزارة الجديدة، وقال إنه أمضى أكثر من ساعة في إقناع المشير ليتولى منصب

نائب رئيس الجمهورية، لكنه رفض بإصرار، وقال له إنه سيكلف شفيق برئاسة الوزراء، باعتبار أن طنطاوي أقدم، ورد طنطاوي: ليس هناك حرج أبدا، لأنني أقدم من أحمد نظيف، وكان يرأس الوزارة، والعلاقة بيني وبين أحمد شفيق جيدة، لا تتقلق يا سيادة الرئيس أنا راضٍ تماما ".. لكن طنطاويبعدما غادر الاجتماع اتصل هاتفيا بذكريا عزمي بعد أن فهم ما يخطط له مبارك، وقال له:" اصرفوا نظر عن حكاية نائب رئيس وزراء دي.. وكفاية وزير دفاع".

لم يكن عرض مبارك علي المشير منصب نائب الرئيس ورئيس الوزراء ونائب رئيس وزراء محاولة للإنقاذ بالطبع. فق تأكد مبارك أن الجيش لن يقف في صفه بعدما شاهد المتظاهرين يرقصون فوق الدبابات احتفالا بوصولها ميدان التحرير.. وكان موقف الجيش مبنيا على الخلفية الرافضة للتوريث.. فأراد مبارك أن يحدث خلخلة في قيادة الجيش كي يتمكن من السيطرة عليه، وكان مستعدا في حالة قبول طنطاوي أي من هذه المناصب أن يعين مكانه أي ضابط أخر حسب الطلب، أو يأتي بعسكري خرج من الخدمة ـ كما فعل قبل ذلك عندما أتي بيوسف صبري أبو طالب عقب إبعاده لابو غزالة ـ وبذلك يضمن عدم الترابط والتنسيق داخل الجيش.. فيستطيع أن يسيطر علي الكل[1].

ويكمل بلال الدوي: عندما عرض مبارك علي شفيق أن يقوم بتشكيل الوزارة قال له؛ استبعد من تشاء، واستبق اثنين فقط هما أحمد أبو الغيط وزير الخارجية والثاني ممدوح مرعي وزير العدل. وبعدها اجتمع مبارك مع رجال حكومته الجديدة التي شكلها الفريق أحمد شفيق.. وهي الحكومة التي خرج منها 15 وزيرا من بينهم رجال الأعمال.. وشلة جمال مبارك.. وقبل أن يصل أحمد شفيق إلي بيته عائدا من لقاء مبارك.. وجد الرئيس يحدثه في أمر أنس الفقي.. قال له؛ خذه معك في التشكيل الجديد، ممكن تخليه وزير شباب كما كان.. ولم تمر سوي ساعات قليلة حتى كان قرار الرئيس أن يبقي أنس الفقي وزيرا للإعلام، ويبدو أن هذا كان بسبب ضغوط جمال مبارك الذي كان يري في أنس رجله المخلص الذي يمكن من خلاله السيطرة علي منظومة الإعلام وتوجيهها إلي حيث يشاء، وأنه إذا فقد أنس الفقي فقد الإعلام.

وبعدما تم إقالة حبيب العادلي وزير الداخلية من منصبه، تحدث جمال مبارك هاتفيا إلي حبيب العادلي بعد أن صدر قرار إقالته وقال له " ارجع مكتبك يا حبيب بيه أنا أتحايلت علي بابا وهو وافق يرجعك بس لازم تلم الشارع وتصفي ميدان التحرير بأي طريقة"، وعرض جمال مبارك 17 طريقة

1ـ مقال بعنوان (اجتماعات المشير والرئيس أيام الثورة) محمد الباز في جريدة الفجر يوم 1 / 10 / 2011

لإخلاء ميدان التحرير ينفذها رجال الداخلية،منها إحداث هزة أرضية بالميدان، ورش الميدان بغازات سامة، وفتح أبواب حديقة الحيوانات وإطلاقها في الميدان أو إطلاق مرضي عقليين مسلحين علي المتظاهرين. ووقتها ذهب العادلي إلي الوزارة بالفعل واقترح عليه مساعديه الانتقال إلي معسكر أحمد شوقي وذلك للحديث مع ضباط الأمن المركزي والذين كانوا في حالة غضب شديد نتيجة شعورهم بأن الوزارة ضحت بهم، وكانوا يرغبون في عمل مظاهرات ضد الداخلية لأنها ورطتهم في مواجهة الجماهير الغاضبة في الشوارع، وبالفعل ذهب العادلي إلي هناك حيث التقي الضباط وقال في هذا اللقاء " أن هذه المظاهرات ربعها تسبب فيه غضب شعبي والثلاث أرباع هو انقلاب من الجيش".. ولسوء حظه، كانت المخابرات الحربية تسجل هذا اللقاء ووصلت الرسالة للمشير طنطاوي الذي رفض هذه المهازل وطلب من مبارك إقالة حبيب العادلي فورا وإبعاد إبنه جمال عن صناعة القرار.

ووفقا لرواية الدوي، أن الدكتور عبد المنعم سعيد كان قد كتب مقالا في الصفحة الأولي للأهرام يقول فيه لمبارك: لابد من إجراء إصلاحات وحل مجلس الشعب وتغيير الوزارة وإجراء إصلاحات حقيقية، ووقتها اتصل مبارك بسعيد وأكد عليه أنه ليس أمامه حل سوي إبعاد أحمد عز وجمال مبارك وأحمد نظيف وحبيب العادلي حتى يرضي الشعب، ثم اتصل مبارك بفتحي سرور الذي رفض هذا الاقتراح وقال له " اقبل الطعون بس يا ريس على عضوية المجلس وندخل شوية معارضة عشان يبقي مجلس متوازن ونمرر القوانين اللي احنا عاوزينها وعشان جمال يفضل في نفس مكانه"

وكانت هناك تعقيدات غير عادية في تشكيل الحكومة هذه المرة بسبب رفض بعض المرشحين دخولها خوفا من رد الفعل الشعبي، ولصعوبة البحث عن أشخاص ترضي الشعب، فمن ينجح في مجتمع فاسد غالبا هو أكثرهم فسادا. هذا بالإضافة إلى وجود جمال في الصورة والذي يحاول طول الوقت تأمين نفسه وسيطرته، بينما يحاول مبارك ترضية إبنه وترضية الشعب من جهة كي يكمل مدة ولايته الرئاسية على خير ويتفادى الخروج المهين على طريقة بن علي.

وقد حضر المشير طنطاوي هذا الاجتماع وكان صامتا طول الوقت، وكان عمر سليمان موجودا في الاجتماع بصفته الجديدة كنائب لرئيس الجمهورية، وفي هذا الاجتماع توصل طنطاوي إلي أن مبارك يعيش في غيبوبة ولا يعرف ماذا يدور خارج القاعة التي يعقد فيها اجتماعه.. بعد الاجتماع مباشرة قال لبعض مساعديه أن جمال وشلة المنتفعين لا ينقلون الصورة بشكلها الحقيقي لرئيس الدولة.. وهناك إصرار علي تصوير ما يجري علي أنه أعمال شغب مدفوعة من قوي خارجية وداخلية لا تريد

الاستقرار لمصر.. وهو ما سيدفع بمبارك إلى التمسك بعناده ورفض الاستجابة لأي مطلب من مطالب المصريين..

.. إلى هنا ونعود إلى حيث نجلس نحن على حافة الرصيف بميدان التحرير.. لم نستفض في قراءة الأخبار هذا اليوم، لكن لفت نظري أنه بعد رفض الثوار تعيين أحمد شفيق رئيسا للحكومة نشرت الأهرام المسائي مقالا بقلم أنور الهواري، بعنوان"رئيس الوزراء " الذي أطال الغزل في شخص الفريق أحمد شفيق وكأنه لم يكن موجودا من قبل على أرض الكنانة وإنما هبط على طبقٍ طائر من الفضاء لينقذ الملايين من الهلاك المحقق .

فكتب يقول عن الفريق: أحمد شفيق.. فريق في العمل.. مدرسة في الإدارة.. مذهب في القيادة.. رؤية طائرة في عنان السماء.. ترى الواقع وتطل عليه من كل الزوايا ..إلخ"

والغريب أن الفريق أحمد شفيق في ذات اليوم بعد تعيينه رئيسا للحكومة سأله أحد المذيعين في لقاء تلفزيوني أن يوجه كلمة للشباب المعتصمين بميدان التحرير مع إصرارهم على رحيل نظام مبارك، فرد الفريق شفيق بحكمته الطائرة في عنان السماء: " خليكم قاعدين في الميدان.. اعملوا شماسي واقعدوا.. وأنا هابعتلكم شاي وبونبوني ". هذه كانت أول كلمة لرئيس وزراء فريق في العمل .. مدرسة في الإدارة . مذهب في القيادة .. رؤية طائرة في عنان السماء .. ترى الواقع وتطل عليه من كل الزوايا ..إلى آخره من شبق الغزل السياسي، ولا أعلم ما إذا كان هذا الصنف من الغزل صريحا أم عفيفا أم نفاقا مُباحا من أساسه!، لكننا اعتدنا عليه في الصحف الحكومية كل يوم. جاء لينقذ البلاد من حالة الفوران والغليان فأراد أن يسخر أولا من شبابها صناع الثورة التي جاءت به على سدة الحكم لينقذ البلاد من الغضب..ثم ما علاقة البونبوني بالرؤية الطائرة في عنان السماء؟.. فرد الشباب عليه بتوزيع بعض الحلوى والتمور مغلفة بعبارة "بونبوني شفيق بيه" ورفعوا لافتات ساخرة تقول: "هيجيب لكم شاي وبونبوني.. شفيق يا رااجل "

فيميدان التحرير.. قرابة أذان العصر قدم وفد من مشيخة الأزهر ضم العشرات من المشايخ الشباب والعلماء الكبار بعمائمهم المميزة بألوانها الحمراء والبيضاء، وكانوا يحملون مكبرا للصوت وأخذوا يطوفون الميدان ويهتفون وسط الجموع" الأزهر يريد إسقاط الفساد.. العلماء قالوها زمان.. والشباب فعلوها اليوم"، وحينها كان الموقف الرسمي للأزهر كما الكنيسة رافضا للمظاهرات والاعتصامات (بأوامر النظام) إلا أننا كنا نتفهم ذلك تماما، بل كان وفد الشباب الأزهري بمثابة تأييد عام لثورة

الشعب وهذا ما زادنا ثقة في ثورتنا البيضاء.. خاصة أن المؤسسات الدينية في مصر لها وضع خاص في قلوب المصريين.



وفي هذا اليوم زادت بدرجة ملحوظة التغطية الإعلامية للميدان.. أقلام وعدسات وعلى إثرها ازداد الخطاب الثوري نضجا ووضوحا وارتفع صوته حتى وصل أرجاء مصر والعالم، وهو ما ساعد على انتشار الدعوة إلى المظاهرة المليونية غدا الثلاثاء 1 فبراير بمناسبة العيد الأول للثورة في أسبوعها الثاني. وقد انتشرت الدعوة بسرعة البرق في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وعلى مواقع الصحف ووكالات الأنباء العالمية، وكانت الحكومة قد قطعت خدمة الاتصال الهاتفي وقطعت خدمة الإنترنت - ولم يبق سوى الرسائل النصية القصيرة على الهاتف المحمول كوسيلة للاتصال حيث توجه من خلالها دعوات ارتجالية إلى جميع المواطنين؛ فأسرع شاب إلى المنصة الإذاعية لتنبيه الحضور بمراسلة من يريدون من ذويهم وإخبارهم بالمظاهرة المليونية قبل أن تشرع الحكومة في قطع خدمة الرسائل النصية القصيرة " SMS " أسوة بمثيلاتها من وصائل الاتصال التي قد تساعد في انتشار الدعوة..

وبادر مجموعة من النشطاء السياسيين والجمعية الوطنية للتغيير بطباعة بيان ونشره في الميدان يتوجه إلى القوات المسلحة المصرية لإعلان موقفها الرسمي من الثورة ومطالب الشعب المشروعة التي نادى بها في ميدان التحرير، فإذا كان الجيش منذ نزوله قد امتنع عن إطلاق النار على الشعب كمبدأ عام، وتكفل بحمايته، لكن ما موقفه من الثورة والإصرار على مطلب الشباب؟.

وبعد ساعتين تقريبا من نشر البيان الموجه إلى القوات المسلحة في ميدان التحرير، اتجهت الأنظار فجأة وتحركت الجماهير باتجاه ميدان عبد المنعم رياض.. حيث نداء عسكري يأتي إلي جموع الشعب المصري المعتصم بميدان التحرير.. سيارة جيب عسكرية تعلوها مجموعة من مكبرات الصوت، حيث تتوجه القيادة العسكرية ببيان إلى جموع الشعب المصري.. يؤكد للشعب ضمان القوات المسلحة لمطالب الشعب " المشروعة " ونفى شائعات عن احتمال انقلاب الجيش على الشعب أو انقلابه على السلطة، وأكد البيان أنه لا يمكن أن تراق قطرة دم واحدة من شعب مصر على يد جيشه، وأن القوات المسلحة المصرية ملكٌ للشعب المصري، فهي من أبناءه ومهمتها حماية الشعب والحفاظ على أمن الوطن وسلامة أراضيه داخليا وخارجيا.. ثم أعيد البيان إجمالا في النقاط التالية:

أولا: إن القوات المسلحة على علم ودراية بالمطالب المشروعة التي ينادي بها المواطنون الشرفاء.

ثانيا: إن الجيش يكفل حرية التعبير عن الرأي وحماية المسيرات السلمية طبقا لنص الدستور.

ثالثا: تحذر القوات المسلحة جميع الخارجين علي القانون الذين يعملون علي ترهيب المواطنين وترويع أمنهم، وتؤكد أنها ستستخدم ضدهم إجراءات صارمة بإحالتهم إلي محاكم عسكرية عاجلة.

رابعا: تطالب القوات المسلحة الأهالي، بالاستمرار في الحفاظ علي الممتلكات العامة والخاصة، من خلال استمرار تنظيم لجان المقاومة الشعبية التي قامت بدور فعال في القبض علي عدد من الخارجين علي القانون وتسليمهم للوحدات العسكرية المنتشرة في ربوع مصر.

خامسا: القوات المسلحة تؤكد أنها لن تستخدم العنف ضد أبناء مصر الشرفاء مع ضمان حقهم في حرية التعبير السلمي عن رأيهم.

وكان الآلاف يتزاحمون حول سيارة الجيب العسكرية التي يستقلها مجموعة من قادة الجيش لا يتأخرون في مد أيديهم من نوافذ السيارة لمصافحة الجماهير المتزاحمة حولها وطمأنتهم، وتحركت السيارة في شارع ميريت أمام المتحف المصري ونزل اللواء حسن الرويني قائد المنطقة المركزية بالقاهرة وبصحبته مجموعة من قادة الجيش وتوجهوا إلى مركز القيادة الميداني بالمتحف، ربما وجهوا إلي الضباط بعض التعليمات..

يقول الباحث بلال الدوي: قبل إصدار البيان كانت هناك ترتيبات واضحة لتمريره إلي الرأي العام.. وعمل الجيش علي إذاعة البيان بعيدا عن أنس الفقي، لأن القادة كانوا يعرفون أن أنس لن يذيعه،

لانحيازه الواضح لجمال مبارك.. وهو ما خاطر به عبد اللطيف المناوي رئيس قطاع الأخبار، الذي أذاع البيان علي مسئوليته بعد أن حصل علي تسجيله من اللواء إسماعيل عتمان في مبني التليفزيون.

بعد إذاعة البيان تأكد مبارك أن الجيش تخلي عنه.. وانحاز إلي الشرعية التي يراها.. وهي شرعية الشعب.. لم يُضع مبارك وقته.. اتصل زكريا عزمي رئيس الديوان بمكتب المشير وبمكتب رئيس الأركان ليخبرهما أن هناك لقاء مساء الغد الثلاثاء 1فبراير. وكان المشاركون في هذا اللقاء خمسة هم الرئيس مبارك ونائبه عمر سليمان.. ورئيس الوزراء أحمد شفيق ووزير الدفاع المشير حسين طنطاوي ورئيس الأركان الفريق سامي عنان.

أوشكت الشمس تضع رحالها على ماسبيرو بما ينم عن نيتها في الغروب، وقد أعد مجموعة من الشباب هدية قيّمة لأفراد الجيش، وكانت بسيطة جدا لكنها أثارت إعجاب الجميع، فقد نظموا مسيرة من عشرات الشباب والفتيات يحملون باقات من الورد وطافوا بها الميدان تتبعهم الكثير من الكاميرات الإعلامية، وقاموا بتوزيع الورود على أفراد الجيش من الضباط والجنود المتواجدين بالميدان.. وردة لكل ضابط ومجند وباقة ورود كاملة لكل مدفع لدبابة ومدرعة تقف في حراسة الميدان.. وتجمع العشرات حول مدافع الدبابات لالتقاط لحظات تذكارية بصحبة باقات الورود..

بحلول المساء بدأت ملامح المليونية تظهر في الميدان، حيث زادت أعداد المعتصمين وتشكلت مجموعات تسير في جنبات الميدان تهتف بهتافات مناهضة للنظام وانتشرت اللافتات تعبر عن الشيء نفسه وتنوعت ما بين

- "هذا الجيل يسألك الرحيل"
- "ارحل اليوم فغدا فجرٌ جديد"
- "غدا مسيرة مليونية"
- زهور الحرية فتحت في ميدان التحرير 25يناير
- شهادة وفاة؛ تبين بالكشف الشعبي علي مبارك وفاته بالسكتة الشعبية والعزاء في السعودية
- شهادة وفاة؛ تبين بالكشف الشعبي علي مبارك وفاته بالسكتة الشعبية ولا عزاء للظالمين
- مهرجان القراءة للجميع والظلم للجميع
- هكنس كل كلاب الحزب
- لا للخراب نعم للحرية

وبالنظر إلى ما انتشر من أخبار عن القبض على بعض عناصر الشرطة المدنية في سرقة مجلس الشعب والمتحف المصري والقبض على بعض أفراد الشرطة برفقة البلطجية في سرقة ونهب الممتلكات العامة والخاصة في الشوارع، حمل الشباب لافتات: " الشرطة في سرقة الشعب " في إشارة ساخرة إلى شعار " الشرطة في خدمة الوطن" وقد اختفى هذا الشعار مع بداية تولى حبيب العادلي وزارة الداخلية، إذ أصر على تغيير شعارها إلى " الشرطة والشعب في خدمة الوطن"

وأما بمناسبة تسرب أخبار عن سفر جمال وعلاء مبارك إلى لندن، فحمل بعض الشباب لافتات تحمل إشارة ساخرة : جمال من لندن؛ أيوة يا بابا أنت جاي امتى؟ - يا حزن مبارك .. لم يتم عرس جمال" – " آخر طلعة جوية .. للدولة الصهيونية " أما تعليقا على خبر انعقاد مجلس الشعب، فقد جدد ذلك ذكرى تزوير البرلمان ومتلازمة " المجلس سيد قراره" التي كان الدكتور فتحي سرور يتغني بها ليل نهار، فرفع الشباب لافتات" الموافق على إعدام رموز الفساد يتفضل برفع يده : موافقة " – " السادة الأعضاء المحترمين.. المجلس سيد قراره : موافقة" مع أن الأمر لم يكن صحيحا وإنما كان مجرد اجتماع رؤساء اللجان البرلمانية فقط، لكن رد الفعل في الميدان كان سريعا جدا، مقارنة برد فعل النظام على مطالبه.

وكذا تعددت المنصات الإذاعية وانتشرت في أطراف الميدان، واحدة أمام تمثال عمر مكرم والثانية أمام مجمع التحرير والثالثة أمام مطعم كنتاكي (النزيه من افتراءات الإعلام المصري)، والمنصة الرئيسية أمام مطعم هارديز المطل على الميدان، وأهم ما يميز هذه الإذاعات رغم تعددها أنها لم تكن تنتهج اتجاها فكريا أو تيارا سياسيا بعينه بل عبرت عن جموع الشعب المصري باختلاف طوائفه وتياراته الفكرية في تناغم، ولم تنطق إذاعة ما باسم حزب معين أو جماعة بعينها بل كانت جميعها متاحة للجميع.. وكان على كبار المثقفين والسياسيين أن يلقوا كلماتهم على أكثر من منصة إذاعية.

وبعد صلاة العشاء كان الأستاذ سعد عبود المحامي حبيب الجماهير، وعضو مجلس الشعب، قد ألقى كلمته على منصة الإذاعة أمام المجمع وانتقل ليعيدها على المنصة الرئيسية، وفي هذه الليلة فتح الكثير من الملفات السياسية التي كانت شائكة قبل 25 يناير ، وفضح مضبطة المجلس في الميدان وبدأ خطابه بقوله " الثورة عادة هي خرق للنظم القانونية المشروعة من أجل هدمها وبناء نظم قانونية شرعية مصدرها المباشر هو إرادة الشعب"، ثم أوضح الفرق بين الشرعية والمشروعية، وأن الشرعية تأتي مباشرة من إرادة الجماهير، أما المشروعية فهي مشروعية النصوص القانونية والدستورية، وأن من وضع

هذه النصوص وجعلها مشروعة هو الشعب صاحب الشرعية ويمكنه إنهاء مشروعيتها في أي وقت.. وفتح أيضا فضائح ومهازل الاستجوابات التي كانت عبارة عن مسرحية هزلية تدور وقائعها تحت قبة البرلمان، والاعتقالات التي كان يتعرض لها الأعضاء على أبواب المجلس في انتظار من يشير إليه فتحي سرور رئيس المجلس بسبب استجواب أو سؤال أثاره عضو تجاه الحكومة أو أحد الوزراء أو وضع الحكومة في موقف محرج.. حيث كان ضباط أمن الدولة ينتظرون بسيارة الترحيلات أمام باب المجلس رهن إشارة فتحي سرور باعتقال العضو الذي أحرج الحكومة، أو كشف عورة من عوراتها.. أيضا تحدث الأستاذ سعد في ملفات أراضي الدولة المنهوبة ومرسى علم والعين السخنة وغيرها.. وملفات القصور والفلات المجانية للوزراء وذوي القربى والأصدقاء في لسان الوزراء بمدينة فايد بالإسماعيلية، وقصور مارينا العلمين وشرم الشيخ ومنتجع دهب وخليج نعمة.. وكذا كشف الكثير من ملفات الفساد السياسي المتخفي في أسطورة قصر الرئاسة ذكريا عزمي و سوزان مبارك، والفساد الاقتصادي الذي أداره بجدارة حسين سالم وأحمد عز وحفنة قذرة من رجال الأعمال الذين تحولوا إلى وزراء بحكم الصداقة والمصلحة، وعلى رأسهم وزير الإسكان محمد إبراهيم سليمان الذي حول أموال وموارد الدولة إلى فطيرة بيتزا وغطى خيره الجميع عدا الفقراء لأنهم لا يعرفون كيف تؤكل البيتزا ، ولا يعرفون كيف يسكنون في فيلات وقصور الدولة المجانية..فقط يسكنون العشش..

ووجه الأستاذ سعد عبود سؤلا للجماهير، كم يبلغ راتب رئيس الجمهورية؟

وقف الخلق ينظرون جميعا مدهوشين من غرابة السؤال، فكان المعتاد في السابق أن يتحدث السياسيون المعارضون عن حجم الفساد الاقتصادي في الدولة وفساد الوزراء أو رواتب كبار الموظفين، لكن مثل هذه الأسئلة الغريبة لم يكن يطرحها أحد في البرلمان أو في الصحف أو التليفزيون أو أي وسيلة أخرى، كان الأمر سرا معتما ومنذ عصر السادات كأنه ليس من الشأن العام، خصوصا بالنسبة للأجيال القديمة التي تنظر إلى رئيس الجمهورية باعتباره الأب ولي الأمر وولي النعم، وليس من الأدب أن يتساءل أحد الرعية عن راتب ولي الأمر لأن الأمر كله بيده..فكيف يتصور أحد أن يتقاضى الأب أجرة شهرية من أولاده مقابل إدارة أعمالهم.. وللحقيقة لم يجب أحد منا بكلمة واحدة حتى ولو خطأ، فقط كانت إجابتنا هي الصمت والدهشة، وهذا ما يعني أن الأمر لم يخطر على بال أحد منا أصلا وجاء مفاجأة.. قال الأستاذ سعد إن مرتب رئيس الجمهورية ينظمه القانون رقم 99 لسنة 1987م والذي نص في مادته الأولى على أن يحدد مرتب رئيس الجمهورية بمبلغ 12 ألف جنيه سنويا .. أي أن مرتب الرئيس مبارك 1000 جنيه شهريا ! في حين أن عامة الشعب من الفقراء الذين يعانون من البطالة

وخرجوا في المظاهرات ليهتفوا " عيش .. حرية.. عدالة اجتماعية " يطالبون بتحقيق العدالة الاجتماعية ووضع حد أدنى للأجور 1200 جنيه شهريا لأصغر عامل في الدولة، فكيف يكون مرتب رئيس الجمهورية 1000 جنيه فقط؟

ففي بدايات عام 1956 رفع جمال عبد الناصر الرئيس راتبه إلى 500 جنيه شهريا، وهو ضعف ما كان يتقاضاه الرئيس الأسبق محمد نجيب، مضافا إليه 125 جنيها بدل تمثيل، وكان يستقطع من هذا المبلغ 62 جنيها معاشات و4 جنيهات دمغة و89 جنيها لإيرادات الدولة، و48 جنيها تكاليف تأمين وحماية، و25 جنيها إيجار استراحة، وبعد كل هذه الاستقطاعات يتبقى للرئيس 397 جنيها فقط. وبعد مرور أكثر من نصف قرن، وتضاعف الأسعار عدة مرات بقي مرتب رئيس الجمهورية 1000جنيه شهريا

وفسر الأستاذ سعد ذلك العجب بأن رئيس الجمهورية حسني مبارك ذمته واسعة لدرجة أنه لم يعد في حاجة إلى مرتبه الشهري ولا يطالب بزيادة الأجر بل يكتفي بهتاف العمال له في كل مناسبة للاحتفال بعيد العمال ويهتفون له " المنحة يا ريّس" فيجيبهم بابتسامة عريضة، ويأمر مساعده بصرف منحة للعمال. أما هو فلم يعد بحاجة لتغيير القانون الذي ينظم مرتب رئيس الجمهورية أصلا لأن الميزانية تكون مفتوحة في حجره يأخذ كيفما شاء. وكما أفاد الجهاز المركزي للمحاسبات فيما بعد بأن مبارك عطل القانون الذي ينظم راتب رئيس الجمهورية ولم يكن في حاجة لتعديل هذا القانون وكان يتقاضي يخصم لنفسه 150 ألف جنيه شهريا أو كما أراد، فالأمر كان مفتوحا بالنسبة له..

كان الرجل ثوريا ومؤثرا في سامعيه بما لديه من كاريزما وفصاحة خطاب ولباقة لسان، ومعرفته الدقيقة ببواطن الأمور من الناحية القانونية والدستورية بحكم عمله كمحام وعضو البرلمان سابقا، وكان دوره عظيم على منصة الإذاعة خصوصا لأنه أول من قال لنا " ثورتكم هي أول ثورة بيضاء في التاريخ ".. وعادة الثورات الناجحة يؤيدها فئة من المثقفين يؤسسون لها وينظرون ويؤثرون في توجيه الرأي العام الوجهة الصحيحة كما سبق في تجربة الثورة الفرنسية..وكان الزحام شديدا أمام المنصة وخلفها حيث يقف الكثير من المثقفين والسياسيين ورموز الفكر والثقافة في انتظار دورهم لإلقاء كلمة، وتحدث الدكتور محمد سليم العوا وعرفنا بشخصه المتواضع، وتحدث عن

الحوار الدستوري في كثير من مواد الدستور المصري المعمول به منذ عام 1971 م، وما دخل عليه من تعديلات وترقيعات لأغراض معينة، وكان رائعا حينما تحدث عن ثورة يوليو 1952 م، وأنها لم تكن ثورة بل انقلابا عسكريا قام في الظلام وعلى حين غفلة من الشعب وحصل على مسمى"ثورة" خلال عام أطلقها الأديب طه حسين كنوع من المجاملة للضباط، وتمكنت من القضاء على النظام الملكي وإعلان الجمهورية وأسقطت الدستور..لكنها زرعت بذور الديكتاتورية التي ظلت تنموا إلى يومنا هذا حامية للفساد..

وتحدث بعد ذلك المستشار محمود الخضيري والدكتور محمد البلتاجي والمهندس ممدوح حمزة، وتبعه أحد رجال الأعمال الوطنيين ورفض ذكر اسمه وقال أنه يمتلك شركة سياحية وتحدث عن بعض ملفات الفساد السياسي والاقتصادي في مصر وطلب من الحضور أن يلقي قصيدة زجلية من أشعاره.. والغريب في هذا الرجل أن قصيدته كانت تندد بالفساد والثراء الفاحش والقمع والقهر والظلم والتجويع والفقر والمعدمين والمشردين وحتى أطفال الشوارع، والبطالة، والشباب العاطل وانجرافه في إدمان المخدرات.. وغطرسة ضباط الشرطة وصفقات المحاضر والتحريات الباطلة والتهم الملفقة.. وكأن هذا الرجل رغم كونه صاحب مال وأعمال، يعيش وسط الفقراء والبسطاء والمعدمين، يشعر بهم ومعاناتهم ويشخص آلامهم ويسمع صرخاتهم عن قرب، وهذا ما ألهب شعور الجماهير وكان كلما ألقى بيتا من قصيدته قاطعه الهتاف والصياح مطالبا بإعادته.. وعندما أنهى قصيدته طالبه الجمهور بإعادتها لكنه اعتذر كي يعطي الفرصة لآخرين يريدون الحديث.. وكم كان هذا الرجل عظيما بصوته العزب وكلماته البسيطة التي أكدت الألفة والتضامن بين طبقات الشعب المصري على اختلاف مستوياتها.

وتحدثت بعد ذلك أسماء محفوظ الناشطة في حركة 6 إبريل، وكانت مفوهة ولبقة في حديثها، رغم أنها رفضت ذكر اسمها أو حتى اسم الحركة السياسية التي تتبنى رؤيتها ، نظرا لأن الجميع اتفق على عدم الفئوية، وأن الثورة ثورة شعب، وكانت من بين القلائل الذين أشعلوا فتيل الثورة بالمسيرات الاحتجاجية في يوم الغضب 25 يناير الذي ولد ثورتنا هذه، وقالت لا يهمني ذكر الأسماء والمنظمات والحركات السياسية؛ فنحن هنا كل المصريين والجميع صوت واحد يهتف باسم مصر، ثم تحدثت عن المعارك السياسية التي كان يتعرض لها كل من ذهب إلى لجنة شؤون الأحزاب في المجلس، وكيف كانت تتم عملية غربلة الأحزاب وفق منظور فتحي سرور وصفوت الشريف، وكسر

أجنحة المعارضين وكل من يرفع صوته في سبيل الوطن والمصلحة العامة، وتحدثت عن العوار الدستوري فيما يخص النشاط السياسي وتنظيم الأحزاب، وكذا تحدثت عن اعتقالها أكثر من مرة والتحقيق معها معصوبة العينين وتلفيق التهم بقلب نظام الحكم والإضرار بالأمن العام بسبب اشتراكها في مسيرات ومظاهرات احتجاجية مناهضة للفساد.

حقيقة، وإن كان الشباب قد خططوا لإشعال فتيلٍ أدى فيما بعد إلى انفجار برميل من وقود، وهم الذين وضعوا الخطوات الأولى للثورة بأطراف أصابعهم على الفيسبوك وانتقلوا من الواقع الافتراضي إلى الواقع الحقيقي وفتحوا صدورهم أمام طلقات الرصاص الحيّ، إلا أن هؤلاء الرجال، من السياسيين وفقهاء القانون والدستور والمهتمين بالشأن العام، هم من أتموا بناء الثورة بفكرهم وثقافتهم وأخلاقهم وخطبهم الوطنية والحماسية الثورية في ميدان التحرير، هؤلاء هم من غرسوا الإصرار في قلوب الشباب وعلموهم كيف يحتضنوا أقلام التاريخ بين أناملهم ويسطروا آيات البطولة بدمائهم ويصنعوا مستقبل بلادهم بأيديهم..

أذكر في تلك الأثناء أن مجموعة من الشباب الناشطين قاموا بتشغيل دائرة تليفزيونية قرب منصة الإذاعة الرئيسية، حيث أحضر شاب جهاز تليفزيون من منزله ووضعه على (كابينة ميناتيل)، وقام آخر بسحب وصلة فضائية (كابل الدش) من بلكونة في العمارة المواجهة، وقاموا بتشغيله للوقوف على آخر الأخبار، فقد كنا منعزلين تماما عمّا يدور حولنا، ولا نعرف ما يُقال عنا، ولم تكن تصلنا الأخبار إلا عن طريق الوافدين إلى الميدان أو من خلال الصحف.. وبمجرد تشغيل التليفزيون زاد الزحام حوله وساد الصمت لكن صوته لم يكن يصل الجميع، فأحضر شاب مكبرا للصوت ووضعه أمام التليفزيون لينتقل الصوت إلى وسط الميدان، وكانت السلطات المصرية دائما تطارد قناة الجزيرة الإخبارية من خلال التشويش على الإرسال أو قطعه، فكان القائمون على القناة يغيرون تردداتها باستمرار، وصلنا أخيرا إلى ترددات القناة بعد محاولات عدة.. قرأنا في الشريط الإعلاني أسفل الشاشة أول خبر يقول : " الشباب في ميدان التحرير يخترعون دائرة كهربية لمشاهدة قناة الجزيرة ".

كان الليل قد انتصف وقلت أعداد المعتكفين في الميدان، فالكثيرون يذهبون إلى منازلهم إذا كانت قريبة ويعودون في الصباح، لكن الأغلبية فضلت قضاء الليل في الميدان لضمان استمراره منبرا للثورة، وتوزعت مجموعات من الشباب على مداخل ومخارج الميدان يودعون الخارجين بابتسامة لطيفة وينبهونهم إلى ضرورة حضورهم في الصباح للمشاركة في المسيرة المليونية ومنهم من رفع لافتة تقول " لا تنس المسيرة المليونية غدا ".

وخلف منصة الإذاعة الرئيسية، اجتمع شباب ائتلاف الثورة ليعقدوا جلستهم اليومية المعتادة لبحث الأوضاع ومناقشة المستجدات والاقتراحات وكيفية توجيه الثورة ودعمها في الغد وبعده، وما سيأتي من مراحل إذا تطلب الأمر.. وكان كثير من الشباب طلبوا من الائتلاف الانضمام إلى مجلسه لكن أعضاءه اعتذروا عن عدم زيادة العدد وقبول أعضاء جدد لعدم الاختلاف الأيديولوجي الذي قد يؤثر على الثورة رغم إخلاص نية الجميع واتحاد أهدافهم.. وكانت مهمتهم في هذه الليلة تنصب على تنظيم المسيرة المليونية غدا وإعداد وترتيب فقرات الإذاعة وكتابة مجموعة من اللافتات وطباعة لوحات أخرى تعبر عن المسيرة المليونية، وكيف سيكون التصعيد بعد، إذا لم تنجح المسيرة المليونية في جذب الجماهير..

كان الهدوء يسود الميدان وقلت الحركة وراح الصخب، الكثير منا قد استلقى على أرصفة الميدان في مراقد ارتجالية وبدون أغطية في كثير من الأحيان، والبعض سكن خيمته.. حاولت أن أبحث عن مكان للنوم لكن الأمر كان صعبا جدا في ظل برودة الجو القارصة في الليل، والحشائش في حديقة الميدان تساقطت عليها قطرات الندى فصار كل شيء رطبا ومبللا.. على أيٍ حال، طرحت جريدتي في حديقة الميدان وبدأت عيناي تستدعي النوم ، وكانت الإذاعة تواصل فقرتها الأخيرة " أمسية الطرب الوطنية " التي بدأت أولى أغنياتها بقصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي، حيث شدت السيدة أم كلثوم في مطلعها " وقف الخلق جميعا ينظرون كيف أبني قواعد المجد وحدي ".

وربما كانت هذه هي آخر المعاني التي طرقت أذني قبل أن أدخل في نوم خفيف.

وصلات خارجية

يوميات الثورة المصرية- 31 يناير – إنتاج

iFilms Media Production

https://www.youtube.com/watch?v=jXmqQ2h8JNQ



(11)
كيف غرّد المصريون حين انقطع الإنترنت[1]

لو نتذكر في الساعات الأولى من صباح يوم الثلاثاء 25 يناير حجبت الحكومة المصرية موقع التواصل الاجتماعي، تويتر(Twitter) ، وموقع البث المباشر بامبوزر (Bambuser) وفي مساء هذا اليوم قطعت تغطية شبكات المحمول بمحيط ميدان التحرير. وفي مساء اليوم التالي 26 يناير، عاد موقعي تويتر وبامبوزر للعمل بشكل محدود، وحجب موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، وأوقفت خدمات البلاك بيري. وفي مساءا لخميس ٢٧ يناير، قطعت خدمات الرسائل النصية القصيرة(SMS Services)،



وفي جمعة الغضب، 28 يناير تم وقف المكالمات الصوتية في شركات التليفون المحمول الثلاث، ووقف خطوط الهاتف الأرضية في بعض المناطق لمدة ساعات، وتوقفت جميع خدمات الإنترنت عدا تلك المرتبطة بمزود خدمة الإنترنت، شركة "نور"، وهو المزود الوحيد الذي لم يتم قطع خدمته، حيث نقلت الحكومة المصرية المعلومات المتعلقة بالتداول في البورصة والأوراق المالية وبعض العمليات الاقتصادية إليه، واستمر قطع تلك الخدمات ما بين الأيام 28 و31 يناير2011. وكذلك حجب خدمات القمر الصناعي(Satellite) [2].

وبعد يوم طويل من الهتاف والاعتصام في ميدان التحرير بالقاهرة، تركت الآنسة منى سيف الإسلام هذا الزخم الثوري واتجهت إلى شقة صديقتها التي تقع في شارع جانبي بحي الدقي..كانت الشقة مزدحمة بنشطاء وصحفيين مجتمعين في غرفة صغيرة أسموها: "مركز تويتر الثورة". وكان منزل

1ـ المقال - مع التصرف- منشور على مدونة - المنصة - بعنوان: المنصة تفتح صندوق الثورة الأسود: كيف غرد المصريون حين انقطع الإنترنت ، بقلم كلا من: نورا يونس ,المهدي بتاريخ 28 يناير 2016 https://almanassa.com/ar/story/940"

" والجزء الثاني من مقال منشور على ذات المدونة بعنوان: المنصة تفتح صندوق الثورة الأسود: اعترافات ووصايا ما قبل الموقعة ، بقلم:عزة مغازي ، بتاريخ: 30 يناير 2016 على الرابط التالي https://almanassa.com/ar/story/955

2ـ تقرير بعنوان: عزلة.. عن قطع الاتصالات أثناء ثورة يناير 2011 ، منشور على موقع حرية الفكر والتعبير، على الرابط التالي:
https://afteegypt.org/publications_org/2018/03/29/14918-afteegypt.html

صديقتها الصحفية الشابة الذي كان أحد نقاط الاتصال القليلة الباقية لمصر مع العالم الخارجي بين يومي 28 و31 يناير 2011، لكون صاحبة المنزل مشتركة عبر مزود خدمة الإنترنت "نور"، آخر شركة اتصال نفذت قرار الحكومة بقطع الإنترنت؛ بسبب نقل أعمال البورصة إليها. فكانت الشقة أشبه بسنترال للتواصل بين ما يحدث في ميدان التحرير والعالم الخارجي، وكانت تدوينات النشطاء المتواجدين فيها هي المصدر الأساسي لقنوات الجزيرة والبي بي سي..

كل ليلة كان النشطاء والصحفيون يتجمعون في منزلها، وينشرون على حساباتهم على موقع تويتر وهشتاج الثورة #Egypt #Jan25 ما التقطته عدساتهم من صور ومقاطع فيديو، ويكتبون في تغريدات ما لا يعلمه أحد عن جزيرة الثورة المنعزلة إعلاميا في قلب العاصمة بفعل "انقطاع خدمات الاتصال والإنترنت" في مصر.. كانت منى سيف (ابنة المناضل اليساري د.أحمد سيف الإسلام) خلال الأيام الثلاثة الماضية تتواصل هاتفيا مع صحفيين وإعلاميين بالخارج كي تنقل لهم طبيعة ما يحدث في مصر، وعشية جمعة الغضب بعد قطع الاتصالات؛ دفعها خوفها كما كل الشباب من وقوع مذبحة في الشوارع دون أن يعرف أحد عنها شيئا، وكان يتعين على منى اصطحاب أحد معارفها القادم من الخارج للمشاركة في جمعة الغضب، تصادف امتلاكه هاتف الثريا -شبكة اتصالات عبر الأقمار الصناعية- ، وفور معرفتها طلبت منه عدم المشاركة في التظاهر والتواجد عوضًا عن ذلك في مكان ثابت وبجوار هاتف أرضي لاستقبال الأخبار ونقلها للعالم الخارجي، أعدت منى نسخ عديدة لرقم الهاتف الأرضي استعدادًا لنشرها، وكتبت "للتواصل الإعلامي أو لتغطية أحداث الثورة اتصلوا برقم ... واطلبوا منه..." وعلقتها للمعتصمين بالميدان.. لكن بمرور الوقت لم يستطع الشاب الصمود بجوار الهاتف وقرر النزول للمشاركة في الاعتصامات في ميدان التحرير، تقول منى أنه خلال الساعات الأولى كانت الأحداث أسرع وأعنف من أن توجد أي مساحة لمحاولة الإبلاغ بما يحدث وتوثيقه. ودفعها الخوف على الثورة إلى استعارة خط الهاتف الدولي، اتصلت من خلاله بكل الأرقام الدولية للصحفيين الذين حاولوا التواصل معها خلال الأيام الثلاثة الأولى للثورة، كما تقول "كنت عاوزة أقولهم يتصرفوا بأي شكل، يغطوا أخبارنا ويوصلوا صوتنا للعالم."

كان المصريون في القاهرة يبحثون عن خيط يوصل صوتهم للعالم قبل أن يصمت صوت الثورة إلى الأبد ويتم ذبح المعتصمين بميدان التحرير في جنح الظلام .. وفي النصف الآخر من العالم كان مصريون يتوقون لمعرفة أخبار رفاقهم في ميدان التحرير.. يريدون للعالم أن يسمع صوت الثورة قبل أن تنطفئ

إلى الأبد.. وبدأت رحلة التغريدات الصوتية بجهدٍ وعرقٍ وإصرار متواصل في شقة متواضعة فوق تلة في قرية بمدينة زيورخ بسويسرا.. وسط الطبيعة الهادئة للبلاد، كان المبرمج المصري الشاب عبد الكريم ماارديني يتنقل بين شاشتي التليفزيون واللابتوب، متابعا أخبار الثورة في مصر، حالما هو وزوجته أن يعودوا بأولادهم لمصر وهي وطن ديمقراطي متحضر، وظل مترددا في اتخاذ قرار العودة إلى مصر التي تركها في 2009؛ حين التحق بوظيفة مدير منتجات شركة جوجل في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. (وهي ذات الوظيفة التي يعمل بها صديقه وائل غنيم الثورة).. تردد مارديني في اتخاذ قرار العودة لمصر وتدخل قلق زوجته ميراندا بشارة؛ لحسم قراره لصالح الانتظار وعدم العودة.. خاصة بعد اختفاء صديقه وزميله في العمل وائل غنيم، وعدم قدرة أي شخص أو جهة الوصول لأية معلومة عنه.

عبد الكريم مارديني مثل العديد من المصريين الذين حالت الحدود الجغرافية دون مشاركتهم في الثورة، كانت شبكة الإنترنت هي وسيلة عبد الكريم وزوجته ميراندا في ملاحقة الأحداث المتسارعة في مصر والتفاعل معها.. وكان وائل غنيم هو الآخر خارج مصر، لكنه كان منشغلا بالشأن الداخلي مع رفاقه، فأنشأ صفحة " كلنا خالد سعيد" وتولاها رفاقه بالرعاية والدعوة إلى الثورة والحشد لها، لكن وائل غادر دبي على متن الطائرة قبل اندلاع الثورة في 25 يناير ليشارك رفاقه على أرض الواقع، ويساهم بالدعم عن قرب، فاعتقلته قوات الأمن يوم الخميس 27 يناير وقطعت خدمات الإنترنت تماما في ذات اليوم.. لكن الثورة لم تتوقف، استمرت أفواه الملايين تصرخ في الشوارع في جمعة الغضب، وظهر خلف وائل غنيم جنود آخرون خلف الحدود الجغرافية أكملوا مسيرة الشعب، وحاولوا قدر جهدهم التغلب على عقبة انقطاع الإنترنت، ليس فقط عبد الكريم مارديني الذي سهر وزوجته ليالٍ طويلة لتطوير تقنية تمكن المصريين من التغريد عبر الفضاء العالمي .. كان هناك جنود آخرين كُثر..

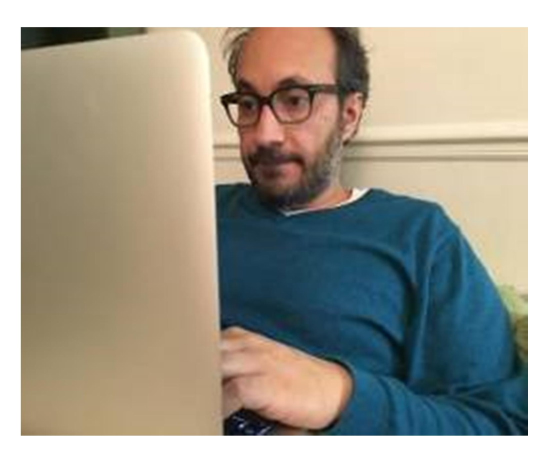
"الإنترنت هيقطع بالليل".. بدأ هذا الخبر في الانتشار يوم الخميس 27 يناير، ومع هذا لم يتوقع أحد انقطاع الخدمة بشكل تام، فالنشطاء الذين ظنوا أن الحكومة ستكتفي بحجب مواقع الشبكات الاجتماعية، تبادلوا برامج " البروكسي proxy) تمكنهم من تخطي الحجب. ولم يكن المبرمج الشاب عبد الكريم مارديني بعيدا عن أجواء التظاهر والاحتجاج، فيقول: "لم أكن شابا مصريا عاديا منفصل عن الحياة السياسية أو ممن حركتهم الثورة".فقبل انتقاله للعيش في مدينة زيورخ

بسويسرا،كان الغزو الأمريكي للعراق بمثابة نقطة تحول جذرية في وعيه السياسي، شارك بعدها في عدة فعاليات احتجاجية ضد النظام المصري. وبعد ظهور حركة "كفاية"؛ شارك في مظاهراتها السياسية ضد التوريث والتمديد عام 2005.

وكغيره من المبرمجين الشباب المنخرطين في الحراك السياسي، انضم مارديني لمجموعة النشطاء الداعمين للبرمجيات الحرة والمصادر المفتوحة" لينكس"، التي جعلته على اتصال بمن صاروا لاحقا في الصفوف الأولي للثورة المصرية، ومنهم المبرمج والمدون الأشهر :علاء عبد الفتاح .وعندما بدأ عبد الكريم مارديني بالعمل في "جوجل"؛ كان زميله هو وائل غنيم، الذي شغل وقتها منصب مدير تسويق منتجات جوجل في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ولاحقا أسس غنيم مع صديقه الصحفي والمدون الشاب عبد الرحمن منصور صفحة" كلنا خالد سعيد "الداعية لتظاهرات الخامس والعشرين من يناير.

حتى صباح جمعة الغضب 28 يناير، كان مارديني واحدا من آلاف المصريين بالخارج الذين حلموا بالتغيير؛ وحينما جاء وقته لم يكن في استطاعه أكثر من المتابعة بحماس، والتضامن، ومشاركة الأصدقاء في مصر، عبر فيسبوك وتويتر، والبرامج البديلة التي تمكنهم من التحايل على الحظر المتوقع على بعض المواقع الإلكترونية. ولكن 11 رسالة تلقاها صندوق الرسائل الصوتية لهاتفه؛ أنذرته بأن الوضع في مصر يزداد سوءا، وأن الأمور لن تقف عند حجب بعض المواقع للسيطرة على عمليات الحشد. وإحدى هذه الرسائل قالت: "بكرة هيبقي يوم تقيل"، وانتهت بعبارة: "ابقى اسأل علينا."

الرسالة التي وصلت إلى بريد مارديني فجر يوم الثامن والعشرين من يناير، قبل دقائق من انقطاع خدمات الهواتف المحمولة، أخبره فيها صديقه رجل الأعمال القاهري غير المهتم بالسياسة؛ أنه بات شبه مؤكد، وفقا لمعلومة تلقاها من أحد معارفه بإحدى شركات الاتصالات الكبرى، أن الحكومة لن تكتفي بقطع الإنترنت؛ بل سيشمل المنع الهواتف المحمولة. وبالفعل انقطع الاتصال بمصر بعد هذه المكالمة بقليل. قلقه على أسرته وأصدقائه، حال دون ذهابه إلى العمل، قامت زوجته ميراندا بتوصيل طفليهما إلى المدرسة، بينما تصارعت أفكاره مرة أخرى حول ضرورة حجز تذكرة طيران عائدا إلى مصر.



وفي مساء جمعة الغضب، انتشر على شبكة الإنترنت الدولية والقنوات الفضائية الفيديو الشهير "معركة قصر النيل"، الذي وثق زحف المتظاهرين إلى ميدان التحرير، وصمودهم في مواجهة التسليح العارم لقوات وزارة الداخلية. فكر مارديني أثناء مشاهدته للمتظاهرين الذين تصدوا بأجسادهم لمدرعات الأمن المركزي. وعلى الفور، حاول الاطمئنان على والدته وشقيقته من خلال الهاتف الأرضي. ومن هنا جاءته فكرة أن يصل الخط الأرضي بشبكة الإنترنت، بعد حجب الحكومة المصرية شبكات اتصال الهاتف المحمول والإنترنت، ربما يمكن بهذا تحويل المكالمات إلى تسجيلات صالحة للنشر على الإنترنت في صيغة تدوينات صوتية أو مكتوبة، يمكن بثها لاحقا عبر شبكة تواصل اجتماعي تحظى بالمتابعة الواسعة دوليا مثل تويتر.

وفي صباح الجمعة 28 يناير، من سويسرا ، قرر مارديني الاتصال بصديقه ستيف كروسن في كاليفورنيا للاستعانة بخبراته في تطوير الفكرة، فقد التقيا قبل سنوات من زمالتهما في جوجل. التقى الصديقان في القاهرة حيث كان كروسن في زيارة لمصر . يعرف مارديني شغف زميله الإنجليزي بأحوال الشرق الأوسط، وتعاطفه مع القضية الفلسطينية. مما شجعه على طلب مساعدته في تحويل الفكرة إلى واقع من خلال استغلال علاقته بشركة تويتر في الولايات المتحدة.

فاجأ كروسن صديقه المصريمارديني بخبر شراء شركة جوجل مؤخرا، شركة اسمها SayNow، وأخبره أن الأخيرة تملك البنية التحتية اللازمة لتنفيذ فكرته. فالشركة كانت توفر نحو 50 رقم تليفون أرضي حول العالم، كخطوط ساخنة ، تمَكّن المتصل من بث رسالة صوتية على الموقع، ليتمكن الطرف المرسل إليه من الاطلاع عليها. مما يعني وجود وسيلة جاهزة لتلقي المكالمات الهاتفية في شكل تدوينات صوتية بالفعل. أو بصورة أبسط؛ قناة اتصال ساخنة بين الهاتف والشبكة العنكبوتية دون الحاجة لوجود خدمة الإنترنت على الهاتف، وهذا ما يمكن المصريين من التغلب على عقبة انقطاع الإنترنت وبث رسائلهم على الشبكة، وفي ذات الوقت يمكن المصريين بالخارج ووكالات الأنباء العالمية من متابعة أحوال الثورة المصرية.

وسرعان ما تحولت المحادثة الثنائية بين مارديني وستيف كروسن إلى محادثة ثلاثية الأطراف بعد أن دعا كروسن صديقه "أجوال سينج" المسئول عن الجانب التقني ومؤسس شركة SayNow. للدخول على الخط .. وبدأت الفكرة تتبلور في أذهانهم حول استقبال "تغريدات" صوتية عبر هواتف أرضية من مصر، ونشرها كملفات صوتية تظهر روابطها تلقائيا على حساب speak2tweet على موقع تويتر. أوشكت الفكرة على النجاح وتحقيق الهدف، وكادت صفحة speak2tweet أن تحل محل هاشتاج الثورة #Egypt Jan25 على موقع تويتر.. ما جعل مارديني يحتل غرفة ابنته ليجلس على مكتبها الصغير أمام الحاسب الآلي لأيام وليالٍ متواصلة يساهم مع أبطال آخرين في صنع التاريخ من داخل غرفة ابنته.. بينما كانت زوجته ميراندا توافيه بأكواب القهوة وأخبار الثورة من أمام التلفزيون بعد أن اطمأنت لنوم الطفلين.

مع تبلور الفكرة، ظهرت عوائق أمام تنفيذها. أولها عدم توفر خط أرضي في مصر يعمل على موقعSayNow، لذا قرروا استخدام أقرب البدائل للتجربة، فكانت الخطوط الأولى من الموجودة في البحرين وإيطاليا وانجلترا.

وعادت الآنسة منى سيف لتقول: "ارتباط الخدمة بخط أرضي دولي كان عائقا أمام انتشارها بين معتصمي الميدان". وهو ما حاول مارديني أن يتغلب عليه لاحقا بالحصول على رقم مصري أرضي ولكنه فشل. فاتصل مارديني بأصدقاء داخل جهاز تنظيم الاتصالات بالقاهرة، وداخل شركات الاتصالات الكبرى، ولكن الجميع أبدوا مخاوفهم من النظام وقالوا إن هذا سيجلب معه عواقب أمنية غير محسوبة، وأنه بإمكان الحكومة إلغاء الخط بسهولة شديدة..ولم يكن غياب هاتف أرضي مصري يتيح الخدمة هو العائق الوحيد أمام بدء التفعيل؛ العائق الثاني تمثل في خوف مارديني وزملائه من أن توسع الحكومة المصرية من حظرها للاتصالات؛ كي يشمل الهواتف الأرضية كذلك.. وأطلق هذا التخوف نقاشًا بين فريق العمل الذي تشكل منذ ساعات، لكنهم انتهوا لمتابعة العمل نظرًا لضعف احتمال لجوء الحكومة المصرية لذلك التصرف الذي يهدد الدولة بالشلل؛ لأن أجهزة الدولة الرسمية ورموز نظامها لن يمكنهم التواصل مع بعضهم إذا انقطعت خدمة الخط الأرضي.

وأما العقبة الثالثة، فكان هو الخوف من أن تنتهي المظاهرات سريعًا، وينتهي معها الاحتياج لتلك الخدمة الجديدة، ولكن مشهد عبور المتظاهرين كوبري قصر النيل، ترك في نفس عبد الكريم

مارديني يقينا بأن الانتفاضة التي اندلعت ستستمر ولن تتوقف، وما أكد هذا اليقين لديه هو مشهد انسحاب الشرطة مساء الجمعة، وتشكيل اللجان الشعبية بسرعة.. لكن ما زالت خدمة الانترنت غائبة، ولا توجد وسيلة يعرف بها العالم ما حدث في ذلك اليوم-الذي توقع الجميع أن يكون عاصفا- سوى شاشات التليفزيون التي تبث أخبارا عن انسحاب كامل للشرطة، ومواجهات مسلحة في الأقسام، ثم فتح السجون وهروب المساجين، وأنباء عن سرقة ونهب للأحياء السكنية، وحالة عامة من الفزع أصابت الشعب تغذيها حملة شرسة من إعلام النظام. وأنباء أخرى عن اقتحام مقر قناة الجزيرة بالقاهرة ومصادرة أجهزتها واعتقال مدير مكتبها وسحب تراخيص عملها بمصر، وهو ما يهدد الثوار في ميدان التحرير بكارثة قد تحدث لهم في ظل هذا التعتيم الإعلامي الكامل..

تساءل فريق مارديني" كيف سيعرف المصريون بوجودنا؟" وكيف نعرف تحت أخبارهم؟ كان هذا أول تساؤل وقف عنده الفريق بعد الانتهاء من اختبار الخدمة على الخطوط الجديدة من كاليفورنيا وزيورخ. وبناء عليه؛ اتصل مارديني ظهر السبت 29 يناير على الخط الأرضي بأحد أصدقائه المصريين، لاختبار الخدمة الجديدة.. رفع عبد الكريم مارديني سماعة هاتفه الأرضي من مدينة زيورخ حيث يعمل، واتصل برقم دولي ليبعث برسالته الأولى إلى العالم قائلا : "أنا عبد الكريم مارديني.. بجرب يا شعب مصر العظيم."

وعلى الجانب الآخر، في القاهرة..كان مركز هشام مبارك للقانون (الذي أسسه المناضل د.أحمد سيف الإسلام) بمثابة مقرا لجبهة الدفاع عن متظاهري مصر ومركزا للدعم اللوجستي للثورة في التحرير، ومن خلال الهاتف الأرضي الخاص بالمركز كان أعضاء الجبهة يصلهم أسماء المعتقلين خلال التظاهرات وأماكن تواجدهم ويجلس شبكة من المحامين يعدون حصرا بحصيلة الأحداث يتم نقله إلى شقة الدقي عن طريق الهاتف الأرضي أو من خلال زيارات يومية لمركز هشام مبارك استعدادا لنشره وإرساله للجهات الإعلامية الدولية.

ولم يتوقف رنين الهاتف منذ صباح السبت 29 يناير.. تحولت شقة الدقي تلقائيا إلى غرفة عمليات تستقبل أعداد الجرحى والقتلى من محيط وزارة الداخلية، وكذا الأخبار والمعلومات من محافظات أخرى. تتذكر منى، "أكتر حاجة فاكراها هي وصف الناس اللي بتتقتل حولين وزارة الداخلية

كأنهم بيصطادوهم لأن كان كل شوية حد يتصل ويبقى في هلع.. طخوا واحد طخوا واحد.. أو حد يقول "عربية جت ورمت جثة واحد".

اخترقت منى زحام الصحفيين والنشطاء بالشقة، لتدخل إلى غرفة جانبية وتغلق الباب خلفها. ثم تتصل من الهاتف الأرضي المزود بالخدمة الدولية على رقم (0069149140561)، وبمجرد أن وضعت السماعة على أذنها فوجئت برسالة صوتية مسجلة تقول" :علي صوتك يا مصري.. لسماع تويت صوتي اضغط الرقم 1، لتسجيل تويت صوتي اضغط الرقم (2)..

وكانت هذه الرسالة الصوتية هي أول تغريدة خارج السرب أطلقها عبد الكريم مارديني عندما انقطع الانترنت في مصر.. كبست منى بإصبعها الرقم 2 وبصوت يملؤه التفاؤل والهدوء قالت: "أنا منى سيف من القاهرة، أريد للعالم أن يعرف أننا انقطعنا عن الإنترنت"..ثم تركت رسالتها المطمئنة لأخيها علاء. وبعد ذلك استمرت تغريدات منى وكأنها لم تنقطع عن الإنترنت برغم أنه انقطع فعلا.. وفي ذات الوقت على بعد ستة آلاف كيلومتر جنوبا، كان شقيقها علاء عبد الفتاح في مدينة بريتوريا بجنوب أفريقيا يتصل بنفس الرقم الدولي كي يستمع إلى تغريدة شقيقته الصغرى منى ويترك هو الآخر تغريدة صوتية عن مصر ليسمعها جميع سكان العالم.

انتشرت هذه التغريدة الصوتية على خطوط الهواتف الأرضية وعبرت منها إلى شاشات الفضائيات، كي يتمكن كل مصري ومصرية من التغريد عبر هاتفه الأرضي إلى العالم.. وكان الصحفيون والإعلاميون من كل بقاع العالم ينصتون بتركيزٍ شديد لتلك الرسائل والتغريدات الصوتية ويقومون برفعها لوكالات الأنباء لتحتل عناوين الأخبار في الصحف والقنوات..

ومع الفارق الزمني بين كاليفورنيا وزيورخ الذي يبلغ عشر ساعات، وهو ما يجعل أحد طرفي فريق عمل مارديني يعمل بالليل والآخر بالنهار.. واصل فريق العمل الصغير ليل الجمعة بنهار السبت، للحصول على خطوط وأرقام الهواتف المطلوبة. واستمر كروسن في التواصل مع أحد مسئولي تويتر، للحصول على استثناء لفتح قناة بالموقع لاستقبال روابط أوتوماتيكية للرسائل الصوتية التي سيتم استقبالها من خطوط الهواتف على موقع SayNow ثم يتم نقلها إلى موقع تويتر حيث يتم تفريغها كتابة وترجمة محتواها إلى كل لغات العالم.. بينما انشغل مارديني بصياغة الرسالة الصوتية

المسجلة التي سيسمعها المتصل بأرقام الهواتف المخصصة، ليطلق هديرا من التغريدات الصوتية مثل التي سمعتها منى على هاتف صديقتها في شقة الدقي.

إلى هنا وقد اكتملت الفكرة ، بعدما جاءت المبادرة من أفراد الفريق الذين صاغوها وعملوا عليها بجهودهم الفردية، دون أن تتدخل الشركتان الكبريان جوجل وتويتر بشكل مباشر؛ مما جعل الخدمة الجديدة تفتقر للقدرات الدعائية للشركتين، وعرف العالم بوجود الخدمة لأول مرة - يوم 30 يناير- عبر تغريدة على حساب مارديني الشخصي على تويتر، الذي كان يتابعه عدد محدود نسبيًا من الأصدقاء في مصر، وبعض زملاء العمل. ولكن المفاجأة أن هاشتاج الثورة #Jan25 حمل التغريدة إلى كل المصريين. يقول عبد الكريم: "راجعت التغريدة التي صارت الآن تاريخية، ووجدت أنني كتبتها بخطأ لغوي ولم انتبه لذلك أبدا. هذا يذكرني بالإيقاع اللاهث الذي كنا نعمل به."

mardinix@mardinix:
FINALLY! VOICE-TO-TWEET. PLS DISSEMINATE to in Egypt Call +16504194196 or +390662207294 to leave a tweet and hear tweets. #Jan25#Egypt
3:30 PM – Jan 30, 2011

وفي مساء ذات اليوم، الأحد 30 يناير 2011 ، عادت منى سيف من ميدان التحرير إلى منزل صديقتها الصحفية الشابة، حيث يجتمع رفاقها في الميدان وصحفيين ونشطاء للتواصل مع العالم، من خلال "غرفة تويتر الثورة " ، وبعيدا عن الغرف الممتلئة بصخب رفاق التحرير، وأثناء متابعتهم لنشرات القنوات التليفزيونية التي تقتبس من تغريداتهم، دخلت منى إحدى غرف النوم وأغلقت الباب، واتصلت من خلال هاتفٍ أرضي بخدمة Speak2tweet، لتسجل رسالتين إحداهما بالعربية لطمأنة أخيها علاء عبد الفتاح، الذي كان يقيم مع أسرته في ذلك الوقت في جنوب إفريقيا، وأما الرسالة الأخرى فكانت باللغة الإنجليزية"... قالت" المرة دي أنا عارفه أنا هعمل إيه.. أنا هروح ميدان التحرير.. المسيرة المليونية"، هكذا اختتمت منى رسالتها الصوتية على الهاتف مساء الثلاثين من يناير. وفي ذات الوقت، كان علاء في جنوب إفريقيا يستمع إلى رسالة شقيقته. كان هذا آخر اتصال بينهما؛ قبل أن يلتقيا بعدها بيومين في الميدان، حينما كانت الجمال والحمير تقتحم ميدان التحرير..

وخلا ثلاثة أيام من العمل المتواصل دون نوم أو راحة، بعدما انتشرت أرقام الخدمة في ميدان التحرير، بدأت مكالمات الميدان في التوارد على الهواتف المخصصة، لكن مارديني وفريقه واجهوا

مشكلة أخرى؛ تتلخص في أن خدمته هدفها نقل رسائل المصريين إلى العالم، وأغلبهم لا يتحدثون العربية، بينما يبث المصريين رسائلهم باللغة العربية، ومجرد استفادة المصرين والعرب بالخارج من الخدمة غير كافٍ في نظر مارديني لدعم الثورة المصرية عالميا.. ومن هنا بدأت تظهر عقبة أخرى للتواصل، ففكر الفريق فورا في حلحلة هذه المشكلة.

وفي توقيت متزامن، في الجانب الآخر من العالم، على بعد آلاف الأميال، كان الشاب الأمريكي برايان كونلي يقود سيارته التي تقل عائلته من ولاية فلوريدا، متجها إلى ولاية أوريجون على الساحل الغربي للولايات المتحدة، حيث سينتقلون للمعيشة هناك. كان برايان مشتتا أثناء القيادة وهو يتابع الأخبار الواردة عن مصر، وأقنع برايان زوجته أن يتوقفا لثلاثة أيام في منتصف الطريق، يقضياها في منزل والدها في ولاية أريزونا حتى يتسنى له متابعة أخبار الثورة عن كثب، وأخبار حجب الاتصالات. وخلال تلك الأيام الثلاثة، تواصل فريق ماررديني عبر الإنترنت مع برايان الذي أبدى استعداده وحماسه للتعاون الإنساني والانضمام إلى الفريق الذي سيستفيد من خبراته في نقل أصوات المصريين إلى الخارج وبثها عبر تويتر وشاشات الإعلام بكل لغات العالم.

وبرايان هو أحد المؤسسين لمنظمة إعلامية مهتمة بصحافة الفيديو في مناطق النزاع، تدعى أخبار العالم الصغيرsmall world news ، وهي أقرب الشبه بحركة رصد الإخبارية التي أسسها الشباب المصريون لدعم الثورة، وحسابه على تويتر إلى يومنا هذا يدعى brianbaghdad، بسبب شغفه الصحفي بنقل أصوات الناس بعد الغزو الأمريكي للعراق، الذي دفعه للسفر لبغداد، ونقل أصوات العراقيين وقت الغزو.

وكان برايان يعمل على تأسيس موقع إلكتروني بغرض التغلب على ضعف إمكانيات الأرشفة والبحث المتقدم في تويتر، وقد أتم تأسيسه وحصل على اسمه www.alive.in، وكان ذلك قبل اندلاع الثورة المصرية بقليل. وفي يوم 30 يناير 2011، بعدما نشر عبد الكريم ماررديني تغريدته القصيرة على تويتر الداعية لاستخدامSpeak2tweet، اقتنع برايان أن هذا هو الاستخدام العملي الأمثل لموقعه الجديد، وقام بإنشاء صفحة خاصة على الموقع لتغريدات حساب تويتر الذي ينشر رسائل المصريين الصوتية، كي يتم أرشفتها وتسهيل البحث النصي فيها. ولم يمض وقت طويل حتى قام شخص لا يعرفه برايان يدعى حبيب حداد بتقديمه إلى ستيف كروسن، الذي عرفه بدوره على عبد الكريم ماررديني.

يقول برايان: "اتصالي بالمجموعة التي تعمل على speak2tweet قصة معقدة، ولكن هكذا يعمل عالم الانترنت المتشابك."

ويقول برايان: " فكرت في معضلة كون الملايين من الناس لن يتمكنوا من معرفة ما يحدث في مصر، لأن المصريين يبثون رسائلهم باللغة العربية وعلينا ترجمة هذه الرسائل الصوتية من العربية إلي الإنجليزية". وأطلق برايان دعوة علي تويتر طلب فيها مترجمين متطوعين، للمشاركة في تحويل الملفات الصوتية إلى نصوص مكتوبة باللغة الإنجليزية. ثم أسس مجموعة مغلقة على فيسبوك للمتطوعين.

وبحلول يوم الإثنين 31 يناير؛ وبينما كان مارديني يعمل على تطوير تقني للخدمة بحيث يمكنها من تحديد الموقع الجغرافي للمتصل من خلال الرقم الذي يتصل منه، لإضافة بلد المتصل تلقائيا بالرابط المنشور للمكالمة على حساب الخدمة على تويتر؛ كان برايان يتواصل مع ثلاث مجموعات شكلت نواة المترجمين المتطوعين من ثلاث مؤسسات؛ ميدان، ويمليومؤسسته هو small world's news. يقول برايان: "كان هذا المشروع مثالا حيًا علي كيفية استغلال الإنترنت للتعاون بين الناس، لتحقيق أفضل نتيجة ممكنة دون وجود أحد يفرض عليهم أوامر وتعليمات."

يقول آرون هسليج، أحد المشاركين في تنسيق المتطوعين، في شهادته المنشورة عن التجربة: "سبب نجاح Alive in Egypt هو أننا فكرنا في المحتوى والأشخاص قبل التفكير في التقنية وتفاصيل التطبيق. فمهما كانت جودة الأدوات؛ ظلت التقنية بها قصور. وساعدنا قصور تلك الأدوات على التواصل والتقارب مع بعضنا البعض كفريق وعلى حل المشكلات بسرعة وبطرق مختلفة."

وعبر خدمة ملفات جوجل المشتركةGoogle docs، كان 1400 متطوع يعملون سويًا على ملف تشاركي لترجمة أصوات المصريين، التي حملتها أكثر من 1000 رسالة صوتية تلقتها خدمة Speak2tweet. ، وتابع برايان هذا الفريق بعدما كلف ثلاث سيدات مصريات بإدارة المتطوعين الذين كرسوا وقتهم للمشروع. ومن بين الفريق الضخم تم تقسيم العمل بين تفريغ المكالمات وترجمتها، وبلغ عدد المترجمين المتفرغين 200 مترجم، إلى جانب المساهمين الآخرين.

وفي شهادتها المنشورة على مدونة ميدان تقول نور العلي، إحدى المترجمات المتطوعات: "كان الأمر تلقائيا، بلا مجهود يذكر، وكان جميلا. كنا نعمل باستخدام أدوات غير معتادة للترجمة: سكايب، وثائق جوجل، تويتر، وفيسبوك.. بهدوء وثبات. وبعدما بدأنا العمل، انضم إلينا متطوعون للترجمة إلى عدة لغات: العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الهولندية، حتى اللغة الأردية."

"فيديو من إعداد موقع The Next Web يظهر عمل أكثر من 1400 مترجم متطوع على نفس وثيقة جوجل في نفس اللحظة للترجمة إلى عدة لغات وإيصال صوت المصريين للعالم"

Volunteers translate Egyptian protesters' phone messages into tweets from The Next Web on Vimeo.: https://vimeo.com/19421428

في تلك الأثناء، قررت جوجل وتويتر أن تصدرا بيانا مشتركًا يعلن عن وجود الخدمة التي أطلقها عبد الكريم مارديني، دون أن تتبناها الشركتان. فكتب مارديني وسينج البيان الصحفي الوحيد المنشور على مدونة أخبار جوجل بتاريخ 31 يناير. وبعدها بدأت وسائل الإعلام الدولية تهتم بتغطية الحدث، وإن أظهر معظمها أن جوجل وتويتر هما من أطلقا المبادرة، التي أطلقها وعمل عليها أفراد مساندون للثورة في ذلك الوقت. وتشير الحالة المتواضعة التي تبدو عليها الصفحة الحاوية لنتاج هذه المبادرة، بعدم وقوف الشركتين الكبريين خلف الخدمة، بكل ما تملكان من قدرات تقنية.

وعلى الجانب الآخر من الخليج العربي، كان الصديق الثالث لوائل غنيم ومارديني وهو المهندس "نجيب جرار" وقتها مقيمًا في دبي، حيث يعمل في تسويق منتجات جوجل في الشرق الأوسط، وكان زميلا وصديقا لوائل غنيم، ويتابع مع مارديني لحظة بلحظة تطور فكرة بث المكالمات الصوتية عبر تويتر.. وجاء اختفاء صديقه وزميله وائل غنيم دافعًا قويًا لديه للبحث في كافة الأخبار المتعلقة بالثورة، وعندما انقطعت خدمات الإنترنت، وجدها أسوأ قرار أقدم عليه نظام الرئيس مبارك. يقول جرار: "كنت أتحدث مع عبد الكريم عدة مرات في اليوم، فهو صديق شخصي لي، وكنت متابعًا لـ speak2tweet منذ أن كان فكرة، وحتى جرى اختباره ووجدناه يعمل جيدا.

ويضيف نجيب جرار: "استغرق الأمر ثلاث ساعات للتفكير في " كيف يمكننا أن نعرف الناس في مصر بوجود هذه الخدمة، بينما انقطعت عنهم خدمات الرسائل النصية والإنترنت؟" ، وهو ذات السؤال

الذي حيّر مارديني وستيف كروسَن، لكن نجيب كان على اتصال شخصي بأصدقاء يعملون في قنوات العربية والجزيرة، وهنا جاءت فكرة التليفزيون، وبعدما أصدرت شركة جوجل بيانا يحث الإعلام على الكتابة والنشر عن الموضوع. ظهرت ضرورة اختيار القنوات الأكثر مشاهدة للمصريين وقتها.. وبالفعل تم نشر البيان الذي صاغه عبد الكريم مارديني واتصل نجيب بوسائل إعلام عديدة ذكر منها قنوات الجزيرة والعربية والسي إن إن العربية، والتليفزيون الفرنسي، والإذاعات الأمريكية ووكالات الأنباء الأردنية والمصرية. وحين اتصل نجيب جرار بالإعلام، كان عليه أن ينفق بعض الوقت في شرح التقنية للإعلاميين "كان الأمر غريبًا عليهم. ولكن بعد شرح الخطوات التي على المتصل أن يقوم بها؛ أعجبوا بالفكرة وبساطة تنفيذها." وبهذا لم تمض ساعات قليلة على نشر تغريدة مارديني؛ حتى كانت أرقام الهواتف الأرضية تحتل مكانا دائمًا على شريطي الأخبار في الفضائيتين الأكثر متابعة لدى المصريين والعرب. يقول جرار: "كنا نتابع الأحداث لحظة بلحظة، ونتحدث سويًا ونحاول أن نطمئن على أصدقائنا في مصر."

وتلقت الخدمة خلال الأيام الأولى طوفانا من مكالمات المصريين المغتربين، خاصة المقيمين باستراليا والسعودية وكندا والولايات المتحدة، ممن تتوفر لديهم بالفعل خدمات الإنترنت. يعلق مارديني: "الغرض من الخدمة في البداية، لم يكن مفهومًا للبعض. كانت الرسائل أشبه بمكالمات المشاهدين في برامج التوك شو". فالخدمة التي تتيح إمكانية الاستماع إلى رسائل المتصلين الآخرين، أصبحت وسيلة المصريين بالخارج لإظهار دعمهم النفسي للمتظاهرين في التحرير. وفي صباح يوم الاثنين 31 يناير، ومع انتشار خبر تفعيل الخدمة؛ تدفقت المكالمات، معظمها من مصريين بالخارج أو أجانب متضامنين مع الثورة. وهو ما كاد أن يبتعد بالمبادرة عن تحقيق هدفها الأصلي بإسماع صوت المتظاهرين والمواطنين المحرومين من الإنترنت داخل مصر. ولكن اختلف الأمر، عندما التقط بعض المتظاهرين تلك الأرقام من شريطي أخبار الجزيرة والعربية، ونقلوها إلى لافتات استقبلتها أعمدة الإضاءة بميدان التحرير.. وتلقت الخطوط الدولية التي أعلن عنها مارديني أكثر من 1000 مكالمة

مسجلة [1]، مما يصعب معه تصور كم المكالمات التي يمكن استقبالها لو تمت إتاحة أرقام اتصال محلية.

وأثناء مشاركتها في اعتصام التحرير يوم 30 يناير شاهدت منى سيف لافتة يحملها متظاهر يجول الاعتصام، كتب عليها أرقام الهاتف الدولي، مشجعا المعتصمين على تسجيل رسالة صوتية وإرسالها مجمعة إلي الخدمة، بغرض كسر الصمت الذي فرضته الحكومة على المحتجين بإقدامها على قطع الإنترنت. حدث ذلك بعد ساعات من انتشار تغريدة مارديني عن الخدمة، ووصول الأرقام إلى شريط أخبار قناة الجزيرة الفضائية. وبعدها، أصبحت الخدمة معروفة في ميدان التحرير، يتذكر مارديني بفخر قول أحد أصدقائه: "الرقم كان مكتوبا على لافتات معلقة على عواميد النور بالميدان."

"أنا عبد الكريم مارديني.. بجرب يا شعب مصر العظيم."بهذه الكلمات، انطلق صوت المبرمج المصري الشاب عبد الكريم مارديني من سويسرا ليعلن تضمانه مع شباب مصر الثائر، ويثور هو الآخر على طريقته، لتنفجر قريحته بحلول غير اعتيادية، في محاولة للتغلب على عقبة انقطاع خدمة الاتصالات والإنترنت التي حاولت الحكومة المصرية من خلالها قمع الثورة بغلق ومصادرة أدواتها، لكن مارديني حاول استخدام أبسط الأدوات المتبقية له من أدوات الثورة وهي خدمة الاتصال على الخط الأرضي، فقام بابتكار تقنية تمكن المتظاهرين في مصر من ترك رسائلهم وتغريداتهم الصوتية على الهاتف، وسماع رسائل وتغريدات كثيرين غيرهم، وذلك بربط موقع تويتر مع الخط الأرضي بتقنية اتصال شبكي، ليتمكن المصريين بعدها من بث رسائلهم إلى العالم خاصة وسائل الإعلام والقنوات

---

1 ـ قبل أن تصبح تغريدات المصريين الصوتية على حساب تويتر، مجرد روابط تالفة، اهتمت الفنانة المصرية المقيمة بألمانيا هبة أمين بتضمينها في عدة أفلام قصيرة صنعتها ونشرتها على موقع يحمل نفس اسم خدمة.Speak2tweet ، و لاحقا، تمت الاستعانة بتجربة مارديني في العديد من الكتابات الأكاديمية في مجال علم الاجتماع والسياسة. وعلى النقيض، لم يعن أي من أفراد أو منظمات المجتمع المدني في مصر المهتمين بتوثيق الثورة بالتواصل مع مارديني، للحصول على أرشيف المكالمات الصوتية، يقول عبد الكريم مارديني صاحب فكرة الخدمة ومطلقها للمنصة: "أنا شخصيا مكنتش أعرف أن التسجيلات لسه موجودة لحد يومين فاتوا."

ورغم أن الخدمة استخدمت لاحقا في دول عربية أخرى مثل ليبيا وسوريا، اللتان لحقتا بركب الثورة المصرية والتونسية، ودول أفريقية مثل كينيا بعد قطع الإنترنت في انتخابات 2013، كما استخدمت في جنوب السودان؛ إلا أنها لم تحقق نفس قدر الانتشار والاستجابة اللذين تلقتهما مع تطبيقها لأول مرة في مصر، كما قال برايان. ولكن بالنسبة للمصريين أنفسهم، لم تعد speak2tweetالآن أكثر من تسجيلات يعودون إليها كل حين، بحثا عن روح كان يملؤها التفاؤل والأمل بتغير أحوال بلادهم إلى الأفضل. كما فعلت منى سيف مع نهاية عام 2011، حين تلاحقت الأحداث الدرامية للثورة: "كانت التسجيلات دي إحدى الطرق اللى باسترجع بيها ومضات ال18 يوم. لتشجيع نفسي كنت بارجع أسمع رسالتي ورسائل غيري"

والصحف العالمية، ثم قام بدعم تقنيته من خلال مترجمين متطوعين مصريين وعرب وأجانب بخدمة ترجمة الرسائل الصوتية وتفريغها في رسائل وتغريدات نصية مكتوبة بالإنجليزية والفرنسية وكل لغات العالم ، وذلك من خلال خدمته (غرد على تويتر)Speak2tweet التي مكنت المصريين من إيصال أصواتهم إلى شبكة التواصل الاجتماعي تويتر، بعد انقطاع الإنترنت عن مصر خمسة أيام كاملة إبان الثورة خلال الفترة من 27 يناير حتى 2 فبراير 2011.

وفي يوم الأحد 30 يناير 2011 الذي أطلق فيه مارديني صيحته الأولى مغردا "أنا عبد الكريم مارديني.. بجرب يا شعب مصر العظيم."، جلس مارديني يراقب تغريدات متظاهري التحرير ويستكشف رد الفعل على تقنيته التي ابتكرها للتغلب على انقطاع خدمات الاتصالات والإنترنت، وتوالت معظم المكالمات ظهيرة يوم الثلاثين من يناير ، لكنها كانت من مصريين مغتربين، أعلن أغلبهم تأييده لمظاهرات التحرير، وقليلهم أكد على دعمه لمبارك ضد المظاهرات المعارضة. مما يعكس عدم استيعاب الكثيرين للغرض الذي أسست من أجله الخدمة، كي تمنح صوتا للمحرومين من الاتصال بالإنترنت في مصر. فاستخدمها مصريون مغتربون وسعوديون وليبيون وموريتانيون يتمتعون في الدول التي يقيمون فيها بخدمات الإنترنت، واتصلوا بأرقام الخدمة لإعلان دعمهم للثورة أو رفضهم لها. كما وردت يومها مكالمتان من الناشطة منى سيف، تحدثت فيهما مرة بالعربية ومرة بالإنجليزية عن تفاؤلها واستمرارها في التظاهر حتى يرحل مبارك.

وبعدما تمكن نجيب جرار، من إيصال أرقام الهواتف المخصصة لاستقبال المكالمات، إلى شاشتي الجزيرة والعربية وعدة قنوات إخبارية أخرى، لنشر المعرفة بالخدمة، انتظارا للمكالمات التي سيجري تحويلها لتغريدات تبثها شبكة التواصل الاجتماعي تويتر، عبر حساب خدمة .speak2tweet التي تتيح لمستخدميها ، كذلك الاستماع إلى التغريدات التي تركها مستخدمون سواهم. بدأت التغريدات تتوارد على استحياء من التحرير ومن كل مكان في العالم، وبمراجعة سجل المكالمات ؛ كان يوم 31 يناير واليوم التالي عليه 1 فبراير، يوم المسيرة مليونية التي دعا لها المتظاهرون في التحرير؛ كانا أنشط أيام الخدمة في تلقي المكالمات، التي انتقلت إلى شبكة التواصل الاجتماعي تويتر، في شكل روابط صوتية على حساب الخدمة.

يوم 31 يناير كان هادئا نسبيًا بعد زيارة قادة المجلس العسكري لميدان التحرير. وبعد انسحاب الشرطة مساء جمعة الغضب، لم تعد المواجهات شائعة في شوارع القاهرة والمحافظات؛ وإن استمرت المواجهات العنيفة التي استشهد فيها عشرات المتظاهرين في شارع محمد محمود في يومي 29 و30 يناير..تلك الأجواء الهادئة نسبيًا؛ استقبلت خلالها الخدمة مئات المكالمات من مصريين في الداخل والخارج .وجه كثيرون منهم الشكر لقناة الجزيرة، قبل أن يبدأوا في كلمات بعضها مطولة، يعلنون فيها تأييدهم لمطالب المحتجين وعلى رأسها رحيل مبارك. البعض الآخر وجه السباب للقناة مستخدمًا تعبير" قناة الحظيرة"، التي استخدمها الكتاب المؤيدون للنظام في سنوات التوتر بين نظام مبارك والقناة ودولة قطر. مما يشي بأن كثير ممن بادروا للاتصال بالخدمة في ذلك اليوم وقعوا في خلط جعلهم يتصورون أن أرقام الخدمة؛ هي ذاتها الأرقام التي تتلقى عليها الجزيرة مداخلاتها. ويؤيد هذا الظن كون معظم المكالمات التي تلقتها الخدمة تحدث أصحابها بأسلوب يشبه مداخلات برامج التوك شو.

وكان ميدان التحرير في هذا اليوم الإثنين 31 يناير على موعد مع الجماهير التي توجهت إليه تأييدًا للمتظاهرين، وبالتزامن كانت المظاهرات في بورسعيد ودمياط والإسكندرية، وميدان الممر بالإسماعيلية والزقازيق بالشرقية، والمحلة بالغربية؛ تعلن إصرارها على مطالب جمعة الغضب، التي ارتفعت فيها الهتافات ضد الفساد والتوريث والغلاء وانتهاك كرامة المواطنين وعنف الشرطة. استقبلت خدمةSpeak2tweet يومها مكالمات من تلك المحافظات، ظهر فيها جليًا أصوات الهتاف. حتى أن إحدى المشاركات من بورسعيد أملت اسمها وتركت سماعة الهاتف لتلتقط أصوات الهتافات المنادية بإسقاط النظام، واتهام مبارك بالعمالة. لكن اليوم النشط استقبل أيضًا مكالمات أخرى تستحق التوقف عندها..

ومن بين المكالمات التي استقبلتها الخدمة؛ مكالمتين من اثنين من السجناء الهاربين، جرت يومي 31 يناير و1 فبراير على الترتيب، قال أحدهما دون أن يذكر اسمه:

قال: " إن الشرطة هي من فتحت لهم الأبواب ومنحتهم الأسلحة وطالبتهم بالتخريب. مؤكدا أنه لن يمارس التخريب، لأنه لا يريد العودة للسجن، وأنه شاهد الشرطة بعينيه وهي تتعدى على الممتلكات. كما قال إن قوات التأمين قامت بالقبض على أناس لم يتورطوا في السرقة والتخريب، ووجهت لهم اتهامات بنهب الممتلكات". استمع للتسجيل الصوتي على الرابط التالي

http://www.gstatic.com/speechtotweet/cEIyRy95aDcwd0VEbGIwN0tQZG0zUT09.mp
3

والمكالمة الثانية وردت من سجين هارب أيضا، قال في نص مكالمته التي فقد ملفها الصوتي:

قال "أنا مواطن مصري أحمد عبد العليم، أحد سجناء الفيوم. اللي هربوهم حراس السجن. أنا محبوس وكنت واخد 5 سنين وهم مشكورين خرجونا قبل الميعاد بسنتين عشان نكسر ونخرب البلد. فاكريننا أغبياء. إحنا نكسر ونخرب وبعدين يمسكونا ويرجعونا بتهمة تانية. ماصدقنا إن السجون اتفتحت، روحنا واستخبينا، لا كسرنا ولا خربنا. شايفينهم بعينينا وهم بيكسروا. أمناء الشرطة لابسين مدني وهم بيكسروا ويسرقوا. فاكريننا هنكسر ونخرب ويرجعونا، بس احنا كفاية علينا 3 سنين. وهو كفاية عليه 30 سنة، حسني مبارك، لا حسنة ولا بركة. كفاية عليه كدا قوي، كاتم على أنفاسنا 30 سنة، هو عايز إيه من الدنيا تاني؟ مايسيبها ويمشي بقى؟ هو كل دا وجاي دلوقتي بعد 30 سنة بيعين له نائب؟ مجرد عرايس بيحركهم بفتلة. كل اللي جابهم دول نفس العصابة. وهو جابهم عشان لما يخرج يعرف يخرج بعياله وفلوسه وكرامته يغور في داهية مش عايزينه. احنا عايزين نختار ناس بمعرفتنا. لزومه إيه نجوع ونتشرد. ودلوقتي حاطين الجيش في ميدان التحرير. ما هم الجيش دول ولادنا! هيضربوا فينا ولا إحنا نضرب فيهم ليه؟ لابد من الحماية للشعب المصري! وشكرا."

وتكررت المعلومات ذاتها في مكالمة بالإنجليزية جرت في الأول من فبراير، لم تعلن صاحبتها عن اسمها قالت فيها إن السجناء "أخبروهم" أن حراس السجن أبقوهم جوعى لثلاثة أيام، ثم أطلقوا سراحهم وأعطوهم أسلحة"

من بين تلك المكالمات مكالمة من شخص رافض لحسني مبارك، اتصل يوم الحادي والثلاثين من يناير ليدعو لمنح مبارك فرصة الاستمرار في الحكم حتى نهاية مدته الرئاسية شريطة ألا يعيد

ترشيح نفسه، لكنه رغم ذلك؛ يتهمه بالتسبب في كل ما تعانيه البلاد من مشكلات اجتماعية واقتصادية. واستقبلت الخدمة مكالمات أخرى عديدة يدعو أصحابها المتظاهرين المحتجين للثبات، مستخدمين الدعاء أو المناشدات أو الوعود بالانضمام للمظاهرات.

كثير ممن بادروا للاتصال بالخدمة في ذلك اليوم وقعوا في خلط جعلهم يتصورون أن أرقام الخدمة؛ هي ذاتها الأرقام التي تتلقى عليها الجزيرة مداخلاتها. والبعض الآخر كان يتعامل مع الخدمة بشكل أنتج تغريدات طريفة أحيانا، واستحوذ يوم الحادي والثلاثين من يناير على معظم هذه التغريدات.. أحدهم اتصل لبث النشيد الوطني، وأخرى قررت اختبار قدراتها الغنائية عبر الخدمة واتصلت لتدندن مع أغاني وطنية قبل أن تختتم مكالمتها بجملة قصيرة تطالب فيها بتغيير النظام .واتصل ثالث ليتمنى لفتاة تدعى هديل أن تتفوق دراسيًا وأن تلتحق بكلية الطب، دون أن ينسى إعلان حبه لمصر..ورابع وجدها فرصة جيدة للإعلان عن أغنية جديدة ومطالبة القنوات الفضائية بإذاعتها باعتبارها "بتحرك الشباب جدًا"، وخامس يعمل لصالح أحد المواقع الإلكترونية أراد اختبار الخدمة. بينما اتصل العديد للمطالبة بعودة الإنترنت، وطلب المساعدة الفنية لمعرفة كيفية الولوج للشبكة. واتصلت إحداهن لتطالب بالبدء في المفاوضات والمطالبة بتولي دكتور أحمد زويل لرئاسة الجمهورية.

ولكن مع الإقبال على استخدام أرقام تلك الخدمة التي استمر عرضها على شرائط قنوات الجزيرة والعربية والحرة وCNN العربية ؛ انتبه أنصار مبارك للخدمة وبدأ سيل من المكالمات يغزو الخطوط الثلاثة التي استطاع أصحاب الفكرة أن يوفروها لاستقبال أصوات مصر الغائبة عن الشبكة الدولية. فقد أطلقت خدمة Speak2tweet بالأساس كي يستعيد المحتجون قدرتهم على الحشد وتبادل الأخبار والتواصل، خلال فترة انقطاع الاتصالات بناءً على أوامر من وزير الداخلية وقتها حبيب العادلي. أي أن ابتكار الخدمة من الأساس لم يكن الغرض منه إتاحة الفرصة لأنصار مبارك بالتعبير عن رأيهم لأن مبارك وأنصاره يملكون خدمة الإنترنت وهم وزعيمهم من أمروا بقطع الإنترنت، وإذا أراد مبارك استغاثة بالعالم فإنه يملك إعادة تشغيل الإنترنت، أما خدمة Speak2tweet فقد ابتكرها الشاب الثائر مارديني كطوق نجاة لمن انقطعت عنهم خدمة التغريد والاستغاثة، ولكي يعرف العالم

ما يحدث لهم. ولكن بمراجعة سجل المكالمات؛ نجد أن تغريدات قليلة من المتظاهرين والمحتجين، الذين يبدو أنهم كانوا منشغلين بالاشتباكات المستمرة عن استعمال الخدمة في التغريد وإيصال الأخبار.

المدون والمبرمج أحمد غربية، الذي شارك في ثورة يناير، وهو كذلك من أبرز مستخدمي تويتر في مصر، قام بإجراء تغريدة وحيدة لاختبار الخدمة يوم 31 من يناير، ولم يعد لاستخدامها بعدها وفقا لسجل المكالمات. وفي اليوم التالي استقبلت الخدمة بضعة مكالمات من المحتشدين والمتوجهين لميدان التحرير للمشاركة في المليونية الأولى التي يدعو لها المتظاهرون في الثلاثاء الأول من فبراير. فاتصل أحدهم لينقل بهاتفه صوت الحشود التي تملأ الميدان، يرافقها صوت باكٍ يصعب استبيان ما يقوله، وإن كان ما يقول يشبه قصيدة "أناديكم" التي ارتبطت بتحية المقاومة الفلسطينية.

واتصل رجل ليترك وصيته قبل التوجه للميدان والانضمام للمعتصمين فيه، دون أن يكون واثقا إن كان سيبقى على قيد الحياة..واتصل ثالث من على أبواب الميدان، ليتحدث بلهجته الصعيدية عن الزحام الشديد للمحتشدين على مداخل التحرير للمشاركة في المليونية الأولى. وقال شاب يدعى جو إنه يسير 25 كيلو متر مع أصدقائه ليصلوا لميدان التحرير، بعد أن أغلق الجيش كافة الطرق، وأنهم لن يتوقفوا حتى يصلوا إلى الحرية.

واستمرت الخدمة في العمل وزاد عدد مستخدميها من متظاهري التحرير بشكل تدريجي خلال فترة انقطاع خدمة الإنترنت والتي رصدها تقرير الشفافية الخاص بشركة جوجل خلال خمسة أيام ابتداءً من فجر يوم جمعة الغضب 28 يناير وحتى الساعات الأولى من صباح يوم الأربعاء الدامي 2 فبراير حيث عادت خدمة الإنترنت عقب خطاب مبارك العاطفي بالتزامن مع تدبير حيلة رديئة للتخلص من متظاهري التحرير المطالبين برحيل مبارك.

أما شبكة رصد الإخبارية الشبابية، فقد تابعت عملها بكفاءة من خلال خطوط الاتصال الأرضية والدولية، لكن انحصر نشاطهم في نقل صورة عن الوضع داخل ميدان التحرير إلى وكالات الأنباء والصحف العالمية، كما يقول خالد محمد أحد مؤسسي الشبكة ومسئول العلاقات العامة: الموضوع كان أبسط مما يمكن.. الهواتف المنزلية والأرضية كانت تعمل بشكل عادي ونحن لدينا

العديد من المراسلين المصريين في السعودية وقطر، كما أن الخطوط الدولية لم تتوقف عن العمل إطلاقا فكان الموضوع ليس بالصعوبة التي بدت في هذه الأيام.



(12)
المسيرة المليونية

الثلاثاء 1 فبراير



على قارعة الميدان، أمام الجامعة العربية، وقفت فتاة إنجليزية، وقد وضعت أمامها طاولة للرسم وإلى جوارها أقلام وفرشاة ومساحيق الألوان متنوعة، وأمامها على الطاولة لوحة خشبية تثبّت عليها لوحة جلدية، وبدأت تضع بعض الخطوط واللمسات الفنية على أطراف لوحتها.. وعلى ما يبدو أنها سمعت عن الدعوة للمسيرة المليونية فحضرت في الصباح للمشاركة بفنها، وربما أرادت أن تلتقط بفرشاتها صورة حية لميدان التحرير أو أن تتحدى بفنها ولمساتها عدسات الإعلاميين من كافة أرجاء العالم.. وقد التف حولها جمهور يتطلع إلى ما قد يظهر على لوحتها الفنية بعد دقائق.. وحاولت أن تضع كافة ملامح المسيرة المليونية في لوحتها، فبدأت من أعلى اللوحة ترسم السماء الصافية بلونها الأزرق السماوي.. ولا يظهر في السماء إلا سحابة بيضاء تعبرها طائرة الجيش المروحية وهي تراقب الميدان.. ثم توالت معالم اللوحة تتضح، حيث وصلت من الأعلى إلى الأسفل برسم اللافتات الإعلانية الكبيرة التي تقف فوق الأبراج والعمائر المطلة على الميدان وتبعها حافة المبنى العتيق لمجمع التحرير حتى وصلت إلى القاعدة العريضة للميدان حيث ظهر في اللوحة آلاف الأعلام ترفرف فوق رؤوس البشر وتظهر في ثناياها كثير من اللافتات الثورية واللوحات التعبيرية.. ثم غيرت الفتاة فرشاة بأخرى لترسم بعض الأشجار التي تناثرت قاماتها وسط الميدان والكثير من الخيام واللافتات العريضة التي تحمل مطالب الثورة بين أعمدة الإنارة ومكبرات الصوت المعلقة على قممها.. وعلى ما يبدو في نهاية اللوحة أنها أرادت أن ترسم أرض الميدان وأرصفته إلا أنها لم تظهر تحت أقدام الجماهير، فاكتفت برسم شريط واحد يعبر عن أحد الأرصفة.. وكان الكثيرون يتحلقون حولها ويتطلعون إلى لوحتها الفنية.. وأدواتها وفرشاتها وحتى قبعتها الإنجليزية المميزة.. وتوالت عليها لقطات الصور التذكارية، لكنها لم تأبه بمن حولها وعكفت على لوحتها لتضع لمساتها الأخيرة.



بينما على بعد خطوات في عمق الميدان تتراص توليفة من طلاب وفتيات كلية الفنون الجميلة تعاونوا جميعا للمساهمة في الثورة، فأحضروا اللوحات والأدوات وطرحوها على الأرض الميدان لرسم ملامح الثورة وآمال وأحلام الشعب على لوحات جلدية تطول أطرافها الميدان، تحمل صور وأسماء ومبادئ وكثير من المعاني التي يصعب إعادة رسمها بالحروف. كانت هذه الحملة من طلبة الفنون الجميلة استجابة لدعوة المليونية التي أطلقها الشباب بالأمس.

وعلى حامل إشارة المرور في الميدان تعلقت مسرحية صامتة كان أبطالها (زين-حسني-القذافي – سوزان)، هذه المسرحية جسدتها لوحة جلدية كبيرة جلس فيها الرؤساء الثلاثة القرفصاء في حالة من البؤس ومعهم شجرة الضر زوجة مبارك وهم يندبون حظهم التعيس، بينما حمل مبارك وسوزان لافتة تقول " يخرب بيت اللي يحكم بعد كده)

كان الميدان عامرا بالجماهير منذ الصباح الباكر استجابة للدعوة المليونية، ولا زالت الجماهير تأتي في أفواج تتدفق من كافة الجهات، والجميع في انتظار وترقب.. هل سنصل المليون اليوم أم لا ؟، وانتشرت لافتات جديدة اليوم في الميدان وتنوعت ما بين " جئت لأكمل المليون " و " اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا "، بينما رفع شاب فارع الطول لافتة يقول فيها : " جئت من فيئا لأكمل المليون" ، وكان مشهد عبور المتظاهرين قصر النيل وانسحاب الشرطة أمامهم قد انتشر بصورة واسعة على شبكات التواصل لاجتماعي ووسائل الإعلام في الخارج، وهو ما دفع الكثير من الشباب لحجز تذاكر العودة إلى مصر، وتأكد ذلك مع بدء الدعوة للمسيرة المليونية.. كثيرون وصلوا لتوهم من أمريكا وأوروبا للمشاركة.. وبدأ الزحام أمام المنصات الإذاعية التي كانت تذيع بعض الأغنيات الوطنية تتخللها بعض الكلمات القصيرة من الشباب الناشطين سياسيا وأعضاء الائتلاف أو المثقفين بوجه عام، ولم نكن نتصور حتى هذه اللحظة أن يصل العدد إلى هذا الزخم في الميدان، بل كنُا نتساءل عما سنفعل إذا فشلت الدعوة المليونية في حشد الجماهير للضغط على النظام، لكن حتى هذا الوقت فالوضع مطمئن ومُبشِر بالخير.

وعادة ما يتحرك مؤشر الميدان صعودا وهبوطا.. ففي الثلث الأخير من الليل تكون الأعداد في أدنى مستوياتها والأغلبية نائمة والحركة بطيئة والهتافات والإذاعات ساكنة.. ومع بزوغ ضوء الفجر تبدأ الحركة والأحاديث وتكبيرات الفجر.. ومع صعود شمس الضحى في التاسعة صباحا تستأنف إذاعات الميدان رسالتها الوطنية، وتنشط الحركة وتبدأ اللافتات في الظهور والأعلام ترفرف مع دفقات الهواء، وتتزايد الجموع الوافدة إلى الميدان مستمرة في الصعود التدريجي، وعند اقتراب الشمس من الغروب تهدأ حرارة الجو يتوافد إلى الميدان مجموعات من المثقفين والسياسيين الوطنيين والشخصيات العامة،

وتتحول الإذاعات من الأغنيات الوطنية والهتافات إلى الخطب الحماسية والندوات الثورية، وكلمات رموز المجتمع المصري.. وعند الغروب تكون كثافة الجماهير في ذروتها.. وبعد صلاة العشاء يبدأ العد التنازلي مرة أخرى، بعض ضيوف الميدان ينصرفون ليعودوا في اليوم التالي، وتهدأ الهتافات.. وفي منتصف الليل تتحول الإذاعات من الخطب والندوات إلى أغانٍ هادئة حيث تبدأ أمسية الطرب الوطني في موعدها ويسود الهدوء والسكون وتتوقف الإذاعات في الثلث الأخير من الليل في انتظار يوم جديد.. وهكذا يتحرك مؤشر الميدان صعودا وهبوطا كل يوم.. ومؤشر الميدان يعبر عن معدل تواجد الجماهير التي تمثل كثافتها قوى الضغط على النظام، فكلما ارتفع مؤشر الطاقة البشرية في الميدان، هبط مؤشر القلق والرعب في قلوب الخونة من دعائم النظام وأعوانه، وكلما انخفض مؤشر الميدان خرجت ألسنتهم تتلوى وكأنها انتصرت علينا.. لدرجة أننا كُنا نقوم في الصباح الباكر وأعدادنا قليلة فنتعمد الانتشار في أرجاء الميدان حتى لا يبدو فارغا أمام عدساتهم التي صلتوها علينا من نوافذ ماسبيرو.

حينما توسطت الشمس سماء الميدان في ذات اليوم، وكان العدد قد اقترب من المليون على ما يبدو من زحام، وما لفت انتباه الجماهير في هذا الوقت هو قدوم مظاهرة من جامعة الأزهر بالعمائم المميزة ، ودخلوا الميدان من جهة عابدين وكانوا يهتفون "الشعب يريد إسقاط النظام" وحملوا لافتة عريضة كتبوا عليها " علماء الأزهر يؤيدون ثورة الشعب المصري ومطالبه المشروعة طبقا لمبادئ الشريعة الإسلامية ".. وقد وقفوا صفا واحدا على حافة حديقة الميدان بحيث كانوا ظاهرين للجميع في كافة الجهات ثم تحركوا في جولة في الميدان يهتفون والجماهير تردد خلفهم.. وكان واضحا أن وجود رجال الدين في الميدان يزرع الثقة والحماس في الكثير من عامة الشعب الذين يشاهدونا من منازلهم وليست لهم دراية بالسياسة والشأن العام.

وقرب آذان العصر، قدم وفد آخر من أساتذة جامعة الأزهر ودخلوا الميدان من كبري قصر النيل وحينما اقتربوا أمام الجامعة العربية هاجت الجماهير احتفالا بوصولهم.. ووقفوا صفا واحدا وسط الميدان وتدافعت عليهم عدسات الإعلاميين من كل الجنسيات لإجراء حوارات صحفية وسماع تعليقاتهم على ما يحدث..

بينما وقف أساتذة القانون في منتصف الميدان يرتدي كفنا أبيض كتب عليه باللون الأحمر "هذا كفني من أجلك يا مصر"، أحضر كفنه الأبيض معه إلى الميدان، راغبا في الشهادة أو أن يحدث التغيير فيعود إلى حياته، فيأتيه أحد المراسلين الأمريكان ليتحدث معه ولم يكن يجيد اللغة العربية وحتى أستاذ الجامعة لا يجيد الإنجليزية فتطوع شاب ميداني بدور الوساطة بينهما..الرجل وهو أب لثلاثة

أبناء، كلهم من خريجي الجامعات المصرية، يواجه أزمة في توظيف هؤلاء الشباب الذين أصبحوا عبئا عليه، وعلى المجتمع، حسبما يرى.. فيقول «لا يوجد لديّ ما أخسره، فقد فاض بي الكيل، ولن أعود إلى التصفيق لهذا النظام، لقد خدعنا سنوات طويلة، ولابد أن يتغير.. فقدنا كل سبل التغيير السلمي عن طريق الانتخابات، فالانتخابات البرلمانية الأخيرة التي جرت في مصر أفرزت فوز الحزب الوطني بنحو 95٪ من المقاعد، ما يعني أن التوريث مقبل لا محالة، وأن الأحوال الاقتصادية والسياسية ستكون أسوأ.. وسنبقى في ميدان التحرير حتى يتغير النظام وتتحقق مطالب الشعب المصري، هذه ثورة شعبية وليست اعتصاما مفتوحا، وإذا لم تتحقق مطالبنا بسقوط النظام، فإننا باقون حتى لو دهستنا مدرعات السلطة.

وفي جنبات الميدان تنتشر فرقا موسيقية غنائية من شباب ألفوا وكتبوا ولحنوا ثم حضروا إلى الميدان ليعزفوا موسيقاهم الثورية على أرصفة الميدان، وقد التف حولهم هواة الطرب والإبداع الشبابي..

وعلى حافة الحديقة بوسط الميدان جلست فتاة منتقبة وبجانبها امرأة أربعينية يتطاير شعرها على ظهرها، يتجاذبان أطراف الحديث في السياسة ومستقبل البلد وطموحها، وفي نشوة الفرح تجدهما يتمايلان ويغنيان معا على نغمات الإذاعة" حلوة بلادي السمرة بلادي الحلوة ". كان صوتاهما عذبا متناسقا مع أغنية شادية الشهيرة.. وقفت أنظر إليهما مندهش ومبهور ، فالمرأتان إحداهما مسيحية كما يبدو من مظهرها والأخرى مسلمة جمعتهما المسيرة الوطنية.. ليرتفع صوت العندليب الأسمر من إذاعة الميدان :(صورة صورة صورة ، كلنا كده عايزين صورة ، صورة للشعب الفرحان تحت الراية المنصورة .."

لوحة فنية رائعة يبدو فيها ميدان التحرير وقد تضافرت عناصرها الجمالية لتخرج مشهدا لا نظير له بهذه الروعة؛ شباب الإخوان يتضرعون بالدعاء، والبعض الآخر جلس في حلقات يرددون الأناشيد التي تلهب المشاعر الوطنية وأبيات شعرية لتميم البرغوثى تثنى على الثورة .وإلى جوارهم يساريون يجلسون في حلقات يرددون أغاني أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام وسيد درويش، وأغنية الفنانة شادية " أصله معداش على مصر"، فتزداد حماسة الجماهير،ثم تجد اليسار المصري يغني مع الشيخ إمام الذي جذب إليه شباب الإخوان، واليسار يردد خلف أدعية الشيخ صفوت حجازي، والجميع يغني خلف عبد الحليم حافظ في أغانيه الوطنية التي تنطلق من ركن الناصريين، والدفوف الشعبية من بولاق وشبرا وإمبابة

يلتف حولها الناس .. وكثير من الشباب لا يعرفون بعضهم بعضا ولا ينتمون إلى اتجاه فكرى بعينه يتبادلون أطراف الحديث عن تطلعات كل منهم للمستقبل وما الذي دفعه للمشاركة في الثورة..

هذا المشهد عبرت عنه " المصري اليوم" في تقرير لها: »في الميدان الواسع، سالت دماء، وصرخت حناجر، وبكت عيون..في الميدان وعلى خلفية هتافات منغمة «الشعب يريد إسقاط النظام» و«تغيير حرية عدالة اجتماعية» بدأت تفاعلات بين المتظاهرين تنمو، وبدأت ملامح دولة صغيرة تظهر، دولة قوامها الأمان والعدالة والمشاركة..

بخطوات مرتبكة، اقتربت منى من منصة إذاعة الثورة، وبارتباك أكبر سألت «ممكن أقول حاجة في المايك؟» ، وكانت الإجابة بالطبع: "نعم كل شيء ممكن" .. تحدثت إلى الجماهير، وبررت ارتباكها بمجرد أن بدأت في الحديث إلى آلاف المصريين المرابطين في الميدان «أنا أخدت حبوب شجاعة عشان أقدر أتكلم في المايك الآن، واندهشت أنهم سمحوا لي بسرعة رغم أنني لست شخصية عامة».. الميدان يرفع شعار «الجميع سواسية» أو كما يقول خالد الطبيب الصامد في الميدان منذ اليوم الأول «كلنا في الميدان واحد.. ممكن أنا أقوم اتكلم في مجموعة من الناس.. وبعيد عنى بـ100 متر دكتور علاء الأسواني بيتكلم، وحسب كلام كل واحد منا الناس هتلتف حوله» ويختم كلامه «في الميدان فقط، يوجد عدل ومساواة.«

" في الميدان تنظم «اليوتوبيا» نفسها بنفسها، هنا الثوار يجمعون القمامة.. وهنا آخرون ينقلون ما أتاحته التبرعات من ماء وطعام.. هنا فقط في ميدان التحرير، يعطى الشاب «البطانية» للعجوز ويلقى كوفيته الصغيرة على كتف الزميلة، في مدينة «التحرير» الفاضلة يقف محمد، طالب العلوم السياسية، ليكنس الميدان ويقول: «أول مرة في حياتي أحس بانتماء لهذا البلد، هنا في ميدان التحرير، هنا شعرت لأول مرة بمعنى كلمات لو لم أكن مصريا.. لوددت أن أكون مصريا، وهنا قررت أن أشارك في حماية ميداني ولو بكنسه وتنظيفه لأن هذه القطعة من أرض مصر ملك حقيقي لأهلها الآن، ولابد أن تعكس صورتنا الجميلة طوال الوقت".

" عودة إلى إذاعة «الثورة»، وحديث «منى» التي عرفت نفسها «أنا مواطنة مصرية عادية جدا، مش مسيسة، وعمري ما فكرت إني هنزل مظاهرة، وبعد ما شاهدته على مواقع الإنترنت من اشتباكات وعنف من الأمن تجاه المتظاهرين قررت النزول.. في البداية كنت خايفة من الزحام والشباب، ولكن

بعد أيام في الميدان يجب أن أقول إن الشاب الذي يخرج للتضحية بنفسه من أجل وطنه، هو الشاب الذي سيحافظ على بنات بلده.. أريد أن أشكر كل الشباب في الميدان الذين حافظوا علينا كإخوة لهم، والآن فقط أشعر في شوارع مصر بالأمان».. أمان تتحدث عنه كانت تفتقده ومثيلاتها والآن يشعرن به في الميدان، الذي تصفه السيدة «وفاء» الأربعينية، بـ«أكثر الأماكن أمنا في مصر» لأنه «لو في واحد فكر يعمل حاجة غلط، هيلاقي 10 يقولوا له لا، ولو أصر هيعاقبوه بالعقوبة الأشهر في الميدان، ارحل.. ارحل، ويطردوه بره الميدان، لأنه مينفعش اللي بيحب بلده يئذي بناتها.»[1]

في هذا اليوم كانت سيارات نقل الركاب قد توافدت بكثافة إلى القاهرة من المحافظات، برغم اعتداء بلطجية الحزب الوطني عليهم واعتراض أكمنة الجيش وتوقف حركة القطارات لتعطيل المسيرة.. الجماهير تزحف من كافة المحافظات للانضمام إلينا في ميدان التحرير للمشاركة في المسيرة المليونية.. وتواترت الأخبار من كافة محافظات مصر، خاصة أنه قد حضر مجموعات كبيرة من الشباب الناشطين والثوار من هذه المحافظات وبالتحديد محافظة السويس والإسكندرية والغربية (المحلة الكبرى موطن حركة 6 إبريل)، وكنا نحتفي بهم في حلقات للحوار الجماعي نتعرف خلالها على كواليس الثورة خارج ميدان التحرير، وما حدث من أعمال بطولية تستحق التوثيق بجدارة كي يحتفي بها أبناؤنا. وحقيقة فقد اعتمدت في كتابة مفكرتي على ما أحصل عليه من معلومات وأخبار في حلقات الحوار الجماعية هذه مع زملائي خصوصا أثناء الليل حيث يطول بنا السهر على أغنيات الإذاعة وأحاديث البطولة وأخبار الثورة في كافة محافظات مصر وحتى في داخل ميدان التحرير. فلن يكون بإمكاني مشاهدة كل ما يحدث داخل الميدان وعلى طول الوقت، ففي كل شبرٍ في الميدان حدث ما، والأحداث تتجدد.

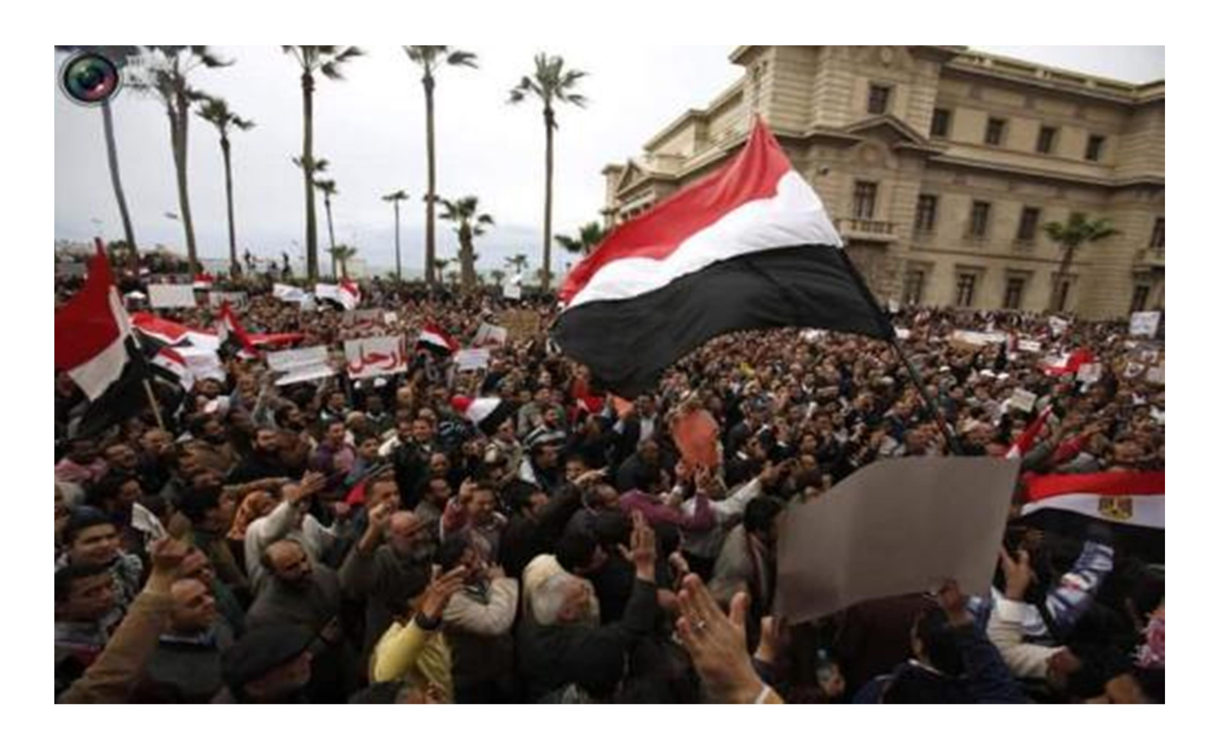
وتحت الخيمة الكبرى جلس "جورج" أحد المشاركين في الحلقة النقاشية، يتحدث عن بعض أوجه القصور في تنظيم عملية التفتيش في أحد المداخل، كان يستمع إليه الجميع بإنصات شديد، حدد لبعض الأفراد مهام أخرى، وطلب من آخرين التركيز على توزيع الأطعمة على السيدات اللاتي يصحبن أطفالهن، وبعد أن أنهى حديثه، طلب من صديقه خالد أن يكمل.

1ـ مقتطفات من مقال لـ"المصري اليوم" بعنوان: هنا ميدان التحرير. منشور في فبراير 2011

وأثناء جلوسنا في حلقة الحوار، تحدثنا مع شباب السويس، وكان أحدهم لحسن الحظ طبيب وهذا ما يعني أن معظم الأعمال البطولية قد مرت من أمامه سواء من خلال الجرحى الذين ضمد جراحهم أو الشهداء الذين صعدت أرواحهم بين يديه وهم يسردون عليه آخر حكاياتهم عن الدنيا..وأخبرني هذا الطبيب الشاب أن أكبر تجار المخدرات في السويس وهو من أعضاء الحزب الوطني ويمتلك معرض كبير للسيارات الفاخرة ولديه فيلا مليئة بالحرس والأسلحة.. وكيف انضم هذا السفاح وأولاده الثلاثة بأسلحتهم إلى قوات الأمن في جمعة الغضب لفض المتظاهرين، وكان أكثر عنفا من قوات الأمن في قتل المتظاهرين بالأسلحة الآلية وقد قتل أكثر من 18 شابا وأصاب ثلاثين، أيَ أكثر مما قتل وأصاب أي ضابط شرطة في السويس بأكملها.. وحكى لي أيضا كيف ثار أهالي السويس على هذا السفاح وقتلوا أحد أبناءه وأحرقوا فلته وسيارته الخاصة ومعرض السيارات بالكامل.. أخبرني أيضا بأن المتظاهرين في السويس أكثر عنفا من الإسكندرية لأن بعض الأهالي يحملون أسلحة نارية ولديهم خبرة وتاريخ طويل بالحروب والمقاومة، مما صعد من عنف الثورة في السويس، ورغم أن القاهرة هي أكثر سلمية بكثير من السويس والإسكندرية، إلا أن عدد الشهداء والجرحى بها أكثر لأن بها ميدان التحرير الذي كانت تنصب أهداف الثوار في الوصول إليه والاعتصام به.. وكذا أهداف الأمن في منع الوصول إليه أو الاعتصام به لأنه قلب الثورة النابض، وإن كانت السويس والإسكندرية بمثابة الأجنحة.. فكسر الجناح لا يعني إخماد الثورة أما إصابة القلب فتعني وفاتها.

جلسنا مع مجموعة من الشباب السكندري إلى ظل شجرة أمام الجامعة العربية لنستقي منهم أخبار الثورة على شاطئ البحر.. وكنت أثناء حديثهم أتخيل المشهد في الواقع منذ بدءوا الاعتصام المفتوح أمام قصر رأس التين ونشأت صداقات بين أفراد من الحرس الجمهوري في قصر رأس التين وبعض الشباب الذين طلبوا من جنود الحرس استخدم مكبرات الصوت المخصصة لتوجيه الإنذارات والبيانات العسكرية إلى المتظاهرين من قبل قوات الحرس الجمهوري، استخدمها الشباب في إذاعة بياناتهم الثورية وهتافاتهم المناهضة للنظام، بل واستخدموها في إنشاء إذاعة ثورية أمام القصر كما هو الحال في ميدان التحرير، والغريب أنه كان الشرط الوحيد لضباط الحرس الجمهوري هو أن يضعوا مكبرات الصوت في أماكنها بعد استخدامها في الإذاعة الثورية.. وكانت الجموع قد امتدت على شاطئ البحر أمام قلعة قايتباي وفي شارع الكورنيش مرورا بمسجد المرسي أبو العباس وميدان الجندي المجهول بالمنشية الذي تحول اسمه إلى ميدان التحرير، ومرورا بميدان سعد زغلول ومسجد القائد إبراهيم وساحة مكتبة الإسكندرية وحديقة السلسلة (قصر كليوباترا في عهد البطالمة) على شاطئ البحر بمواجهة مكتبة الإسكندرية، وتكون الصورة أكثر وضوحا عندما تصعد أعلى فنار الميناء

فترى قوسا بشريا يحيط بالميناء من القلعة وحتى المكتبة وتمتد منه أسراب تتحرك بهتافات جماعية في شارع الكورنيش، واعتصامات في محطة قطار سيدي جابر، وقصر المنتزه، وقصر رأس التين وحتى ميدان المعمورة.



أما في ميدان التحرير، فعندما يصعد أحد الشباب إلى منصة الإذاعة ليعلن عن أعداد المعتصمين في السويس والإسكندرية فيتحول الميدان إلى كرنفال شعبي صاخب وتلتهب الوطنية في نفوس الجماهير.. فالثورة لازالت مشتعلة في ربوع مصر ولم تخمد جذوتها بعد.. وعندما تتجول في جنبات الميدان نجد إبداع الشعب المصري يتنوع في التعبير عن التغيير الذي هو مطلبه الرئيس؛ فإلى اليمين أمام ساحة مجمع التحرير تشتعل المنصة الإذاعية بقصائد الشعر الزجلي والسياسي الساخر على لسان الجميع حتى الأطفال، وربما أخذت أغنية هذه الطفلة شكل هتاف يردده خلفها الجماهير ووالدها يحملها على كتفيه يتجول بها في الميدان وهي تهتف بصوتها الرقيق" أ- إرحل.. ت – تغيير.. ح – حرية.. ج – Game Over".

وعلى اليسار صعد شاب أعلى إشارة المرور رافعا علم مصر يلوح به للجماهير، وفي المنتصف أقام الشباب محاكمة رمزية لرموز النظام الفاقد للشرعية، حيث قاموا بتعليق دمية من القطن في حبل وتم ربطه في عارضة إشارة المرور، وهو ما يمثل محكمة شعبية رمزية حكمت بالإعدام على رموز النظام..وفي الحال نشرت وكالة عاجل الإخبارية| عاجل: الآن بميدان التحرير ، تشكيل من القضاة

والمحامين يعقدون محكمة شعبية لمحاكمة مبارك وأعوانه على جرائمهم والأحكام تصدر تباعا عليهم ومحامو الدفاع أثناء مرافعاتهم يؤكدون نحن لا يشرفنا الدفاع عن هؤلاء..



وفي المساء تحتفي الإذاعة الرئيسية بالعشرات من المثقفين والفنانين والعلماء يتناوبون كلماتهم وخطبهم.. وأهم ما يميز الإذاعات جميعها أنها لا تفرق بين أحد من أفراد الشعب ولا تعلن عمّن أقامها، فالإخواني مثل السلفي والليبرالي والعلماني والمسلم مثل القبطي، فالميكروفون متاح للجميع على أن يحترم الجميع ويقدم طلبه وينتظر دوره خلف المنصة للحديث..

وما بعد الغروب كان مؤشر الطاقة البشرية في الميدان قد وصل قمته حيث ساعة الذروة ما بين المغرب والعشاء.. وقد أعلن عميد كلية هندسة الأزهر السابق الدكتور رضا محرم، عن أن مساحة ميدان التحرير تتسع لثلاثة ملايين متظاهر، حيث قام بحصر الكثافة البشرية داخل الميدان، بأن قام بقياس قطره من الجامعة الأمريكية وحتى مقر الجامعة العربية. حيث يقع الميدان في شكل دائرة، وقام بحساب قطر الدائرة ومساحتها بالمتر المربع، وجد أن مساحة الميدان كيلومتر مربع، وبعد حذف مساحات الإشغالات وخدمات المتظاهرين، تصبح المساحة نصف كيلومتر مربع،واحتسب أن كل متر واحد مربع يقف في مساحته أربعة أفراد افتراضا ، فكانت النتيجة أن الميدان يحتوي على مليوني متظاهر، فالزحام شديد للغاية، هذا بالإضافة إلى مداخل الميدان الستة التي كانت تعج بالمعتصمين والقادمين والخارجين والمستريحين من شدة الزحام.. إذن العدد اليوم يزيد عن المليوني فرد أو يقترب من

الثلاثة ملايين، وهو ما لم يكن متوقعا بأي حال من الأحوال، بعدما كانت بداية الاعتصام في صباح يوم السبت لا تتعدى الألفي شاب..وقال د.رضا إن جميع من خرج في التلفزيون المصري ليزعم أن الميدان لا يتسع لأكثر من 100ألف متظاهر يحاول تضليل الناس والإعلام الخاص، لأن هذا الميدان شهد تظاهرات كبرى، أطلق عليها الإعلام الحكومي نفسه التظاهرات المليونية، كما حدث عقب تنحي الرئيس عبد الناصر عن الحكم عام 1967

وكانت الدائرة التليفزيونية التي أنشئت أمس لا تفي بالغرض وسط هذا الزحام الشديد، ولحاجة الجماهير الماسة لمطالعة آخر الأخبار أو المقارنة ما بين الإعلام العالمي الحر والإعلام المصري وما بين الحقيقة الواقعية التي نعيشها في الميدان.. ومن هنا ظهرت الحاجة إلى توسيع الدائرة الإعلامية داخل الميدان، فتطوع مجموعة من الشباب بإحضار شاشة عرض كبيرة وجهاز عرض سينمائي (بروجكتور) يستقبل الميديا الإعلامية سواء من جهاز التليفزيون أو الكمبيوتر لعرضها على شاشة العرض المعلقة على واجهة إحدى العمائر المطلة على الميدان من جهة عابدين، وكانت شاشة العرض كبيرة بما يكفي جميع من في الميدان دون الحاجة إلى التزاحم أمامها.

وبالطبع كان الموقف السياسي على المستوى العالمي يتأرجح يمينا ويسارا ويتذبذب تارة ما بين تأييد الشعب الثائر ومطالبه المشروعة، وتارة في تأييد النظام واستقراره، وتارة أخرى ما بين تصريحات مموهة بعبارات سائلة لا تشير بصريح العبارة إلى تأييد النظام أو الشعب، وقد يأتي الموقف صريحا ومباشرا دون مواربة كما صرحت السعودية برغبتها خروج مصر من "الفتنة" واستقرار أمنها، أو كما جاء موقف الإدارة الألمانية التي صرحت بأنها لا تمانع من استقبال مبارك في مستشفى ميونخ لتلقى الرعاية الصحية حال طلبه ذلك، لكن أغلب الأنظمة العالمية لا تتحرك وفق مبدأ تتبناه سواء كان الديمقراطية وحق الشعوب أو الديكتاتورية، وإنما تتحدد مواقفها وفق ما يحقق مصالحها الخاصة في الشرق الأوسط، فإذا رأت مصالحها في ظل أنظمة استبدادية ديكتاتورية كما جاء موقف السعودية، أيدت الديكتاتورية أو صرحت بأن هذه الشعوب لا تستحق الديمقراطية ولا تعرف كيف تمارسها، وهذا ما كان يضع الساسة الأوروبيين في حرج بالغ أمام شعوبهم، فكيف يتشدقون بالديمقراطية والحرية في بلادهم ثم يؤيدون الديكتاتورية والاستبداد في باقي الشعوب.. ثم كيف يزعم الحكام بأننا لسنا مؤهلين لممارسة الديمقراطية، في حين تأتي صورة جماهير الشعب في الميدان بهذا المستوى من الرقي والتحضر بلا حكومة!

وإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على أن الموقف السياسي الغربي يتحرك تجاه مصالحه فقط.. فحينما يشعر الغرب بأن النظم الاستبدادية تهتز عروشها بقوة تؤيد الشعب ضمانا لاستمرار مصالحها، وإذا عادت عروش الاستبداد للاستقرار مرة أخرى وأخذت عافيتها بعض الشيء عاد الغرب لتأييدها ضمانا لاستمرار مصالحه، وهذا ما ظهر بوضوح في موقف السياسة الأمريكية من الثورة المصرية، حيث تذبذبت في البداية ما بين ضبط النفس أمام الشعوب الغاضبة، ثم بمجرد أن تعلو موجات غضب الجماهير تتحول إلى تأييد مطالب الشعب وحقوقه المشروعة، وتعود ثانية إلى تأييد الانتقال السلمي للسلطة، ثم الانتقال المنظم، ثم الانتقال الفوري.. وهكذا خطاب مميع سائل، فهذه السياسة الدنيئة تستقر مواقفها أينما استقرت مصالحها.. على العكس من السعودية ودول الخليج التي تستقر مصالحها فقط إذا غابت ثقافة الديمقراطية عن وعي شعوبها.

وكان الكثيرون من المثقفين والشخصيات العامة وعلى رأسهم الدكتور علاء الأسواني كثيرا ما يتناولون مواقف السياسة العالمية المتذبذبة من الثورة المصرية بشيء من التفصيل. وكثيرا ما اعتاد الدكتور علاء الأسواني أن يلقي كلمته على الشباب بعد صلاة العشاء ويفتح لنا مخيلته الأدبية ليطوف بنا حول العالم وهزليات السياسة والحرب والسلام والثورات..

وتبعه الدكتور محمد سليم العوا ليتحدث هذه المرة عن الثورة المصرية ومراحلها وما حققته خلال مسيرتها المليونية.. وبدأ بتصنيف مراحل الثورات إلى ثلاث، وقال أننا بذلك قد وصلنا إلى المرحلة الأولى وهي إعلان مطالب الشعب، فقد قال الشعب المصري كلمته وعلى النظام أن يرحل، لتتحقق مطالب الشعب، التي تشمل محاكمة رموز النظام ووضع دستور جديد وحل مجلسي الشعب والشورى ووضع حد أدنى للأجور وتحقيق الحرية والعدالة الاجتماعية وحل جهاز أمن الدولة أو إعادة هيكلته وغيرها من المطالب التي تنضج في أذهاننا يوما بعد يوم كلما تكشفت مواطن الفساد، فقد كان النظام مغلقا للغرفة على نفسه ومن يحاول الدخول يتم اعتقاله، أما بمجرد نجاحنا في احتلال ميدان التحرير وتوقيف مؤسسات الدولة عن العمل، فبدأت تنحل رابطة الفساد ومن لديه سرا أفشاه في الميدان، ومن تعرض للظلم والاعتقال وغيره من صور الفساد والظلم.

بينما كان مبارك يلعب لعبته الأخيرة مع الجيش.. وهى اللعبة الأكثر مكرا..بعدما فهم مبارك أن نزول الجيش لم يأت في صالحه، خصوصا طالما ظل المشير طنطاوي على رأس قيادة الجيش، فقرر خلعه بطريقة "آخر شياكة" وذلك بتعيينه نائبا لرئيس الجمهورية، وبذلك يكون قد تخلص من سلطته العسكرية وعين قائدا جديدا للجيش يختاره هو من بين الضباط حسب الطلب، لكن المشير

طنطاوي رفض تعيينه في منصب نائب الرئيس.. فاضطر مبارك لوضع عمر سليمان مؤقتا في هذه الخانة لتهدئة الشعب ولو دون صلاحياتٍ فعلية.. فقد أكد عمر سليمان أنه تم تعيينه فقط دون أن يكون له مكتب في رئاسة الجمهورية ولا سكرتارية ولا أي شيء سوى كونه نائبا للرئيس.. وكانت هذه رؤية السيدة سوزان بأن يظل نائب الرئيس دون صلاحيات حتى تتهيأ الظروف لابنها جمال.. وربما تصور مبارك أن تعيين طنطاوي نائبا، سيمكنه من السيطرة على الجيش، بتعيين وزير دفاع آخر، لكن طنطاوي كان يدرك أنه صاحب السلطة وأن منصب النائب يمكن أن يحرقه.

يقول الكاتب الصحفي أكرم القصاص: كان جمال مبارك وذكريا عزمي وسوزان عرضوا على مبارك إقالة طنطاوي أو إبعاده بما يسمح بتعيين وزير دفاع يكون أكثر ولاء وقربا من مبارك، لكن رفض طنطاوي أغلق الباب، فلم يكن ممكنا أن يتخذ قرارا بإقالته في هذه الظروف، ويقول عبد اللطيف المناوي: «عندما رفض المشير منصب نائب الرئيس أو رئيس الوزراء الذي عرضه عليه مبارك، قال له «روح البيت» ، لكن المشير لم يعد لمنزله وتوجه لوزارة الدفاع، واتصل بذكريا عزمي وقال له: " اصرفوا نظر عن حكاية نائب رئيس وزرا دي".. كان طنطاوي يعرف أن منصب وزير الدفاع أكثر أهمية ".. بذلك تكون قد فشلت خطة مبارك للسيطرة على الجيش ودفعه لتصفية ميدان التحرير بالقوة، فقد حاول التأكيد على قادة الجيش بأنهم مسئولون عن حماية الشرعية، وفوجئ بإعلانهم التضامن مع مطالب الشعب المشروعة واستحالة الاعتداء على المتظاهرين السلميين..كما يروى أحمد شفيق: كُنا في اجتماع مع مبارك قبل الخطاب الثاني، وبمجرد أن حضر المشير طنطاوي "أشار مبارك بيديه إلى المشير طنطاوي قائلا: «أين هم رجالك الأشداء يا حسين»؟

فردّ المشير، وكان أول رد مباشر أمامنا في هذا الشكل، قائلا: «أنا مش ممكن أضرب نار يا ريّس».

فرد عليه الرئيس بحدّة: أنا لم أقل ضرب نار، وأنا غير موافق على ضرب النار. أنا أقول لك: أين رجالك الأشداء لأن الدبابة لا تنفع؟ أين هم الرجال الذين يقفون في وجه المتظاهرين؟

وهذا ما يؤكد أن مبارك حينما استدعى الجيش لم يكن يقصد حماية المنشآت العامة والخاصة كما ادعى، وإنما لحماية الشرعية كما جاء باتصاله الهاتفي للمشير ، حتى وإن كانت الوسيلة هي فض المظاهرات بقوة الجيش طالما عجزت الشرطة، فهو يسأل عن الرجال الأقوياء، ثم إذا رد عليه المشير بأنه لا يمكن أن يضرب نار، رد عليه مبارك بأنه لا يقصد ضرب نار وإنما رجاله الأقوياء.. فماذا تعني " رجال أقوياء" دون ضرب نار إذا كانت الشرطة قد عجزت؟..

فحاول مبارك خلع قيادة الجيش وتعيين قائد جديد لكنه لم يفلح، فلم يكن ممكنا عزل المشير طنطاوي في هذا الظرف تحديدا وبطريقة مباشرة لأن ذلك سيكون مفهوما للجميع أن سبب عزل طنطاوي هو امتناعه عن ضرب المتظاهرين، ومن ثم سيتورط مبارك علنيا في تحريض الجيش ضد الشعب.. خصوصا بعدما أعلن الجيش موقفه من الثورة. حتى وإن كانت هناك فرصة متبقية لمبارك لتصفية ميدان التحرير، لكن هذه الفرصة قرينة بموافقة الجيش على هذه التصفية وإن تمت عن طريق الداخلية، ولكي يتمكن مبارك من ذلك فلا بد من تغيير قيادة الجيش لأن الجيش بقيادة طنطاوي أعلن موقفه وانتهى الأمر.

بل إن الرأس الثانية في الجيش كان لها رأي آخر.. فعندما قامت الثورة ونزلت القوات المسلحة لمعاونة الشرطة في حماية المنشآت العامة، كان الفريق سامي عنان (رئيس أركان حرب القوات المسلحة) في زيارة للولايات المتحدة، فقطع زيارته عائدا لمصر، ويقول الفريق سامي عنان؛ وأثناء انتظار العودة ، فوجئت بوجود الجنرال ماتيس، قائد القيادة المركزية الأمريكية، والصديق الشخصي المقرب للرئيس أوباما، لم أتخيل أنه حضر خصيصا لمقابلتي، لكنه طلب أن نتكلم على انفراد في مكتب قائد القاعدة. سألني عن الأوضاع في مصر بعد نزول الجيش،

ثم قال: سيادة الفريق.. هل ستطلقون الرصاص على المتظاهرين؟ ، قلت: لا طبعا.

ويقول إنه فكر أثناء عودته «أن الخروج من الأزمة يتطلب القيام بانقلاب ناعم، أن تتوجه مجموعات من رجال الصاعقة والمظلات والشرطة العسكرية للمرور على القوات في ميدان التحرير وماسبيرو، ويتم إعلان قرارات المجلس الأعلى للقوات المسلحة للحفاظ على وحدة الوطن، مع الرهان على تجاوب الشعب وترحيبه، خصوصا بعدما نقلت شاشات التلفزة هتاف المعتصمين " الشعب والجيش إيد واحدة "، ومن المنطقي أن يرحبوا بفترة انتقالية، تتلوها انتخابات حرة تحقق الإرادة الشعبية.

وفى حديقة مركز القيادة العامة طرح عنان فكرة الانقلاب الناعم على طنطاوي وقال: مجلس رئاسي برئاسة المشير، الذي يتولى أيضا حقيبة وزارة الدفاع، وإعلان مواقيت محددة لإنهاء الأزمة والخروج بالبلاد إلى بر الأمان.

ويقول: أصغى المشير باهتمام، ثم سألني: حد يعرف الكلام ده غيرك؟ . قلت: لا.. قال: طيب.. بلاش الكلام ده..

وكان طرح الفريق عنان على المشير طنطاوي لحسم الموقف والقيام بانقلاب عسكري للحيلولة دون تدهور الأوضاع، ثم يتلو ذلك إجراء انتخابات رئاسية جديدة بعد الانتهاء من الفترة الانتقالية التي يجب ألا تزيد على عام واحد، لكن المشير طنطاوي رفض ذلك، وقال: «إن زمن الانقلابات العسكرية ولى، وإن القوات المسلحة ستترك الخيار للشعب، هو الذي يقرر مصيره بنفسه، وكل دورنا هو حماية هذا الشعب ومنع استخدام أي عنف يمارس ضده». اقتنع الفريق سامي عنان بوجهة نظر المشير، وتم صرف النظر عن هذا الاقتراح.

وكان هذا هو مبعث التخوفات التي كانت لدينا في ميدان التحرير منذ اليوم الأول لنزول الجيش، خاصة من جهة الفريق سامي عنان الذي توقعنا قيامه بانقلاب عسكري في كل لحظة، وهذا ما من شأنه وأد الثورة في مهدها؛ إذ أن الفريق عنان كان يرى ضرورة انتهاء عصر مبارك؛ فيقول عنان: " إنه بعد خطاب مبارك يوم 28 يناير، شعرت وأنا أستمع إليه أن الرئيس يتعرض لضغوط حتى لا يتخذ قرارات قوية، وأن بعض المحيطين به لا يتعاملون مع الاحتجاجات الشعبية في ميدان التحرير بالجدية المطلوبة، ويراهنون على أن الأمر سينتهي سريعا وتعود الأمور إلى ما كانت عليه".

وعندما طلب الشباب بالأمس من القوات المسلحة إعلان موقفها رسميا من الثورة، وعدم الاكتفاء بالصمت.. وردا على ذلك اجتمع قادة المجلس العسكري برئاسة الفريق سامي عنان، وأخطروا المشير طنطاوي وطلبوا منه عدم حضور الاجتماع لتجنيبه الحرج، وصاغوا البيان العسكري الأول وحددوا فيه موقفهم من التضامن مع الثورة ومطالبها المشروعة، واستقلوا سيارة الجب العسكرية وبثت ميكروفوناتها البيان على المعتصمين بميدان التحرير، وقاموا بتسريب البيان إلى الإعلام، نقله اللواء إسماعيل عتمان مدير الشؤون المعنوية بالجيش، وجازف عبد اللطيف المناوي رئيس قطاع الأخبار بإذاعة البيان على مسؤوليته دون علم وزير الإعلام أنس الفقي، وبمجرد إذاعة البيان على التليفزيون، أصيب نظام مبارك بالفزع واتصل ذكريا عزمي رئيس ديون رئاسة الجمهورية بالمشير طنطاوي والفريق سامي عنان ورئيس الحكومة الفريق أحمد شفيق وطلبهم لاجتماع مع الرئيس مساء اليوم الثلاثاء 1 فبراير.

وهنا يظهر بجلاء موقف الفريق سامي عنان الذي كُنا نتخوف منه طول الوقت، إذ كانت شخصيته واضحة جدا ، خاصة بعدما أعلنت القيادة العسكرية عن موقفها من جماهير الشعب المعتصمة بالميدان، وهو ما يحمل إشارة ذات معنى؛ كما يروى الفريق عنان أنه: في يوم الاثنين 31 يناير ، اتصلت

بعدد من القادة وبعض أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وطلبت من المشير طنطاوي ألا يشارك في الاجتماع، حتى أجنبه الحرج، وصغنا البيان الذي ننوى إصداره، وعرضته على المشير فوافق وأرسلناه للإذاعة والتليفزيون، كان البيان بمثابة رسالة طمأنة للشعب والقوى السياسية.وبمجرد إذاعة البيان،تمت دعوتنا إلى لقاء مساء يوم الثلاثاء 1فبراير، حضره خمسة هم الرئيس مبارك ونائبه عمر سليمان.. ورئيس الوزراء أحمد شفيق ووزير الدفاع حسين طنطاوي ورئيس الأركان الفريق سامي عنان..وفي هذه الاجتماع، خاطب مبارك المشير طنطاوي قائلا :انتو كده أعلنتوا موقفكم يا حسين..ولم يرد المشير، ووجدت نفسي أتدخل لرفع الحرج، فقلت للرئيس مبارك: يا ريس إحنا أعلنا موقفنا عشان عارفين سيادتك ما بتحبش الدم.

ورد الرئيس مبارك على الفور: دم إيه يا سامي لا سمح الله.. أنا مش بحب الدم.. ولا عايز دم.

وقلت معلقا: عشان كده أصدرنا البيان اللي بيأكد على كلامك ده يا ريس.

وأضاف مبارك: متنسوش يا جماعة إنكم مسئولين عن الشرعية.

وكرر: مسئولين عن حماية الشرعية..

يقول الكاتب الصحفي محمد الباز : بدا أن مبارك غاضبا للغاية من البيان الذي صدر عن القيادة العليا للقوات المسلحة، فقد تحدث البيان بصراحة عن حماية المتظاهرين والتأكيد علي مشروعية مطالبهم وتفهمها.. لكن الغضب الذي يضمره مبارك لم يستطع أن يفرغه سوى في صيغة عتاب فقط. ورد المشير أن البيان يعكس موقف القوات المسلحة الأساسي والمبدئي، من رفض استخدام العنف ضد المتظاهرين، وأنه تأكيد علي موقف القوات المسلحة في حماية الوطن والشعب. وتدخل الفريق سامي عنان في الحوار وتحدث عن مسئولية النظام السياسي فيما وصلت إليه الأوضاع في البلاد ، وما حدث في الانتخابات البرلمانية وما شابها من تزوير.. ولم يختم عنان كلامه إلا بقوله:لم يجد الناس من يسمع صوتهم أو يلبي مطالبهم. وأكمل طنطاوي إن الحل الوحيد للخروج من هذا المأزق أن يلبي الرئيس مطالب المتظاهرين، وأن تبدأ علي الفور خطوات جادة تقنع الناس بأن أبواب الإصلاح الحقيقية قد بدأت، وإلا فإن الأوضاع سوف تزداد تدهورا.

كان من رأي مبارك أن مثل هذا البيان سوف يشجع المتظاهرين علي الاستمرار في تظاهراتهم والإصرار علي رفع سقف مطالبهم طالما توافرت لهم الضمانات الكافية، وأن ذلك ما كان يجب أن يتم دون التشاور مع رئيس الجمهورية، والذي هو القائد الأعلي للقوات المسلحة في الوقت نفسه. وكان يرى أنه يمكن تهديد المتظاهرين بالجيش حتى ولو لم يطلق النار عليهم، وهذا ما دفعه إلى تنفيذ المناورة " إرادة " بالطيران الحربي فوق ميدان التحرير.

وهنا أدرك مبارك أن هناك اتفاقا في الرؤية بين وزير الدفاع ورئيس الأركان.. وأنه لن يستطيع أن يسيطر عليهما أو يجذبهما إلي صفه، وقد يكون في اللحظة التي انتهي فيها الاجتماع قرر أن يقصيهما عن منصبيهما، لكن بعد أن يتمكن من السيطرة علي المظاهرات، وفي هذا الاجتماع حدث أن طال اللقاء، للدرجة التي اعتقد معها أعضاء في المجلس العسكري أن المشير ورئيس الأركان تم اعتقالهما.. وبدأت الاستعدادات لمواجهة الموقف.. لكن بعد خروجهما من الاجتماع.. انتهت الاستعدادات وكأن شيئا لم يكن..لم يكن الصراع بين مبارك وطنطاوي صراع مصالح.. كان صراع بقاء نشأ على خلفية تضامن الجيش مع مطالب الشعب.. وكان المشير ورجاله يعرفون أن مبارك إذا استرد قوته وسيطرته سينتقم من الجميع.. وعلي رأسهم رجال المجلس العسكري، لذلك لم يكن غريبا ما قاله سامي عنان في أحد اجتماعاته، مع بعض المثقفين: إنه لو كانت الثورة فشلت لكان مبارك قد أعدمنا وشنقنا جميعا وعلقنا علي باب زويلة..



هيكل: الجيش نابع من قلب مصر وليس من صنع النظام.. وأعتقد أنه لن يقهر الشعب 6-7

المصري اليوم

جمال البنا يكتب: نهاية الجمهورية الأولى 14

الأربعاء ٢ من فبراير ٢٠١١م- ٢٩ من صفر ١٤٣٢هـ- ٢٥ من طوبة ١٧٢٧- السنة السابعة- العدد ٢٤٢٥ تصدر عن مؤسسة المصرى للصحافة والطباعة والنشر والإعلان والتوزيع ١٦ صفحة - جنيه واحد Al Masry Al Youm-Wednesday-Feb 2 nd - 2011- Issue No. 2425- Vol.7

«مليونية» حضارية فى حماية «الجيش»

مئات الآلاف يحتشدون فى ميادين القاهرة والمحافظات للمطالبة برحيل النظام



مئات الآلاف احتشدوا فى ميدان التحرير أمس للمطالبة بإسقاط النظام

تصوير- محمد حسام الدين

«عمرو موسى» يعلن موافقته على قبول «أى منصب»..و«الأمم المتحدة» تقدر عدد قتلى الاحتجاجات بـ٣٠٠

استجابة لدعوة «المظاهرة المليونية»، احتشد أكثر من مليونى متظاهر، فى ميدان التحرير بالقاهرة، وعدد من المحافظات، أمس، للمطالبة بإسقاط النظام ورحيل الرئيس مبارك.

شارك فى المظاهرات، التى بدأت منذ الصباح شباب وأزهريون وقساوسة وأساتذة وأطباء وفلاحون، وأعضاء فى الأحزاب والقوى السياسية، وجماعة الإخوان المسلمين، وجبهة الشباب القبطى، ورموز منهم: أيمن نور ورامى لكح وعلى السلمى وعمرو خالد ومحمود سعد.

ففى التحرير، احتشد نحو مليون متظاهر، فاض بهم الميدان إلى الميادين والشوارع المجاورة فى سيمون بوليفار وباب اللوق وعبدالمنعم رياض، وكوبرى قصر النيل، ومنعت سيارات مدرعة تابعة للقوات المسلحة متظاهرين جاءوا من الدقهلية وبنى سويف والسويس للمشاركة فى المظاهرات، وتراجعت المدرعات والدبابات من الميدان ومداخل الشوارع الجانبية، لتمنح مساحة أكبر للمتظاهرين، وشكلت كردونات محكمة على جميع الطرق المؤدية للميدان. وقال أحد الضباط لـ«المصرى اليوم» إن الهدف من هذه الإجراءات حماية المتظاهرين، ومنع دخول العناصر المخربة بينهم. وهتف المتظاهرون بسقوط النظام، وشكلوا محاكمات شعبية ضد بعض النظام ورموزه، واتهموهم بالفساد، وطالبوا بإعدام بعضهم. وفى الإسكندرية، تظاهر نحو مليون مواطن، أمام مسجد القائد إبراهيم بمحطة الرمل، استجابة للمظاهرة المليونية، وأعرب بعض الأهالى عن رفضهم عودة الشرطة، فيما تظاهر عشرات الآلاف فى المنيا والبحيرة والإسماعيلية والأقصر والسويس والفيوم وأسوان وبنى سويف، وأعربوا جميعاً عن رفضهم الحوار مع النظام وهتفوا: «لا تفاوض قبل الرحيل». فى السياق نفسه، أعلن الائتلاف الوطنى الذى يضم الأحزاب والنقابات المهنية، والإخوان المسلمين، وعددا من الشخصيات السياسية، رفضه التفاوض مع النظام قبل الموافقة على مطالبه الخمسة، وهى: أن يترك الرئيس منصبه، وتشكيل حكومة ائتلافية، وتشكيل جميعة تأسيسية تحقق سيادة الأمة، وحل المجالس النيابية المزورة ودعوة القوات المسلحة للقيام بمهامها وفقا لأحكام الدستور- على حد قول الائتلاف. وقال السيد البدوى، رئيس حزب الوفد، فى مؤتمر صحفى أمس، إن «شباب مصر أسقط شرعية النظام، ولم يقفز أحد على ما فعلوه، وإنما نؤيد مطالبهم، ولابد أن يكون بيننا من يمثلهم». من جانبه، أكد عمرو موسى، الأمين العام لجامعة الدول العربية، دعمه للتغيير فى مصر، بشرط أن يتم عبر الحوار، معلناً استعداده لأن يشغل «أى منصب» لخدمة بلاده إذا ما طلب منه ذلك. وقال فى مقابلة مع قناة «العربية» أمس: «يجب أن تتقدم مصر إلى الأمام فى إطار توافقى وطنى»، معتبرا دعوة عمر سليمان، نائب الرئيس للحوار «مسألة مهمة». وبدورها أعلنت مفوضة الأمم المتحدة العليا لحقوق الإنسان نافى بيلاى، أمس، أن ٣٠٠ شخص قتلوا منذ بدء الاحتجاجات فى مصر، لكنها قالت: «هذه الحصيلة تستند إلى تقارير غير مؤكدة»، معربة عن قلقها العميق لتزايد عدد القتلى، ومطالبة السلطات بالتأكد من أن الشرطة والقوى الأمنية الأخرى تحرص على تجنب استخدام القوة. واعتبرت بيلاى أن الحركة الشعبية فى مصر عبرت عن نفسها بطريقة شجاعة وسلمية، داعية السلطات إلى الإصغاء لمطالبها فى شأن الإصلاحات الأساسية لتحسين حقوق الإنسان والديمقراطية.

(تغطية شاملة بالداخل)

مصادر: «البرادعى» يطرح اقتراحاً بتولى «سليمان» الرئاسة لفترة مؤقتة

«سكوبى»: واشنطن لا تريد أن تملى على القاهرة اتجاهاً لحدوث الانتقال السياسى

واشنطن- (أ.ف.ب):

أعلن مسؤول أمريكي أن سفيرة بلاده فى القاهرة، مارجريت سكوبى، تحدثت هاتفيا مع الدكتور محمد البرادعى، المدير العام السابق للوكالة الدولية للطاقة الذرية، المعارض البارز لنظام الرئيس حسنى مبارك، فى إطار اتصالات مع مختلف مجموعات المعارضة المصرية. قال المسؤول- طلب عدم الكشف عن هويته- فى تصريحات لوكالة «فرانس برس»، إن سكوبى كررت للبرادعى الموقف العام للولايات المتحدة حول الأزمة، وإن واشنطن تأمل فى حدوث انتقال سياسى، لكنها لا تريد أن تملى على مصر الاتجاه الذى يتعين عليها سلوكه. وأضاف المسؤول أن الاتصال الهاتفى يعتبر الأول الذى تجريه سكوبى مع البرادعى منذ عودته إلى القاهرة قبل ٤ أيام.

ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية عن مصادر سياسية مصرية موثوق بها قولها إن البرادعى تلقى اتصالات هاتفية من مسؤولين ودبلوماسيين من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى لاستطلاع رأيه فى مرحلة «ما بعد مبارك» فى مصر.

وأكدت المصادر نفسها أنه، إضافة إلى اتصال سكوبى، فإن رئيس الوزراء اليونانى جورج باباندريو، والسفير البريطانى فى القاهرة دومينيك اسكويث، اتصلا هاتفيا بالبرادعى للاستفسار منه عن رؤيته لكيفية انتقال السلطة إذا وافق الرئيس المصرى على التخلى عنها.

وتابعت أن «البرادعى عرض خلال هذه الاتصالات اقتراحين، الأول هو تشكيل مجلس رئاسى مؤقت مكون من ٣ أشخاص أحدهم عسكرى والآخران مدنيان، والاقتراح الثانى هو أن يصبح اللواء عمر سليمان، رئيساً مؤقتاً- ربما بتفويض من مبارك- خلال فترة انتقالية، تشهد حل مجلسى الشعب والشورى، وإعداد دستور جديد للبلاد، وإجراء انتخابات نيابية ورئاسية حرة بعد إقرار هذا الدستور. وأوضح المصدر أن «البرادعى يميل إلى الخيار الثانى».

«البترول» تؤكد كفاية البنزين والسولار والغاز.. والنفط يواصل صعوده عالمياً

تحذيرات من نقص بنزين ٩٠ و٩٢ فى المحطات.. ومخاوف عالمية من غلق قناة السويس وخط «سوميد»

كتب- ناجى عبدالعزيز ولبنى صلاح الدين ومحمد الصيفى:

تواصلت الانعكاسات السلبية للأحداث فى مصر على الاقتصاد العالمى، إذ تجاوز سعر برميل النفط حاجز ١٠٠ دولار للمرة الأولى منذ عامين تحت ضغط المخاوف من انتقال الاضطرابات إلى دول أخرى فى الشرق الأوسط، فيما أكدت وزارة البترول استمرار معدلات إنتاج البنزين والسولار والبوتاجاز طبقا للمخطط، مشددة على أن المخزون من هذه المنتجات يكفى الاستهلاك لفترات طويلة بشكل آمن. وناشدت الوزارة، فى بيان أمس، المواطنين الاكتفاء بالحصول على احتياجاتهم الفعلية، وعدم التخزين غير المبرر، لضمان استمرار تدفق هذه المنتجات بسهولة ويسر. ودعت الشعبة العامة للمنتجات البترولية باتحاد الغرف التجارية إلى ضرورة تسريع وتيرة إمدادات البنزين والسولار والغاز إلى المناطق التى تشهد تراجعاً فى المعروض. وقال حسام عرفات، رئيس الشعبة فى تصريح لـ«المصرى اليوم»، إن هناك نقصا فى المعروض من بنزين ٩٠ و٩٢ فى العديد من المحافظات، فضلا عن أن المخزون الاحتياطى فى مستودعات العديد من المحافظات بدأ يتناقص.

وفى محافظة الشرقية، أكد أسامة سلطان، رئيس الغرفة التجارية بالمحافظة، أن الغرفة تحاول تأمين الوقود اللازم لتوصيل حصص الدقيق إلى المخابز وضمان تشغيلها، مشيرا إلى أن تراجع توريد السلع الأساسية بشكل حاد يرجع إلى تجار الجملة والتجزئة.

عالميا، وصل سعر خام برنت بحر الشمال تسليم مارس إلى ١٠٠،٨ دولار للبرميل فى سوق إنتركونتيننتال إكستشينج فى لندن، وهو أعلى مستوى يسجله منذ أكتوبر ٢٠٠٨. وحذر عبدالله البدرى، الأمين العام لمنظمة الدول المصدرة للنفط «أوبك»، من «خطر حصول نقص حقيقى» فى السوق العالمية حال إغلاق قناة السويس وخط أنابيب سوميد المعبرين الاستراتيجيين. وعلى الرغم من أن مصر مصنفة فى المستوى المتوسط لمنتجى البترول، فإنها تضم معبرين أساسيين لنقل النفط هما قناة السويس وخط أنابيب سوميد.

مشروعية مطالب الشارع ودستورية تحقيقها

تواجه مصر اليوم سؤال الحياة.. مصر التى تعيش فينا اختارت الحرية والعدالة والديمقراطية، ولم يعد بوسع أحد أن يتحدث باسم المصريين.. وإذا كان الحلم قد صار واقعاً.. وإذا كانت كلمة الشعب قد طافت الأرض وحلقت فى السماء.. فإن السؤال لم يعد على صيغته فى الماضى، فقد تجاوزنا تحدى الخروج والتعبير السلمى.. وبات علينا أن نواجه السؤال الأصعب: ماذا نحن فاعلون؟!

ثمة رؤى تطرح.. وثمة مقترحات تخرج على استحياء.. ولكن ما ينبغى الالتفات إليه الآن هو أن ملايين المتظاهرين فى الشوارع، ومن ورائهم عشرات الملايين فى البيوت لهم مطالب مشروعة.. هذه المطالب يجب تحقيقها فى سياق دستورى، حتى تكتسب شرعيتها وثباتها على أرض الواقع.. وربما يكون مناسباً فى هذه اللحظة أن نفتح حواراً وطنياً يضمن ذلك.. حواراً بين كل القوى والأطراف السياسية، بحيث تترجم النخبة المصرية الحقيقية مطالب الشارع فى نصوص وأنساق دستورية، تضمن للدولة تطوراً راسخاً، وتجنبها الهزات والعقبات.

إن «المصرى اليوم» تنطلق فى موقفها من انتمائها الأصيل للمواطن وحده.. لذا فهى تدعو كل الأطراف والقوى إلى الارتقاء فوق المصالح الشخصية، والصراعات السياسية، وأن نحافظ على مشروعية مطالب الشارع ودستورية الدولة المصرية، كما تشدد على ضرورة عدم القفز على إنجاز المتظاهرين الذين رابطوا فى الميدان، وفرضوا التغيير الذى عجزت عن تحقيقه جميع الأجيال السابقة، فاللحظة الراهنة شديدة الدقة ولا تحتمل الرهانات غير الوطنية.

المصري اليوم

سعر النسخة ■الكويت ٣٠٠ فلس ■السعودية ٣ ريالات ■البحرين ٣٠٠ فلس ■قطر ٣ ريالات ■الإمارات ٤ دراهم ■عمان ٣٠٠ بيزة ■الأردن ٤٠٠ فلس ■تونس ٥٠٠ مليم ■المغرب ١٠ دراهم ■سوريا ١٥ ليرة ■فلسطين ٠،٢٥ دولار ■لبنان ١٠٠٠ ليرة ■الجمهورية اليمنية ٣٠ ريالاً ■المملكة المتحدة ١ جنيه

(13)

الخطاب العاطفي

منتصف ليل الثلاثاء 1 فبراير

انتهى اجتماع مبارك مع قادة الجيش ونائبه ورئيس وزرائه ولم يصلوا إلى شيء.. وكان مبارك في هذه الليلة يعد لخطابه العاطفي ، بعدما احتشدت الجماهير من كافة أنحاء الجمهورية في ميدان التحرير للمشاركة في المسيرة المليونية، وهو ما مثل مؤشر رعب لمبارك ونظامه، وكان لابد من خطوة ملائمة للرد على هذا الزخم الثوري الذي يتصاعد بشدة في الميدان، لكن هذا الإجراء لابد له من خطوات تحضيرية، لكن تفاصيلها مازالت في الغرف المغلقة.. وفجأة أعلن التليفزيون المصري عن خطاب سيلقيه الرئيس مبارك مساء اليوم، وكنا نتوقع في ميدان التحرير أنها الكلمة الأخيرة للنظام قبل رحيله بعد أن قال الشعب كلمته في المسيرة المليونية، لكن جاء نص الخطاب على هذا النحو :

الأخوة المواطنون؛ أتحدث إليكم في لحظات عصيبة يتعرض فيها الوطن لأحداث عصيبة واختبارات قاسية، بدأت بشباب ومواطنين شرفاء مارسوا حقهم في التظاهر السلمي تعبيرا عن همومهم وتطلعاتهم، وسرعان ما استغلهم من سعى لإشاعة الفوضى واللجوء إلى العنف والمواجهة في القبض على الشرعية الدستورية والانقضاض عليها، فتحولت تلك المظاهرات من مظهر راقٍ ومتحضر لممارسة حرية الرأي والتعبير إلى مواجهات مؤسفة تحركها وتهيمن عليها قوى سياسية سعت إلى التصعيد وصب الزيت على النار ، واستهدفت أمن الوطن واستقراره بأعمال إثارة وتحريض وسلب ونهب وإشعال الحرائق وقطع للطرقات واعتداء على مرافق الدولة والممتلكات العامة والخاصة واقتحام لبعض البعثات الدبلوماسية على أرض مصر.

نعيش معا أياما مؤلمة، وأكثر ما يوجعنا هو الخوف الذي انتاب الأغلبية الكاسحة من المصريين وما ساورهم من انزعاج وقلق وهواجس حول ما سيأتي به الغد ولذويهم وعائلاتهم ومستقبل ومصير بلدهم. إن أحداث الأيام القليلة الماضية تفرض علينا جميعا شعبا وقيادة الاختيار ما بين الفوضى والاستقرار، وتطرح أمامنا ظروفا جديدة وواقعا مصريا مغايرا يتعين أن يتعامل معه شعبنا وقواتنا المسلحة بأقصى قدر من الحكمة والحرص على مصالح مصر وأبنائها.

أيها الأخوة المواطنون :لقد بدأت بتشكيل حكومة جديدة بأولويات جديدة تتجاوب مع مطالب شبابنا ورسالتهم، وكلفت نائب رئيس الجمهورية بالحوار مع كافة القوى السياسية حول

كافة القضايا للإصلاح السياسي والديمقراطي، وما يتطلبه من تعديلات دستورية وتشريعية من أجل تحقيق هذه المطالب المشروعة واستعادة الهدوء والاستقرار، ولكن هناك من القوى السياسية من رفض هذه الدعوة للحوار متمسكين بأجنداتهم الخاصة ودون مراعاة للظرف الدقيق الراهن لمصر وشعبها، وبالنظر لهذا الرفض لدعوتي للحوار وهي ما تزال قائمة، فإنني أتوجه بحديثي اليوم مباشرة لأبناء الشعب، فلاحيه وعماله، مسلميه وأقباطه، شيوخه وشبابه، ولكل مصري ومصرية في هذا الوطن ومدنه على اتساع أرضه ومحافظاته.

إنني لم أكن يوما طالب سلطة أو جاه، ويعلم الشعب الظروف العصيبة التي تحملت فيها المسؤولية وما قدمته للوطن حربا وسلاما، كما أنني رجل من أبناء قواتنا المسلحة، وليس من طبعي خيانة الأمانة أو التخلي عن الواجب والمسؤولية، إن مسؤوليتي الأولى الآن هي استعادة أمن واستقرار الوطن لتحقيق الانتقال السلمي للسلطة في أجواء تحمي مصر والمصريين وتتيح تسلم السلطة لمن يختاره الشعب في الانتخابات الرئاسية المقبلة.وأقول بكل صدق، وبصرف النظر عن الظرف الراهن، أنني لم أكن أنتوي الترشح لفترة رئاسية جديدة وقد قضيت ما يكفي من العمر في خدمة مصر وشعبها، لكنني الآن حريص كل الحرص على أن أختم عملي من أجل الوطن بما يضمن تسليم أمانته ورايته ومصر عزيزة آمنة مستقرة، وبما يحفظ الشرعية والدستور.أقول بعبارات واضحة، أنني سأعمل خلال الأشهر المتبقية من ولايتي الحالية كي يتم اتخاذ التدبير والإجراءات المحققة للانتقال السلمي للسلطة بموجب ما يخوله لي الدستور من صلاحيات.

إنني أدعوى البرلمان بمجلسيه إلى مناقشة تعديل المادتين 76 و 77 من الدستور بما يعادل شروط الترشح لرئاسة الجمهورية، ويعتمد فترات محددة للرئاسة ولكي يتمكن البرلمان الحالي من مناقشة التعديلات الدستورية وما يرتبط بها من تعديلات تشريعية للقوانين المكملة للدستور ، وضمانا لمشاركة كافة القوى السياسية في هذه المناقشات، فإنني أطالب البرلمان بالالتزام بكلمة القضاء وأحكامه والطعون على الانتخابات التشريعية الأخيرة دون إبطاء، وسوف أتولى متابعة تنفيذ الحكومة لتكليفاتها على نحو يحقق المطالب المشروعة للشعب، وأن يأتي أداؤها معبرا عن الشعب وتطلعه للإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي لإتاحة فرص العمل ومكافحة الفقر وتحقيق العدالة الاجتماعية . وفي ذات السياق فإنني أكلف جهاز الشرطة بالاطلاع بدوره في خدمة الشعب وحماية المواطنين بنزاهة وشرف وأمانة، وبالاحترام الكامل لحقوقهم وحرياتهم وكرامتهم. كما أنني أطالب السلطات الرقابية والقضائية بأن تتخذ على الفور ما يلزم من إجراءات لمواصلة ملاحقة

الفاسدين والتحقيق مع المتسببين فيما شهدته مصر من انفلات أمني ، ومن قاموا بأعمال السلب والنهب وإشعال الحرائق وترويع الآمنين، هذا هو عهدي للشعب خلال الأشهر المتبقية من ولايتي الحالية، أدعو الله أن يوفقني في الوفاء به كي أختتم عطائي لمصر وشعبها بما يرضي الله والوطن وأبناءه.

أيها الأخوة المواطنون : ستخرج مصر من الظروف الراهنة أقوى مما كانت عليه قبلها وأكثر ثقة وتماسكا واستقرارا، وسيخرج منها شعبنا وهو أكثر وعيا بما يحقق مصالحه وأكثر حرصا على عدم التفريط في مصيره ومستقبله..إن حسني مبارك الذي يتحدث إليكم اليوم يعتز بما قضاه من سنين طويلة في خدمة مصر وشعبها. إن هذا الوطن العزيز هو وطني مثلما هو وطن كل مصري ومصرية، فيه عشت وحاربت من أجله ودافعت عن أرضه وسيادته ومصالحه وعلى أرضه أموت.. وسيحكم التاريخ عليّ وعلى غيري بما لنا أو علينا..إن الوطن باقٍ والأشخاص زائلون ومصر العريقة هي الخالدة أبدا ، تنتقل رايتها وأمانتها بين سواعد أبنائها، وعلينا أن نضمن تحقيق ذلك بعزة ورفعة وكرامة جيلا بعد جيل، حفظ الله هذا الوطن وشعبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته."

جاء الخطاب منتصف الليل مخيبا للآمال ، وكأن صاحبه لا يعلم شيئا عمّا يحدث في البلاد، فقد ذكرت هيلاري كلينتون الحكاية الأساسية في مذكراتها، تقول: مع احتلال المحتجين لميدان التحرير، بعث أوباما فرانك ويزنر، السفير السابق لدى مصر، لمقابلة مبارك في 31 من يناير من العام 2011. وكانت الرسالة هو أن يتعهد مبارك ألا يحكم مصر مرة أخرى وأن يشرع في التحول السلمي. وفي كلمة متلفزة في الليلة التالية، قالت كلينتون إن مبارك " نفذ كثيرا مما طلبه منه ويزنر، لكن كان الوقت متأخرا جدا بالنسبة للحشود في الشوارع، وكذا بالنسبة للفريق في "غرفة اتخاذ الموقف" في البيت الأبيض.

لكن مبارك لم يأت على ذكر الضحايا والشهداء، ولم يعترف بالشباب ولا الجماهير المحتشدة في ميدان التحرير، اعترف بنفسه فقط بصفته بطل الحرب والسلام. وللحقيقة فإن العيب يقع على عاتق المغفل الذي صاغ له الخطاب؛ إذ أنه في بادئ الأمر وصف المظاهرات بأنها كانت سلمية وراقية ثم تحولت بفعل أيادٍ خفية وأجندات أجنبية إلى أعمال للسلب والنهب والحرق والتخريب.. مع أن كل الشعب يعلم جيدا أن رجاله هم من أحرقوا وسلبوا ونهبوا وخربوا.. ثم يعود في نهاية خطابه يتوعد بملاحقة من قاموا بالحرق والتخريب وهم ذاتهم الذين وصفهم في البداية بأنهم المتظاهرين المغرر بهم؛ أي

المعتصمين في ميدان التحرير لأنه وفقا لوجهة نظره (بدأت المظاهرات سلمية راقية وتحولت إلى نهب وسلب) ، فهو لم يلتفت إلى واقع الأمر في ميدان التحرير، ولم ير اليوم ليدرك مدى الرقي والسلمية والحضارة، بل إنه استبعد الثورة وشبابها واتهمهم بأجندات خارجية،ووجه خطابه للجموع الجالسة على مقاعدها في منازلها علها تهب من مرقدها لنصرته،وتجاهل ثورة الشباب وهتافاتهم وطلباتهم، واكتفى بتعديل مادتين فقط من دستور مهلهل وتغافل هتافات الشباب بالرحيل وحل برلمانه المزور وعهد لذات البرلمان بإجراء التعديلات الدستورية برغم أن الطعون عليه بلغت 95٪، وتغافل هتافات الشباب بمحاكمة الفاسدين والقتلة، واهتم بمحاكمة مَن قاموا بالحرق والتخريب وهم في الأصل رجاله..

في الواقع كان على مبارك أن يتفحص هتافات الشباب ولافتاتهم التي رفعوها في ميدان التحرير بدقة قبل تحضير خطابه، وكان عليه أن يحترم عقليتهم وقدرتهم التي تهدد عرشه، من باعث الخوف والقلق الذي كان يشعر به، والذي دفعه لتحضير خطاب للمرة الثانية خلال أربعة أيام، وربما لو كان قد استجاب لهذه الطلبات بجدية لكان الشعب قد تنازل عن مطلب رحيله وأمهله مدة الأشهر الباقية من فترة رئاسته، لكنه بكبريائه ساهم في تصعيد الموقف، وخطابه المتعالي لم يطفئ غضب الشباب. غير أنه من الغباء أن يبدأ باتهامهم وتقزيم حجمهم ووصفهم بالانسياق وراء قوى سياسية رماها بالخيانة، ثم يتبع اتهاماته باستجابات وبتقديم تنازلات! ووعود.. ورجاء بتركه يموت في وطنه ويدفن في أرضه ! هذا اللغز يمكننا فهمه من خطابه مع الرئيس الأمريكي أوباما حينما أكد له أنه يفهم شعبه جيدا..

فما انتظرناه على أنه خطاب الوداع جاء بالدموع والتوسلات الماكرة.. فقد حاول استعطاف الشرائح الساذجة من المجتمع المصري، وهو بالضبط ما حدث في الثورة التونسية حينما شعر الرئيس بن علي أنه قد اهتز عرشه وآل إلى السقوط فقرر المصالحة من جديد وارتداء عباءة الغبن.. ولذا ذهب لزيارة الشاب المحترقة نفسه غضبا "محمد بوعزيزي" في المستشفى قبل وفاته . لكن الشعب التونسي رغم ما تلقاه من وعود براقة ومحاولات استعطاف، فقد أصر على الرحيل وهتف الشعب له " ارحل.. ارحل "، وهي ذات الكلمة التي أصرت عليها الشرطية حينما طالبت بوعزيزي بالرحيل وصادرت عربة الخضار التي لديه، ورغم محاولاته وتوسلاته إلا أنها قالت له " ارحل.. ارحل " وهكذا أصر شعبه على رحيل النظام فقرر الهروب..

وهكذا، وعلى نفس المنوال، خرج علينا الرئيس مبارك بطلته البهية يلقي خطابه الذي أبكى كثيرا من المصريين وأخذ يترحم ويبكي ويلقي بالتنازلات والوعود ويستعطف الشعب أن يتركه

يموت في وطنه ويدفن في أرضه. وعلى ما يبدو أن الخطاب البائس قد نال كثيرا من عاطفة الشعب المصري، حتى تحولت الشرائح البسيطة من مهاجمة النظام طوال النهار إلى تأييده والدفاع عنه في مساء ذات اليوم، بل وارتفعت الصيحات والزغاريد في الشوارع فرحا ووزعت المشروبات الباردة وتحولت الشوارع إلى حفلات صاخبة على أثر الخطاب الذي أسكر عقول الشعب وخيّره ما بين والاستقرار أو الفوضى، مؤكدا أنه يريد الرحيل لكنه يخشى الفوضى..

وهذا هو الوتر السري الذي كان مبارك يعزف عليه في قلوب المصريين حينما خاطبه الرئيس الأمريكي أوباما..حيث يقول الكاتب الصحفي أكرم القصاص:يوم 1 فبراير اتصل أوباما بمبارك في مكالمة استمرت 30 دقيقة. وقال لمبارك: أنت قائد خدمت بلادك لزمن طويل، لكن الأمور بهذا الشكل لن تتم. وعليك أن تعجل بنقل السلطة.. أنا أعرف حبك لوطنك ولا شك أن آخر شيء تريده لبلادك هو عدم الاستقرار..رد مبارك على أوباما: أنت لا تعرف شعبي، هم يعرفون أنني وحدي القادر على تحقيق الاستقرار في مصر.. فسأله أوباما: ماذا لو كنت مخطئا؟ رد مبارك: أنت لا تعرف شعبي.. هنا قال أوباما: دعنا نتحدث إذن مجددا بعد 24 ساعة. لكن مبارك رد: لا، سوف نتحدث بعد بضعة أيام، سيكون كل شيء أصبح على ما يرام..قال أوباما: ربما كنت محقا، لكن ماذا لو كنت على خطأ؟فالمخاطر عالية جدا بالنسبة لك أيضا. هذا الوضع لن يستمر إلى الأبد.لكن مبارك أنهى المكالمة: أقول لك إنني أنا من يعرف شعبي، أنت الذي لا يعرفه.."(جاء ذلك وفقا لرواية الأمريكان، والتي نشرتها الصحف وقتها، لكن في الواقع المكالمة لم تنتهي عند هذا الحد، فقد دار بينهما اتفاق سري على وأد الثورة،واعترف به مبارك في مذكراته فيما بعد الثورة)

بالطبع يتضح هنا أن مبارك يراهن على شيء ما عرفه في طبيعة الشعب المصري، ويتضح ذلك خصوصا عندما يمهله أوباما 24 ساعة، لكن يرفض مبارك ويقول له:" لا، سوف نتحدث بعد بضعة أيام، سيكون كل شيء أصبح على ما يرام. " ، وهذا ما يعني أن مبارك على علم وإدراك كامل بأن خطابه لن يكون مرضيا للشباب المعتصمين ولن يعودوا إلى منازلهم ، لكن هناك خطة ما، وبالتالي لن ينتهي الأمر خلال 24 ساعة، ولكنه يراهن على أمر آخر ولعبة خفية ربما تقلب وضع الشباب في موقف الاستغاثة به لا الهتاف ضده، وربما كان رهانه على نغمة الوتر العاطفي في قلوب الشعب المصري، فهو الذي حكمنا ثلاثين عاما كاملة، ويعرف متى يعزف باحترافٍ على هذا الوتر. لكن

رهانه على عاطفة الشعب غير مضمون العواقب للدرجة التي تجعل مبارك يتحدى أوباما.. ربما هناك خطة ما تنسج خيوطها في الظلام.. فلنعد إلى أصل الحكاية؛

حيث يحكي لنا تاريخ أجدادنا الفراعنة عن قصة سنوحي، وهي عمل من الأدب المصري القديم. وهي أقدم مخطوطة عثر عليها من عصر أمنمحات الثالث (1800 ق.م). كما يرويها الطبيب سنوحي والذي كان يعمل طبيبا لفرعون مصري اسمه (أمفسيس) في القرن العاشر قبل الميلاد، وقد كتب يقول:

كنت أمشي في شارع من شوارع مصر وإذا بالرجل الوجيه الشريف الثري المعروف (إخناتون) ملقى على الأرض مضرجا بدمائه وقد قطعت يداه ورجلاه من خلاف وجدعت أنفه، وليس في بدنه مكان إلا وفيه طعنة رمحٍ أو ضربة سوطٍ وهو قاب قوسين أو أدنى من الموت، فحملته إلى دار المرضى وجاهدت جهادا عظيما لإنقاذه من الموت..وبعد شهرين عندما أفاق من غيبوبته حكا لي قصته المحزنة المفجعة قائلا: لقد أمرني الفرعون أمفسيس إن أتنازل له عن كل شبر أرض أملكه وأن أهبه أزواجي وعبيدي وكل ما أملك من ذهب وفضه، فاستجبت لما أراد بشرط أن يترك داري التي أسكن فيها ومعشار ما أملكه من الذهب والفضة لأستعين بها في معاشي، فاستثقل فرعون هذا الشرط واستولى على كل ما كان عندي ثم أمر بأن تفعل بي تلك الأفاعيل الشنيعة وأمر بطرحي في الشارع عاريا لأكون عبرة لمن يخالف أوامر الفرعون.

ودارت الأيام وإخناتون المسكين يعاني الفقر والحرمان وكل أمله في هذه الدنيا هو القصاص من الفرعون الظالم ولو على يد غيره.. ويكمل الطبيب سنوحي الحكاية قائلا: مات الفرعون وحضرت مراسم الوفاة بصفتي كبير الأطباء، فكان الكهنة يلقون خطب الوداع يمدحون الراحل العظيم، وكانت الكلمات التي يرددونها لازلت أتذكرها جيدا، فقد كانوا يقولون؛ يا شعب مصر لقد فقدت الأرض والسماء وما بينهما قلبا كبيرا، كان يحب مصر وما فيها من إنسان وحيوان ونبات وجماد، كان للأيتام أبا وللفقراء عونا وللشعب أخا ولمصر مجدا، كان أعدل الآلهة وأرحمهم وأكثرهم حبًا لشعب مصر، وقد وذهب المرحوم الفرعون أمفسيس لكي ينضم إلى الآلهة الكبار وترك الشعب في ظلام.

ويضيف الطبيب سنوحي: وبينما كنت أصغي إلى كلام الكهنة ودجلهم في القول وندب حظ مصر وشعبها المسكين الذي يرزح تحت سياط الفراعنة والكهنة معا، وبينما كانت الجماهير المحتشدة التي نال كل فرد منهم على حدة من بطش فرعون وسياطه أذى وعذابا يندى له الجبين،

سمعت صوت رجل يبكي كما تبكي الثكالى وصوت بكائه علا الأصوات كلها، ويتمتم بعبارات غير مفهومة من شدة النحيب، فنظرت مليا وإذا صاحب البكاء هذا هو (إخناتون) المعوق العاجز الذي كان مشدودا على ظهر حمار مصلوبا وهو مبتور الأطراف، وأسرعت إليه لأهدئه بعض الشيء، كنت ظننت أنه يبكي سرورا وابتهاجا على وفاة الفرعون الذي ظلمه وعذبه إلى حد الموت.. ولكن (إخناتون) خيب آمالي كلها عندما نظر إليّ وأخذ يصرخ عاليا بقوله: (يا سنوحي.. لم أكن أعلم أن سيدي الفرعون أمفسيس كان عادلا عظيما بارا بشعبه إلى هذه الدرجة العظيمة إلا بعد أن سمعت ما قاله كهنتنا فيه. وها أنا أبكي يا سنوحي ليس لوفاة الفرعون ولكن على ما حملته في قلبي من حقدٍ وغضب على سيدي الفرعون العظيم بدلا من الحب والإجلال طوال سنوات عديدة. حقا لقد كنت في ضلالٍ كبير..

ويقول الطبيب سنوحي: وعندما كان إخناتون يكرر هذه الكلمات بإيمانٍ راسخ، كنت أنظر إلى أعضائه المقطوعة وصورته المشوهة وأنا حائر فيما أسمع، وكأنه قرأ ما يدور في خلدي، وإذا به يصرخ فيّ بملء شدقيه: (لقد كان سيدي الفرعون أمفسيس على حق فيما فعله بي يوم أمر بضربي وتعذيبي ومصادرة أموالي لأنني لم أستجب إلى أوامر الإله وهذا جزاء كل من يعصى الإله، وأي سعادة أعظم للمرء من أن ينال جزاء أعماله الذي يستحق على يد الإله لا على يد غيره..) [1]

هذا هو أصل الحكاية التي عاشها فصيا من الشعب المصري على مدار آلاف السنين، وهذه الحكاية تجسد دور المنافقين والمداحين والحاشية المحيطة بكل فرعون جلس على عرش مصر. الحكاية لا تبرز فساد الفراعين بقدر ما تبرز بوضوح سبب فساد هؤلاء الفراعين، وهو المواطن المصاب بالمازوخية، هذا المرض اللعين وهو يجعل النفس تميل دون وعي إلى أن تكون مظلومة مكلومة وتستشعر الظلم والبؤس وتتنعم به وترضى عنه لأنه يجد هوسا في النفوس المازوخية. هذه المازوخية التي ورثها الشعب المصري من جده إخناتون ربما تكون قد أجبرته على الخضوع للفرعون التالي لأمفيس، ثم وريثه الشرعي وحتى فراعنة عصرنا الحالي، وهذا ما جعل جماهير الشعب ترقص طربا في الشوارع والميادين

1- ترجمها من الإنجليزية د. مصطفي السعداوي أستاذ القانون العام – كلية الحقوق جامعة القاهرة (المرجع)

R. B. Parkinson: The Tale of Sinuhe and Other Ancient Egyptian Poems. Oxford World's Classics, 1999, p. 21.

James Karl Hoffmeier: Ancient Israel In Sinai: The Evidence for the Authenticity of the Wilderness Tradition, Oxford University Press 2005, p.256

James Peter Allen: Middle Egyptian: An Introduction to the Language and Culture of Hieroglyphs, Cambridge University Press 2000, p.281

فرحا بالتنازلات التي قدمها الفرعون مبارك في خطابه الليلة ، وهو أيضا ما جعلها تسير بعد منتصف الليل تهف لفدائه بالروح والدم.. أو ربما هكذا ظن الفرعون أن الشعب المصري مازال مصابا بالمازوخية فحاول العزف على وترها..

والأغرب من الخيال، هو أننا عرفنا فيما بعد أن من صاغ هذا الخطاب العاطفي لمبارك، ليس هو مبارك نفسه ولا أحد من مساعديه وإنما إخناتون بنفسه الذي سبله الفرعون ماله وجرده من كل ما يملك... هذا الإخناتون هو أحد الإعلاميين الشباب الذين أثروا بشكلٍ مباشر في إشعال روح الثورة في برامجه ومقالاته على مدار سنوات قبل الثورة، كان الإعلامي البارز والمحلل السياسي المناضل أحمد المسلماني هو من وضع النقاط المحورية لهذا الخطاب ! !، ثم قام فريق مبارك بالتجويد عليه، وهذا ما يؤكد الطبيعة المازوخية لكثير من أبناء الشعب والمثقفين الوطنيين !. ويثبت أن هناك مليون إخناتون مازوخي يعيشون في كل عصر. أما الكهنة المنافقين، الذين يمدحون الفرعون ليل نهار ويساندونه في تعذيب الناس وسلب أموالهم وانتهاك حرماتهم وحقوقهم، فهم فئة السلفيين بقيادة الشيخ الجليل محمد حسان، الذي تم استدعاءه فورا عقب الخطاب العاطفي إلى ماسبيرو ليقوم بالمهمة الوطنية الشريفة في تضليل الشعب ودعم قطعان البلطجية بأن يخطب فيهم محمسا إياهم على الجهاد الوطني!

وأذكر أنه في مايو 2009حدثت وفاة الطفل محمد علاء، حفيد حسنى مبارك، بعد تعرضه لأزمة صحية حادة، كان في الثالثة عشرة من عمره، تسببت وفاته في صدمة لمبارك الذي تلقى هو والعائلة عزاء وتعاطفًا شعبيًا عارما كفاه لتمديد حكمه قرنا كاملا وتوريث السلطة من بعده لأولاده، مع أن هذا الشعب الساذج لو عاد إلى الحقيقة لعرف أن وفاة حفيد الريس ليست أعظم شأنا من وفاة ابن القاضي الذي أمطره الحرس بوابلٍ من الرصاص على بوابة قصره. ولعرف الشعب أن وفاة حفيد الريس جاءت بسبب تعالى وغرور أسرته الحاكمة، حيث كان الطفل يعاني من أزمة صدرية تنتابه من حين لآخر، وفي المرة الأخيرة أسرعوا به إلى مستشفى خاصة بالعائلة الحاكمة ، لكن الطفل كان بحاجة إلى طبيب أخصائي غير موجود بالمستشفى، وكانت حالة الطفل تستدعي نقله فورا لأقرب مستشفى عام لإسعافه، لكن الأسرة الحاكمة رفضت أن تتواضع لإنقاذ حياة الطفل وطلبوا حضور الطبيب الأخصائي بنفسه إلى المستشفى الخاص بهم، ومر وقت طويل إلى أن حضر الطبيب بسبب زحام الطريق، وقرر احتياجه إلى جهاز خاص غير موجود بالمستشفى ، فأرسلوا لإحضار الجهاز من مستشفى آخر ونتيجة لزحام الطريق كان الطفل قد توفى.

ومن خلال تجربة مبارك مع الشعب المصري ومدى تعاطفه مع الأسرة الحاكمة لمجرد وفاة طفل ليس كمثل مئات الآلاف من أطفال الشعب الذين يموتون لنقص الرعاية الصحية في دولته، وليس كما الآلاف التي ماتت حرقا في قطار الصعيد، وليس كما الآلاف التي ماتت غرقا في العبارة السلام 98 التي ظلت تبعث برسائل الاستغاثة طوال الليل، ولم تتدخل قوات الإنقاذ السريع لأن مبارك كان مستغرقا في النوم ولم يرد ذكريا عزمي رئيس الديوان أن يزعجه وتركه نائما حتى الصباح، وكانت العبارة قد غرقت بالكامل.. وهو ما لاحظه أفراد الأسرة الحاكمة من نظرة إكبار وتعظيم وإجلال من الشعب لمشاعرهم في تلك المرحلة نتيجة وفاة الطفل الملكي، ما جعل مبارك يراهن أوباما على معرفته بشعبه وينظره بضعة أيام ليكون الأمر على ما يرام.

وليس غريبا أن تسعى السيدة سوزان هي الأخرى بالعزف على ذات الوتر العاطفي لدى الشعب حينما قررت تأليف كتاب عن حفيدها الطفل المتوفى محمد علاء، تفضي فيه إلى الشعب أشجانها ومشاعرها الفياضة تجاه حفيدها المتوفى، وعهدت به إلى دار الشروق وتم طبعه بالفعل استعدادا للمشاركة في مهرجان سوزان القراءة للجميع، وربما معرض القاهرة الدولي للكتاب. هذا الكتاب كان مجرد تمهيد من جانبها لكسب قلوب المصريين وتمرير مشروع التوريث، من خلال تسكير عقول الجمهور ودغدغة مشاعرهم بمشاعر الشجن والحنين التي طالت عقود من الزمن حزنا على حفيدها المتوفى، وما كان لها أن تستخف بعقلية هذا الشعب إلا لأنها لمست الوتر العاطفي المخدوع دائما. فما هي الفائدة المعرفية والقيمة الثقافية من قراءة كتاب يحكي وقائع وفاة طفل عمره 13 سنة بأزمة صدرية؟

وهي ذات النبرة التي خاطب بها جما عبد الناصر جماهير الشعب المصري أثناء خطابه في الإسكندرية عام 1956، فقد نصحه "مايلز لامبسون" مسئول الاستخبارات الأمريكية في الشرق الأوسط وقتها قائلا " أن الشعب المصري من طبيعته أن يتعاطف مع الشخص المغبون ويلتف حوله"، ومن ثم نسج له مسرحية حادث المنشية وإطلاق الرصاص عليه أثناء إلقاء خطابه بمناسبة تأميم قناة السويس، مع استمرار البطل الزعيم جمال عبد الناصر في خطابه رغم إطلاق 6 رصاصات عليه، هذه الرصاصات كانت بيد شخص تم اختياره وتدريبه بعناية فائقة ليطلق جميع الرصاصات تمر على وجه ورأس وكتف الزعيم دون أن تلمسه، ثم بعد نجاح المهمة يتم تعيين هذا المجرم موظفا برئاسة الجمهورية، أما الغرض من المهمة فكان الظهور بمظهر الشخص المغبون البطل الذي يتعرض دائما

لمحاولات اغتيال رغم جهوده العظيمة لصالح الوطن.. وبالفعل تعاطف معه الشعب بعدما تعرض لمحاولة اغتيال "فاشلة" أمام جموع الشعب وظل صامدا وأكمل خطابه مثل الأسد الجسور.. وجاءت هذه المسرحية تمهيدا لذبح وتصفية خصومه السياسيين..

ثم يتعرض عبد الناصر لموقف آخر عقب النكسة عام 1967م فيجد نفسه بأشد الحاجة لأن يكون مغبونا هذه المرة أيضا لكسب تعاطف الشعب رغم كوارثه التي تسببت في وقوع النكسة، فكتب له رفيقه الصحفي الثعلب محمد حسنين هيكل خطاب "التنحي" الشهير، ونصحه بأن يقرأه على الشعب في الإذاعة وينتظر النتيجة.. كما فعل إخناتون مبارك، الإعلامي البارز أحمد المسلماني في هذا الخطاب العاطفي الأخير..

وبالفعل، أمر عبد الناصر القوات بالتحرك لمحاصرة كبار القادة والمسئولين في الدولة تحسبا لأي تحرك منهم لاستغلال الفرصة، وأرسل قوات الشرطة العسكرية لجمع الفلاحين من الحقول للتجمهر في شوارع القاهرة والهتاف بحياته، واجتهدت الشرطة العسكرية في جمع الفلاحين وشحنهم في الحافلات،ومن رفض منهم هددوه بسحب الأراضي التي وزعها عليهم عبد الناصر . وخلال الطريق عملت على تحفيظهم هتاف " عبد الناصر يا حبيب.. والله وصلنا تل أبيب".

وفي هذا التوقيت جلس عبد الناصر أمام الإذاعة يلقي خطابه وأعلن للشعب أنه " يتنحى تماما ونهائيا عن أي منصب رسمي في الدولة وأنه مستعد للمثول للمحاكمة، وأنه يتحمل كامل المسؤولية عما حدث". وخلال دقائق من قراءة بيان التنحي خرجت الملايين من جماهير الشعب المصري من تحت الأرض تهتف باسمه وحياته في الشوارع والميادين بهتاف " عبد الناصر يا حبيب.. والله وصلنا تل أبيب" لتسع ساعات متواصلة وهو يدور فوق رؤوسهم بالطائرة، ثم يقرر النزول على رغبة الجماهير الحاشدة ويتراجع عن قرار " التنحي" على غير رغبة منه.. بينما انتشرت مظاهرات المعارضين في الشوارع تهتف " أحا .. أحا.. لا تتنحى " لعلمهم بكواليس المسرحية..

نعود إلى ميدان التحرير..ربما كان مبارك قد فكر ودبر لمسرحية مشابهة .. كان الليل قد انتصف وساد الميدان صمت مريب بعد خطاب مبارك الأخير.. مؤشر الطاقة البشرية في الميدان قد انخفض إلى أدنى مستوياته خلال لحظات بعد أن كان في قمته.. الجماهير انسحبت من الميدان في صمت ودون تعليق بعد سماعهم خطاب مبارك الذي ربت على قلوبهم برفق..

وفي هذا الليل المظلم حاولت قتل الوقت في استطلاع عناوين الأخبار؛

- مبارك يعلن في خطاب (شديد الإتقان) أنه لن يترشح لولاية جديدة، وإنه سيعمل خلال الشهور الباقية من ولايته للسماح بانتقال سلمي للسلطة، عازفا على وتر الشعب العاطفي بأنه سيعيش ويدفن في بلده.
- البلطجية يعتدون على سائقي الميكروباصات بالمحافظات لمنعهم من نقل المشاركين إلى المظاهرة المليونية
- توقف خدمة القطارات والسكك الحديدة لمنع المتظاهرين من التوافد على ميدان التحرير
- شفيق: ما يحدث في محافظات مصر ليست ثورة أو انتفاضة ولكنها تعبير حاد عن الرأي
- 100شخص يتظاهرون تأييدا مبارك في وسط البلد
- الحزب الوطني" ينظم مظاهرة مضادة في الإسماعيلية
- الحزب الحاكم في مصر يوزع منشورات تحث المصريين على عدم المشاركة في التظاهرة
- عماد أديب : مجموعات أجنبية في ميدان التحرير تحمل أجهزة مرسلة من الخارج لتأجيج المظاهرات.. و مبارك حالة لن تتكرر ولابد من تتويج تاريخه بالخروج من منصبه مكرما
- موظفون في"التضامن": أملنا في جمعة الرحيل
- مراسل الفرنسية: المتظاهرون يرتدون الأكفان ولن يثنيهم شيء حتى تتحقق مطالبهم وإن كانت حياتهم ثمنا لذلك
- قبض الجيش علي بعض الأشخاص كانوا يطلقون الرصاص علي الناس، وبعد القبض عليهم تبين أنهم أمناء شرطة
- صحف عالمية: فرار مسئولين مصريين للخليج
- | R.N.Nشبكة رصد // واشنطن بوست .. مجموعه جوجل وتويتر تطلق خدمه جديدة للمصرين تتيح للمصرين إطلاق رسائل عبر جوجل وتويتر لبث رسائل صوتية تليفونيا عبرها حيث تم توفير 3 أرقام دولية مجانية لإرسال الرسائل عبرها.
- وكالة عاجل الإخبارية | مراسل دلتا اليوم من ميدان التحرير : أقوى صلاة فجر شهدتها مصر في حياتها ..والدعاء لمصر وعلى مبارك يستمر قرابة 45 دقيقة في مكبرات الصوت..
- توني بلير يتحدث من القدس بكل وقاحة عن "كيف سندير التغيير بمصر"من منظور حفظ مصالح إسرائيل!

- عاجل: وزير الداخلية المصري الجديد: لن أعود وضباطي إلى منازلنا حتى يعود الأمان إلى مصر

مع اليوم الخامس لاعتصام الشباب في ميدان التحرير مطالبين برحيل مبارك عن الحكم، بدأ الرأي العام العالمي يؤيد مطالب الثوار على استحياء، وتحدث أوباما في خطاب له عن ضرورة انتقال السلطة سلميا. ولم يرصد موقع "تويتر" ردود أفعال المصريين على خطاب مبارك الذي أسال مشاعر الشعب بسبب قطع الحكومة المصرية خدمة الإنترنت بشكل تام. وفي المقابل أصبحت أغلب التغريدات المتعلقة بالثورة المصرية على موقع تويتر مكتوبة باللغة الإنجليزية من متابعيها حول العالم، مصريين وعرب وأجانب تعليقا على خطاب أوباما، ليتم تداولها عبر تحديثات صوتية على عدة مواقع[1]

---

1 ـ نسترجع معا تغريدات خامس أيام اعتصام ميدان التحرير عبر هاشتاج الثورة#egypt#jan25

: #Egypt LiveBlog: President Obama's Speech About Situation in Egypt: EAWorldView@EANewsFeed http://tinyurl.com/6hn9pbd #Jan25#p2مدونة مباشر: خطاب الرئيس الأمريكي عن الوضع في مصر

Graham Hughes #FBPE@EveryCountry: Thoroughly disgusted with Obama right now. He had the power to take the bitter pill and END THIS. Chose the cowards option. #jan25#egypt

جراهام هيوز (منتج أفلام): أشعر بالاشمئزاز من أوباما في الوقت الحالي. لقد كان لديه القوة أن ينهي ما يحدث. ولكنه فضل خيار الجبناء

: Now that US has moved to its cooptation position we know that Mubarak is about to leave. Tim Lohrentz
تيم لوهارنتز (باحث) : وبذلك تتخذ الولايات المتحدة موقف المهادنة في الوقت الراهن. نحن نعرف أن مبارك على وشك أن يترك الحكم.

A clear and strong statement from Obama Alberto Nardelli: صحفي في الجارديان: رسالة واضحة وقوية من أوباما

Wajd Bouabdallah@tounsiahourraأوباما يقول أنه أبلغ مبارك بوجوب أن تبدأ عملية انتقال السلطة الآن ويهنئ الجيش المصري على ضبط النفس خلال الأزمة

محبط لأن أوباما لم يحث على إعادة تشغيل الإنترنت والهواتف المحمولة.

: The solution is not for #Mubarak to leave, But fundamentally for changing the regime Anas A@Anasjornalist completely otherwise the revolution will lost #jan25

أنس طالب، صحفي: الحل ليس أن يترك مبارك الحكم، ولكن النظام بأكمله يحتاج تغييرا جذريا، وما عدا ذلك يعني فشل الثورة

ومع استمرار انقطاع خدمة الإنترنت والتعتيم الإعلامي والحرب الإعلامية لتشويه المعتصمين، كانت مبادرة المبرمج المصري الشاب عبد الكريم مارديني قد نجحت بالفعل على الأقل – في نقل أصوات الجماهير المصرية الرافضة لمبارك إلى العالم ، وتبادل من خلالها المتظاهرون بعض المعلومات والتنبيهات، فقد أعلن مطلقو الخدمة عن ثلاثة أرقام دولية تم عرضها على شاشات القنوات الإعلامية وعلقت بها لافتات في ميدان التحرير، وبالطبع نجح كثير من المتظاهرين في استخدامها بالفعل لكن ليس بالقدر الكافي، خاصة أنهم نجحوا في تأمين فريق العاملين بقناة الجزيرة في خيمة بميدان التحرير، وصاروا يبثون كل ما لديهم من مقاطع وثائقية صوتية أو فيديو، ومع ذلك أثبتت خدمة مارديني " غرد على تويتر speak2tweetوجودها في محيط الميدان، برغم افتقادها للقدرة على حمل مقاطع فيديو.

ففي يوم الثلاثاء الأول من فبراير ظهر موقع in AliveEgypt، للنور بنصوص مكتوبة لتسجيلات المصريين التي أودعوها خدمةspeak2tweet، وهو ذات التوقيت الذي بدأت فيه اللجان الإلكترونية الداعمة للحزب الوطني والرئيس مبارك تعود لنشاطها، عقب الخطاب الذي ألقاه مبارك عشية المليونية الأولى في ميدان التحرير. وجدت تلك اللجان في الخدمة هدفا جاهزا لبث الرسائل المؤيدة لمبارك، والداعية لمساندة استكماله لفترته الرئاسية .. والجملة الأشهر التي جاء عدد من كبار السن وموظفي الدولة إلى ميدان التحرير ليقنعوا المتظاهرين بها طول الوقت ،كانت عبارة: " إدوله فرصة، هو وعد إنه هيصلح ومش هيرشح نفسه تاني، كلها 6 شهور ويمشي وانتخبوا اللي انتو عاوزينه" هذه العبارات التي ظهرت في ميدان التحرير وفي خطاب الإعلام عقب خطاب مبارك العاطفي مساء 1 فبراير،وجدت طريقها على الفور لخدمة Speak2tweet وظهرت خلال عدة مكالمات لمؤيدي الرئيس الأسبق، واستقبلها موقع alive.in/Egypt وشبكة تويتر على الفور. وعقب خطاب مبارك الذي بث في الحادية عشرة والنصف تقريبًا من ليل الثلاثاء 1 فبراير؛ بدأت تحركات لمؤيديه تجري في أنحاء متفرقة من القاهرة، رصدها بعض السكان وقرروا استخدام أرقام خدمة Speak2tweet لتحذير المتظاهرين من عواقبها.

والملفت للنظر أن المكالمات المؤيدة لمبارك ولإنهاء التظاهرات جاء معظمها بالإنجليزية، على العكس من المكالمات المؤيدة لمتظاهري التحرير التي جاءت بالعربية، حتى وإن أجراها مصريون

مغتربون في دول لا تتحدث العربية. ومن بين المكالمات اللافتة لمؤيدي مبارك ؛ ثلاثة مكالمات تحمل فيها المتصلات نفس الصوت. أجريت المكالمات بفارق دقائق عن بعضها البعض. أولاها قالت فيها المتصلة: إنها عملت مع هيئة المعونة الأمريكية لمدة 15 عامًا. وأكدت أن المحتجين هم من القوى الإسلامية التي تهدد بتحويل مصر إلى معقل جديد لجماعة طالبان. وأن الشباب الطاهر الذي قام بمظاهرات يوم 25 يناير، انسحبوا وتركوا المجال للإسلاميين.. وناشدت المجتمع الدولي بالتدخل لمساعدة مبارك على استعادة السيطرة على الأوضاع، من أجل وضع أفضل للمرأة في مصر. ونفت المتصلة أن يكون مبارك قد قمع المصريين، مؤكدة أنه منح المصريين الاستقرار، كما منح الاستقرار للشرق الأوسط كله برعايته لاتفاقية السلام. وناشدت المصريين الجالسين أمام أجهزة التلفزيون بمساعدة مبارك. وهذه هي ذات النقاط التي ركز مبارك عليها في خطابه الذي ألقاه في مساء ذلك اليوم. استغرقت تلك المكالمة الدولية أكثر من 4 دقائق.

الصوت ذاته ظهر في مكالمة تالية، تمت بعد تسع دقائق من المكالمة السابقة. وقالت صاحبته إن ما يجري في التحرير خدعة، وأن المتظاهرين ليسوا من سكان القاهرة وأنهم من الإسلاميين، وسكان القاهرة لا يريدونهم في مدينتهم..وعاد الصوت مرة ثالثة في مكالمة طويلة أخرى، ليردد نفس النقاط التي جاءت في المكالمة الأولى؛ فقط ادعت صاحبة الصوت في هذه المكالمة أنها إسلامية، وتهدد بأن الموجودين في التحرير قد يختارون رئيسًا يحارب من أجل فلسطين، وأن الإسلاميين قادرين على استمالة الناس لاختيارهم بالحرب ضد إسرائيل. كما ظهر في هذه المكالمة صوت نسائي آخر يمليها ما تقول، ويذكرها بنقاط غابت عنها تتعلق بمحمد البرادعي الرئيس الأسبق للوكالة الدولية للطاقة الذرية.

من بين هذه المكالمات أيضا واحدة وردت من شخص يدعى أحمد مكي في 1فبراير قال فيها: إنه يحيا بالولايات المتحدة، وردد مكي ضمنا ما قاله مبارك في خطابه، عندما حيا الشباب الذي خرج في مظاهرات سلمية في الخامس والعشرين من يناير، "لكن فئات لها أغراض حولت تلك الاحتجاجات عن أهدافها، وباتت تبشر بالفوضى" حسبما جاء في خطاب مبارك. رأى مكي في مكالمته أنه من اللازم أن "نعطي الرئيس بعض الوقت"، وأن المظاهرات باتت تنجرف للفوضى والدمار. واتصل بهاء باسم في اليوم نفسه ليقول بالإنجليزية: إن العدد الموجود في التحرير لا يمثل أكثر من 4٪ من المصريين. وإن مبارك

قضى نصف عمره يخدم مصر، وهو أفضل خيار لحماية البلاد حتى سبتمبر. وأنه لا يستحق ذلك من المحتجين.

ومن بين تلك المكالمات العديدة، اتصال من سيدة علمت من خلال معارفها في الإسكندرية أن الجيش انسحب، وهناك مصادمات بين المتظاهرين ومسلحين موالين للحزب الوطني، وأن هناك إصابات ووفيات عديدة. وقالت إنها علمت أن تحضيرات لمواجهات شبيهة تجري في القاهرة قرب ميدان التحرير، وأن قوات الجيش تحاول صد الهجمات حتى لحظة إجرائها للمكالمة. ومتصل آخر مساء الأول من فبراير أكد أن عربات تابعة لمن أسماهم" مرتزقة الحزب الوطني" تجوب الشوارع عقب انتهاء خطاب الرئيس الأسبق. وأنهم يدعون الناس للاحتشاد في مظاهرات مؤيدة لمبارك في اليوم التالي.

وآخر قال في مكالمة جرت اليوم ذاته، إنه رأى عبر قناةBBC عربات تابعة للجيش والشرطة تحمل مؤيدين إلى ميدان مصطفى محمود وإلى مبنى التلفزيون، للهتاف تأييدا لمبارك. وطالب بتحذير المتظاهرين من أية مصادمات. جاءت هذه المكالمة في العاشرة والثلث من صباح الأربعاء 2 فبراير، الذي احتشدت فيه النقابات الفنية، ومشاهير الرياضة وأنصار الحزب الوطني في مصطفى محمود وقرب ماسبيرو، وحاولوا الوصول للتحرير لإعلان تأييدهم لمبارك. وتوقع آخر أن تقع معركة كبيرة في اليوم التالي لخطاب مبارك، مطالبا بتسجيل كل ما يقع، متهما التلفزيون المصري بتزوير الحقائق، وهو ما كان موضوع عدة مكالمات أخرى. واتصل شاب تحيطه أصوات تدل على أنه في الشارع، ليؤكد أن ما حدث في الإسكندريةوالسويس من اعتداءات على المتظاهرين على وشك التكرار. وأن أشخاص من منطقة الهرم يستعدون للتحرك صوب التحرير للاعتداء على المعتصمين.[1].

وصلات خارجية

3. يوميات الثورة المصرية ـ1 فبرايرhttps://www.youtube.com/watch?v=RwiCFIKfqd8

4. خطاب الرئيس مبارك يوم 1 فبراير2011https://www.youtube.com/watch?v=5Ffp0EZ-fi8

1ـ من مقال منشور على المدونة " المنصة" بعنوان: المنصة تفتح صندوق الثورة الأسود: اعترافات ووصايا ما قبل الموقعة ، بقلم: عزة مغازي ، بتاريخ: 30 يناير 2016 على الرابط التالي https://almanassa.com/ar/story/955



(14)

ليلة الإحباط الوطني

الأربعاء 2 **فبراير** 2011

أجراس جامعة القاهرة تخترق سكون الليل لتعلن الثانية بعد منتصف الليل.. القاهرة ساكنة.. هادئة وقد ساد صمت مريب وتجمدت الحركة في ظلام الليل، وكأن الزمن قد توقف ليعيد التاريخ حساباته ويغير أقلامه ومداده.. لا أحد في شوارع القاهرة سوى بعض المدرعات العسكرية التي احتلت مواقعها في الميادين والنواصي، لكن على ما يبدو أن شيئا ما يحدث.. من بعيد تتهادى أصداء صخبٍ وضجيج.. في شارع الهرم تحركت مجموعة في خطىٍ حثيثة وتهتف بحماسٍ شديد " بالروح ..بالدم.. نفديك يا مبارك ".. كانت لافتاتهم تقول " نعم لمبارك.. نعم للاستقرار، لا للفوضى.. ومبارك رمز مصر وكل مصري "، وكانوا – كما أخبرني صديقي – مجموعة من الشباب والصبيان تتراوح أعمارهم ما بين 15 **و** 25 **عاما يقودهم رجلان في الأربعين من عمرهما، أحدهما في المقدمة والآخر في المؤخرة.. الشباب يهتفون ويرفعون الأعلام بينما الرجلان يسيران صامتان بشوارب حادة، يبدو عليهما الحزم والصرامة.. يتحركون بهمة وحماس وكأنهم في طريقهم إلى مهمة وطنية وليست أبدا مظاهرة، ربما كانت مهمتهم قطع أكبر مسافة ممكنة من السير في الشوارع مع استعراض لافتاتهم وهتافاتهم، لأن حركتهم كانت سريعة عن المعتاد لأي مظاهرة..**

يقول عبد اللطيف المناوي رئيس قطاع الأخبار بالتلفزيون المصري، في شهادته في كتاب "الأيام الأخيرة لنظام مبارك " بعد قليل من خطاب مبارك لاحظت أن هناك مجموعات بدأت تأتي بالقرب من التليفزيون، وبدأت تهتف للرئيس مبارك، وفيما يبدو أن هذه المجموعات التي أتت في البداية تم تكليفها من قبل قصر الرئاسة، أو الحزب الحاكم، بأن يتم تنظيم مظاهرات لتأييد الرئيس مبارك. وأشار المناوي إلى أن المظاهرات بدأت عقب الخطاب بفترة قصيرة وأن وزير الإعلام اتصل به وطلب منه نقل التظاهرات وسأل عن عدد الموجودين " قلت له العدد صغير وأضفت مازحا 17 **شخصا وأفكر أن أرسل لهم ثلاثة من عندنا ليكملوا العشرين، فقال الوزير انتظر بعد قليل سيزداد العدد، وبعد قليل زاد العدد ليصبح عدة عشرات".**

وقال أنه صعد إلى مكتب وزير الإعلام الذي كان يجري عددا من الاتصالات مع جمال مبارك وذكريا عزمي ومبارك، حيث طلب من مساعديه أن يفتحوا نوافذ المكتب ليتمكن مبارك من سماع صوت الهتافات والأغاني التي يبثها مؤيدوه، وأضاف أن الحديث ثار حول وجود مجموعة من المظاهرات المؤيدة للرئيس في أماكن مختلفة من القاهرة وأبلغ الوزير باستعداده لتغطيتها.

ثم يعلق المناوي " شعرت بأن الافتعال في تنظيم المظاهرات قد يؤدى لنتيجة عكسية، مثل النتيجة التي أتت من نقل المظاهرة الموجودة أمام التليفزيون والتي بدت بأنها في جزء منها مفتعلة، بالرغم من أن فيها من هو صادق بالفعل"، وأشار إلى أن الخطاب العاطفي لمبارك كان كفيلا بإنهاء بالأزمة.

وكنت أتساءل في نفسي عن هذه الهتافات التي لم نسمعها منذ كان يرددها المنافقون والطبالون والزمارون في حفلات الانتخابات الرئاسية الماضية.. كيف ظهرت فجأة؟فهل عادوا مرة أخرى ؟ وهل أخذتهم الجرأة والبجاحة كي يخترقوا شوارع القاهرة بعد منتصف الليل بهذا الهتاف البغيض ؟.. هل أن هذه الجماهير التي كانت ثائرة في ميدان التحرير منذ ساعات قلائل تهتف " الشعب يريد إسقاط النظام " هي التي خرجت بعد خطابه تهتف بحياته..؟ أم أن الخطاب البائس الذي ألقاه مبارك منذ قليل كان قادرا على أن يحول هذه الجماهير 180 درجة من الهجوم عليه إلى الدفاع عنه بالروح والدم ؟.. ليس الأمر طبيعيا، بل على ما يبدو أن هذه خطة سياسية نسجتها العناكب السوداء خلف أستار الظلام ..

والغريب أن مبارك رغم الخلافات الحادة بينه وقادة الجيش في اللحظات الأخيرة قبل إلقاء خطابه، إلا أنه لم ينس مغازلة العسكريين فذكَرهم بصلة الرحم حينما قال في خطابه: " أنا من أبناء القوات المسلحة، وليس من طبعي خيانة الأمانة أو التخلي عن الواجب والمسؤولية" ، ثم يقول " قضيت عمري في خدمة الوطن حربا وسلاما.." ، ويقول " إن هذا الوطن العزيز هو وطني مثلما هو وطن كل مصري ومصرية، فيه عشت وحاربت من أجله ودافعت عن أرضه وسيادته ومصالحه وعلى أرضه أموت". هذه الرسالة ليست موجهة بالطبع إلى الشعب وحده في سبيل استعطافه وتسييل مشاعره لترك الأب العجوز يموت ويدفن في وطنه، بل هي رسالة موجهة للأشقاء ورفاق السلاح. فهل ستأتي بذات الأثر؟ وهل سيتغير موقف الجيش؟ .

لم تكن هناك أي أحاديث أو حوارات جانبية تدور حول مغزى الخطاب ومحتواه.. فقط الجماهير العريضة هجرت الميدان خلال دقائق ولا نعرف هل سيعودون في الصباح أم لا.. ولم يتبق في الميدان سوى عدة آلاف بسيطة من الشباب.. لكن القهر والإحباط ملأ قلوب الجميع على ما يبدو، خصوصا عندما

شاهدنا الكثير من الأسر حضرت إلى الميدان خصيصا لسحب أبنائهم إلى منازلهم. .كثيرون من أصدقائي وأقاربي خاطبوني هاتفيا وسألوني عن أوضاع الميدان وردود الأفعال بعد استجابة النظام لمطالب الشعب كما جاء في الخطاب الأخير.. وكنت ابتعد في إجابتي عن الحقيقة وأسبح في عالم الأمل والتفاؤل إلى حد الخيال.. كنت أجيب بأن الميدان لازال على موقفه والأعداد لازالت متزايدة وأن الشعب لا يزال صامدا ومصرا وعنيدا إلى الدرجة القصوى، على اعتبار أن الميدان محميّ بتواجد شبابه وأن الجماهير تأتي وتنصرف كل يومٍ في المساء، وأكثر ما كنت أخشاه وأخفيه في قلبي هو أن أغلبية الشعب المصري الذي تعرض للظلم والتجويع والترويع وقمع الحريات على مدار عقود طويلة.. هرب وعيه وإدراكه للحيلة السياسية في سبيل بحثه الدءوب عن قوت يومه، وكنت متأكدا أن قدر الله آت.. إما أن تنجح الثورة إذا كنا على حق في مطالبنا، وإما أن يكون مصيرنا دهاليز ومعتقلات أمن الدولة خلال دقائق وربما لحظات، خصوصا أن كثير من المتوادين بالميدان بدا عليهم التردد، بعضهم يقنع الآخر بمغادرة الميدان، والبعض يتردد، لكن عندما يجتمع اثنين من المترددين يتحد قرارهما على المغادرة.. وهذا مؤشر مخيف جدا.

لم تكن الكارثة المتوقعة فقط هي انبطاح بسطاء الشعب أمام الخطاب العاطفي الذي ألقاه مبارك في وجوه الجميع مثل القنبلة الذهنية التي أسالت مشاعرهم، ومن ثم قد يخرجوا مع المسيرات المستأجرة في تجمعات مناظرة لميدان التحرير، فيصبح الأمر مفاضلة بين المخربين المدسوسين بأجنداتٍ أجنبية (شباب الثورة)، وبين جموع الشعب المحتشدة في كافة الشوارع والميادين.. بل إن الكارثة الأكبر وهي تذبذب موقف الجيش بين الفريقين، وهي الخطة التي لجأ مبارك إليها بعد أن عجز عن زحزحة المشير طنطاوي من قيادة الجيش، أو تحريض الجيش على تصفية الميدان بالقوة.. وهي ذات النقطة التي كنا نشعر بالقلق عندها، وتتمثل في عبارة " المطالب المشروعة " فإذا وقع الأمر بالصورة السالف بيانها وانقسم الشعب فريقين بين مؤيد ومعارض، هنا حتما ستتغير معايير " المشروعية " بغض النظر عن الحق والعدل أو الصواب والخطأ.. فالشرعية للجماهير، وإذا كانت الجماهير المؤيدة لمبارك أغلبية وهم بالفعل أغلبية ، هنا ستكون الشرعية بيدهم، وبالتالي فما بقي أمام مبارك ونظامه هو تحريك هذه الجماهير في الشوارع ليكمم أفواه ميدان التحرير.

صحيح أن الجيش أعلن دعمه لمطالب الشعب المشروعة، لكن هل ستظل مطالبنا "مشروعة" حتى وإن كنا نحن الأقلية؟ أو ما هي معايير المشروعية التي قال عنها جنرالات الجيش؟ وهذه هي اللعبة التي حاول مبارك توريط الجيش فيها عندما امتنع قادة الجيش عن ضرب المعتصمين في الميدان، وأعلن الجيش

حماية الشعب ومطالبه المشروعة، فقرر مبارك الرد بواقع فعلي من شأنه أن يجبر الجيش على تصفية الميدان حماية للشرعية، هذه الشرعية ربما حاول أن يستمدها من تعاطف أغلبية جماهير الشعب حوله مع المستأجرين لصالحه لتفتيت خطاب الثورة ومن ثم يتلاشى أثره باعتبار الأغلبية المؤيدة لاستمرار مبارك. غير لأن الجيش لا يهمه من الثورة سوى ضرب مشروع التوريث، وليس خلع مبارك أو تلبية مطالب الشباب المعتصمين بالميدان.

وفي الميدان شعرت بأن شيئا غريبا سيحدث خلال لحظات؛ الكثير من الشباب يقفون في حالة تربص.. يراقبون وينتظرون أي حركة، والأنظار متجهة إلى وزارة الداخلية وميدان عبد المنعم رياض وأعداد المعتصمين في أدنى مستوياتها، تعادل اليوم الأول للاعتصام مساء جمعة الغضب.. فالجماهير التي تضامنت معنا بعد وصولنا ميدان التحرير ربما عادت لتتعاطف مع مبارك بعدما قذف في وجوههم قنبلته الذهنية بالتعاون من حملات الرعب الإعلامي وعصابات السطو والنهب التي أطلقها أعوانه لترهيب الشعب.. لم نكن نتوقع أبدا أن هذه الحيل السياسية الماكرة ستنال من عزيمة الشعب المصري وتثنيه عن مطلبه الأساسي بتنحي مبارك ونظامه وحاشيته التي طالما زورت الانتخابات معتقدين أنه لا يصلح أحد لحكم مصر سوى مبارك، أو كما صرح هو للرئيس الأمريكي أن شعبه يعرف أنه لا أحد بإمكانه تحقيق الاستقرار في مصر سواه ..

وفي هذه الأثناء جاءنا أحد الشباب بأصل الخطة أو ربما ورقة من مسوداتها، وكان يعمل في مطعم "الحصن" الشهير في شارع جامعة الدول العربية، وأثناء عمله في المطعم لاحظ مجموعة من الوزراء وأعضاء البرلمان من قيادات الحزب الوطني وبعض من قيادات الأمن والشرطة يجلسون إلى طاولتين قاموا بضمهما لبعضهما في زاوية من زوايا المطعم، وشكلوا لهم ركنا منعزلا في المطعم.. ولاحظ هذا الشاب أنهم يتوددون إلى بعضهم بحديث بدا غاية في السرية، فاجتهد في لملمة بعض التفاصيل التي تناثرت على طاولة الطعام هذه أثناء تقديم خدماته لهم وطار بها إلى ميدان التحرير بعد منتصف الليل.. وكانت في مجملها تدور حول البحث عن فكرة للتخلص من المعتصمين بميدان التحرير، وكان من بين هذه التفاصيل أن أحدهم قال : لابد من فكرة نتخلص بها من حفنة الصعاليق العالقين بالميدان.. "دول شوية عيال مرتزقة من شباب المقاهي والعاطلين استأجرهم الإخوان وأحزاب المعارضة والبرادعي".. ورد عليه آخر قائلا : نبعث إلى نواب الحزب الوطني في المحافظات ليقوم كل واحد منهم بشحن سيارتين نقل بالبلطجية الذين ساعدوه في الانتخابات مسلحين بالسنج والسيوف والمولتوف ثم يتجمعوا ليطوقوا الميدان من جميع الجهات ومعهم سيارة أو أكثر لنقل الحجارة والزلط من على قضبان السكك الحديد،

وبذلك يتمكنوا من تصفية الميدان خلال ساعة واحدة قبل طلوع الفجر، وعقب آخر على كلامه : طيب.. ما كده هتبقى مجزرة وهيموت منهم كتير..، فرد عليه صاحب الفكرة: إن شالله يموتوا كلهم.. هم لا يعرفوا كم المبالغ والملايين التي دفعناها لكسب الانتخابات الأخيرة ولم يمر عليها سوى شهرين.. وعاوزين يخربوها بكل بساطة..؟ "

وكنا نجلس مجموعة في حديقة الميدان نتجاذب أطراف الحوار، وإلى جواري شاب من طلاب الجامعة الأمريكية وكانت تتوالى عليه المكالمات الهاتفية يرد على بعضها باللغة العربية وبعضها بالإنجليزية، ومعظمها من أسرته وأقاربه أو أصدقائه يطالبونه بالعودة إلى منزله والاكتفاء بما قدمه الرئيس من تنازلات.. لكنه كان يرفض مُصرا على موقفنا ومطلبنا الرئيس وهو رحيل النظام.. ثم جاءه اتصال أخير ربما كان الأخطر بين مكالماته لهذا أغلق هاتفه.. ثم بعد محاولات معه أخبرنا أنها ابنة خالته تطالبه بمغادرة الميدان فورا لأن هناك كارثة ستحدث خلال دقائق.. فقد أخبرها زوجها "أحمد ، ضابط مباحث " بأن وزارة الداخلية تقوم الآن بشحن آلاف المجندين بملابس مدنية في سيارات نصف نقل مدنية ومسلحين بأسلحة بيضاء وزجاجات مول وتوف وكميات من الحجارة في طريقهم إلى ميدان التحرير، ومعهم الكثير من الضباط بملابس مدنية وبأسلحتهم النارية لينسفوا مَن في الميدان قبل طلوع الفجر.." فرد عليه آخر مؤكدا احتمالية حدوث ذلك، وحكي أنه أثناء قدومه في الطريق إلى الميدان لمح في أحد شوارع وسط البلد الإعلامية منى الشاذلي أثناء نزولها من سيارتها تتحدث هاتفيا إلى أحدٍ ما وتقول بلهجة مُفجعة " همَ هايبعتوا بلطجية يصفو ميدان التحرير.. يا نهار أسود دي هتحصل مجزرة.. ".

ثم أعلن التليفزيون المصري بيانا رسميا وبلهجة تهديدية وطالب المعتصمين إخلاء الميدان فورا حتى لا يحدث مكروه لأن هناك عناصر إثارية تحضر لاقتحام الميدان، وأن كرة من النار ملتهبة تتدحرج في طريقها إلى الميدان، وعلى المعتصمين إخلاءه فورا.. وناشد الأهالي الاتصال بذويهم وأبنائهم في الميدان للخروج سالمين.!! كانت لهجة البيان مفزعة فعلا للمواطنين بما ينم عن أن الدولة رسميا تتبنى خطة لتصفية الميدان.

هكذا كانت الأخبار تتناثر وتتواتر إلينا في تسلسلٍ تدريجي، لكن الوضع العام يشير إلى أن شيئا ما من هذا القبيل سيحدث وربما تقع مجزرة فعلا، فقد فشلت الشرطة والأمن بأسلحتهم وملابسهم الرسمية في قمع المتظاهرين، وانهار خط الدفاع الأول ولم يبق إلا أن يتحولوا إلى أعمال الصعلقة والبلطجة بالأسلحة البيضاء والملابس المدنية ليخوضوا المعركة من جديدة ويثأروا لأنفسهم وتكون

في النهاية حرب شوارع لا يعرف فيها الجاني من المجني عليه.. لكن هل يسمح الجيش بوقوع هذه المجزرة في منطقته التي يحميها برجاله ومدرعاته؟

إلى هذا الحد والوضع يبدو مقلقا للغاية، تمضي اللحظة وراء الأخرى في سكون وترقب وبطء في حركة الزمن انتظارا لما سيحدث.. وأعداد الناس في تناقص، فقد بدت أماكن كثيرة في الميدان خالية من البشر بعد أن كان يعج بالملايين طوال النهار وحتى المساء.. وكان برد الليل قارصا، وجلسنا مجموعة من الشباب وأشعلنا نارا وتحلقنا حولها وتدافع حولنا آخرون للتدفئة..وحقيقة لا أستطيع وصف مشاعر الإحباط التي سيطرت علينا في هذا الوقت، وكما يقول زميلان زياد العليمي عضو الائتلاف: إنه مع بداية تنظيم المظاهرات في 25 يناير كان موضوع رحيل مبارك أبعد من أحلامنا، وكانت توقعاتنا " إيه اللي هيحصل يعني.. هنتحبس شوية ونخرج" وبعدما تزايدت استجابات الجماهير في الشوارع يوم جمعة الغضب وبداية حريق الحزب الوطني، كانت توقعاتنا"إحنا هناخد أحكام كبيرة" ولكن الدم قافل طريق الرجوع، وأرواح الشهداء الذين سقطوا منعتنا من التفكير في الرجوع إلى بيوتنا ودعونا لتنظيم المسيرة المليونية. وأما ليلة الخطاب العاطفي كان رأينا "إحنا إتعدمنا خلاص ونعمل اللي احنا عاوزينه".

ولم يؤثر الاختلاف الأيديولوجي، إخوان، ليبراليون، يسار ومستقلون، علي تناغم القرار الانتحاري بعدم التراجع إلا بعد رحيل مبارك، يقول زياد: "كان الائتلاف يضم 2 من كل مجموعة، وقواعد الاحتكام للقرار كانت ديمقراطية، أضف إلى ذلك أن المجموعة أصلا تعرف بعضها البعض جيدا، والثقة بين أعضاءها أكبر من الفواصل الأيديولوجية. لقد أدركنا في لحظة أن التراجع للخلف سيعني إعدامنا جميعا، فهذه هي المرة الأولي التي ستوجه تهمة "قلب نظام الحكم" لمن سعوا فعليا إلى قلب نظام الحكم. لم يكن أمامنا بدائل أخري، لذا عندما تسلمت الاتصال الأول من مكتب عمر سليمان ودعوته للحوار كانت البوصلة في الميدان تقول لا تفاوض، لم نكن حتى نملك شجاعة الانسحاب أمام ثورية الشارع".

كانت الجماهير تنسحب من الميدان تدريجيا بعد خطاب مبارك، والأهالي يحضرون إلى الميدان لأخذ أبنائهم بإصرار شديد . وفي ذات التوقيت توافدت أعداد كبيرة أخرى في زي مدني، كانوا وقورين جدا في التعامل والحوار معنا، يرتدون ملابس مهندمة وعطور فواحة، يدعون المعتصمين لمغادرة الميدان والاكتفاء بما قدمه مبارك في خطابه حتى لا تسقط البلد في متاهة، كانت محاولات مستميتة مع

الجميع لمغادرة الميدان، كانت هذه الأعداد تشكل حملة منظمة من لجان الحزب الوطني ورجال الأمن بأوامر سياسية لأن طريقتهم في الكلام والإقناع كانت منظمة جدا..هذا بالإضافة إلى تأثيرات الحرب النفسية الأخرى.

يقول الأستاذ أحمد نجيب: أعمل مدير إدارة بإحدى المؤسسات المالية الكبيرة، أهلي عاشوا خارج مصر بين إنجلترا والأردن في الستينيات بسبب معارضتهم للنظام الحاكم، وعادوا إلى مصر، وبعدما أصبحت عضو مؤسس لمجلس أمناء الثورة كنا مسئولين عن تأمين الميدان، وكثيرا ما وقع تحت أيدينا ضباط أمن دولة، فالميدان كان مخترقا، فضابط أمن الدولة يدخل إلى الميدان ومعه 50 بلطجيا ولديهم خطط لزعزعة الناس ونشر الفتن، بخلاف تجار المخدرات الذين أمسكنا الكثيرين منهم وتم دسهم بيننا، فالعملية لم تكن أن الميدان يعيش في أمان وسلام طوال الوقت ، فنحن مرت علينا أيام لم نذق فيها طعم النوم ".ونظرا لأن مسجد عمر مكرم الشهير كان مركزا معيشيا استراتيجيا للمتظاهرين، حيث الماء والوضوء والصلاة والراحة والكثير، وهو ما تنبه إليه البلطجية، وحاولوا تدميره، إذ عثرت اللجنة الشعبية على قنبلتين في شكل عبوات ناسفة صغيرة، وأربع طلقات نارية لسلاح آلي، وزجاجات تحتوي على مواد حارقة، كما تم ضبط أكثر من 40 شخصا من البلطجية أثناء دخول المسجد، وتبين أنهم لا يحملون بطاقات هوية بعد تفتيشهم، ورفضوا الإدلاء بأية معلومات، وتم تسليمهم إلى القوات المسلحة.

وفي ذات الليلة سرت أقاويل عن إرسال كلاب بوليسية في الليل لتنهش أجساد المعتصمين، وأرسل الإعلام الرسمي تحذيرا للمعتصمين أن هناك كرة نار ملتهبة تتدحرج في طريقها إلى ميدان التحرير لتأكله بمن فيه، وأعلن أن القوات المسلحة تركت منفذا آمنا لخروج المعتصمين، وحددت محور عبد المنعم رياض للخروج الآمن.. وشدد على عاقبة استمرار الاعتصام لأنه لن تطلع عليه الشمس.

وبينما نحن في هذا السكون والانتظار المريب لما يحمله الغيب لنا، اتصل الفنان الموسيقار عمار الشريعي بأحدنا وأخبره بمشهد رآه من نافذة منزله بشارع الهرم، مجموعات من الشباب يسيرون في مظاهرة مؤيدة للرئيس مبارك ومعهم مجموعة من الخيول والجمال التي تعمل في السياحة بمنطقة الهرم، وقد خرجت هذه المظاهرة من منطقة "نزلة السمان" وتحركوا في شارع الهرم، وأخذوا طريقهم إلى ميدان التحرير، ولأول مرة ترى هذه الخيول والجمال شارع الهرم.. كانت ضربات أقدامهم على الطريق واضحة جدا وخرج الكثير من السكان إلى النوافذ والشرفات لاستطلاع الأمر..

ومضى الليل في سكون ولم يحدث شيء مما توقعناه أو سمعنا به ولا حتى وصلت كرات النار الملتهبة. كان مخططا بالفعل تصفية الميدان قبل طلوع الفجر بالاعتماد فقط على حملة البلطجة المسلحين بالخيول والجمال والمولتوف مع حملة جنود الداخلية المسلحين بالبلطجة في زي مدني، وأن يتم كسح الميدان قبل طلوع الشمس وكأن شيئا لم يكن، ولهذا انقطع الكهرباء عمدا عن ميدان التحرير ومحيطة طوال الليل. لكن إصرار الشباب المعتصمين على البقاء وعدم المغادرة، ومع فشل حملة الإقناع الناعم طوال الليل، اضطر القائمين على حملة دعم مبارك لإعادة حساباتهم مرة أخرى، فالأعداد في ميدان التحرير لازالت غير قليلة ولن تنتهي قبل طلوع الفجر، وهذا ما يعني أن المجزرة التي تقع في الليل ستكون فضيحة على شاشات العالم وأمام الشعب المصري نفسه، ولن يتمكنوا من التعتيم عليها أمام وسائل الإعلام التي تقف بالمرصاد، خصوصا أن هناك صحفيين ومراسلين لم يتمكنوا من إخراجهم من الميدان في هذه الليلة، ولذلك تم تغيير الخطة بنموذج آخر بالاتفاق على تغطية الهجوم بظهير جماهيري شعبي، بحيث لا يعرف أحد أن هناك مهمة أو مأمورية نظامية لتصفية الميدان، ويبدو المشهد كما لو كانت الجماهير هي التي قامت بتصفية الميدان، ولذلك دخلت حملة الخيول والجمال في حظيرة ماسبيرو وظلت واقفة طوال الليل بانتظار تجمع الجماهير والعمال بميدان مصطفى محمود حتى التاسعة صباحا.

وارتفعت شمس الضحى واستأنفت الإذاعات الميدانية مهمتها الثورية وتتابعت أغنياتها الوطنية.. ولم نتأكد بعد هل تمكن الخطاب البائس من إخماد الثورة أم أن جذوتها لازالت مشتعلة في ضمير الشعب.. وما لاحظته في ذلك الوقت أن الشريحة الناضجة من المجتمع المصري خاصة من شباب الجامعات والمثقفين والحركات السياسية، وهي الشريحة التي أشعلت فتيل الثورة منذ بدايتها وفتحت صدورها أمام الرصاص وتحملت على سواعدها ضربات العصي الأمنية، وأشعلت الرأي العام ومهدت له الطريق إلى الشوارع وجذبت ملايين الجماهير لتأييد الثورة والاعتصام في الميادين.. هي ذاتها الشريحة الواعية بمناورات السياسيين وخططهم الماكرة ولم تنخدع بدموع التماسيح التي تقاطرت في هذا الخطاب البائس، ولم تتنازل عن مطالبها وأصرت على الصمود في الميدان مهما كلفها ذلك من تضحيات..

أما باقي شرائح المجتمع البسيطة الساذجة وغير الواعية، فإن كانت تضامنت معنا حينما اشتعلت جذوة الثورة ووقفت خلف صفوفنا معززة، وهو ما مثل عامل الضغط القوي على النظام كي يتأكد أنها ثورة، وأنه لابد له من الاستجابة لمطالبها، فها هي ذات الشريحة الساذجة تتركنا وحدنا في منتصف الطريق وتبتعد عنا منخدعة بالخطاب البائس مكتفية بما زعم النظام أنه استجابة وإصلاح وتغيير

وحفظ لأمن واستقرار البلد.. ولم تدرك هذه الشريحة العريضة حقيقة هذا الخطاب وأنه مجرد فخ نصبه النظام كي يتصيد معارضيه ويحكم القبض على أعناقهم حتى لا تقم لهم قائمة بعد اليوم.. والأدهى من ذلك أن هذه الشريحة العريضة التي تراجعت عن ثورتها أمس بكلمات ناعمة وتنازلت عن مئات الشهداء وآلاف الجرحى مقابل وعود براقة.. هاهي اليوم تستهجن وترفض بشدة إصرارنا وصمودنا في الميدان على أنه تعنت وطمع من الشباب المترف وأصدقاء الفيسبوك في أشياء غير مهمة أو أساسية أو ضرورية مثل الكرامة والديمقراطية والحرية.. فهذه الشرائح كانت تبحث فقط عن قوت يومها، وطالما حصلت على وعد به صدقت وانصرفت إلى عملها، لكنها لا تعي أي تفسيرٍ واضحٍ لكلمة " تغيير.. ديمقراطية أو حرية أو عدالة اجتماعية".. وطالما رضي عنهم السجان رضوا عنه وانصرفوا قانعين.. ولهذا رفضوا إصرارنا وتمسكنا بمطالبنا التي قد تؤدي إلى الفوضى وعدم الاستقرار كما ذهب فكرهم أو أقنعهم بذلك أولو الأمر وخاصة رجال الدين ممن لا يفقهون شيئا سوى ما علق بأذهانهم من تراث وثقافة العصور الوسطى..

الحقيقة أن من خرجوا من الميدان ليلا وهم يتجاوزون 95٪ من طاقته البشرية، هؤلاء خرجوا عن قناعة بالتنازلات والوعود التي قدمها الخطاب الأخير، وبعضهم طمع في الاستقرار وزوال القلق الأمني الذي يعيشون فيه مع توقف عجلة الحياة. وغيرهم من المترددين في القرار خرج من الميدان بعدما تسربت إلينا الأخبار عن كرة النار الملتهبة التي تتدحرج في طريقها إلى ميدان التحرير، وكان كل أملنا كم سيعود في الصباح من الجماهير التي حضرت بالأمس. بينما كان نداء التليفزيون المصري واضحا جدا بأن هناك مؤامرة تحاك ضد الشعب في وضح النهار، وأكد التليفزيون الرسمي أن هناك عناصر إثارية تستعد للهجوم على ميدان التحرير (شاهد النداء على التليفزيون الرسمي : https://youtu.be/z-Yk5UPrHtU)

وكان الإعلام المصري قد بدأ مرحلته الثانية من الحملة الإعلامية على الثورة وشبابها، بعدما انتهت المرحلة الأولى بالتعتيم الإعلامي التام على المظاهرات التي اشتعلت في القاهرة والمحافظات ووصفها بأنها عشرات من شباب جماعة الإخوان المسلمين يمارسون السلب والنهب وانتهاك حرمة المنشآت العامة والخاصة والاعتداء على رجال الأمن والشرطة..

بدأت المرحلة الثانية للحملة الإعلامية بتصوير المظاهرات المؤيدة لمبارك ووصفها بالملايين من جميع فئات وطبقات الشعب، خرجت مؤيدة لاستقرار وأمن الوطن..(شاهد الفيديو – غادة عبد الرازق

تتظاهر بسيارتها المكشوفة من أجل مبارك: https://youtu.be/rDTbJ7OyuuM) وشاهد فيديو المشهد المقابلhttps://youtu.be/x53Dn0AMxBE) وتغافل الإعلام تماما عن ميدان التحرير وكأنه اختفى تماما من خريطة القاهرة وظهر بدلا منه ميدان مصطفى محمود، وتبع ذلك حملة شائعات وتقارير مزورة عن ميدان التحرير دون تصويره تتهم المعتصمين بأنهم ليسوا من شباب 25 يناير الذين اكتفوا بالتعديلات والإصلاحات التي وعد بها الرئيس في خطابه الأخير.. بل أن هؤلاء هم قِلة مندسة تابعة لجهات وأجندات خارجية ومدعومة من الشيعة في إيران وحزب الله في لبنان أو الموساد في إسرائيل، وأن بعضهم حصل على دورات تدريبية في أمريكا وإسرائيل لقلب نظام الحكم في مصر وزعزعة أمن واستقرار الوطن، بل ويحصلون على وجبات كنتاكي ومبالغ مالية بالدولار يوميا كأجرٍ للتظاهر والاعتصام.. وأنهم لا يمثلون أيا من فئات الشعب المصري، بل أن الشعب المصري خرج من ميدان مصطفى محمود وأمام ماسبيرو في مسيرات مؤيدة لبقاء مبارك واستقرار وأمن مصر..

كانت هذه حرب إعلامية قذرة لتضليل الشعب وخداعه.. فالنظام الذي أعاق عجلة التقدم خلال ثلاثين عاما وكان لا يزال في ريعان شبابه لن يصير بإمكانه تسيير العجلة خلال ستة أشهر وهو بعد في مراحل الشيخوخة الأخيرة، ولهذا قامت حملة التشويش التي قادها النظام ببراعة من خلال الإعلام المرئي والمسموع والمقروء ومئات التقارير والمقالات الكاذبة على صفحات الجرائد الحكومية تكيل السب والقذف وسيل من الاتهامات للمعتصمين بميدان التحرير تحث الشعب على الخلاص منهم، وفي ذات الوقت تنشر صور المليونية في ميدان التحرير على أنها مشاهد ولقطات لمظاهرات مؤيدة لمبارك ونظامه..!

وأذكر أنه في التاسعة تقريبا من صباح يوم الأربعاء تحدث أحد الشباب على منصة الإذاعة الرئيسية وأخبرنا بأن هناك جماهير حاشدة تجمعت في ميدان مصطفى محمود بشارع جامعة الدول العربية تهتف بحياة مبارك يقودهم مجموعة من أمثال مرتضى منصور وأحمد شوبير وحسام حسن وإبراهيم حسن وغادة عادل وقيادات من الحزب الوطني ومجلسي الشعب والشورى ومجموعة من الفنانين والمشاهير وغيرهم ممن لا تخفي أربطة عنقهم جهلهم.. ويعرض التليفزيون المصري صورا لمظاهرات متعددة انتشرت في شوارع القاهرة تأييدا لمبارك.

لكننا على الجانب الآخر كانت لنا بصيرة بما يحدث ولدينا رسالة نسعى لتحقيقها وعقيدة نؤمن بها.. وكنا نعي جيدا أن رحيل النظام في هذا الوقت وقبل انتهاء فترته الرئاسية يعني الكثير

والكثير بالنسبة لمصر وشعبها ومستقبله، ويكفي أنه يحمل معنى "التغيير"، فهناك فرق شاسع بين أن يحتفل أبناؤنا وأحفادنا بثورة شعبية قام بها أبطال ضد الظلم والفساد أو أن تكون محض مظاهرة ولو تخطت خسائرها البشرية الآلاف.. هناك فرق بين شرعية ثورية تولد وبين مظاهرة استمرت أسبوعا في الميدان.

أولا : الرحيل يعني أن الثورة نجحت في إسقاط النظام والفساد. أي القضاء على المنهج السياسي الذي اتبعه الحزب الوطني خلال العقود الماضية، وإسقاط الدستور وحفنة القوانين واللوائح التي فصلت خصيصا لخدمة رأس المال السياسي على حساب الشعب، وإسقاط الدستور يعني ميلاد شرعية ثورية تقضي على الشرعية الدستورية القائمة، بما يعني عهدٌ جديدٌ ودستورٌ جديدٌ يعبر عن إرادة الشعب لا مصلحة الحاكم، وآلية جديدة في هدم الفساد وبناء نظام سياسي وأمني واقتصادي واجتماعي جديد يضمن الحرية والعدالة الاجتماعية ومحاسبة الفاسدين من رجال المال والأعمال الذين نهبوا أموال الدولة وأفسدوا الحياة السياسية في مصر..

ثانيا : أن استمرار النظام مع وعود بالإصلاح يعني بكل وضوح. أن كافة الشباب الذين أشعلوا الثورة والمعتصمين بميدان التحرير سيصير مآلهم إلى سراديب التعذيب في معتقلات أمن الدولة حتى وفاتهم تحت كرابيج الجلادين في الظلام، والأهم من ذلك هو أن مصر ستدخل نفقا مظلما من القمع حتى لا ينهض الشعب ثانية ويكرر هجمته على النظام أو يهدد أمنه واستقرار عرشه.

ثالثا: نحن كنا نحلم بدولة يقودها جيلنا لا جيل الخمسينات بأفكارهم وفلسفاتهم المعتلة حتى وإن وعدونا بالإصلاح،، بل حتى وإن عملوا بالفعل في هذا الإصلاح، فعقولهم أولى بالإصلاح.. فهذه الأجيال التي نشأت على الثقافة الأبوية وآمنوا بأن رئيس الدولة هو الأب الروحي للموظفين والمواطنين فيها ولا يجوز التحدث – في حضوره على الأقل – بما قد يخالف رؤيته، فلم تتعلم هذه الأجيال كيفية تحمل المسؤولية بنفسها وتنازلت عنها منذ الصغر احتراما للآباء وتشريفا لهم بتوليتهم مقاليد الأمور الأسرية حتى صغائرها من باب الاحترام.. هذه العقليات لم تستوعب بعد كيف تطور الغرب وتخلفنا على يدهم.

وقرابة ظهر يوم الأربعاء 2 فبراير، بعدما تواردت أخبار عن تحرك مسيرات مؤيدة لمبارك في شارع جامعة الدول العربية وأمام ماسبيرو ومناطق أخرى، كان بعض من الشخصيات السياسية متواجدة في الميدان منذ الصباح الباكر تحسبا لما قد يحدث، وأخبرنا الدكتور محمد البلتاجي، القيادي بجماعة

الإخوان، أن جهة سيادية طلبت منه إخلاء الميدان تحسبا لقدوم مظاهرات مؤيدة لمبارك للتظاهر والاعتصام في ميدان التحرير، قال إنه اللواء عبد الفتاح من المخابرات، اجتمع به في مكتب شركة سفير للسياحة بميدان التحرير، وتحدثا معا في هذا الشأن وأكد له أن أنصار مبارك سيخرجون في مظاهرات تأييد له وسيأتون إلى ميدان التحرير مستعدين للاشتباك، طالبًا منه "انسحاب المتظاهرين من الميدان حتى لا يقع صدام بين الجانبين يتسبب في إراقة الدماء" قائلا: "وفروا إراقة الدماء اللي هتحصل النهارده". وقال البلتاجي " قلت للواء كيف تسمحون لهؤلاء البلطجية بالدخول إلى ميدان التحرير؟فرد قائلا: إنهم مواطنون مصريون يريدون التعبير عن رأيهم بتأييد الرئيس"، فرد البلتاجي قائلا "هل ضاق بهم ميدان مصطفى محمود وكل ميادين مصر للتظاهر فيها؟ ومن الممكن أن يتم فتح ملعب القاهرة الذي يستوعب الآلاف إن كانوا يريدون التعبير عن رأيهم"، فكان رد اللواء "هم يريدون التعبير عن رأيهم بميدان التحرير مثلكم ولا أستطيع منعهم".

وفي هذا التوقيت كانت المروحية العسكرية التي تطوف سماء الميدان قد توقفت عن الدوران فجأة.. وظهرت في السماء طائرة أخرى مدنية قيل أنها تابعة لرئاسة الجمهورية ومن طراز فرنسي.. كانت رصاصية اللون وأخذت تطوف فوق المنطقة وتعود إلى ميدان مصطفى محمود حيث تجمهر مؤيدي مبارك، ثم تقترب من ميدان التحرير وتنعطف فوق ماسبيرو وتكمل طيرانها.. وكُنا نتوقع أن الرئيس مبارك بداخلها يراقب المظاهرات المؤيدة له ويرصد الأعداد المتبقية في ميدان التحرير، ثم يعود إلى ميدان مصطفى محمود ليقارن مع مؤيديه..

لم تكن الرؤية واضحة بالنسبة لنا، ويبدو أن الجيش قد غيّر موقفه من الثورة لأن قدوم اللواء عبد الفتاح مدير المخابرات الحربية بنفسه إلى الميدان ليس أمرا هينًا. وبالتأكيد أن كل الروايات التي طاردتنا طول الليل قد وصلته قبل أن تصلنا، فلا يمكن افتراض عدم علم المخابرات الحربية أو العامة بتحرك مسيرات الجمال والخيول في شارع الهرم منتصف الليل في اتجاهها إلى ميدان التحرير مسلحة بالبلطجة، وطالما عرف اللواء السيسي بأن هناك " إراقة دماء هتحصل " اليوم في الميدان، فليس من المنطقي الرد بأنهم مواطنين يريدون التعبير عن رأيهم، إلا إذا كانت هناك رؤية عسكرية لتمرير هذا النوع من التعبير عن الرأي.. وبطبيعة الحال لم يعد لدينا قلق من احتمالية إقدام الجيش على تصفية الميدان بالقوة العسكرية.. لكن الواضح أن الجيش قد رأي المطالب المشروعة في الجانب الآخر مع الجماهير. وربما قررت قيادة الجيش ترك الساحة مفتوحة لمبارك يتعافى كيفما شاء حتى لا يقال فيما بعد أن الجيش انقلب عليه، وربما اكتفى الجيش بضرب مشروع التوريث.

يقول الكاتب البريطاني روبرت فسك: " هناك نقطة تحول شاهدتها بنفسي فسرت لي الكثير، كنت في ميدان التحرير، وفجأة ظهرت دبابات حديثة بجوار المتحف المصري، وليست تلك النوعية القديمة من الدبابات التي انتشرت بأنحاء الميدان، وأنا متأكد أن مبارك أراد دخول الدبابات إلى الميدان، وعندما رأيت أحد زملائي يرتدى سترة واقية من الرصاص، علمت أن الوضع بات خطيرا، ثم رأيت عددا من ضباط الجيش ينتزعون خوذاتهم العسكرية لإجراء مكالمات هاتفية عبر هواتفهم المحمولة، فسألت نفسي لماذا يلجأ ضابط إلى إجراء مكالمة عبر تليفونه وهو يمتلك جهاز اتصال بوحدته العسكرية، وبعد ذلك الموقف بأيام، علمت أن هؤلاء الضباط الشباب كانوا يتحدثون إلى عائلاتهم ليسألوهم ماذا علينا أن نفعل، هل نهاجم المتظاهرين في الميدان أم لا؟ وكان الرد عليهم: «لا تضروا الشعب المصري، أنتم هناك لحمايتهم فقط».

ويذكر الدكتور عمّار علي حسن أنه في طريقه من السويس إلى القاهرة عام 2011 قابل ضابطي صف بالقوات الجوية، وعرف منهما أن المجلس العسكري أجرى استطلاع رأي بين صفوف القوات المسلحة خلال فترة الاعتصام بميدان التحرير حول إمكانية تدخل الجيش في مسار الثورة، وكانت النتيجة أن الأغلبية الساحقة مع الشعب وضد أي تدخل عنيف لفض المظاهرات.. لكن الوضع يشير إلى اكتفاء قيادة الجيش بما قدمه مبارك من تنازلات، وأن رؤية الجيش بالنسبة للمطالب المشروعة قد تحددت، حتى ولو لم يستخدم الجيش قوته العسكرية في وضع خط النهاية.

فاللواء عبد الفتاح السيسي لم يكن أحد من الشباب المعتصمين يعرفه مثل قيادات الجيش إلا أنني كان لدي خلفية سابقة بكونه رجل عسكري من الطراز الممتاز، وأنه ضمن فريق المعارضين لمشروع التوريث، وقد ذكرت صحيفة "ديلي تليجراف" البريطانية، أن اللواء " السيسي"، أعد دراسة أواخر عام 2010 عن مستقبل مصر السياسي، وأكد فيها اعتزام الرئيس الأسبق حسني مبارك تمرير الحكم لنجله "جمال"، وهو الأمر الذي قد يسبب اضطرابات شعبية، وأوصى في نهاية الدراسة الجيش بأن يكون على استعداد للتحرك لضمان الاستقرار والحفاظ على الدور المركزي الخاص به في الدولة.

وبعد أحداث الثلاثاء 25 يناير وضع السيسي خطة التحرك، وفقا لصحيفة "ديلي تليجراف"، أن الجيش انتشر في الشوارع يوم 28 يناير، وسيطر على المنشآت الحيوية، ورفض الانحياز للنظام، وأصدر بيانا يؤكد فيه احترامه للإرادة الشعبية، وقد أكد الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل في برنامج (مصر أين.. ومصر إلى أين؟)، أن اللواء "السيسي" مدير المخابرات الحربية، طالب المجلس

العسكري بضرورة حسم موقفه من الثورة، مشددا على ضرورة الانحياز للشعب. وهذا ليس أمرا غريبا لكون مدير المخابرات الحربية والاستطلاع هو المنوط به استطلاع أحوال البلد وظروف تحرك الجيش بداخلها وأماكن تركز القوات، وبالتالي ليس من المنطقي القول بعدم معرفة رئيسا المخابرات الحربية والعامة مسبقا بقدوم مظاهرات إلى ميدان التحرير خصوصا أنها تحركت منتصف الليل في شارع الهرم وأثارت إزعاج المواطنين بضربات حوافر الخيول على الطريق ومرت على العديد من الكمائن العسكرية في شوارع القاهرة..

ولذلك قال محمد المغربي، المذيع بقطاع الأخبار بالتليفزيون المصري :أنه عندما قال قطاع الأخبار أن هناك عناصر إثارية تحمل كرات من اللهب تتوجه لميدان التحرير، وندعو إلي سرعة مغادرة الميدان، لم تكن معلومات بل جهة سيادية طلبت إذاعة ذلك خشية حدوث مواجهات بين المصريين في الشارع، والدليل أننا أوضحنا أن القوات المسلحة توفر مخارج آمنة لمن يريد مغادرة الميدان".

بينما كانت الأحداث تتسارع على ضفاف النيل، حيث وقفت تشريفة من قوات الحرس الجمهوري في شارع الكورنيش أمام ماسبيرو، وفتحت الطريق للبلطجية وراكبي الحمير والبغال، كانت سلسلة من الجنود المقنعين بالخوذات الحمراء من قوات الحرس الجمهوري يقفون متشابكي الأيدي فيما يشبه تشريفة عسكرية، فتحت الطريق لعبور قافلة من الجمال والخيول والمشاة في طريقهم على حافة النيل (انظر المقطع الأول من الفيديو : https://youtu.be/QFQIcC-q9f8)

وقد أكد المناوي في كتابه "الأيام الأخيرة لنظام مبارك" أن الجيش سمح لراكبي الجمال والأحصنة بالمرور إلى الميدان مشيرا إلى أن مدير أمن ماسبيرو كان يتأكد من سماح الجيش لهم بالمرور بناء على تعليمات لديه..ولم يحدد المناوي من الذي أصدر التعليمات.. وجاءت شهادة المناوي في هذا الجانب تحمل كثيرا من الالتباس حيث قال نصا " في حوالي الثالثة عصرا، بينما يتدفق على الميدان ألوف المؤيدين لمبارك ، كانوا يمرون من أمام مبنى التليفزيون، ومن العديد من الأماكن، ومن الذين كانوا يمرون أمام مبنى التليفزيون، رئيس الأمن الذي كان يتأكد من سماح الجيش لهم بالمرور بناءا على التعليمات لديه، وكان من بين الذين مروا مجموعة رأيتها على شاشة كاميرات الأمن من الجمال والخيول".

ولم يكن غريبا ظهور الشيخ محمد حسان كبير الكهنة السلفيين في مصر بين هذا الحشد ليشارك بحيوية وحماس في حروب العصور الوسطى التي طالما داعبت خياله، فقد سبق الليلة الماضية أن

حضر الشيخ المعظم إلى ماسبيرو وانخرط مع أعوان مبارك من الأمنيين والعسكريين وأعوان النظام يصافح ويسلم بحرارة ويجري مكالماته الهتافية لاستدعاء جماهيره المباركة من الحقول للمشاركة في الغزو المتجه إلى ميدان التحرير.. وظهر الشيخ حسان في أحد مقاطع الفيديو التي التقطتها كاميرات أمن ماسبيرو تحت عنوان (محمد حسان مع أنصار مبارك قبل موقعة الجمل بساعات. وظهر مع قيادات أمنية وعسكرية داخل وخارج مبنى ماسبيرو وأيضا يسلم عليهم ويتحدث معهم [1]

على كل حال، حينما ارتفعت الشمس في سماء الميدان.. كان مؤشر الطاقة البشرية في الميدان قد تحرر بعض الشيء عن موضعه المؤسف طوال الليل.. وبدأت أعداد بسيطة تتوافد على استحياء إلى الميدان، خاصة أن كل الفتيات يذهبن لبيوتهن في المساء ويعدن في الصباح.. ولازلنا في انتظار كرة النار الملتهبة التي أعلن ماسبيرو أنها تتدحرج في طريقها إلى ميدان التحرير.. ولم تأت بعد.. لكن ـ على ما يبدو ـ أن شيئا أخطر من ذلك يحدث الآن..

وهناك.. على كوبري أكتوبر يتحرك طوفان من الجماهير تعبر أعلى وأسفل الكوبري بكثافة، ولا نعرف أين وجهتهم أو هدفهم وبماذا يهتفون.. ولاحت فوق الرؤوس صورة الرئيس مبارك بحجم الغرفة يرفعها المتظاهرون ويتقدمون باتجاه ميدان عبد المنعم رياض.. ثم هدأت حركتهم على مشارف ميدان التحرير بعض الشيء.. فتجمعنا ووقفنا أمامهم نهتف " الشعب يريد إسقاط النظام " فهتفوا لنا " الشعب يريد إخلاء الميدان ".. وهنا تلونت وجوهنا جميعا..

1ـ للمزيد اضغط على الرابط التالي:
https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2012/02/25/252234.html#ixzz5O0lzaz6z



كانوا يحملون عشرات من اللافتات والصور والأعلام.. لافتات تقول " نعم لمبارك " و " لا لإهانة رموز التاريخ في الحرب والسلام "، " نحترم كبيرنا.. رمز مصر وكل مصري "، " تحيا مصر.. يعيش مبارك " و " لا للهايد بارك " في إشارة إلى ميدان التحرير على أنه كرنفال فوضوي وليس ملحمة وطنية، ولا أعرف كيف قرنوا حياة مصر بحياة مبارك وكيف جعلوه رمزا لمصر مع أنه مواطن مصري مثل أيَ مواطن عادي حتى وإن كان رئيسا.. لكن هذا هو الفارق بين ثقافات مختلفة، وكانت معهم لافتات كثيرة كتبت باللغة الإنجليزية.. والأغرب من ذلك أني وجدت شابا في العشرينات من عمره ولا تبدو عليه أيَ ملامح للوعي أو الثقافة، بل حفر الزمن على جبينه الشقاء واستقرت ندب الجروح القديمة ، والشعر الأشعث الأغبر والملابس البالية، وكل ملامحه لا تدل إلا على أنه " شقيَ"، وكان يحمل لافتة كتب عليها بالإنجليزية " I Love Mubarak " والأغرب من ذلك أنه يرفعها بالمقلوب، فلا يعرف الطريقة الصحيحة لكتابة اللغة أو قراءتها، فسألته فتاة زميلة: هل تقرأ العربية أو الإنجليزية، فقال : لا، سألته؛ هل تحب مبارك ؟، قال لها : نعم، فأخبرته أن اللافتة التي يرفعها معكوسة من الأعلى للأسفل؛ فرد عليها بأنهم سلموها له كذلك، ليس أمرا مهما وإنما الأهم هو إخلاء الميدان من "الكفرة "، قالوا لنا إن المعتصمين في ميدان التحرير"كفرة" من إسرائيل وإيران.. ودعانا للانضمام لهم في حملتهم الجماهيرية

لإخلاء ميدان التحرير.. كانوا يشعرون بأنهم ذاهبون في مهمة وطنية لا تقل أهمية عن العمليات البطولية التي قام بها الرجال على خط بارليف، أو هكذا تم شحنهم معنويا وماديا.

بهذه الكلمات الساذجة عبّر هذا الشاب عن خلفيته الثقافية ومدى وعيه الاجتماعي العام وعبر بوضوح عن خطة النظام في حشد الآلاف من البسطاء والجهلاء لمهاجمة ميدان التحرير، وكيف تمكن النظام من التلاعب بعقولهم واستغلال جهلهم في محاولته للقضاء على ثورة الشباب..برغم أننا ندافع عن حقوقهم في حياة كريمة، لكن كل الذين دافعو عن البقر دهسو.. وها هم البقر قد حضروا ليدهسونا..

وحتى ذلك الوقت لم تكن خطة الإخلاء واضحة معالمها، لكن ذهب خوفنا من الاعتقال ليلا والتعذيب حتى الموت في دهاليز أمن الدولة، وبقي خوفنا على الثورة، فكيف نتركها تموت في أيدينا.. فأعدادهم تفوق أعدادنا بكثير، وملامحهم توحي بجوٍ غريب لم أعهده، فنرى بينهم الصعاليك والأشقياء والمأجورين والفقراء وطلقاء السجون ملتحمين مع أبناء علِية القوم من الفنانين والفنانات والمشاهير والأرستقراط في تداخل ثقافي غريب لا معنى له، فشباب الثورة مهما اختلفت طبقاتهم الاجتماعية، يبقى القاسم المشترك بينهم هو وحدة الثقافة والفكر، أما هؤلاء فقد شكلوا كوكتيلا عجيبا من سمك .. لبن.. تمر هندي..

في ذات الوقت كانت الجموع تتكاثر أمامنا مؤيدة لمبارك وحدث تصادم زحامي شديد عند باب اللوق، هم يتدافعون بقوة إلى الميدان ونحن نكدس أنفسنا أمامهم في محاولة لتعطيل حركتهم، لكن عددهم كان أكثر منا بكثير.. فهتفنا لهم " سلمية.. سلمية " ثم تدافعوا وانتشروا في الميدان وحولوه إلى ما يشبه السوق الفوضوي. تجمعات كثيرة تجوب الميدان وتهتف بحياة مصر ومبارك.. وتزاحموا أمام المنصات الإذاعية في محاولة للتشويش عليها.. وتماهت أعدادنا البسيطة بينهم، وصاروا هم شعب الميدان ونحن قلة منتشرة بينهم، هم في تجمعات ونحن أفراد بينهم.

وكنا في بداية الأمر نعتبرهم مواطنين مثلنا ولهم الحق والتظاهر في الميدان كما لنا الحق وللجميع حرية التعبير عن الرأي طالما أنها في نطاق الديمقراطية التي نطالب بها، لكن بعد دقائق حاول بعضهم الصعود إلى المنصة وحاول نزع أسلاك مكبرات الصوت فاعترض شبابنا، ثم بدؤوا يتحركون في الميدان بشكل فوضوي يميل إلى التخريب والعربدة في كل شيء وتمزيق اللافتات واللوحات المعلقة في الميدان وهدم الخيام.. وكان بينهم من الخارجين على القانون والمسجلين خطر يحملون أسلحة بيضاء

وسلاسل معدنية وخناجر قصيرة.. ظهرت كل هذه الأشياء حينما حاول شبابنا منعهم من قطع أسلاك الإذاعة الميدانية..



وفي تمام الساعة الثانية والنصف بعد الظهر، أعطى ضابط المأمورية إشارة البدء، فاندفع فريق في الخيول والجمال يجوبون ميدان التحرير بسرعة وهمجية يروعون الناس بخيولهم وإبلهم وبيدهم العِصيَ والكرابيج والسلاسل المعدنية والسيوف.. لهم مسميات لهذه الأدوات لا نعرفها نحن.. كان ضابط المأمورية يقف على حافة سطح المتحف المصري يراقب الميدان والزحام ، وحينما تعثرت موجة البلطجية الأولى في اختراق الميدان تلفت حوله ومد ذراعه تجاه الغرب يلوح بطوله حتى عبرت الموجة الثانية بالجمال والخيول.. (انظر المقطع الثاني من الفيديو : https://youtu.be/QFQIcC-q9f8)

وارتفع الصراخ وهاج الناس وانتشر الرعب والذعر في الميدان.. الكثيرون وقعوا أرضا تحت أقدام الخيول وغيرهم نهشت أجسادهم الكرابيج والسلاسل.. وآخرين نالت منهم طعنات الخناجر وضربات السيوف وركلات الأقدام.. كنا خائفين على بعضنا وكأننا إخوة أو أصدقاء مقربون، رغم أننا لم نر بعضنا البعض من قبل، ولكننا اليوم نسيج واحد ومصيرنا واحد في النهاية.. فأنا لا أعرف شيئا عن قناعات الشاب، الذي يقف بجواري، ولكنني أعرف جيدا أنه مصري الجنسية، وهذا يكفي.

شاهد.. البلطجية يدخلون من ناحية الجيش https://youtu.be/DPA4Qt6ef1g

وفي هذه اللحظة شعرت بأن ذاكرتي تقلب الأحداث بعفوية غريبة.. صور الموت والضياع والمخاطر التي تعرض لها المعذبين في المعتقلات.. صور خاطفة من عهد عبد الناصر والسادات ومبارك..من صور من الحروب والدمار.. صور من المشانق المعلقة في الخلاء.. كانت ذاكرتي تطحن محتوياتها بعنف..وتأكدت بأن مصر تضيع الآن.. وتأكدت فعلا أن ما يحدث الآن أخطر ألف مرة من كرة النار الملتهبة التي أذاع ماسبيرو أنها تتدحرج في طريقها إلى ميدان التحرير.. وشعرت بالقهر والإحباط وأنا أنظر إلى مصر التي اغتصبها الصعاليق.



وكان اندفاع الخيول قد شق الجمهور نصفين وتباعدا، فانفلق الميدان طوليا وبدا المشهد كما لو كانت العبارة سالم إكسبرس هي التي تشق البحر نصفين فتخلق موجة عالية تترامى أطرافها تجاه اليمين والأخرى تجاه اليسار، كل فريق أوسع لهم الطريق يمينا أو يسارا والبعض سقط تحت أقدام الخيول والجمال.. لكن ما فاجأني هو خوف الناس الشديد من هذه الخيول والجمال.. على ما يبدو أن غالبية الشباب هم من سكان القاهرة، وبطبيعة سكان المدن ربما يشخون الاقتراب من هذه الحيوانات.. حتى أن الشيخ صفوت حجازي عندما شاهد منظر الهجوم قفز من الميدان مع الناس إلى داخل موقع المقاولين العرب، ووقف فوق خزان مياه يشاهد هجمات الخيول.. وبحكم نشأتي القروية، فلم أكن أخش الخيول والجمال.. وأعرف جيدا نقطة ضعف الحصان، وهي أن تلوي عنقه فينكفئ على وجهه مع اندفاعه وسرعته، وهذا ليس صعبا لأن قوة ذراعي الواحدة أقوى من عنق الحصان.. وبمجرد أن أمسكنا أول حصان فسقط على الأرض وتجمع العشرات البلطجي فأوسعوه ضربا، وخلال هذه اللحظات

كانت مجموعات من الشباب تدافعت على الخيول ومن على ظهورها فأسقطوهم جميعا وأوسعوهم ضربا وركلا بالأقدام، وعلى ما يبدو أنهم لم يكونوا يشعروا بما يحدث لهم، فقد كانوا مخمورين حتى الثمالة.. دمائهم تنزف من آثار الضرب ولا يشعرون بها وكأنهم خنازير.. هؤلاء هم البقر الذين دافعنا عن حقوقهم فدهسونا.. (شاهد فيدو خروب العصور الوسطى

(https://www.youtube.com/watch?v=ZI8agBGkaoI)

(https://www.youtube.com/watch?v=CZAIbAu8CkY)



كان عدد الخيول يتجاوز العشرين بينما التي أمسكناها عشر ومعهم ثلاثة جمال، والجمل بالطبع كان أصعب في الإيقاع به وراكبه لأنه أعلى من الحصان، غير أن الجمل الأخير عندما رأى ما يحدث أمامه فرَّ مسرعا إلى الخلف قبل أن تتخطى أقدامه بضع خطوات في الميدان.. هنا بدأت الثورة تولد من جديد وتتشبث بحياتها.. وحاولنا إخراجهم من الميدان فبدو طيعين في أيدينا بعدما أصابهم وفرسانهم في جولتهم الأولى، وانتقل الخوف والقلق من قلوبنا إلى قلوبهم رغم ما يحملونه من أسلحة كثيرة ومتنوعة.. فخرجوا جميعا من الميدان وعادوا إلى الخلف قليلا ونظموا صفوفهم وتزاحموا، وتوزعت مجموعات كبيرة منهم على مداخل الميدان.. مجموعة في شارع شامبليون ومجموعة في شارع

طلعت حرب وأخرى في شارع التحرير من جهة عابدين ومجموعة أكبر منها في شارع التحرير من جهة قصر النيل أمام الجامعة العربية وحاولوا تطويق الميدان من كل الجهات بحيث يعمدوا لتفريقنا وتضعف شوكتنا، لكن الحشد الضخم من الجماهير كان في ميدان عبد المنعم رياض وكوبري أكتوبر..

منعناهم من دخول الميدان من كافة منافذه وكان الحشد الأكبر بيننا وبينهم في اتجاه عبد المنعم رياض، ووقفنا أمامهم صفوف متراصة خلف بعضها وكأننا في الصلاة، وحتى القلوب صافية تماما لا يملؤها إلا الإيمان بالله والوطن، وصرنا نهتف " سلمية.. سلمية " فيهتفون هم " يعيش.. يعيش.. يعيش " ثم نهتف " الشعب يريد إسقاط النظام " فيردون " الشعب يريد إخلاء الميدان "، وكنا نتسابق في رفع اللافتات والأعلام؛ فيبادرون برفع لافتاتهم وأعلامهم بالإضافة إلى صور حسني مبارك بالحجم الكبير، وكانوا يعرفون أنها تضايقنا ولهذا كانوا يبرزونها أكثر، فنهتف بصوت جماعي " الله أكبر.. الله أكبر "، فلا يجدوا ما يهتفون به إلا التشويش علينا، وكانوا يحملون بعضهم البعض لرفع لافتاتهم وصور مبارك لتبدو عالية أمام عدسات الإعلام.. فجأة قذف حجر من فوق المتحف، وكأنها إشارة البدء فبدءوا رشق الحجارة بشكلٍ جماعي منظم ، فهتفنا " سلمية.. سلمية " فواصلوا رشق الحجارة، وقالوا لنا : لن تكون سلمية إلا بعد فض الميدان".

ويصف المشهد رفيقنا عضو حركة 6 إبريل: في أول دقيقة من الهجوم، شعرت أنها نهاية الحياة، نهاية العزة والكرامة، كانت محاولة لكسر عنيف لإرادتي وإرادة الملايين من أنبل ما أنجبت مصر، بكيت بشكل عنيف عندما رأيت المشهد، ليس بدافع الخوف، ولكني شاهدت صديق مصري مقيم في فرنسا وجاء خصيصا للمشاركة في تغيير الظلم، وعندما انتشرت الفوضى في المكان، مسك بيدي وقال "شايف مصر بيحصل لها إية" تمسكت بيده بضع لحظات وانهمرت الدموع من عيني، وبالرغم من كمية الحجارة الهائلة التي كانت تلقى علينا في ميدان التحرير من هؤلاء المأجورين، إلا إني رأيت متظاهري التحرير يبادلونهم الحجارة بنفس القوة والكثافة.. شعرت أننا لن نستطع المقاومة، فهؤلاء محترفون في ممارسة العنف، أما نحن فمعظمنا لم يمارس العنف من قبل، فأنا على سبيل المثال لم أشترك في معركة عنيفة طوال حياتي، ولكني شاركت بكل قوة خصوصا عندما رأيت في بداية المعركة، وفي ظل حالة الفوضى والخوف التي انتابت الميدان، رأيت عائلة بل عائلات مكونة من أب وأم وأطفالهم الصغار جالسين في حديقة الميدان و لم يفروا هاربين، لم يستطيعوا التقدم للخطوط الأمامية لصد العدوان لكنهم ظلوا متشبثين بالميدان ولم يتسرب الخوف الذي انتاب الكثير من حولهم إلي

قلوبهم. بل إني رأيت رجل طاعنا في السن افترش الأرض وألقى بجسده على أرض الطريق الذي بدأت فيه الخيول بالهجوم، ووضع اللافتة التي كان يرفعها بيديه أثناء الثورة على صدره وهي"الشعب يريد إسقاط النظام"، وهب فيه الناس "قوم يا مجنون" كونه عرضة للموت والدهس، لكنه لم يعرهم اهتماما، كان يبعث برسالة قوية في نفوس الشباب.. وفي وسط الميدان وجدت عشرات الأشخاص جرحى يتدفقون من بداية الطريق، كل تلك المشاهد رأتها عيني في دقائق قليلة. شعرت أن الميدان هو منزلي ووطني الذي لم أره من زمنٍ بعيد، وكاد أن يلفظني، وأن عشرات الآلاف في الميدان هم أسرتي، والمحاربين في الصفوف الأمامية ليسوا إلا مصريين حقيقيين يواجهون الظلم والفساد دفاعا عني وعن غيري وعن الميدان. "

وفي بداية الأمر كانت الحجارة جاهزة لديهم فكنا نتلقفها ونلتقط ما يقذفونه من حجارة لنعيد رشقهم بها ثانية، فكان هذا هو موردنا الوحيد من الحجارة، وإذا نفدت نقف صفوفا متلاحمة مثل الدروع والمتاريس لمنعهم بأجسادنا من دخول الميدان.. وبعد مرور نصف ساعة من التراشق بالحجارة وقبلها هجمة الخيول والجمال التي فشلت.. لازالوا على مشارف الميدان ولم يتمكنوا من السيطرة عليه بعد، فطلبوا هدنة وهتفوا لأول مرة " سلمية.. سلمية" ولوحوا لنا بأيديهم بإشارة لوقف التراشق بالحجارة فأعطيناهم الهدنة وألقينا ما بأيدينا بعيدا حتى لا يبادر أحدنا بالتراشق مرة ثانية لأننا نريدها سلاما، ضغطنا على زملائنا لإلقاء ما بيدهم ضمانة لهم فتصاعدت هتافاتهم " يا مبارك يا طيار أوعى تسيبها تولع نار"..



****

وصلات خارجية

1. **لقطات من موقعة الجمل ـ اليوم الأسود في تاريخ مصر**

https://www.youtube.com/watch?v=VAqumWL3Vo8

2. **موقعة الجمل وتخاذل الجيش المصري**

https://www.youtube.com/watch?v=8Q0mM8H-to8

3. **وثائقي: موقعة الجملhttps://www.youtube.com/watch?v=rWWYXXGpvq0**

4. **موقعة الجمل من قناة الجزيرة**

https://www.youtube.com/watch?v=DFkPtcqWOfM

5. **موقعة الجمل فيلم وثائقي رائع ومقاطع نادرة من قناة مصر**
6. **https://www.youtube.com/watch?v=3EdBA2oLRGA**
7. **https://www.youtube.com/watch?v=7F3hbTrw9EU**
8. **https://www.youtube.com/watch?v=xqITv8sdpIM**



(15)

أنصاف الثورات أكفان للشعوب



الأربعاء الدامي 2 فبراير

في شرفته بالطابق العاشر بالعقار المطل مباشرة في القلب من ميدان التحرير، وقف عم بيير السيوفي ينهر الأولاد لينفضوا من حوله وينصرفوا لحماية ميدان الثورة الذي تعرض للغزو من قبل قوافل الغجر وبالجمال والحمير والسيوف.. بينما تساقطت دموعه من شرفته على حافة الرصيف.. وبللت اللوحة الكبيرة التي علقها شباب الثورة بمطالبهم حتى ذابت حروفها الكبيرة.. بكى هذا الفنان بدموع القلب عندما شعر بأن مجهود أولاد الثورة يضيع هدرا تحت حوافر الخيول والحمير.. وذابت تضحياتهم ..بطولاتهم ودماءهم في بئر الخيانة.. فهناك "صفقات سرية تعقد في مكاتب الحكومة، وصفقات مضادة في اجتماعات الأمن السرية، وجيوش من الجهلة تتحرك في ظلام".



وعلى حافة الرصيف ذاته كانت تقف دبابة النقيب ماجد بولس بطاقمها كاملا.. لا تحمل أوامر من أي نوع إلا عدم التعرض للبلطجية.. بينما هجمت قوافل الغجر بالسيوف والخناجر والقنابل اليدوية في محاولة لافتراس الميدان من الكبد..من شارع طلعت حرب، وكانت هذه الهجمة الشرسة كفيلة

بتصفية حفنة الدماء التي تجمدت في عروق الفتيات والأطفال المحصورين داخل الميدان.. وسط صيحات الهلع والخوف من الضياع.. كانت الناس تخشى على أطفالهم وبناتهم أن يعيشوا مشوهين معوقين مبتوري الأطراف إن ظلوا أحياء بعد هذا الهجوم.."

يقول زميلنا عمرو غز، عضو اللجنة التنفيذية لائتلاف الشباب: "عند طلعت حرب، عسكري كان حيضرب نفسه بالنار بعد ما البلطجية هجموا من شارع طلعت حرب وأصابوا متظاهرين كثير كانوا نايمين، كان في واحد نايم وبلطجي دخل ضربه بالسيف أو حاجة زي كده.. فالعسكري شاف المنظر جاتله حالة هيستيريا وكان حيضرب نار، كان حينتحر"

ترك النقيب ماجد طاقمه وهرع كما المجنون في عرض الشارع الذي امتلأ بالغجر.. صوب سلاحه فوق رؤوس الهمج وتتابعت طلقاته في الهواء متسارعة وهو يدور وينعطف قابضا بذراعيه على سلاحه يمينا ويسارا ليكنس الشارع من هؤلاء البقر حتى غابوا عن الأعين.. نعم إنه أسد الثورة الذي أنقذها في اللحظة الضائعة.. بينما كان الشباب مشغولين في مواجهة طوفان الغجر في جبهة عبد المنعم رياض الأكثر سخونة..

ولأن النقيب ماجد بولس ممنوع بقوة الأوامر العسكرية.. التي أعجزته عن حماية مبادئه وقيدت غرائز الشهامة والنخوة داخله.. فعجز عن حماية الميدان من الهجوم.. وقف صامتا حزينا يتأمل تناقضات القدر..وضع يده على جنزير دبابته الصامتة وهو يشاهد الشباب محمولين بين قتيلٍ وجريح إلى داخل المستشفى الميداني بمسجد عباد الرحمن.. تساقطت دموعه كثيرا بعدد الشباب الذين عبروا محمولين على الأعناق أمام عينه.. خرج الطبيب الشاب مصطفى من المستشفى ليجده وقد عزت عليه نفسه لعجزه عن حماية الميدان بسبب الأوامر، وما كان من الطبيب إلا أن مد يده برفق ليمسح دموعه قائلا" لا تبك إن الله معنا ". شاهد الفيديو : https://youtu.be/-roxp7d7IU8)

وعلى مدخل الميدان من جهة عبد المنعم رياض، أخلى ضباط الجيش مدرعاتهم ومعداتهم وتركوها غنائم لجيش الغجر يستعينون بها في هجماتهم المتوالية على الميدان، أما أطقم الدبابات والمدرعات فقبعت بداخلها وأغلقت منافذها ودروعها حتى صارت كما السلاحف الساجدة.. وتجمع ضباط الجيش في حديقة المتحف وتركوا الحبل على الغارب، وجلسوا يشاهدون المجزرة بشغف، ورغم أننا استغثنا بهم أكثر من مرة لوقف نزيف الدماء، إلا أنهم أجابوا بقولهم: " أنتم مصريون مدنيون تعبرون عن آرائكم ومطالبكم، وهم أيضا مصريون مدنيون يعبرون عن آرائهم ومطالبهم، وأن القوات المسلحة

ليس من اختصاصها التعامل مع المدنين وإلا غرق الجميع في بحر من الدماء ونحن لا نملك الآلية لفض حرب الشوارع".. بينما وقف أحد العسكريين على حافة سطح المتحف يوجه البلطجية والخيول والحمير وينظم حركتهم كرجل المرور ويحثهم على المضي قدما.. يلوح بيديه في حزم شديد.. يدفع الجميع لتوحيد الهجمة تلو الأخرى على الميدان..وعندما حشدنا عزمنا في صد الهجوم البلطجي وارتدت جماهيرهم للخلف وقف هو مذهولا من خيبة الأمل..



يقول زميلنا عضو حركة 6 إبريل: "كان دور الجيش في حقيقة الأمر يدعو للريبة، وبرغم أنه هو الحامي للميدان الا أنه ترك هؤلاء البلطجية يقومون بالهجوم الذي راح ضحيته مئات بين قتيل وجريح، معظم القتلى لقوا مصرعهم بسبب القناصة الواقفين في مباني عالية خلف البلطجية، حتى أني توسلت لواحد من ضباط الجيش بالتدخل وعمل فض اشتباك، لكنه قال لي" لم أتلق أوامر، فقلت له وما هي الأوامر التي تلقيتها، قال عدم التدخل، "أنتم مصريون وهم مصريون".. كانت المعركة عنيفة جدا، بالإضافة للحجارة تم استخدام قنابل المولوتوف و القضبان الحديدية والأسلحة البيضاء من سيوف وسكاكين من جانب البلطجية، أما نحن معتصمي الميدان فدافعنا عن أنفسنا بالحجارة التي رشقونا بها، وبعدما تم أسر البلطجية بخيولهم وجمالهم، بدأت معركة أعنف وأخطر، في الساعات الأولى تم أسر عدد من مؤيدي مبارك، وعند الكشف عن هويتهم، اكتشفنا أن عدد منهم من أفراد الشرطة المختبئين في الزي المدني، وعدد آخر من البلطجية واعترفوا أن بعض رجال الأعمال والشرطة قام بدفع أموال لهم مقابل اشتراكهم في الهجوم".

ويقول عمرو عز: كان لي صديق اسمه عرفة وهو من منطقة إمبابة عندنا، كان ذراعه مكسور وعليه جبيرة من جمعة الغضب.. وبعدما هجم البلطجية خرج من الخيمة وانضم للشباب على جبهة عبد المنعم رياض، ثم عاد بعد وقت وجدت ذراعيه الاثنين مكسورين ومتجبرين.. كان الدكتور يعطيه إبر مسكن، ومن كتر المسكن اللي أخده نام..، وكان قاعد جنبنا واحد كبير عنده حوالي 55 سنة أو حاجة زي كده لابس بدلة..وكنت أنا منتظر صاحبي والدكتور بيديلوا حقن عشان عايز أنقله في خيمة تانية.. فلفت نظري أن الراجل جاب ورقة من الأرض وكتب عليها نمرة تليفون وكتب تحتها عبارة "أرجوا الاتصال بهذا الرقم في حالة وفاتي"..وأنا يعني جسمي قشعر.. حسيت أنه جسمي يتهز من الموقف.. هو بعد ما كتب الورقة وحطها في جيبه راح قاعد كده براحته فرد جسمه..وكان قريب جدا من عبد المنعم رياض يعني قريب من المكان اللي فيه الموت.. هو حتى مش واخد حذره مثلاً قاعد في نص الميدان زي ما إحنا كنا عاوزين نخلي البنات في اليوم ده، كنا بنحاول نخلي البنات تبقى موجودة في السليم، مكانوش راضيين، ولما كنا بنروح نقول لواحدة كده ، تقولك لأ هو ليه يعني إحنا نقعد هنا ليه."

على كل حال، تنتهي الأحداث وتبقى الدروس.. فإن كان هذا هو رد قادة الجيش المتواجدين بالميدان، فنحن لابد أن نختلف معهم، لأنه كان بإمكانهم عدم إخلاء مدرعاتهم حتى لا يتركوها غنيمة للبلطجية يقذفوننا بالحجارة ويختبئون خلفها، وبإمكانهم أيضا فض الاشتباك باستخدام الأسلاك الشائكة، وهو أبسط الأدوات والآليات التي تمكنهم من التعامل مع المدنيين بدون بحر الدماء، وبإمكانهم إطلاق خرطوشة في الهواء حتى تنتهي المهزلة. غير أن المهمة المقدسة التي حضروا من أجلها هي حفظ الأمن، وليس أولى من فض تجمهر البلطجية لحفظ الأمن أن يقفوا للمشاهدة مستمتعين بمسرح العمليات الإجرامي هذا

وأيا كان الأمر، فقد استغل حشد الغجر فترة الهدنة السلمية واستعدوا أتم الاستعداد بكميات هائلة من الحجارة وكسر الرخام والزلط، نقلوها من سيارات نصف نقل خلفهم ووضعوها خلف صفوفهم الأولى، وقاموا بنقل مصفحات الجيش من الرصيف المجاور للمتحف ووضعها في منتصف الطريق بحيث يكون طريقها خاليا إلى ميدان التحرير، ونظرا لأنهم لم يتمكنوا من تشغيل محركاتها فقاموا برفعها بأيديهم من أعلى الرصيف إلى الحارة اليسرى والتي كانت خالية من الدبابات.. و بالتالي يسهل وصول المصفحات مسرعة إلى الميدان فتدهس الكثير تحت عجلاتها. خاصة أن الطريق من عبد المنعم رياض إلى ميدان التحرير منحدر بشكل ملحوظ، وهذا ما يعني أنه بمجرد أن تتحرر السيارة من

كوابحها ستجري مسرعة إلى الميدان بسبب انحدار الطريق، فلا يمكن وقف العجلة المتدحرجة في منتصف منحدر لسرعتها وقوة اندفاعها الذاتي.. وهذا ما فعلوه حيث قاموا بدفعها بقوة بالتنسيق مع صفوفهم التي أخلت طريقها إلينا في لحظة.. وانطلقت المصفحة تشق صفوفنا بعنف كما حدث في هجمة الخيول والجمال، كانت هذه هي ثاني الهجمات الشرسة على الميدان بعد هجمة الخيول ، ورغم اندفاع المصفحة العسكرية بقوة إلى الميدان نظرا لوزنها الثقيل وقوة الدفع اليدوية وانحدار الطريق.. إلا أننا تمكننا بحول الله وقوته من كبح سرعتها دون خسائر في الأرواح حتى توقفت تماما..



وفي ذات الوقت كانوا قد أعدوا مجموعة من السيارات المصفحة والمدرعة وقاموا بدفعها إلى الميدان بذات الطريقة الهمجية، وتمكنا من إيقافها جميعا دون خسائر في الأرواح، وبعضها اصطدم بالبعض الآخر.. ولما لم تفلح المصفحات استأنفوا رشق الحجارة مرة أخرى.



وكان من الملاحظات الأولية.. أن مؤيدي مبارك معظمهم من البلطجية والمشردين والخارجين عن القانون كما بدا واضحا على ملامحهم، ولديهم من القوة البدنية ما يفوقنا بكثير، لأن قواهم العقلية قد تعطلت.. فلديهم القوة والسرعة والقدرة على قذف حجار كبيرة لمسافات بعيدة وبصورة متواصلة، وعددهم أكثر منا بكثير ولديهم كميات هائلة وجاهزة من الحجارة ويحملون أسلحة بيضاء بأنواعها وأشكالها وأحجامها المختلفة، وقنابل يدوية مصنعة بطريقة بدائية بحيث تحتوي مواد متفجرة وشفرات حادة ومسامير مدببة في خليط بحيث عند انفجارها تنتشر هذه الأشياء فتشوه من حولها وقد تقتله إذا كان قريبا من بؤرة انفجارها، بالإضافة إلى كميات هائلة من الصناديق مملوءة بزجاجات المولوتوف، وكان لدى بعضهم أسلحة وطلقات صوت للترويع وربما أسلحة نارية، وصواريخ ألعاب نارية كبيرة تثير دخانا كثيفا وخانقا. هذا إلى جانب خبراتهم الطويلة في حروب الشوارع والعصابات وقدرتهم الفائقة في الحركة والمناورة.

أما نحن فكان عددنا يشير إلى أدنى مستوياته في الميدان منذ الخطاب العاطفي ومعظمهم من شباب الجامعات وبعض الأسر والشيوخ والسيدات والفتيات أغلبهم يذهبن في المساء ويعدن إلى الميدان في الصباح، ولم تكن لدينا طاقة بدنية وقدرة كافية لقذف الحجارة لمسافات بعيدة وبصورة متواصلة.. بعضنا يواصل بذراعه اليمين وعندما تتعب يبدلها بذراعه الشمال حتى أنهكت قوانا العضلية.. وتعددت الإصابات في كل واحد منا.. وفي مثل هذه الظروف كان لابد أن تكون الحاجة أم الاختراع، ولا يمكن لنا أن نتركهم يدخلون الميدان إلا على أشلائنا،بدلا من أن يدخلوه ويحولونا إلى أشلاء أيضا.

وبصورة تلقائية عشر مجموعة من شبابنا على بعض المعاول والأدوات الحادة في موقع المقاولين العرب بجوار الميدان واستخدموها في تكسير الرصيف وتجهيز قطع البلاط وتسويتها لسد حاجتنا أمام الهجوم الغجري على الميدان، وبذات الطريقة التلقائية والعفوية تشكلت مجموعات من الفتيات لنقل قطع البلاط إلى الصفوف الأولى التي يتصدرها الشباب؛ فكانت الفتيات يضعن سجادة الصلاة على الأرض أو لافتة قماشية وجلدية أو حتى علم مصر، ثم تضع عليه كمية من قطع البلاط وتحملها واحدة أو اثنتين إلى صفوف الشباب، وبالطبع لم تكن الفتيات وحدهن من يقمن بذلك، بل كان معهم الكثير من السيدات وكبار السن ومن لا يقوى على قذف الحجارة من الشباب أو من ضعفت قوته. وكثيرون أحضروا أشياء من متاعهم وخيماتهم وأغطيتهم أو حتى ملابسهم. ليتمكنوا بها من نقل الحجارة وقطع البلاط وتوزيعها على مداخل الميدان المختلفة..

وتوجه بعض الشباب إلى موقع المقاولين العرب لنزع بعض ألواح معدنية لاستخدامها كمتاريس لصد الهجوم وسيل الحجارة والمقذوفات، لكن العاملين بالموقع رفضوا، ثم عادوا بعد وقتٍ وتعاطفوا معنا وسمحوا بنزع بعض ألواح الصاج المعدنية استخدمنها كمصدات. وكذا العاملون بشركة المقاولات الفرنسية التي كانت تنفذ مشروعا أمام بوابة المتحف رفضوا منذ الساعات الأولى لتوتر الأجواء بميدان التحرير أن يعطوا الشباب أدوات حماية من ذلك المشروع، ثم تعاونوا بعد ذلك وسمحوا للشباب باستخدام الحواجز الحديدية والمتاريس والألواح الخشبية. كما سمحوا باستخدام خوذات مهندسي وعمال المشروع لحماية الرؤوس من المقذوفات..

ويقول زميلنا عضو حركة 6 إبريل: "في ظل التراشق الكثيف بالحجارة، قامت السيدات بدور كبير في المعركة، منهم من يضرب بالحجارة على الأسوار الحديدية بما يشبه طبول الحرب، كإشارة لكل من في الميدان أن المعركة في أشد مراحلها وأعنفها، وهناك سيدات دخلت في الخطوط الأمامية لإشعال الحماس في قلوب الشباب الذي يتبادل تراشق الحجارة ضد البلطجية. ولن أنسى الفتاة التي وقفت تهتف "الله اكبر" وفي الحقيقة كانت تلك الجملة تشعل حماسي لأبعد مدى وأنا أقذف بالحجارة، وعندما سكتت قلت لها لماذا توقفتي، فعادت بالهتاف مرة ثانية. وكانت هناك سيدات تأتي بالمياه للخطوط الأمامية، وهناك فتيات تأتي بكميات كبيرة من الحجارة للمقاتلين، وتلك الحجارة تم تكسيرها من الرصيف أو البلاط الموجود في طرقات الميدان، وقام عدد كبير من المتظاهرين بخلع الرصيف وتكسيره بآلة حادة لقطع صغيرة ثم يقوم الشباب والفتيات بتقديمه للمحاربين في الخطوط الأمامية.. وقام الشباب في الخطوط الأمامية بعمل حواجز من بقايا سيارات الشرطة المحترقة، وتم

التقدم بتلك الحواجز لتضييق الخناق على الفريق الآخر الذي قام هو الآخر بعمل حواجز، وكانت هناك مسافة بين الحاجزين. ولن أنسى مشهد شيخ من الأزهر قام بالدخول في تلك المسافة التي لا تتعدى عشرة أمتار ومن فوقه كانت الحجارة تتراشق يمينا وشمالا وكان احتمال إصابته تصل إلى 99 ٪ ومع ذلك خاطر بنفسه ودخل تلك المنطقة المحظورة بهدف تهدئة الفريق المؤيد لمبارك، وكان هناك رجل يحمل الشيخ وهو رافعا يديه في محاولة لعمل هدنة أو وقف القتال، لكنه لم ينجح في مهمته".

ومع تواصل الاشتباك بمرور الوقت ظهرت احتياجات أخرى، وتطوع كثيرون بصفة المبادرة التلقائية لتلبية هذه الاحتياجات، فنجد من يعمل في مناولة مياه الشرب وتوزيع بعض المأكولات الخفيفة ، وآخر يحمل الإسعافات الأولية التي زاد الطلب عليها بمرور الوقت وحدوث إصابات كثيرة.. وتشكلت مستشفى ميداني خلف الاشتباك، وتطوّع بها أطباء وطلبة وممرضين وتوافرت الإسعافات الأولية المواد الطبية.بهذه الطريقة العفوية التلقائية كنا نعالج حاجاتنا بأنفسنا، أما الحشود المؤيدة لمبارك كان وضعها مختلف تماما.. وقد قاموا بوضع مصفحات الجيش أمامهم ووقفوا خلفها يقذفون الحجارة لكن فكرتهم باءت بالفشل وسهلت تقدمنا أكثر، وكنا نتقدم بمعدل خطوة كل ساعة، واستمرت ساعات من التقدم والتراجع أو الإحجام في أحيان كثيرة بصورة متبادلة بين الطرفين، لكنهم شرعوا في خطة جديدة ضمنت القضاء علينا تماما.

فصعدت مجموعة منهم إلى أسطح العمائر وبدؤا في إلقاء زجاجات المولوتوف والقنابل من أعلى العمائر مع كتل من الحجارة، وعبروا من الأولى إلى الثانية، فاضطررنا إلى التراجع خطوات، فانتقلوا باستخدام سقالات خشبية إلى سطح العمارة التي تليها وهكذا، فاضطررنا إلى التراجع مرة أخرى حتى ناصية الشارع.. كانت معركة الحجارة مشتعلة في الأسفل وقذائف المولوتوف تسقط على رؤوسنا من الأعلى.. وكان لابد أن تتوقف هذه المهزلة وإلا تحولت خلال لحظات إلى مجزرة من الترويع والقتل والاغتصاب في حال تمكنت هذه الحشود الغجرية من السيطرة على الميدان. وهذا ما يعني أن الاعتماد على مجرد التمترس بأجسادنا أمام هذا الطوفان هو عملية انتحارٍ جماعي، فكان لا بد من فكرة تتولى حسم المسألة.. فقد بدأ القلق يتسرب إلى قلوب الكثير منا خاصة بعد اشتعال بعض مصفحات الجيش التي سقطت عليها قنابل المولوتوف واشتعلت النار في شاب بيننا بعدما سقطت قنبلة مولوتوف على كتفه وانفجرت إلا أننا أسرعنا إليه بملابسنا وستراتنا وحاولنا خنق النار المشتعلة في جسده بسرعة، وأصيب آخر ببعض الحروق في ذراعه ووجهه، فكانت قنابل المولوتوف تقع من ارتفاع شاهق وترتطم بالأرض منفجرة وينتشر ما بها من مواد حارقة ومسامير مدببة تتطاير في الأعين وفي كل مكان

وتنتشر معه النيران.. والمصيبة أن مجرد حدوث إصابة من هذا النوع بيننا تؤدي إلى تعطيل مجموعة من شبابنا لإسعاف المصاب أو نقله إلى المستشفى الميداني، وهذا التكتيك الحربي تستخدمه الجيوش في الحروب، فتعمد إلى استخدام نوعية من الألغام المضادة للأفراد غير القاتلة، فتتسبب بانفجارها في إصابة فرد واحد دون قتله، فيتطوع من خمسة من زملائه لنقله إلى معسكر الجرحى، فتكون النتيجة من استخدام لغم بسيطٍ غير قاتل، هي تعطيل ستة أفراد (المصاب والمتطوعين لإسعافه) عن الأعمال القتالية، وهو ما يؤدي إلى إعاقة تقدم القوات. وبالتالي لا بد من البحث في فكرة تتصدى لهذه المهزلة، فالأفكار هي التي تنتصر.

وقد وجهنا نداء استغاثة مرة أخرى لضباط الجيش المتواجدين بالميدان، لكنهم تزرعوا بعدم تدخلهم في حرب الشوارع وبرروا موقفهم السلبي بأن البلطجية مصريين مثلنا يعبرون عن رأيهم كما نعبر نحن، لكن ثار التساؤل لدينا؛ لماذا سمحت قوات الجيش للبلطجية باستخدام السيارات العسكرية في الهجوم علينا؟ أليس الضباط المتواجدين بالميدان قادرين على حماية دباباتهم ومدرعاتهم من البلطجية؟ ولماذا سمحوا للبلطجية بتفريغ البنزين من هذه المعدات واستخدامه لتصنيع قنابل الملتوف وإلقائها علينا من فوق أسطح العمارات المواجهة؟ .. [1]

1- أكد ذلك اللواء حسن الرويني في شهادته أمام المحكمة، إذ قال بأن : "الاشتباكات حدثت يوم 2 فبراير بعد انصرافه من ميدان التحرير وأثناء تواجده فى مكتبه، ووردت إليه معلومات تفيد بحدوث اشتباكات بين مجموعة من المؤيدين للرئيس السابق والمتظاهرين بميدان التحرير فى اتجاه ميدان التحرير، والاشتباك بين تلك المجموعات حدث نتيجة هتافات بين مؤيدين ومعارضين وتطورت إلى سباب بينهم، ثم تراشق بالحجارة بين الطرفين وأعمال كر وفر بينهم، وأثناء تلك الأحداث انضمت مجموعات أخرى من المؤيدين للنظام ، وكان بعضهم يركبون خيولا وجمالا عبارة عن 13 حصانا، وجمل واحد، وتم ضبط تلك الخيول التى مازالت متحفظا عليها بنادى الفروسية بنادى القوات المسلحة، وتطورت الأحداث بين المؤيدين والمعارضين داخل وخارج الميدان، وليلا وصلت إلى حد استخدام مواد حارقة استخدم فيها وقود مركبات القوات المسلحة".

ونلاحظ في شهادة اللواء حسن الرويني تجاهله لحقيقة الأحداث تغطية على مضمونها؛ ذلك، لأنه من الشيء المشين والمسيء لقواتنا المسلحة أن تمر قافلة من الخيول والجمال من بين أفراد وضابط الجيش دون أن يعرف حقيقة الأمر أو يتساءل عمن أرسلها.. ثم يحاول اختصار القافلة في أضيق الحدود فيقول أنها كانت مكونة من 13 حصان وجمل واحد، مع أن الحقيقة أن الخيول كانت تفوق العشرين بينما الجمال تفوق العشرة، وقد مرت جميع هذه الخيول والجمال من بين دبابات الجيش وضباطه وتم توجيهها للهجوم من فوق المتحف (مقر ضباط الجيش) ، لكن اللواء الرويني يحاول اختصار الأحداث والأعداد فيما تم التحفظ عليه بنادي الفروسية للقوات المسلحة وليس بالعدد الحقيقي الذي دخل الميدان وكما ظهر في مقاطع الفيديو المصورة، فبالتأكيد أن الضباط الذين أبلغوه بأن (العدد 13 حصان وجمل واحد) لم يكونوا يعلموا مسبقا وقت أن بلغوه بأننا سنقبض فقط على 13 حصان وجمل واحد وأن البقية ستهرب، لكن اللواء الرويني حاول اختصار الأحداث في أضيق الحدود.:.







كان علينا لوقف هذا الخطر المحدق أن نعمل بأي طريقة على وقف سيل المولوتوف الذي يحصدنا لحظة بعد الأخرى ويجبرنا على التراجع إلى قلب الميدان، وبالتالي محاصرتنا في أضيق بقعة منه وتتسع جبهة الاشتباك فيتمكنوا من السيطرة عليه.. فتوجهنا إلى مدخل العمارة الأخيرة والباقية أمامهم قبل اقتحام سطحها، لكن أبوابها كانت مغلقة تماما بأقفال وسلاسل معدنية،وقمنا بطرق الباب.. وبدأنا نطرق الباب ثانية وفجأة فتح الباب وطل منه رأس الحارس، فطلبنا منه الصعود إلى سطح العمارة وشرحنا له أسبابنا وموقفنا من حشود الغجر، ورفض في بادئ الأمر لكن بعد مفاوضات قال: المصعد معطل بسبب انقطاع الكهرباء، فطلبنا استخدام السلم، قال : إنه مظلم تماما، غير أنه لا يصل إلى السطح وإنما الطابق الأخير فقط..

وعلى أي حال طلبنا منه الصعود لاستكشاف الأمر والتأكد من طبيعة الوضع فوافق بعد توسلات وبشرط ألا يصعد منا إلا عشرة فقط.. وعندما صعدنا السلم، كان الظلام معتما وكأننا في نفق مظلم.. فاستخدمنا كشافات هواتفنا إلى أن وصلنا الطابق الأخير، وكان أمرا صعبا جدا أن تضع هاتفك في فمك وتسلط ضوئه على درج السلم وتحمل شحنتك الثقيلة بما يقارب 20 كيلو من الأحجار وقطع البلاط اللازمة لصد هجوم البلطجية.. لكن لا بأس فنحن نسعى من أجل الحرية والحضارة..

وفعلا لم يكن هناك منفذ إلى سطح العمارة فالسلم ينتهي في الطابق الأخير ، ففكرنا في طرق أبواب بعض الشقق السكنية على استحياء ثم تراجعنا.. وساد صمت وحيرة وقلق لم يخترقه سوى بصيص ضوء لاح في مفصل باب إحدى الشقق السكنية.. والأجمل من ذلك أن مالك هذه الشقة فتح لنا الباب بمجرد طرقة خفيفة وكأنه كان ينتظرنا خلف الباب عندما سمع الحركة والهمس خارجه.. وكان شابا أنيقا ومهذبا جدا.. كان حديث الزواج ولم يمر على زواجه سوى شهر واحد كما حكا لنا، وكانت شقته فاخرة جدا ومليئة بالورود والتحف والأنتيكات والمقاعد والسجاد الفاخر.. ومع ذلك قام بطي سجادة جانبا وسمح لنا بالدخول.. حتى بأحذيتنا وحمولاتنا من الحجارة إلى البلكونة.. لكن لسوء الحظ للمرة الثانية..فنحن لن نستطيع التصدي لرماة قنابل المولوتوف أعلى أسطح العمارات، بل أننا صرنا معرضين لأن تسقط علينا القنابل من سطح العمارة المجاورة، فعدنا أدراجنا وتركنا حمولاتنا مكانها في الطابق الأخير..

كان علينا أن نواصل البحث عن منفذ آخر يوصلنا إلى سطح هذه العمارة أو غيرها، وكان هناك سلم حلزوني في ظهر العمارة مخصص للطوارئ، وهذا السلم بالفعل يصل للسطح، ولكن مدخله في منور ضيق ولكي نصل إليه كان لابد من المرور وسط حشود الغجر من مؤيدي مبارك.. وكان هذا

الزقاق ينتهي خلف العمارة وبإمكاننا الوصول منه إلى سلم الطوارئ في خلفية للعمارة.. وعندما تسللنا وسط مؤيدي مبارك متجهين إلى الزقاق الضيق، وكنا عشرة تقريبا، فتجمع حولنا مجموعة منهم سألونا: مؤيدين ولا معارضين؟ فقلنا جميعا: بالطبع مؤيدين للرئيس مبارك حبيب الملايين.. وأخذنا نسب في الثورة وشبابها وبناتها ونخوض في أعراضهم وأهلهم حتى يرضى عنا البلهاء، ومررنا بسلام من بينهم إلى خلفية للعمارة.. وكان علينا أن نتسلق طابقين على أنابيب الصرف الصحي حتى نصل إلى سلم الطوارئ ومعنا حمولات جديدة من الحجارة وقطع البلاط وكسر الرخام التي حصلنا عليها بفضل وكرم هؤلاء، فقد تعاونوا معنا وشعروا بمهمتنا الوطنية في حماية استقرار البلاد وتأييد الرئيس مبارك ولهذا زودونا بكميات من الحجارة والرخام..



لكن سلم الطوارئ كان ضيقا جدا وضعيفا لأنه صدئ ومتآكل وكان يهتز بنا، فصعدنا واحدا تلو الآخر بهدوء وحذر، وعندما وصلنا الطابق الخامس شعر بنا مجموعة رماة المولوتوف فوق سطح العمارة ولا أعرف كيف علموا بأننا من شباب الثورة ولسنا من مؤيدي مبارك.. فقد أقنعنا زملاءهم تحت وانطلت عليهم الخطة، لكن هؤلاء بادروا وأمطرونا بوابل من مقذوفاتهم، ربما لكوننا لم نصعد من طريقهم الآمن وإنما صعدنا من طريق مواجه لهم، وأخذوا يقذفوننا بقنابل المولوتوف الحارقة وكتل كبيرة من الخرسانة وخشيت أن يتحطم بنا السلم الصدئ وكان يهتز بشدة كما لو أصابه زلزال من جراء قذف كتل الحجارة بشكل متواصل، وكنا معرضين للموت في حال تحطم السلم بنا أو يموت أحدنا إذا سقطت على رأسه كتلة حجارة أو قنبلة مما يقذفونها.. فنظرت تحتي وتصورت المشهد المرتقب ونحن نقع بالسلم بطول عشرة طوابق ونحن عالقين به مثل طابور النمل.. طابور رأسي من

المساكين العالقين في الهواء والموت يحاصرهم من فوقهم ومن تحتهم.. وربما فكر بعضنا في القفز من السلم على الأرض لكن الله سلم.. على كل حال، فالانتصار في هذه المعركة يتطلب المزيد من المغامرة كما يقول وينستون تشيرشل " إذا كانت تريد النجاح فلا بد أن تضع رأسك في فم الأسد "

وكنت في منتصف الطابور الصاعد على السلم الحلزوني، وبمجرد أن سقطت أمامي كتلة خرسانة اهتز بها السلم بعنف.. تذكرت نصيحة الدكتور أحمد بسيوني الذي استشهد في جمعة الغضب، وكان يرشد المتظاهرين حوله لتغيير أماكنهم باستمرار حتى لا يتمكن القناصة من التنشين عليهم ، ففكرت في تغيير موقعي على السلم، خصوصا أنه حلزوني فأخذت أجري بسرعة صعودا لتغيير موقعي أفقيا ورأسيا حتى أتفادى المقذوفات.. ولا أعلم كيف تمكنت المجموعة الانتحارية التي سبقتني في الصعود على هذا الوضع.. وبحول الله وقوته وصلنا إلى سطح العمارة وأصبحنا في مأمن من مرمى كتل الحجارة والمقذوفات الحارقة.. وكنا قد تركنا حمولاتنا تسقط بسبب ضعف السلم وأخذنا نبحث عن أي شي فوق السطح فلم نجد إلا أن نقوم بتكسير البلاط الذي يغطي السطح ونجحنا بعد وقت في صد الهجوم الغجري في والأعلى وتراجع البلطجية بقنابل المولوتوف.. لكننا شعرنا بأن السطح يهتز بنا فخشينا أن يسقط بنا واضطر بعضنا للنزول مرة أخرى وبقى الآخرون لحراسة السطح ومنع عبور فرقة الرُماة..



حاولنا مرة أخرى استخدام المصعد للصعود والبحث عن فكرة ناجزة، وسمح لنا الحارس باستخدامه هذه المرة (ربما تعاطف معنا وقام بتشغيل مولد الكهرباء الخاص بالعمارة) فوضعنا حمولتنا

من الحجارة وقطع البلاط وركبنا جميعا، لكن الحارس رفض إغلاق باب المصعد لأن حمولتنا زادت عن الحد الأقصى للمصعد وهو نصف طن، فأنزلنا نصف حمولتنا ونصف عددنا وصعدنا.. كان بيننا الكثير من شباب جماعة الإخوان وهم معروفين بنشاطهم وحماسهم وتنظيمهم بالإضافة إلى بعض الشباب من أصول قروية وشعبية وهذا ما ساعدنا كثيرا على تحدي الصعاب مهما كانت.. وفكر بعضنا في إحداث كوة (فتحة) في سقف الطابق الأخير ومن ثم ننفذ منه إلى السطح ومعنا حمولاتنا، لكن سادت لحظات صمت وحيرة..

وأشار أحد شبابنا إلى نافذة أعلى باب المصعد (شراعة زجاجية 60 × 70 سم)، واقترح علينا فتحها والنفاذ منها إلى غرفة محركات المصعد إلى السطح.. فنظرنا إليه وضحكنا.. كان الأمر أصعب من فك ضفائر فتاةٍ أفريقية.. لكن على ما يبدو أن الفكرة ناجحة هذه المرة، فحملناه على أكتافنا حتى تمكن من فتح النافذة الزجاجية وسحب جسده منها وتعلق بحبل المصعد (واير معدني) حتى وصل إلى غرفة المحركات واعتدل وركب على المحرك الكهربي وكأنه راكب حصان ثم مد قطعة حبل إلينا رفعنا حمولاتنا مرة بعد الأخرى.. وتمكنا بحول الله وقوته من وقف تقدم الفريقين من مؤيدي مبارك في الأعلى والأسفل.. لكننا لم يكن بإمكاننا إعادتهم للخلف، فالانتقال من سطح هذه العمارة إلى التي تجاورها كان أمرا مستحيلا لأنهم سحبوا السقالات الخشبية التي كانوا يعبرون بها من سطح عمارة لأخرى بمجرد اقترابنا منها.. لكننا على أي حال أوقفنا تقدمهم بعد محاولات مضنية كلفتنا كثيرا من الوقت والجهد والمخاطرة بالنفس بعد أن كاد الميدان يتحول إلى مسرح لأبشع الجرائم في تاريخ البشرية.. فما يجعل عمل الأحرار صعب هو أنهم يريدون أن يكونوا مثاليين في عالم غير مثالي. يدعون إلى السلمية ضد ممارسات نظامٍ تشعبت مصالحه وصار يملك آليات لا حصر لها، ضباط وجنود ودبابات وسجون سرية وبلطجية ومنافقين وطبالين ومنتفعين وموارد لا حدود لها.

بعدما توقفت مقذوفات المولتوف الحارقة من أسطح العمائر وتراجع مؤيدي مبارك في الأسفل، تركنا مجموعة منا لحراسة السطح ونزلت مجموعة، وكان الوقت قد قرب على المغرب . وكنت في هذه الأثناء قد نال مني التعب والإجهاد وكنا في حاجة إلى مياه الشرب، فتركت الجبهة وذهبت إلى وسط الميدان لاستراحة قصيرة نجدد فيها نشاطنا..

بينما كان شباب الإخوان في حيرة من أمرهم ما بين مواصلة الصمود وقرار الانسحاب من الميدان الذي اتخذته الجماعة بعد تنازلات مبارك،وربما الاجتماعات والصفقات السرية بين قيادات الإخوان

ونائب الرئيس عمر سليمان. بدا أن جماعتهم ومكتب إرشادها أرادوا المناورة كالعادة في مسألة الحوار الذي كان قد دعا إليه اللواء عمر سليمان نائب الرئيس وقتها مع القوى السياسية والحزبية، وقبله الإخوان بعد فواصل معتادة من المراوغة والتردد وانتهاز الفرص، وبعد أن التقى القياديان بالجماعة، محمد مرسي، ومحمد سعد الكتاتني، بسليمان سرا، واتفقوا على إخلاء التحرير من شبابهم، مقابل إخراج خيرت الشاطر وحسن مالك من السجن، وإعادة انتخابات البرلمان من جديد، دون أي حديث عن رحيل مبارك.

وكما ورد في المذكرة التي تقدم بها عدد من شباب الإخوان السابقين؛ تقول المذكرة: وفي هذه الليلة وبعد خطاب المخلوع واحتشاد البلطجية من مساء الثلاثاء حتى الواقعة المشهورة بمعركة الجمل وما تبعها.. وكانت الملحمة التي شهد لها العالم. يوم الأربعاء 2 فبراير وأثناء الاشتباكات عرفنا من أحد الإخوان من وسط القاهرة أن الجماعة أصدرت قرارا بالانسحاب، فطلبنا من الأخ طارق عبد الجواد ـ وكان في طريقه للميدان- أن يذهب أولا إلى مكتب الإرشاد ـ وكان ذلك يوم الأربعاء المغرب- للاستيضاح، والتقى د.محمود عزت في مقر النواب بالإخشيد، وأخبر د.محمود عزت الأخ طارق: (أنا هقول لك القرار اللي أخدناه وهو الانسحاب، وتم إبلاغ الميدان بهذا القرار)، فاتصل طارق بالأخ أحمد عبد الجواد ليبلغه وأعطى التلفون للدكتور محمود عزت، الذي أعاد له الكلام وأكد على صدور القرار وحاول أحمد أن يناقش الدكتور في الأمر لكن الخط انقطع.. فتم التواصل مع الأخ أيمن هدهد – بصفته قناة الاتصال مع مكتب الإرشاد ـ وتم إبلاغه برفضنا الانسحاب، وأن الانسحاب يعني القضاء على الثورة، وأن شباب الجماعة ورجالها مستعدون للدفاع عن الميدان حتى آخر فرد. وقام الأخ محمد القصاص بالاتصال ببعض الأشخاص في الجزيرة والدوحة ليطلبوا من الشيخ القرضاوي أن يقول كلمة لدعم الثوار في الميدان.. وهو ما تم وكان له بالغ الأثر بفضل الله. وحدث التراجع عن قرار الانسحاب وصمد الناس حتى كتب الله النصر".

أما عن بقايا المجتمع النوستالجي، فيروي الشاب: عادل عاشور عن حقيقة شبكة الاتصال العنكبوتية للإسلاميين، مستنكرا الهجوم عليهم، فيقول:فكرة الخروج على الحاكم كانت محل جدل وخلاف فيما بيننا ، فأنا انتمى للتيار السلفي وعضو باتحاد "الثوار المصريين" ، وعندما ظهرت الدعوة للتظاهر يوم 25 يناير حاولت أن أبحث عن فتوى تبيح المشاركة في المظاهرات، وكان هناك رأى بأن المشاركة هدفها رفع الظلم، ولذلك قررت النزول يوم جمعة الغضب لكن والدي منعني من الخروج

وظل يلازمني حتى صلاة المغرب إلى أن نزل الجيش، فكنت ميالا لأن أقف ضد النظام طالما كان مخطئا، ولم تكن المجموعات السلفية ذات موقف موحد من المشاركة حتى بعد جمعة الغضب، وكان هناك خلاف حول مسألة الخروج على الحاكم بين الشيخ محمد عبد المقصود والشيخ محمد سعيد رسلان، فقد أباح الأول التظاهر بعد أن استعان ببعض الفتاوى للإمام الطبرى !. ووصلت للميدان أول مرة يوم موقعة الجمل وبدأت علاقتى بالميدان كمتظاهر ومؤيد لأهداف الثورة. وليس صحيحا ما يقال بان الإسلاميين يرتبطون بشبكات اتصال عنكبوتية، وإنما كنا نتابع الدعوة للتظاهر من خلال بيانات الجبهة السلفية في الإعلام وعلى الفيس بوك. وحدث خلاف حول مفهوم السياسة في الأوساط السلفية، وأنا حاولت مناقشة مفهوم السياسة مع بعض الناس فقالوا لي أن السياسة هي أن "تسوس الناس للخير" لكن المفهوم ليس ثابتا ويختلف عند السلفيين عن غير السلفيين.

وكان موقف الجيش يثير الكثير من التساؤلات فقد أعلن الجيش وقتها أن عدم تدخله سببه أنه يقف على الحياد، ولا يستطيع أن يهاجم طرفا ضد آخر؛ لأنهم جميعا مصريون، وكأن المعتصمين السلميين متساوون مع البلطجية بالأسلحة!. غير أن المشهد الأول في هذه الأحداث وهو مشهد قوات الجيش وهي تحمي موكب الجمال والبلطجية التي تمر بجوار ماسبيرو وفي ميدان عبد المنعم رياض، دون أن يمنعها من دخول التحرير، بل قامت قوات الجيش بالانسحاب من على مدخل عبد المنعم رياض، حيث قامت الجمال والخيول والبلطجية بالهجوم بعد إشارة من رجل عسكري يقف فوق المتحف المصري الذي كان تحت سيطرة الجيش في هذا التوقيت للاشتباك مع المتظاهرين داخل التحرير، فهاجم أنصار مبارك الميدان. ولم يكن بين الضباط سوى النقيب ماجد بولس الذي رفض الانصياع للأوامر، الضابط بالقوات المسلحة المصرية، الذي كان مسئولا عن شارع طلعت حرب في ميدان التحرير، وكانت الأوامر التي أتت له هو ترك البلطجية والمسلحين يدخلون الميدان ويطردون الثوار، وهذا ما حدث على كل مداخل الميدان من زملائه الضباط والمجندين. ففي مدخل طلعت حرب، دافع النقيب ماجد ومعه الثوار عنه باستماتة، مخالفا التعليمات ومستخدما سلاحه الشخصي، مما أدى لتراجع البلطجية للخلف، وبكى أسد الثورة عندما شكره الثوار على موقفه النبيل في تلك اللحظة..

وفي هذا الوقت كانت إذاعات الميدان تعمل في حالة الطوارئ، ليس بها أغنيات ولا هتافات ولا ندوات وخطب سياسية،تركت مهمتها الرئيسية، واشتعلت تنبيهات وتحذيرات وتوجيهات مختلفة.. إذ تحولت منصة الإذاعة إلى غرفة عمليات ميدانية.. كانت تعلن عن عجز أو نقص في مواد طبية معينة وأدوات وخيوط جراحية وتخصصات طبية معينة.. وبلاغات عن مفقودين أو متغيبين منذ أيام وقد حضر

ذويهم للبحث عنهم والاطمئنان عليهم بعدما شاهدوا ما يحدث على شاشات الفضائيات.. وتحذيرات وتنبيهات عن كثافة هجومية في مدخل قصر النيل أمام الجامعة العربية أو في شارع طلعت.. حيث كان الجميع يركزون جهودهم على جبهة الدفاع الرئيسية بجوار المتحف، ولذا كانت تقل الكثافة الدفاعية المطلوبة على مداخل الميدان الأخرى، فيستغلها البلطجية ويهجمون عليها في غفلة من شبابنا.. وسمعت نداءات إلى فاعلي الخير بأن يتوجهوا بمساعداتهم من مياه ومواد الإسعافات الأولية أن يتوجهوا إلى جبهة الدفاع الكبرى عند المتحف.. وتوجيهات لمن أخذ قسطه من الراحة أن يتوجه إلى جبهة الدفاع ليستبدل زملاؤه وتوجيهات إلى المتواجدين في قلب الميدان بأن ينتشروا فيه حتى لا يبدوا فارغا من المعتصمين أمام عدسات الإعلاميين..

وقطع حديث الإذاعة رجل مسن تبدو ملامحه قروية وقال: أنا من محافظة المنيا، وأصيب ابني هنا في الميدان برصاصة في كتفه يوم جمعة الغضب واتصل بي هاتفيا من " مستشفى قصر العيني وطلب مني أن أرسل إخوته الخمسة ليقفوا مكانه دفاعا عن الثورة من أجل مصر.. فلبيت نداء ابني وحضرت أنا وأولادي الخمسة، تركت أصغرهم بجواره في المستشفى والأربعة الآخرون هنا في جبهة الدفاع " وأشار بيده إلى الجبهة، فشكره الجميع على إخلاصه وحبه العميق للوطن.. وربما أخفى كثيرون وجوهم وهي تبكي بدموع الوفاء..

بعدها تحركت خطوات إلى اليمين.. حيث تقف الخيول السبعة المأسورة في الهجمة الأولى، وكان الشباب قد سلموها لقوات الجيش فتحفظوا عليها بجوار سور الجامعة الأمريكية، وكان هناك خمسة خيول أخرى مربوطة في شارع طلعت حرب..هذه الخيول لم تأت هنا للتنزه في رحلة سياحية لزيارة ميدان الثورة بل جاءت هنا مسلحة بسروجها وفرسانها لتقود معركة في عصر الجاهلية الأولى..



وخطوات أخرى إلى اليسار، حيث مسجد النور الصغير الذي تحول إلى مستشفى ميداني منذ جمعة الغضب.. وعلى مدخله لافتة كُتب عليها عبارة" الدخول فقط : مصاب + طبيب ".. وفي داخل المسجد، يقف على المنبر طبيب ملتحٍ يحدد المواد الطبية المطلوبة.. ويسرع بعض الأفراد المتطوعين إلى سيارات الإسعاف المتوقفة في الممر الضيق.. يتلقون الأوامر ويسرعون إلى الصيدليات والمستشفيات لجلب ما تيسر من المواد الطبية المطلوبة.. يدخل مصاب محمولا على أعناق الشباب يحتاج طبيب عظام.. يفحص الطبيب الملتحي تخصصات الأطباء الموجودين داخل أقسام المستشفى التي تفصلها بطاطين وملاءات بيضاء معلقة بقوائم.. فيجد قصورا في تخصص العظام.. فيكتب ورقة ويحملها شاب إلى الميدان.. يصعد دبابة وينادي: المستشفى يحتاج طبيب عظام.. لكن لا أحد يسمعه.. فيتجه إلى منصة الإذاعة الميدانية وينادي ثانية.. تخرج من وسط الزحام طبيبة شابة.. زينت صدرها بصليب ذهبي.. ترافق الشاب إلى المستشفى وتقف على عتبات المسجد.. تستأذن الطبيب الملتحي في الدخول فيقول لها : تفضلي يا ابنتي.. تترك حذائها وتتلوا صلاتها متمتمة بترانيم لم يفهمها أحد، ثم تدخل المسجد وتتلقف يدها ساق المصاب وتحدد موضع الكسر وتداويه قبل أن يدخل المصاب في إغماءة قصيرة.. وكانت هذه الطبيبة الشابة قد حضرت للاعتصام بالميدان حتى المساء لكن حاجة المستشفى الميداني إلى مساعدتها الإنسانية.. ما جعلها تخطر والدتها بأنها ستقضي الليل في الميدان تداوي المصابين في المسجد.. وفوجئت بوالدتها وقد حضرت إلى الميدان تساعدها في تمريض المصابين وتنظف الجروح وتقدم المياه والأطعمة.. وفجأة تصرخ الأم وهي تحاول إيقاف نزيف الدم الذي ينفجر في رأس طفل، وتقول : " الشعب بيداوي الشعب.. خلوهم يرحلوا بقى..احنا مش عاوزينهم.. احنا واحد ومطلبنا واحد.. لا بيفرق مسلم أو مسيحي.. "

وعندما نتحرك إلى الأمام قليلا، حيث تقف سيارات الإسعاف، يقف على باب السيارة شخص يقارب الستين من عمره.. يتحدث إلى أخصائي الإسعافات قائلا: ذهبت أنا وصديقي إلى مستشفى قصر العيني لإحضار بعض المواد الطبية ودفعت ثمنها، مبلغ ستمائة جنيه، وأثناء عودتنا في شارع الفلكي قرب وزارة الداخلية اعترض طريقنا أربعة شباب من الحزب الوطني واعتدوا علينا وأخذوا كل ما اشتريناه من مواد طبية وأكياس قطن وإبر خياطة وخيوط طبية.. حتى بطاقاتنا الشخصية..

وعندما نعود إلى قلب الميدان.. يلفت انتباهي زحام شديد حول مدخل محطة المترو، فأجد البلطجية العشرة الذين تم أسرهم على ظهور الخيول والجمال في الهجمة الأولى، وقد حبسهم الشباب ومعهم كثيرون مثلهم في محطة المترو وأبوابها الحديدية مغلقة عليهم بالأقفال والسلاسل، ونظرا لأن قطارات المترو لم تكن تتوقف في هذه المحطة منعا لنزول المواطنين إلى الميدان.. فقد بدت المحطة مظلمة

من الداخل مثل المغارة ذات أنفاق وسراديب متشعبة، والأسرى يقفون خلف البوابة مباشرة يملأ عيونهم الرعب والخوف ويلطخ وجوهم الخزي والعار.. والناس تتزاحم عليهم لالتقاط الصور التذكارية ويمطرونهم بسيل من كلمات الخزي والعار.. ولأول مرة كنت أشعر بمعنى كلمة " أسرى الحروب " ولماذا تنادي منظمات ومواثيق حقوق الإنسان بحسن معاملة الأسرى وعدم قتلهم أو إزائهم.. فهم الآن في موقف صعب لا يحسدون عليه.. وشعرت لأول مرة بمعنى كلمة القوة والشرف والنخوة، وهي أن تحمي الضعيف وتبتعد عن الانتقام منه إذا كان مخطئا حتى يلقي عقابه في محاكمة عادلة.. فهم يقفون الآن مثل الثعالب المذعورة تنظر في ريبة إلى صيادها بعد أن وقعت في شراكه.. والمشكلة أن نوبات القلق والذعر كانت تتجدد داخلهم كلما طل عليهم أحد بنظره، فيتوقعون أن يهجم عليهم أو يقتلهم، بينما كانت الناس تلتقط صورا لهم وتقذفهم بسيل من الشتائم وتنصرف، لكنهم توقعوا قتلهم في كل لحظة.. وربما في حقيقة الأمر، فإن هؤلاء لم يكونوا إلا ضحية الجهل والفقر وفساد السلطة التي استغلتهم وغررت بهم وأقنعتهم بأنهم في مهمة وطنية لتطهير ميدان التحرير من " الكفرة " المعتصمين به والذين يمارسون الرذيلة والفجور ويهددون أمن الوطن ويريدون عزل الرئيس مبارك "حبيب الملايين"، وهذا ما دفعهم لكي يمتطوا خيولهم وإبلهم في مهمة إجرامية اعتبروها جهادا في سبيل الوطن..

وكان مقر شركة مصر للطيران المطل على الميدان قد تم فتحه كمستشفى ميداني ووضعت على واجهته الزجاجية لافتة كتب عليها " تم فتح المكان بمعرفة العاملين به – مستشفى ميداني رقم (2) ". وتحتها لافتة أخرى تقول " للحجز على خطوط طيران السعودية والكويت، يرجى الاتصال بالأرقام الآتية..،...،... وهكذا كان مكتوبا على الواجهة الزجاجية لمقر الشركة بعدما تم فتحه مستشفى ميداني ووضعت عدة أرقام هاتفية للحجز.. وكان المقر مغلقا منذ جمعة الغضب، وبمجرد فتح أبوابه تصاعدت الغازات المسيلة للدموع والتي كانت مترسبة على الأرض والحوائط والمقاعد منذ جمعة الغضب.. ولم يستطع الأطباء مباشرة مهامهم في بداية الأمر بسبب الغاز الخانق الحارق، فقاموا بسكب الماء على الأرض وغسل المكان لحل المشكلة لكنها تفاقمت.. فبمجرد سكب الماء تفاعلت الغازات المترسبة..

وقد خرج لتوه من المستشفى الميداني شاب مصاب بكسور في ساقه وذراعه وكانت ذراعه معلقة في عنقه لثقل وزنها بسبب الجبيرة أما ساقه فكانت مغطاة بالجبس من أخمص قدميه حتى منتصف الفخذ ولم يستطيع الحركة فوقف مثل طائر مكسور الجناح.. ومع ذلك فلم يستسلم لإصاباته وابتكر بفطرته ما يمكنه من التعبير عن ثورته، فوقف على حافة الرصيف متكئا على أحد أعمدة

الإنارة، يلوح بذراعه السليمة باتجاه جبهة الدفاع في ميدان عبد المنعم رياض، يحث الشباب على التقدم للمشاركة ويصرخ مستغلا صوته الرخيم ولجهته الصارمة " أريد الرحيل لكنني أخشى الفوضى.. أريد الرحيل لكنني أخشى الفوضى.." في إشارة ساخرة إلى هذه العبارة التي وردت في خطاب مبارك ليلة أمس..

كنت كلما تحركت خطوة؛ فهناك أمور كثيرة تستوقفني كل لحظة لأتدبر أمرها فربما كانت بسيطة جدا ؛ كأن تجد رجلا معاق ومبتور القدمين يجلس على كرسي متحرك وقد دحرج عجلاته مسرعا إلى صفوف الجبهة، والأغرب من ذلك أنه كان مصابا في وجهه مما يعني أنه شارك في الاشتباك أكثر من مرة ولا زال مصرا على التضحية من أجل الحرية والعدل..

وعندما نتحرك باتجاه جبهة الدفاع الكبرى عند المتحف.. نجد عن يمين.. وعن يسار أعلى الأرصفة أناس وشباب جلسوا القرفصاء، وعكفوا على تكسير بلاط الرصيف.. ومن يعمل على تسويته وتجزئته إلى قطع صغيرة يسهل قذفها.. وآخرون في جمع أكوام من قطع البلاط في صناديق بلاستيكية أو على سجادة صلاة أو علم أو لافتة أو حتى جلبابه ويهرول بها إلى الصفوف الأولى في جبهة الدفاع.. وشخص يقف في منتصف الطريق ينادي الجميع : " تقدم.. ساعد إخوانك من أجل بلدك".. ونجد شابا آخر قد بح صوته من الهتاف أو الكلام فوقف صامتا يشير بذراعيه إلى القادمين مثل رجل المرور يوجههم إلى جبهات الدفاع التي استشعر الضعف فيها أو قدوم خطر.. وإلى اليمين على الرصيف، فتاة تجمع " كِسر البلاط " ومعها شاب يساعدها فتصرخ فيه: "حرام عليك.. دي كبيرة أوى.. احنا مش عاوزين نقتلهم.. دول مصريين زيينا ".. ومجموعة أخرى من الشباب يحملون مصابا مهرولين به إلى المستشفى الميداني ويصرخون " حرام والله.. دا احنا بندافع عن حقكم وبلدكم ذي ما هي بلدنا".. وفي الأمام فتاتين إحداهما منتقبة والأخرى حاسرة الرأس تحملان معا كمية من الحجارة على سجادة مهرولين بها إلى شباب الجبهة.. وصحفي أجنبي يرقض خلفهما مسرعا مسلطا عدسته بدقة لالتقاط لحظة تاريخية من أجمل وأروع المواقف البطولية في صيغتها الأنثوية وبخصوصية مصرية حتى النخاع..

وعندما نقترب من المستشفى الميداني رقم (1) خلف جبهة المتحف، نرى عجائب خارقة.. فقد حدثت مشاحنات بين طبيب شاب متطوع وأحد المصابين في الاشتباك.. المصاب كان بين صفوف الشباب وأصيب بجرح غائر وتم نقله إلى المستشفى الميداني وبعد الخياطة وتضميد الجرح ذهب إلى صفوف الشباب مرة أخرى وأصيب وعاد إلى المستشفى وخرج وانضم إلى الشباب وأصيب مرة ثالثة وعاد وأصيب في الوجه

والرأس وكلها جروح غائرة بكسر الرخام الحادة ويحاول الهرب من الطبيب للمرة الرابعة لكن الطبيب أمسك به وأصر على احتجازه خوفا على حياته من كثافة نزيف الدم..

وهنا في المستشفى الميداني رقم (1) والتي تحددها ملاءات بيضاء وإلى جوارها خيمة تحمل لافتة صغيرة كتب عليها "مخزن الأدوية".. وعلى حافة الرصيف أمام الخيمة يجلس مصاب بينما يقوم الطبيب بخياطة جرح قطعي في جبينه، وتقف أمامه فتاة تناول الطبيب أدوات الجراحة التي جهزتها في يدها "بنج ومطهر وقطن وجفت بالإضافة إلى خيوط وإبر الخياطة واللاصق الطبي".. كل شيء في الإمكان ويكفي أن يجلس المصاب على حافة الرصيف ليقوم الجراح بمهمته على أجمل وجه..

وعندما نقترب من صفوف الشباب والمعركة ساخنة وفي أوج غليانها، نجد سيدة مسنة تكاد تخترق الثمانين من عمرها وتحمل حجرا في كل يد محاولة اختراق صفوف الشباب لتصل إلى حشود الغجر كي تقذفهم، ويحاول بعض الشباب إثنائها عن ذلك لكنها رفضت بقوة وصرخت "سيبوني أروحلهم"، ورغم توسلات الجميع لكنها لم تتراجع ولم تقتنع وأخذت جانبا ووقفت تترقب وتراقب ما يحدث حولها..

بينما في الجانب الآخر من ميدان عبد المنعم رياض وأعلى كوبري أكتوبر كان الصحفيون يندسون خلسة بين جماهير مبارك المحتشدة حول المتحف وأعلى كوبري أكتوبر، يهتفون بحياة مبارك مثلهم ويتهكمون من مناضلي ميدان التحرير باعتبارهم قلة مندسة حلت من الفضاء لقلب نظام الحكم الوطني، هؤلاء الصحفيين سجلوا ونقلوا لنا أساطير وحكايات سمعوها أثناء مسيراتهم وهتافاتهم مع مؤيدي مبارك، ورووا لنا كيف فشلت الشرطة في التصدي للجماهير في جمعة الغضب، فحاولت الانتقام لكرامتها يوم الأربعاء الدامي، فدفعوا بعشرات الآلاف من مساعديهم المسجلين خطر في قوائمهم الشرطية والأمنية لتصفية ميدان التحرير، بالإضافة إلى أعضاء الحزب الوطني وأعضاء البرلمان الذين دفعوا أموالا باهظة لسماسرة الانتخابات لجمع البلطجية والأشقياء وتسليحهم مقابل خمسين جنيها يحصلون عليها مقدما ومثلها بعد نجاح علمية التصفية، وغيرهم من أعضاء الحزب العاملين في شركات البترول وغيرها من الشركات الحكومية والذين دفعوا لموظفيهم وقدموا لهم وجبات جاهزة ووعدوهم بمكافآتٍ مجزية مقابل الانضمام لمظاهرات مؤيدي مبارك.

والغريب أن يكون التدرج عكسيا في هذه المظاهرات؛ بمعنى أن كبار الموظفين في شركات البترول وغيرها يشاركون بالأمر وبدون مقابل، بينما الأصغر منهم فيشاركون بمقابل عشرين جنيه

ووجبة غذائية، بينما الجهلاء والبلطجية فيشاركون بمقابل خمسين جنيها يحصلون عليها مقدما ومثلها بعد نجاح العملية، فالأكثر جهلاً هو الأعلى أجرا. والجهلاء يحملون أدواتهم الاحترافية بينما علية القوم يشاركون بالهتاف والتزاحم أمام العدسات. ويسير مجموعات من ضباط الشرطة في زيٍ مدني لتنظيم حركة الجماهير وحثهم على المضي قدما وبث الحماس فيهم وتأليف الهتافات الرنانة وعمليات الشحن المعنوي التي اعتادوا عليها عند شحن جنود الأمن المركزي.. ثم يأتي الصحفيون والإعلاميون المندسين خلسة بينهم ليفضحوا مخططاتهم على ألسنتهم بكل بساطة وبدون أجر..

كما يقول الكاتب البريطاني رُبرت فِسك: "حدث لي موقف غريب صباح ذلك اليوم، عندما قررت صدفة الذهاب إلى منطقة الأهرامات بالجيزة لإعداد تقرير إخباري عن رأى عمال الجمال عما يحدث بالبلاد، وبالتأكيد كان أغلبهم يؤيدون مبارك، لأنه يوفر لهم المال وتصاريح العمل وكل شيء، معتقدين أن الثورة ستعرضهم للفقر والخراب، وفجأة ظهرت موتوسيكلات كثيفة تدور بالشارع الرئيسي بين القاهرة والجيزة، وبدت كأنها مظاهرة منظمة مسبقا، وليست مظاهرة شعبية، ثم انضمت إليها مجموعة من راكبي الجمال، فقررت العودة إلى ميدان التحرير، ورأيت أفواج الجمال والأحصنة بجانب المتحف المصري فانضممت إليهم لأعلم ما يجرى، وكانت معركة"

وفي ذات اليوم بالتزامن مع هجوم البلطجية والبغال عادت خدمة الإنترنت، لكن لم يهنأ مؤيدي مبارك باستخدامها للحشد ضد المعتصمين بميدان التحرير؛ إذ أن مشاهد الهجوم الغجري بالحمير والبغال قد سبقتهم وسيطرت على الشبكة بشكلٍ رهيب، جعل أغلبية الشعب تنقلب تعاطفا مع ميدان التحرير، وأما مؤيدي مبارك فأغلبهم أصيب بإحباط نتيجة فشل الهجمة تلو الأخرى،وما تسببت فيه من حرج وفضيحة للنظام . فيقول عبد اللطيف المناوي في شهادته " أن عددا ممن شاركوا في تظاهرات التأييد في موقعة الجمل كانوا مؤيدين بالفعل إلا أن العدد الأكبر لم يكن كذلك " بدا واضحا أن الموجودين في مساء ذلك اليوم لم يكونوا من المتظاهرين العاديين الذين جاءوا تأييدا للرئيس مبارك، لكنهم كانوا مجموعات من المكلفين باستمرار الهجوم والضغط من أجل إخراج المعارضين من التحرير باستخدام من تم استئجارهم من البلطجية كما ادعى البعض بعد ذلك، وقد أتوا مسلحين بأجولة من الحجارة، وكان أداؤهم يدل على أنهم مكلفون بمهمة عليهم تنفيذها ".

إلى هنا بدأت الساحة تنكشف وظهرت بجلاء نية النظام في محاولاته المستميتة لوأد الثورة، وظهر ذلك من خلال الصور ومقاطع الفيديو التي تم تحميلها على الشبكة في هذا اليوم والتي تم بثها على القنوات الإعلامية، وبدأ التراجع ليس فقط في صفوف الشعب المصدوم عاطفيا، بل أيضا في صفوف

المنتفعين من مبارك ونظامه. وكانت خدمة الإنترنت قد عادت صباح اليوم على استحياء، وبدأ مجموعات النشطاء تمرس دورها إلكترونيا، وكان وائل غنيم قد تم اعتقاله يوم الخميس 27 يناير وهو أدمن صفحة "كلنا خالد سعيد" هذه الصفحة التي مثلت الدينامو المحرك للثورة، والتي ارتفع عدد روادها فجأة من 350 ألف إلى 3 مليون خلال الأيام الأولى للثورة، لكن مع اعتقال الأدمن المشرف عليها وانقطاع خدمة الإنترنت، وكان الأدمن الأول الصحفي الشاب" عبد الرحمن منصور" قد التحق للتجنيد بالجيش قبل الثورة بأسبوع وانتقل الإشراف على الصفحة إلى الأدمن الاحتياطي "نادين" المقيمة بأمريكا، وبعدما عادت خدمة الانترنت في مصر تواصل المحامي السكندري الشاب "أحمد صالح"، تواصل مع نادين، وكانوا قد اتفقوا على ذلك مع وائل غنيم قبل اعتقاله.

وروى أحمد صالح، لصحيفة "الشرق الأوسط: «في الأيام الأولي للثورة كنت أتعاون مع الصفحة تطوعيا دون أية مسؤوليات مفروضة عليَ، ولم أكن أعلم أن الأدمن هو وائل غنيم على الرغم من أننا كنا نتراسل عبر البريد الإلكتروني، وكان غنيم قلقا من اعتقاله، فتحدث إلي وأخبرني أنه في حال اعتقاله أكون أنا (أدمن) الصفحة، وسيساعدني في ذلك صديقته في أميركا، وتم الاتفاق مع وائل على ماذا سأفعل. وبعد اعتقاله انقطع الإنترنت في هذا اليوم، وبعد عودة الاتصالات والإنترنت، أرسلت لي نادين كلمة السر لأكون أدمن الصفحة، وكُنت خائفا لأن الصفحة مسؤولية كبيرة.. كلما أكتبه محسوب عليَ وكل الأنظار تتابع الصفحة.. كنت أريد أن أنزل للشارع بدلا من أن أتابع العملية من خلال غرفة عمليات (كلنا خالد سعيد)، التي انتقلت إلى شقتي التي أجرتها بمنطقة قريبة من ميدان التحرير.. وكنت أدخل بطريقة لا يتمكن الأمن من معرفة من يدير الصفحة، وكانت من المشكلات التي تواجهني بطء سرعة الإنترنت، وكنت أدخل عن طريق كروت شحن الهواتف الجوالة التي كنت أجد صعوبة شديدة في إيجادها خلال هذه الأوقات العصيبة، ولم تكن أساليب الدخول خارقة وكنت أعتقد أن الأمن يجهل هذه الطريقة للدخول وإلا كان حدد مكاني وتم اعتقالي».

ويستكمل صالح: فوجئت بوجود صفحات مضادة للثورة، تشن هجوما كبيرا على الصفحة، وتعليقات لنا ستطالب بالتوقف عن الثورة عقب خطاب مبارك الأول، ولكنني تجاهلت كل الهجوم، وركزت على الوضع في التحرير، ومن هذا الهجوم ما كان ينشره الإعلام وصفحات (فيسبوك) المضادة للثورة، التي أشاعت وجود بلطجية في الميدان وأجندات ووجبات (كنتاكي) توزع على الثوار، فقررت النزول إلى الميدان وفضلت انتقاء الصور الفكاهية التي تثير اهتمام الشباب. وفي صباح هذا اليوم تردد الحديث عن وقوع اشتباكات في التحرير، فنزلت في بادئ الأمر فلم أجد شيئا فعدت وطلبت من الناس

النزول للميدان، وبعد لحظات عدت للميدان لأجد المعركة مشتعلة، ففكرت في الخروج حيا من التحرير، فقالت زميلة لي: (كيف نخرج ونحن من دعونا الناس للنزول؟)، وقتها تذكرت أني أخبرت الناس أيضا بأن يذهبوا للتحرير، فقررت أن أبقى".



(16)

المبادئ تسمو على الخناجر

مساء الأربعاء الدامي 2 فبراير

كانت أطقم بعض القنوات الفضائية تضع عدساتها في نوافذ فندق رمسيس هيلتون وتنقل المهزلة إلى العالم بثا مباشرا، وهو ما أثار رموز النظام إذ كانوا يطمحون أن تتم تصفية الميدان في ظل تعتيم إعلامي، وفى حوالي الساعة الخامسة والنصف مساء ، اقتحم مؤيدو النظام برفقة عناصر من الشرطة في زي مدني فندق رمسيس هيلتون القريب من ميدان التحرير لإخلائه بالقوة من أطقم القنوات الفضائية التي كانت تنقل بثا مباشرا للأحداث في ميدان التحرير، وقاموا بالاعتداء عليهم بالضرب وطردهم والاستيلاء على معداتهم وتحطيم بعض هذه المعدات..

وعندما آلت الشمس إلى الغروب، وانكشفت ساحة مؤيدي مبارك، إذ تراجعت الجماهير المؤيدة لمبارك بعدما فشلت في دخول الميدان، وأشرف ميدان التحرير على إعلان النصر، عادت مروحية الجيش تحوم في مسارها المعتاد حول دائرة الميدان، وكانت قد حلت محلها منذ الصباح مروحية أخرى مدنية، قيل أنها طائرة الرئاسة من طراز فرنسي، وكانت تحلق في دائرة محورها يرتكز ما بين نقطة ماسبيرو وميدان مصطفى محمود في شارع الجامعة العربية، لكنها الآن ذهبت ولم تعد.. واضطرت طائرة الجيش للعودة إلى مهمتها المعتادة منذ دقائق للدوران حول الميدان.. بعدما فشلت حملة البلطجية في اقتحامه على مدار ست ساعاتٍ متواصلة من الهجوم استعملت خلاله كل أسلحة العصور الوسطى.





ومع تتابع موجات التراشق بالحجارة ونوبات الإحجام والإقدام بالتبادل بين الطرفين، انتشرت الحجارة وقطع البلاط والرخام في كل مكان، وتكونت منها طبقة بارتفاع الرصيف تحت أقدامنا وتكسرت مصابيح الإضاءة، ولم يعد هناك إضاءة سوى أشعة الضوء المنبعثة من حريق داخل المتحف أو الحرائق الناتجة عن سقوط قنابل المولوتوف من ارتفاعات شاهقة، والتي بمجرد ارتطامها بالأرض تنفجر وينتشر ما بها من مواد حارقة فتؤدي إلى إشعال الحرائق غالبا في المنطقة الفاصلة بين الطرفين أو على مصفحات الجيش التي كنا نحركها خلف صفوفنا الأولى كنوع من المتاريس والدروع الدفاعية في حالة الخطر.. وعلى الجانب، وقف فريق الإطفاء العسكري بمضخات الإطفاء من داخل حديقة المتحف لإخماد الحرائق والمصفحات المشتعلة، لكنها استعصت عليهم فتركوها تحترق تحت وابل من الأحجار والمقذوفات..

وكنا كلما استشعرنا تنقاص الجماهير خلفهم وتراجعهم خطوة للخلف، نهتف بأعلى صوتنا "الله أكبر.. الله أكبر" فيتملكهم الخوف ويتراجعون خطوة أخرى، وبذلك تضاعفت خطواتنا في التقدم، وفي ذات اللحظة يأتينا المدد والعون من قلب الميدان عندما يسمعون حناجرنا تعلوا بالتكبيرات التي كانت إشارة الإقدام لنا والإحجام لمؤيدي مبارك، وقد حاولوا أكثر من مرة أن يأخذوا هدنة سلمية، فكان أحدهم أو مجموعة منهم تصعد أعلى مصفحة وتلوح بأيديها في إشارة لوقف الاشتباك، لكننا لم نعطهم الهدنة التي أرادوها، لأنهم غدروا بنا في الهدنة الأولى وبادروا بقذف الحجارة بكثافة عالية، فهم يستغلون الهدنة في إعادة تنظيم صفوفهم، وربما كانت هناك دقائق يهدأ فيها الاشتباك تلقائيا، عندما تزداد كثافة الدخان المتصاعد من الحرائق والمقذوفات وتصبح الرؤية معتمة في ظلام الليل.. وبمجرد انقشاع الكثافة الدخانية يعود الاشتباك.

وفي لحظة فارقة لم نمهد لها، لكن الله قدر أن تكون.. وارتفعت هتافاتنا فجأة " الله أكبر.. الله أكبر" بصوت جماعي لتشجيع بعضنا البعض، مع أنه في تلك اللحظة لم نكن متقدمين عليهم، ولم يكونوا هم تأخروا خطوة كالعادة عندما نكبر ونهتف.. لكن هذه المرة أتت من عند الله فغرست الرعب في قلوبهم وشعروا بأن جيوشا قد انضمت إلينا من الظلام حلفنا فتراجعوا إلى الخلف خطوات وخطوات.. وبسب إقدام الحكومة على قطع الكهرباء في محيط ميدان التحرير، فلم يعد أحدهم قادرا على كشف وسط الميدان وحصر كثافته في الظلام، ولهذا ولد الرعب ذعرا بداخلهم فتدافعوا فوق بعضهم البعض ووقع منهم الكثيرون على الأرض من شدة التزاحم، والزحام الشديد أشعرهم بأن الموت

يحاصرهم فتراجعوا أكثر وأكثر.. وكلما تراجعوا تقدمنا، فالله يرسل الرياح قدرا .. وما علينا إلا توجيه الشراع..

وكنت في تلك اللحظة أقف على ذراع أحد الأوناش العسكرية، ومع أنه يقف في المسافة الفاصلة بين الفريقين إلا أن ارتفاع ذراعه جعلني بمنأى عن مقذوفاتهم ومهد لي فرصة أكبر للتصويب عليهم دون أن يتمكنوا مني، كانت الصعوبة فقط في أن الفتاة التي تناولني الحجارة لا تتمكن من الصعود على طبلية الونش فأضطر للنزول كل فترة كي آخذ منها.. وعندما تراجعوا خطوات نزلت مسرعا على الأرض كي ألاحقهم وزملائي في هجمة جماعية، ووقع الكثير منهم أسرى في أيدينا رغم ما يحملونه من أسلحة مختلفة كنا نخشى أن ترتد منهم حملة طعون خنجرية إذا اقتربنا منهم.. كان أكثر خوفنا من الخناجر التي يعلقونها في أحزمتهم وفي البنطال، بينما هي كانت رعبهم الأكبر، فكانوا يتوقعن أن من نمسكه منهم ومعه هذه الخناجر سنقتله فورا، لكنهم وقعوا في أيدينا قبل أن يتخلصوا منها.. وأشار إليَ زميل بأن أمسك أحدهم وقد وقف عاجزا عن الحركة مرعوبا رغم أنه يحمل جنزيرا معدنيا وخنجرا قصيرا صدئ معلق في حزام وسطه، ووقف في يدي مستسلما ومرعوبا مثل الفأر، ولا يمكن أن أنسى شكله ورعبه حينما قال لي قبل أن ألمسه: لا.. لا.. أنا معاكم والله.. فنظرت إليه محدقا في وجهه مستغربا وقلت : لا.. مشمعانا ، بلطجي، فسكت ولم يرد.. لكن الخوف بداخله كان يتكلم.. فسلمته إلى زملائي وتابعنا الهجمة. فوقعت الصفوف الأولى منهم فوق بعضها، إذ كانوا عندما يهجمون تكون الصفوف المواجهة لنا هي صفوفهم الأولى، وعندما يتراجعون تصبح هي الصفوف الأخيرة وتصبح حركتهم مقيدة بحركة الجماهير التي تقف خلفهم، فيتزاحمون ويتدافعون فيقع صف تحت الآخر فيدهسون بعضهم بعضا مثل البقر؛ فالروح أغلى من الخمسين جنيها.. أما نحن فكان الوطن أغلى من أرواحنا..

وكانت عدسات الجزيرة وبعض القنوات الفضائية الأخرى ترصد الحدث من شرفات العمائر المواجهة، بالإضافة لبعض الكاميرات المثبتة في المتحف، وكنا نجري خلفهم، نمطرهم بسيل من الحجارة ولم ينظر أحدهم خلفه إلا رعبا، وبعضهم حاول التمويه والانضمام إلى صفوفنا في هجمتها، وبعضهم سقط على الأرض وتخفى تحت المصفحات وبين عجلاتها مثل الموتى حتى لا يصيبهم أذى.. وسقطت أعلامهم ولافتاتهم وحتى صور زعيمهم مبارك، الذي عاهدوا أنفسهم بفدائه بالروح والدم..

وهنا بدأ يتغير مسار التاريخ.. حيث نقصت أعدادهم بكثافة ملحوظة، وفر منهم كثيرون وانكشفت ساحاتهم.. أسلحة بيضاء وقضبان وسلاسل معدنية.. تركوها مبعثرة خلفهم وفروا..

صناديق من زجاجات المولوتوف الجاهزة، وصناديق مليئة بالمأكولات خاصة علب الكشري وشطائر الفول والفلافل التي كانوا يضعونها خلفهم مثل مؤن المحاربين (كراتين ورقية كبيرة كل واحدة تحتوي أكثر من مائتي علبة كشري جاهزة وسندوتشات فول وفلافل مجهزة في كراتين منذ الصباح.. وكأنهم يحملون أعلافهم على ظهورهم)، وأكوام وأجولة من الحجارة وقطع الرخام والزجاج المكسر.. انكشف كل شيء على حقيقته، وظهر خلفهم أسطول سيارات إسعاف.. أكثر من عشر سيارات إسعاف تقف متراصة.. وفناراتها تعلن حالة الطوارئ باستمرار، وقد ظهرت بوضوح عندما حل الظلام وانكشفت ساحتهم.. عندما ذهبت طائرة الرئاسة وعادت مروحية الجيش تحوم فوقنا..

وفي آخر هذه الهجمة فوجئت بأن أغلبية من يتزاحمون أمامي ليسوا بلطجية، وكان ذلك واضحا على ملامح وجوههم وملابسهم.. كان البلطجية والصعاليق يقفون في الصفوف الأولى التي تشتبك معنا، وعندما بدأنا الهجوم، اخترق أغلبهم الصفوف مسرعين إلى الخلف.. قبضنا على مجموعة منهم وهرب الباقون.. وبقي أمامنا السذج من كافة فئات الشعب التي خرجت مؤيدة لمبارك وتعاطفت معه بعد تنازلاته وتوسلاته في خطابه الأخير، وليست لهم دراية بحروب الشوارع والاشتباك والتراشق بالحجارة، فقط انتظروا إخلاء الميدان حتى يحتفلوا على جثثنا.. فهم خرجوا في مظاهرات عادية مؤيدة لمبارك والأمن والاستقرار مكتفية بما حققته انتفاضة الشباب ورافضين لاستمرار الاعتصام والتمسك بسقف المطالب، ربما اكتفوا بمجرد انتفاضة ولم يريدوها ثورة، وألقت بهم الأقدار في هذه المحنة بعدما اخترق البلطجية جماهيرهم وهربوا إلى الخلف وتركوا هؤلاء السذج متراسا لهم فوقعوا فوق بعضهم البعض لعدم درايتهم بأساليب البلطجة والكر والفر..

لكن الأهم أن انكشف مدخل العمارة الأولى التي صعد منها رماة المولوتوف إلى الأسطح، فانتهزنا الفرصة أثناء الهجوم وأغلقنا عليهم البوابة ووقف مجموعة منا في حراستها.. وتسللت مجموعة من شبابنا وصعدوا إلى السطح في غمرة الأحداث وتمكنوا من القبض عليهم جميعا وأخذوهم أسرى، وكل ما معهم من قنابل ومقذوفات حارقة.. وتم اقتيادهم إلى مصيرهم في سجن الميدان مع رفاقهم من الخيالة والجمالة واللصوص وضباط الأمن والشرطة إلى السجن الشعبي بمحطة المترو..وربما لو لم تدركنا العناية الإلهية في هذه اللحظات الحاسمة التي غيرت مجرى التاريخ، لما انتبهنا إلى مدخل هذه العمارة، ولما كنا انتصرنا عليهم..

وخلال دقائق من الفوضى والارتباك في صفوفهم وتجمعاتهم، نظمنا أنفسنا وأقمنا حاجزا من الدروع والمتاريس مستخدمين ألواح الصفيح والخشب التي جلبها الشباب من موقع المقاولين العرب

ووضعناها في صف واحد بعرض الطريق وحتى سور حديقة المتحف، وقمنا في ذات الوقت بتحريك مصفحات ومعدات الجيش ودفعها يدويا لمسافة 30 مترا، وشكلنا حائط صد مصفح بمدرعات خلف المتاريس والدروع الأمامية، وحافظنا على أن تكون المسافة بين حاجز المتاريس الأمامية وحائط الصد المدرع لا تقل عن خمسة أمتار نقف نحن فيها عدة صفوف، فتتيح لنا حرية الحركة للدفاع عن أنفسنا إذا ما استدعى الأمر، بحيث إذا ضغطوا علينا فجأة واقتحموا حاجز المتاريس الأمامي، لا يتمكنوا من عبور حائط الصد المدرع بسهولة.. ووقف الكثير منا خلف حاجز المتاريس وفوق المدرعات استعدادا للدفاع..

وبدءوا في تجميع صفوفهم مرة أخرى، في حين زاد ضعفهم، لكن كان بينهم ضباط وأفراد أمن وقفوا مجموعات بزي مدني يحثونهم على إعادة الهجوم، ووقف فريق منهم على الرصيف أعلى كوبري أكتوبر وفريق أسفله لتنظيم الهجمات.. واستمر الوضع على هذه الحال فترة من الوقت لكن دون تقدم ولم تتحرك دروعنا.. وتوجه بعضنا إلى المستشفى الميداني لتضميد جروحهم ووقف نزيفها.. وإلى هذه اللحظة لم يسقط بيننا شهداء لكن المصابين بجروح فاق عددهم الألفي مُصاب، والأغلبية بجروح عميقة وغائرة..

كانت سيارات الإسعاف تقف طابورا خلف صفوفهم تتناوب على إسعاف المصابين تحت كوبري أكتوبر.. وكانت أضواءها الملونة إشارة النصر بالنسبة لنا، لأن من يصاب منهم بجرح ولو طفيف يتم نقله إلى المستشفى فورا ومنها إلى منزله ولا يعود إلى الميدان ثانية، بالإضافة إلى الأعداد التي فرت هاربة منهم.. أما نحن فلم تكن تأتينا سيارات الإسعاف، بل تشكلت تلقائيا المستشفى الميداني ومن يصاب منا بجرح يذهب إليها خلف الصفوف لتلقي علاجه ثم يعود إلى صفوفه فورا.

وبعد أذان العشاء تقريبا، كان الخطر قد بدأ في الزوال، فتركت الجبهة في ميدان عبد المنعم رياض، وكنت أشعر بإرهاق شديد وامتلأ جسدي بكدمات وبعض الجروح، وكدمة حادة في رأسي جاءتني من صفوفنا الخلفية، لم أشعر بألمها لكونها جاءت من النيران صديقة، وبطبيعتي لا أحب أن أتماثل للمرض أو أن أحتفي بالألم فتجاهلتها وذهبت لاستطلاع أحوال الإذاعة الميدانية، فقد صارت غرفة العمليات الثورية باقتدار..

وفجأة، باغتنا هجوم غجري عنيف في مدخل قصر النيل أمام الجامعة العربية، ومع أن هذه الجبهة ليست ساخنة إلى حد ما، وكانت دبابات الجيش متوقفة على جانبي المدخل، وبذل شباب الألتراس

جهودا رائعة في تأمين جبهتي طلعت حرب وقصر النيل أثناء انشغالنا على جبهة عبد المنعم رياض، إلا أن الهجوم جاء عنيفا هذه المرة، فربما انضم إلى هذه الجبهة كثير من البلطجية والصعاليق الذين هربوا من جبهة عبد المنعم رياض الساخنة، وكادوا يخترقون الحواجز والمتاريس ويدخلون الميدان.. ولذا كان لابد من الاستغاثة بالإذاعة وكان دورها مهما للغاية في توجيه وتوزيع الشباب على الجبهات الساخنة والتي تحتاج إلى مدد إضافي أو معونات طبية.. وخلال لحظات زادت كثافتنا أمام الجامعة العربية واستمر التراشق بالحجارة ما يقارب النصف ساعة، تمكن الشباب خلالها من مطاردة حشود الغجر حتى منتصف كوبري قصر النيل.. ونظرا لأن هجماتهم كانت متوقعة من شارع الكورنيش من اليمين أو اليسار أو من مدخل وزارة الخارجية القديمة المقابل للجامعة العربية، ولهذا لم يحرك دروعهم للأمام وأقاموها ما بين الجامعة ومبنى الوزارة القديم حتى لا يأخذوا الفرصة ويطوقوننا من الداخل فتتشتت قوتنا، إلا أن البلطجية قد استسلموا لضعفهم بعد هذه الهجمة وعادوا أدراجهم، وبقى التنظيم جيدا على هذه الجبهة بمساعي شباب الأولتراس.

ولا يختلف أحد على دور روابط الأولتراس في الثورة، فقد شاركوا بجهد عظيم في تحريك مظاهرات كبيرة من أنحاء القاهرة اتجهت إلى ميدان التحرير في جمعة الغضب، رغم أن الأولتراس منذ تأسيسهم عام 2007، تعرضوا لهجوم عنيف من بعض الإعلاميين منهم من وجه لهم تهمة الشذوذ وآخرين اتهموهم بالجنون، والبعض اتهمهم بتعاطي المخدرات وعبادة الشيطان، حتى جاءت ثورة يناير وتحالف الكل معهم لدورهم البارز وجاهزيتهم الدائمة وقدرتهم التنظيمية في الثورة، فهم ينتشرون في الشوارع بمجرد تغريدة عابرة خلال دقائق. ومنذ بداية الثورة ونجح الأولتراس سواء كان أهلاوي أو "وايت نايتس" أو أولتراس الأندية الجماهيرية الأخرى، في تنظيم أنفسهم لعدة أماكن متفرقة لتشتيت الأمن الذي حاول إحكام قبضته، وفشل الأمن في منعهم من دخول ميدان التحرير.وأطلق المتظاهرين على روابط الأولتراس أثناء الثورة "الأولتراس حماية الثورة"، بعدما تصدروا الصفوف الأولى في مواجهة الأمن فور أي صدام حدث بين أفراد الداخلية والمتظاهرين في محيط الميدان، خاصة في جمعة الغضب يوم 28 يناير.

وعرفت من كثير من زملائنا أنهم عانوا كثيرا أثناء قدومهم إلى الميدان، بعدما شاهدوا ما يحدث على شاشات الفضائيات وقرروا النزول إلى الميدان لنجدتنا، ونظرا لأن كافة مداخل الميدان كانت محاصرة ومطوقة بحشود من الغجر فكانت رحلة وصولهم إلى الميدان صعبة جدا. لأنه بمجرد أن يقترب أحد من هذه الحشود الغجرية يسألونه : " أنت مؤيد أم معارض ؟ " ومن كانت لديه البديهة

الحاضرة يجيبهم " مؤيد طبعا "، وينضم إلى صفوفهم صوريا ويتقدم حتى يصل إلى الصفوف الأولى منهم ثم يقفز منها، وكان عليه أن يعبر خط الاشتباك وحاجز الدروع والمتاريس، وكان ذلك عملا أشبه بالمستحيل.. لأنهم لن يتركوه ينضم إلينا بكل بساطة قبل أن يوجهوا إليه تهمة الخيانة العظمى وينهالوا عليه سحلا وركلا وطعنا بالخناجر.. وحتى إذا تمكن من اجتياز صفوفهم وخط الاشتباك والحواجز والمتاريس.. فلن يكون من السهل أن ينضم إلينا بمجرد أن يقول: " أنا معكم "، بل سيخضع للتفتيش الذاتي أولا.. مع أن الحقيقة كانت تتجلى بوضوح منذ الوهلة الأولى، خاصة إذا رأيناه يتعرض الإيذاء منهم فهذا يعني أنه ثورجي معارض. ولم يكن ينضم إلينا ويناصرنا إلا من كان على الأقل على قدر من الوعي بحقيقة الأمور، وهو ما يظهر في ملامحه وحتى أسلوبه في التعبير، فنحن نعرف أبناءنا بمجرد النظر والطيور على أشكالها تقع..

لهذا ظل مؤشر الطاقة البشرية في الميدان ثابتا طوال النهار، وربما في انخفاض بسبب الإصابات ولصعوبة اختراق القادمين إلى الجبهات والحواجز وخطوط الاشتباك، وقبل ذلك كله أن ينجح في معركة " أنت مؤيد أم معارض ؟ "، والغريب أنني شخصيا قد وقعت في هذا الفخ رغم أنني كنت موجودا في قلب الميدان قبل هجوم الغجر طول الوقت.. ففي إحدى الهجمات الدفاعية التي شاركت فيها في شارع شامبليون، اندفعت مع مجموعة من زملائي نجري بسرعة خلف البلطجية نطاردهم حتى نهاية الشارع وتلاشت الفواصل الواضحة بيننا وبينهم في الظلام، فبعضهم تأخر وبعضنا تقدم كثيرا ولم يكن هناك زي موحد لدى أي من الطرفين.. وكانت اللافتات والصور تقع أرضا في مثل هذه الهجمات فلا نعرف بعضنا بعضا ، وقد حل الظلام في الميدان بالكامل، ولم يكن جميعهم بلطجية كما ذكرت آنفا.. وبينما أتحدث معهم (باعتبارهم زملائي)، فوجئت بأحدهم يقترح علينا معاودة الهجوم مرة أخرى من شارع طلعت حرب على ميدان التحرير.. بينما كنت أبحث معهم عن فكرة لتطوير المطاردة وتصفية بلطجية مبارك نهائيا، فلمح أحدهم عبارة " البلطجية بتوع مبارك" على لساني، فبدأ يسألني بهدوء: بتقول إيه؟؟ مين؟؟ مين يا روح ...؟؟.. شعرت وكأن عزرائيل يحاصرني بأجنحته في دائرة قطرها متر،فتراجعت خطوة إلى الوراء بهدوء، وانسلخت من بينهم مثل الشعرة ، قطعت شارع طلعت حرب جريا في ثانيتين حتى وصلت بأمان إلى قلب الميدان.. كانت مهمة الإفلات منهم شبه مستحيلة..

وفي ذلك الوقت كانت معظم الجبهات الصغرى قد أعلنت تصفيتها النهائية لصالح الميدان.. جبهة قصر النيل وجبهة قصر العيني وطلعت حرب وأبو اللوق وجبهة عابدين.. لم يتبق سوى جبهة الدفاع الكبرى في ميدان عبد المنعم رياض التي لا تزال بها مناوشات.. وبدأت سيارات الإسعاف تتوافد على

استحياء إلى الميدان لنقل المصابين بجروح خطيرة إلى مستشفى قصر العيني.. مرة تلو الأخرى.. وأسرع إلينا طبيب شاب جاء من مستشفى قصر العيني وأخبرنا بأن كل من نقلتهم سيارات الإسعاف إلى المستشفى تم اعتقالهم فور وصولهم حتى قبل تلقيهم العلاج، وكثيرون نقلوا من سيارات الإسعاف إلى سيارات الأمن التي توجهت بهم إلى لاظوغلي (مقر أمن الدولة في جاردن سيتي)، ونصحنا بألا نترك سيارات الإسعاف تحمل سوى المتوفين فقط.. أما الجراحة فتبقى في المستشفى الميداني أيا كانت الخطورة.. وأخبرنا أيضا أن سيارات الإسعاف تقوم بنقل كميات من الحجارة وكسر الرخام إلى حشود البلطجية، كما كانت تقوم بنقل الذخيرة إلى قوات الأمن في جمعة الغضب..

وكانت المستشفيات الميدانية قد تعددت فروعها وانتشرت بصورة تلقائية ومنظمة في أطراف الميدان وأخذت أرقاما للتمييز فيما بينهما، لكن مع ازدياد الضغط عليها ظهر نقص ملحوظ في المواد الطبية، وكان كثير من الأطباء والصيادلة يقومون بجلب ما استطاعوا من الأدوية والمستلزمات الطبية، رغم تعرضها في كثير من الأحيان للمصادرة من قِبل البلطجية وأنصار الحزب الوطني الذين انتشروا في الشوارع القريبة من الميدان وحاصروه ليقطعوا المؤن عنه.. لكن نجح البعض في تهريب كميات من الأدوية والإسعافات، وسمعت أن المهندس نجيب سويرس نجح في تهريب بعض الأدوية إلى داخل الميدان.. وكان معنا الكثير من طلبة كليات الطب والصيدلة والتمريض قاموا تلقائيا بتشكيل مستشفيات ميدانية لمباشرة رسالتهم الإنسانية، وكانوا يرفضون التصوير أثناء إجراء عملياتهم الجراحية حتى لا تتعقبهم مباحث أمن الدولة..

وأما الإذاعة فلا تزال على حالها، توجه الشباب إلى الجبهات المختلفة حسب الضرورة وتذيع بعض الأغنيات الحماسية بشكل متقطع.. وفي هذا اليوم بالتحديد لم تأتينا وفود المثقفين والشخصيات العامة والسياسيين لأن الأمر بالنسبة لهم كان مستحيلا، رغم تراجع بعضهم واكتفائه بما جاء في الخطاب البائس الذي استطاع أن يخدع الشريحة العظمى من الشعب المصري، ولم يبق في الميدان سوى فئة الشباب التي كانت الوقود المحرك للمظاهرات في يوم الثلاثاء 25 يناير أما بقية فئات الشعب البسيطة التي انضمت للمظاهرات بالصدفة أثناء سيرها في الشوارع، هي ذاتها الفئات الساذجة التي انضمت بالصدفة أيضا إلى مسيرات ومظاهرات الحزب الوطني بعدما خدعهم الخطاب واحتشدوا بعشرات الآلاف لتصفية ميدان التحرير .

بعدما حصلت قسطا من الراحة واستعدت نشاطي دونت بعض التعليقات المختصرة في مفكرتي كي تذكرني بتفاصيل الأحداث فيما بعد، وكان آخرها حجم الفوضى التي يخشاها مبارك إذا استقال

من السلطة!.. فقد أكد في كل خطاباته أنه يريد الرحيل لكنه يخشى الفوضى!اتجهت إلى جبهة الدفاع الكبرى في ميدان عبد المنعم رياض، وكانت لا تزال بها مناوشات.. فوجئت بمجموعة من الشباب يقتادون أسيرين من البلطجية أنصار الحزب الوطني، وقد نالهم نصيبهم من العقاب ثم نقلوهم إلى المستشفى الميداني لتضميد جروحهم رغم أنها مخصصة للشرفاء فقط ، لكن قمة الشرف أن تبتعد عن الانتقام وترحم الضعيف والأسير حتى ولو كان خائنا لوطنه مقابل حفنة جنيهات حقيرة.. ثم نقلوهم بعد ذلك إلى سجن الميدان في محطة المترو مع رفاقه من اللصوص وفرسان الخيول ورماة المولوتوف..



على كل حال ، كاد الميدان أن يتحول إلى جرحٍ غائرٍ في جسد الوطن..كان مخططا أن يتم تصفية الميدان قبل طلوع الفجر، وهكذا جاء الفجر وما زال الميدان صامدا حتى اقترب فجرٌ جديد.. وخلال الساعات الماضية كانت الأخبار والمشاهد قد تطايرت في كل الدنيا ووصلت الفضائح إلى كل مكان، حتى أن الأمريكان قد اتفقوا مع حسني مبارك على أن يرحموه من تصريحاتهم ويمنحوه فرصة 72 ساعة لتصفية الميدان بهدوء، ووقف أفراد من القوات الأمريكية المخصصة لحراسة السفارة فوق سطحها يتابعون الأحداث بعدساتهم عن قرب، وأبلغوا قيادتهم بالمهزلة والفضيحة التي تحدث في الميدان أولا بأول، ما اضطر الأمريكان عندما فوجئوا بمشاهد هجوم البلطجية والخيول بالسيوف والخناجر، عادوا ليتصلوا بمبارك ويبلغوه بإلغاء الاتفاق خلال 24 ساعة، وقال الرئيس الأمريكي أوباما أنه اتصل بمبارك وأبلغه أن السلطة يجب أن تنتقل الآن..

إلى هنا ولا زالت الأجواء هادئة على مداخل الميدان، وكنا نجلس مع الرفاق على حافة الرصيف، نتبادل الضحكات وأكواب الشاي مع أفراد الجيش الذين وقفوا خلف السور الحديدي داخل حديقة المتحف، ونطالع عناوين الأخبار التي تسربت في المساء كالعادة:

- مبارك في تصريحات لقناة (abc الأمريكية) يؤكد أنه يود الاستقالة لكنه يخشى أن تغرق البلاد في الفوضى
- عشرون جنيها ووجبة لعمال الشركات.. وثمن المشاركة يرتفع لمئات الجنيهات على مداخل ميدان التحرير
- "مظاهرات"مدفوعة الأجر لتأييد مبارك
- نواب الحزب الوطني ورجال الأعمال وراء حشد المؤيدين
- شركات البترول ومعمار المرشدي وبالم هيلز أبرز المشاركين
- موظفي « المياه » صرفوا رواتبهم قبل الانضمام لمظاهرات التأييد
- "المهندسين" مروحيات زرقاء وسيارات سوداء في مظاهرة تأييد مبارك
- بلطجية بأسلحة بيضاء يحاولون تفريق اعتصام الإسكندرية عقب خطاب مبارك
- مظاهرات مضادة مؤيدة لخطاب الرئيس ومطالبة ببقائه
- عبد الرحمن يوسف : مبارك على خطى نيرون .. ولم نعد نصدق ما يقول
- أحمد ماهر (ناشط بحركة 6 إبريل) خطاب الرئيس يكشف عن نيته اعتقال الناشطين إذا نجح في إجهاض الثورة
- تصاعد احتجاجات الغضب في وجه البابا شنودة
- حمدي قنديل : مبارك لم يتحدث عن التوريث.. ولم يعتذر عن أرواح الشهداء
- الأحزاب الهامشية توافق على الحوار مع النظام والقوى الوطنية الكبرى تتمسك بالرفض
- النائب الأول لرئيس مجلس الدولة : حل مجلس الشعب هو الخيار الأفضل – عدد النواب المطعون في عضويتهم 486 بنسبة % 95 من مجلس الشعب ..و % 37 من المقاعد محكوم ببطلانها مما يمنع اكتمال النصاب القانوني
- من السوايسة إلى مبارك : خطابك مرفوض ونطالبك بالرحيل

- نيويورك تايمز : التغيير يُكسب مصر هيبة جديدة
- لوفيجارو :أوباما تبرأ من مبارك
- أوباما : انتقال السلطة يجب أن يبدأ "الآن"
- «فرعون ..يغرق في رمال كثيفة
- العالم لمبارك : لا داعي للبقاء حتى سبتمبر
- توني بلير :التغيير في مصر سينقل المنطقة نحو الأفضل
- نيكولا ساركوزى : يجب بدء العملية الانتقالية بدون تأخير
- أردوغان :التنحي الفوري هو فقط ما يلبى طموحات المصريين
- النائب العام عبد المجيد محمود يصدر قرارا بمنع سفر أحمد عز أمين التنظيم السابق في الحزب الوطني، ووزير الداخلية السابق حبيب العادلي، ووزير السياحة السابق زهير جرانة، ووزير الإسكان السابق أحمد المغربي وتجميد أرصدتهم في البنوك.
- قوى المعارضة ترفض عرض رئيس الحكومة أحمد شفيق لبدء حوار وطني، مشترطة تنحي مبارك وتشكيل حكومة وحدة وطنية تضم جميع الأطياف أولا.
- عمر سليمان نائب الرئيس يؤكد عدم ترشح مبارك أو نجله جمال لانتخابات الرئاسة المقبلة، وإنه سيعاقب كل الضالعين في إثارة العنف والانفلات بميدان التحرير.

وكانت خدمات الإنترنت قد عادت وبدأ المصريون يغردون على ضوء مستجدات الأحداث، ونسترجع معا تغريدات المصريين في هذا اليوم ، على هاشتاج الثورة

"#jan25#egypthttps://almanassa.net/ar/story/976/collaboration"

- "التغريدة الأولى:البي بي سي جايبة صورة الجمل وسط الناس كصورة رئيسية على موقعها..يخرب بيت أم الفضايح "
- " أوباما يقول لا بد أن يبدأ انتقال السلطة في مصر الآن ".
- ميدان التحرير صامد، ولن يهزم، ولكن خارج مناطق التظاهر، المعنويات منخفضة."
- "لا تصدقوا مبارك.. إنه يرسل البلطجية لمحاربة الشعب."

- "شباب يحمون مكتبة الإسكندرية من اللصوص."
- " أوباما يقول: لا أحد بإمكانه تقرير من يقود مصر بخلاف المصريين! شكرا يا أوباما :تصريحك يتضمنك أنت أيضا.
- أوباما يقول إنه أبلغ مبارك بوجوب بدء عملية انتقال السلطة الآن، ويهنئ الجيش على ضبط النفس خلال الأزمة"
- "ليس الحل في رحيل مبارك. ولكن في تغيير النظام تماما، وبخلاف ذلك ستضيع الثورة."
- " البرادعي معلقا على خطاب مبارك عبر قناة "الحرة": يجب أن يغادر اليوم قبل الغد وهذا رأي المتظاهرين"
- " استمرار الضرب في المتظاهرين يدل على أن من يقوم به هو بلطجي متمرس "
- " حسني مبارك، أو جنرال أكتوبر الذي تحول إلى رئيس مصر فزعيم البلطجية "
- " جامعة الدول العربية تدعو إلى فتح تحقيق فوري بشأن الأحداث التي جرت في التحرير "
- نوارة نجم: كُنا كرماء حينما طالبناه بالرحيل.. اليوم نطالب بمحاكمته"

أما الخدمة التي ابتكرها مارديني speak2tweet لمساعدة شباب الثورة كبديل عن الإنترنت،في الواقع لم تستقبل الخدمة مكالمات يمكن الاستدلال منها على أنها تمت من داخل الميدان في هذا اليوم ، فكان الجميع مشغولين بالاشتباكات.لكنها رصدت في ذلك اليوم عدة رسائل من خارج الميدان تحمل اعترافات واضحة وصريحة في دلالاتها.. ومن بين الاعترافات التي تلقتها الخدمة ، مكالمة جرت أثناء موقعة الجمل قال فيها المتصل إنه تلقى أموالاللمشاركة في المظاهرات المؤيدة لمبارك، من خلال قريب له يعمل بالشرطة. وأنه يشعر بالخزي لموافقته على المشاركة.كما اتصل كادر سابق بالحزب الوطني يدعى أحمد صالح، ليتحدث عن خبرته في العمل مع دكتور نبيه العلقامي الذي احتل منصب أمين شباب الجمهورية بالحزب الوطني، وأنكر مشاركته في حشد البلطجية المهاجمين للمظاهرات المعارضة خلال الثورة.

ومن المكالمات اللافتة أيضا، اتصال من شخص أعلن في أول جملة من مكالمته أنه مسجل خطر . وأنه اتصل ليحذر غيره من المسجلين من "الوقوف مع حسني مبارك". مذكرا إياهم بانتهاكات الشرطة

ضدهم وضد أسرهم، وبأهمية انتهاز الفرصة للتطهر والتوبة وعدم الانتصار لمبارك والحزب الوطني. مؤكدًا أن من في التحرير يبحثون عن مصلحة البلد.

وفي مكالمة بالعربية، وجهت متصلة مذعورة اتهامًا للمتظاهرين بالتسبب في توتر الشعب. بينما اتصلت سيدة أخرى تدعى سهام من هولندا؛ كي تعرب عن احترامها لمبارك وقناة الجزيرة وتطالب بعدم إهانة الرئيس وإيقاف التظاهر ضده، والتوقف عن مطالبته بالتخلي عن الحكم. ومتصل آخر في ذات اليوم الذي انهالت فيه المكالمات الغاضبة والمتعاطفة مع المتظاهرين، تحدث بالإنجليزية كي يطالب بإعطاء مبارك فرصة للاستمرار في الحكم سبعة شهور أخرى خشية وقوع البلاد في الفراغ الدستوري، وهي نقطة حذر منها مبارك أيضًا في خطابه في الليلة السابقة. وآخر اتصل ليهتف منفعلا بحياة الرئيس.

اتصالات مؤيدي مبارك على أرقام الخدمة أثارت غضب أحد مؤيدي الثورة، ليتصل في تغريدة منفعلة مطالبًا إياهم بالتوقف عن الاتصال، وترك أرقام الخدمة كي يتحقق الهدف منها باتصالات المعارضين بعد أن "قطع مبارك الإنترنت وتويتر وكل حاجة". مطالبًا مؤيدي مبارك المتحدثين بالإنجليزية بأن "يرحمونا شوية[1]"

وصلات خارجية

1. **وثائقي: موقعة الجمل** https://www.youtube.com/watch?v=rWWYXXGpvq0
2. **يوميات الثورة المصرية 02 فبراير** https://www.youtube.com/watch?v=Agbr7w-37xE

1- ما تبقى من سجل مكالمات الخدمة بعد سنوات من إطلاقها ، ومع تقلبات الأحداث التي عصفت بالثورة عقب تنحي مبارك عن الحكم؛ نسي كثيرون ذلك الطوق الذي ألقاه مبرمج مصري مهموم بالثورة كي يعين المنخرطين فيها. وتبقت منها مدونة على موقع alive.in، مخصصة لتغريدات المصريين، يصعب البحث فيها عن محتوى بعينه ، مما يضعف إمكانيات الموقع الحاوي لها، بالإضافة لغياب روابط العديد من الملفات الصوتية التي اعتمدت عليها الخدمة. لكنها رغم ذلك لا تزال تمثل أرشيفًا مكتوبًا ومسموعًا "أحيانًا" لساعات عصيبة من عمر الوطن، كادت أن تنكسر فيها الثورة بعد خطاب مبارك العاطفي الذي أدى لانفضاض الكثيرين من حول الثوار، وبعد معركة لا تزال توصف بأنها من أكثر معارك الثورة دموية. وتحتفظ سجلات مشاركات المصريين على خدمة speak2tweet بتعلق قلوب الكثيرين بالميدان حتى الذين لم يدخلوه بأجسادهم أيام الثورة، لكنهم عاشوا وعايشوا روح الثورة مع الشباب

من مقال منشور على مدونة " المنصة" بعنوان: المنصة" تفتح صندوق الثورة الأسود: اعترافات ووصايا ما قبل الموقعة ، بقلم: عزة مغازي ، بتاريخ: 30 يناير 2016 على الرابط التالي https://almanassa.com/ar/story/955

3. **موقعة الجمل من قناة الجزيرة** https://www.youtube.com/watch?v=DFkPtcqWOfM

4. **لقطات من موقعة الجمل،اليوم الأسود في تاريخ مصر**

https://www.youtube.com/watch?v=VAqumWL3Vo8

5. **موقعة الجمل ـ السقوط الأخير**

https://www.youtube.com/watch?v=gVWM9Oxs_10

6. **فيلم وثائقي عن موقعة الجمل**

https://www.youtube.com/watch?v=bTw0YmcPwHM



(17)

رقصة المذبوح

ظهرت إبداعات الشباب ومدى قدرتهم في الدفاع عن أنفسهم ومبادئهم ومدى التضحيات التي قدموها من أجل ذلك، وإن كان جيفارا قد أيقظ ثورته على طريقته، فإن الشباب المصري قاد ثورته بأروع ما يكون، بطريقة جعلت الثورة المصرية تنفرد بطابعها السلمي على ثورات العالم.. ولم يلجأ الشباب إلى الهجوم في سبيل إشعال الثورة بل تمسكوا بالدفاع فقط عن مبادئها.. وابتكروا كثيرا من الحيل البسيطة تمكنهم من الدفاع عن ثورتهم، فبالإضافة إلى الدروع والمتاريس التي لجئوا إليها، وضعوا أغطية الرأس بأشكالها وألوانها المختلفة، وقد تنوعت ما بين خوذات العمال البلاستيكية بألوانها الحمراء والبيضاء والخضراء.. وخوذات الدراجات النارية ذات أغطية الوجه الزجاجية.. وحتى وضع الكوفية على الرأس لحمايتها من الإصابات.. واستخدموا دروع يدوية صغيرة من ألواح الخشب والصفيح تمكنهم من صد المقذوفات بأنواعها.. دروع مثل دروع الفرسان في العصور الوسطى لأنها الأنسب في التعامل مع مبارك ونظامه.. وتشكلت بطريقة تلقائية فرق قرع الطبول.. وكانت الطبول ممثلة في الألواح المعدنية والمصفحات العسكرية والأسوار الحديدية حول حديقة المتحف وحتى أكشاك المرور الأسطوانية الصغيرة المصنعة من مادة " الفايبر ".. ويكفي أن تمسك حجرا أو قضيبا معدنية وتضرب بانتظام على أي شيء حولك فيصدر صوتا منتظما.. كان هذا التناغم في الأصوات يضرب بعنف على وتر الحماسة بداخلنا وهو بطبيعته شديد الحساسية.. كانت فرقة قرع الطبول هذه تنتشر خلف الصفوف الأولى، ويزداد حماسنا مع تسارع الإيقاع الصوتي حسب خطورة الموقف.. وقد حاول استأذنا الصحفي الكبير محمد عبد القدوس الانضمام إلى صفوفنا الأولى من الاشتباك، لكن الشباب أشفقوا على صحته واثنوه عن ذلك، فوقف بجوار الرصيف المتاخم لحديقة المتحف وأمسك بيده حجرا واستمر في الطرق على لوح معدني بانتظام مع آخرين حوله شكلوا منظومة إيقاعية.. وكان قد اعتقل قبل جمعة الغضب وتعرّض للضرب والسحل والتعذيب، وبمجرد أن خرج انضم إلينا في الميدان، هو وآخرين غيره كثير من الصحفيين والإعلاميين الذين تركوا كاميراتهم ومدوناتهم وغرسوا أنفسهم بين الشباب وبعضهم تعرض للضرب المبرح من حشود الغجر المؤيدة لمبارك، ولهذا، كان معظم الصحفيين والإعلاميين الذين يتابعون الأحداث بمهنية هم من الأجانب وقد لجئوا إلى الخوذات وأغطية الرأس كما فعل الشباب كي يتمكنوا من رصد الأحداث عن قرب وفي مأمن من المقذوفات..

اقتربت الساعة من الواحدة منتصف الليل.. ولا زالت المروحية العسكرية تزأر في سماء الأحداث تراقب عن كثب.. وتوافدت أعداد غير قليلة وتجددت الوجوه في الميدان بعدما انتهى الاشتباك في الجبهات الأخرى على مداخل الميدان وأصبح الوصول إليه يسيرا بمجرد اجتياز حواجز التفتيش والأمن الميداني، ولم يعد هناك داعٍ للدخول في معركة مؤيد ومعارض.. وفي ذات الوقت كانت ساحة الغجر فد انكشفت وتناقصت أعدادهم أعلى وأسفل كوبري أكتوبر.. بعضهم ما زال مُصرا على المناوشات والتراشق بالحجارة.. وآخرون يطلقون صواريخ ألعاب نارية تثير فرقعة ودخان كثيف، والبعض أطلق طلقات صوتية، وربما كانت ذخيرة حية لكنها لم تصب أي منا بأذى، ولا زالت إبداعاتنا مستمرة ولم تتوقف على دروع اليد والخوذات وأغطية الرأس أو المتاريس الدفاعية، فقد عكفت مجموعة من طلاب كلية الهندسة على تصميم منجنيق صغير واستخدموه في قذف الأحجار.. وآخرون صمموا نبالا بسيطة (مفردها نبْل وهو مكون من قوس معدني وخيط مطاط لقذف الأحجار لمسافات أبعد).. وآخرون صعدوا أسطح العمارات السكنية المواجهة للمتحف، واحتلوا جميع الأسطح حتى لا يتسلل إليها البلطجية ويقذفوننا بالقنابل الحارقة مرة أخرى، وتقدمت الدروع والمتاريس عدة أمتار، وتحرك خلفها حائط المصفحات العسكرية ليقترب من صف المتاريس كالعادة حتى إذا هجموا فجأة وعبروا خط الدروع والمتاريس لا يتمكنون من عبور حائط الصد المصفح بسهولة مما يعطينا فسحة من الوقت نرتب صفوفنا خلف حائط الصد العسكري..

وكان من السهل إنهاء هذا الوضع وتصفيتهم تماما، لكن العقبة الوحيدة التي أعاقت تقدمنا، أنهم منقسمون إلى مجموعتين.. الأولى تقف أعلى الكوبري ، والثانية من أسفل الكوبري.. وكانت المجموعة الأولى على الكوبري تقف ظاهريا لمجرد المشاهدة من أعلى وكأنهم في مباراة كأس مصر 2011، لكنهم كانوا مستعدين بالقنابل الحارقة وكميات هائلة من الأحجار الضخمة التي تقتل بمجرد سقوطها من أعلى.. وكانت المجموعة التي تقف في الأسفل تقوم بجمع الحجارة في أجولة وبراميل تم ربطها بالحبال، في حين تقوم المجموعة التي على الكوبري بسحب البراميل وكميات الحجارة.. وهكذا في عملية تزويد بالمؤن والعتاد من أسفل لأعلى بصفة مستمرة وهم واثقين أننا سنقع في الفخ بكل سذاجة.. وكانت المجموعة التي في الأسفل تشتبك معنا في مناوشات قصيرة في عملية ابتزاز واستفزاز ثم تعود مسرعة في عملية كر وفر متواصلة ومنظمة حتى يتمكنوا من استدراجنا في محاولة للهجوم عليهم حتى إذا ما وصلنا إلى الكوبري وقعنا في الفخ، فتأخذ المجموعة التي أعلى الكوبري فرصتها وتطحن عظامنا وتحرق من بقي منا وهم في حصن منيع.. كان هذا فخا

ساذجا ولهذا توالت عمليات الكر والمناوشة والفر أسفل الكوبري.. لكننا ظللنا ثابتين خلف دروعنا ومتاريسنا ورفضنا أن يتقدم أحدنا ولو خطوة واحدة..

وبمرور الوقت، كان لابد أن نفكر في خطة تمكننا من إنهاء هذا الوضع الهزلي المتصلب فقررنا أن نتسلل واحدا تلو الآخر في الظلام بمحاذاة سور المتحف حتى وصلنا مطلع الكوبري، وبالتنسيق مع المجموعة الصامدة خلف المتاريس.. بدأ الهجوم أعلى وأسفل الكوبري بالتزامن، وبذلك تمكنا من تفكيك الفخ وتفتيت أجزاءه، إذ فرت الحشود المتمركزة أعلى الكوبري مثل الجرذان المذعورة، فلم يكن أحدهم يتوقع أبدا أن يأتيهم الهجوم من هذا الاتجاه أو أن يتعرضوا لأي هجوم أصلا فهم أعلى الكوبري ونحن أسفله.. ولهذا دب الرعب في قلوبهم وتفرقوا في لحظات مع أن أعدادهم كانت أكثر من ألفين؛ أما نحن فلم يتعدى عددنا العشرين شابا وليس معنا سوى حجر أو حجرين بيد كل واحد منا، ولم نلق منها حجرا واحدا.. وعلى العكس فكانوا هم مستعدين لحربٍ ضروس، لكنهم فقدوا أعصابهم عند الهجمة، فقد نقلوا كميات هائلة من أسفل الكوبري بالبراميل والأجولة، وكانت معهم صناديق مليئة بالقنابل الحارقة وأسلحة بيضاء متنوعة وقنابل يدوية بدائية معبئة في صفائح السمن النباتي وأكوام من الأقمشة والخرق المبللة بالبنزين والسولار لإشعالها وإلقائها علينا، ربما أفرغوا وقود سيارتهم كي يحرقونا به، لكن انقلب السحر على الساحر، فقد فروا مذعورين وتركوا كل شيء مبعثرا خلفهم.. ومن ستر ربنا أننا هجمنا عليهم من جانب واحد فقط هو مطلع الكوبري من جهة نهر النيل وتركنا لهم المطلع الآخر مفتوحا جهة رمسيس، فهربوا جميعا منه وتركوا كل ما كان معهم في الظلام..



وأما المجموعة التي كانت متمركزة تحت الكوبري، فعندما هجم عليهم زملاؤنا من خلف المتاريس تأخروا بضع خطوات وانتظروا كي يغلق الفخ على زملائنا فيحكموا قبضتهم عليهم بطريقة الكماشة، ومن ثم يطحنوا عظامهم، ففوجئوا بلا شيء يسقط من أعلى الكوبري وأن الزحف مستمر عليهم، فلم يتمكن جميعهم من الفرار ولهذا وقع كثير منهم أسرى في أيدي زملائنا.. بهذه الهجمة المزدوجة تمكنا من حسم المعركة لصالحنا وسيطرنا على الكوبري بفروعه المتشعبة، وهو ما لم نكن نتوقعه قبل 12 ساعة متواصلة من الكفاح.

بمجرد أن ظهرت نتيجة الحسم لصالحنا وفرت حشود الغجر مذعورة، بدأت تتصاعد طلقات متتابعة بكثافة عالية جدا من مدرعات الجيش ترج أرجاء المكان.. وكانت متتابعة وبكثافة عالية جدا وصلت إلى خمسمائة طلقة في الدقيقة الواحدة تقريبا، لكن لم تصب أحدا من شبابنا رغم كثافتها ودوي صوتها.. كان واضحا أن المدرعات العسكرية تستخدم المتوازي لتوجيه مئات الطلقات في الهواء لوقف تقدمنا، وربما كانت هذه الطلقات في الهواء لمجرد إنذارنا بالعودة فقط، وعلى هذا الأساس أخلينا الكوبري وعدنا إلى حائط دروعنا بعد منتصف الليل وأشعلنا نارا للإضاءة بما تبقى من صور حسني مبارك التي تركها مؤيدوه..

جلست إلى رصيف المتحف في بؤرة ضوء خفيفة قادمة من حديقة المتحف، وأطرقت لحظات.. أستعيد ذاكرتي التي كادت تطفح من ثقل وكثافة أحداث هذا اليوم العنيف، وما تعرضنا له من

مخاطر.. وما قد قدمه زملائي من تضحيات وأعمالٍ بطولية.. وتساءلت كيف كانت ثورتنا سلمية وراقية وتكنولوجية بدأت أولى خطواتها من الحوار الافتراضي على المواقع الإلكترونية، وتحولت إلى دعوة لوقفة صامتة ثم خرجت عن صمتها وأفصحت عن آمال شعب وطموحاته وتطلعات شبابه؟ وكيف بدأت آلة القمع بالعصي الغليظة ومضخات المياه والغازات والذخيرة حتى وصلت في محاولات النظام المتكررة لإخماد ثورتنا إلى آلية الحرب في العصور الوسطى بالخيول والجمال والأسلحة البيضاء.. لكننا على أي حال، استطعنا بجدارة أن نثبت لشعوب العالم أننا أكثر تحضرا ورقيا من أنظمتنا الحاكمة..

بعد منتصف الليل، بدأت تتواتر إلينا أخبار ومعلومات غريبة مرة أخرى على غرار " كرة النار الملتهبة التي تتدحرج في طريقها إلى ميدان التحرير"، وربما كانت مجرد شائعات ومحاولات لترويعنا وبث الرعب في قلوبنا حتى نرحل عن الميدان، لكننا على أي حال، مستعدين للتضحية بكل ما نملك حتى لو كانت دمائنا وأرواحنا.. وكان من بين هذه الأخبار التي تسربت إلينا.. أنه خلال دقائق سيتم تعتيم الإضاءة تماما حول المتحف، المكان الوحيد الذي ظلت تنبعث منه أضواء خفيفة واستقرت به قيادة الجيش، تمهيد لقنص المعتصمين، وأن فرقا من القناصة في طريقها للتوزع على أسطح المباني والعمائر المجاورة للميدان.. ومعلومات أخرى من هذا القبيل.. لكننا كنا مدركين تماما بأن النظام يرقص رقصة المذبوح، مثل الثور الذي يرفس ويركل في رقصات بهلوانية عنيفة بعد ذبحه، وكأنه يحاول التخلص من روحه بعنف أو الانتقام ممن ذبحه، ولهذا كنا مستعدين لأي شيء مهما فاق توقعاتنا، وكنا على يقين بأن شيئا ما سيحدث قبل بزوغ ضوء الفجر..

وحينما دقت الثالثة فجرا، فوجئنا بحشود تعد بالآلاف من أنصار الحزب الوطني والبلطجية الصعاليق من مؤيدي مبارك، ونظموا هجمة مفاجئة من أعلى وأسفل الكوبري وبدأ الاشتباك.. ربما كانوا قبل مجيئهم يعتقدون بأننا ممن ينامون الليل، ولهذا كانت ساعة الصفر التي حددوها في غسق الليل، وفجأة أسرعت وتيرة الطبول وانتبه الجميع إلى قدوم خطر، وأرسلنا للإذاعة لإعلان حالة الطوارئ مرة أخرى.. وقمنا على الفور بتنفيذ خطتنا السابقة في هجمة مزدوجة من أسفل وأعلى الكوبري وتمكنا من مفاجأتهم وتفريقهم في دقائق.. فانطلقت مدفعيات الجيش للمرة الثانية تدوي طلقاتها بكثافة عالية جدا.. وكانت الحشود الغجرية عندما فرت مذعورة هذه المرة تركوا كل أمتعتهم مبعثرة على الكوبري.. تركوا سيارات ملاكي فارهة وسيارات نصف نقل محملة بالحجارة والرخام ودراجات نارية ومأكولات مغلفة وزجاجات مياه معدنية وعصائر ومشروبات غازية وكميات من

الزجاجات الحارقة وأكوام من كسر الرخام وسيوف وخناجر.. ومع تناقض الأشياء التي تركوها خلفهم، لم نعرف هل كانوا في نزهة على الكورنيش أم في جولة من جولات الصعلقة أم إن الاثنين معا.. واستقل أحد شبابنا السيارة الملاكي وظل يلعب بها ذهابا وإيابا على الكوبري، فطلبنا منه أن يتركها جانبا، لكنه اقترح وضعها في منتصف الطريق وتعطيل إطاراتها حتى لا يتمكن أحد من عبور الكوبري وتمنع البلطجية من الهجوم مرة أخرى، لكننا رفضنا تعطيل حركة الكوبري.. يبدو أن سذاجتنا أوصلتنا إلى مثالية من الدرجة القصوى.

وفجأة سقط بيننا ثلاثة من الشباب برصاص مباشر في الرأس.. تبعهم اثنان في لمح البصر.. ولم نعرف بعد، مصدر هذه الطلقات الساخنة التي تردي الضحية صريعا في لحظة.. وتكررت طلقات الرصاص فأسقطت خمسة آخرين ولا زال الوضع غامضا في ظل صخب مدرعات الجيش وطلقاتها المتسارعة، وأخذنا ندور حول أنفسنا في صمت وركزنا أنظارنا على فوهات أسلحة الجيش.. كان ضوء الشرر يصعد إلى أعلى في اتجاه عمودي.. هو ما زاد الأمر غموضا، وساد صمت مريب..بعد نصف ساعة تقريبا، هجمت علينا سيارة نقل، واندفعت بسرعة جنونية تتموج يمينا ويسارا، وكنا لا نزال منتشرين على الكوبري، فأخلينا طريقها وتنحينا جانبا على الأرصفة يمينا ويسارا، لكنها تتبعتنا بعنف انتقامي، فتوارينا خلف السيارة الملاكي على الرصيف واحتمينا بها، ثم بدأ رشق الحجارة وتكسير زجاجها الأمامي للسيارة المهاجمة فانحرفت إلى الرصيف وكادت أن تسقط من على الكوبري.. وكان بها عشرة أشخاص تقريبا ومحملة بالحجارة وكسر الرخام وصناديق قنابل مولوتوف وأسلحة بيضاء وقنابل يدوية بدائية وسلاسل معدنية وسيوف وخناجر وأشياء أخرى كثيرة.. وأخذنا من كانوا بها أعطيناهم نصيبهم من العقاب الفوري وأرسلناهم إلى المستشفى الميداني رقم 6 خلف المتاريس.

وبينما كنت واقفا على حافة الكوبري، أتحدث إلى أحد صديق، وكان شابا في كلية الهندسة، وحكا لي أنه مصابا بنحو 80 خرطوشا في جمعة الغضب، وحاول الأطباء إخراج "البلي" من الجروح، ولكن ذلك كان يحتاج إلى راحة أسبوع كامل، ولذلك رفض أن يترك أصدقاءه وحدهم في الميدان وسط الاشتباكات.. ثم رفع صديقي إصبعه ليضعه على " تفاحة آدم" في رقبته ليقول لي : هنا بلية خرطوش.. فسقط فجأة على الأرض..لم أسمع سوى صوت اختراق الرصاصة لعظام الرأس فانفجرت، فانحنيت عليه لأحمله، لمحت عيني رصاصة أخرى اصطدمت بحافة الكوبري وصدر عنها شررا لامعا، فألقيت جسدي على الأرض مثل القتيل.. وتجمع زملاؤنا وتحركنا عشرينا مترا من مكاننا، لكن

كانت دماغ صديقنا المهندس مكسورة نصفين، كان غطاء الجمجمة ينقلب على وجهه فحاولنا إعادته وتثبيته بلاصق طبي حتى نتمكن من توصيله إلى المستشفى..

وهنا تأكد لنا أن هناك مصدر لإطلاق الرصاص الحي وبدون صوت من جهة ماسبيرو أو فندق رمسيس هيلتون المجاور له.. وهذا ما أشار إليه بوضوح اتجاه الشرر الذي أصدرته الرصاصة الثانية عند اصطدامها بحافة الكوبري، وتأكدنا أن هناك قناص أو أكثر يتصيدنا واحدا تلو الآخر، وكان معنا شباب متهورون انتشروا في كل مكان على الكوبري وأسفله حتى بعدما تأكد لنا أن المنطقة صارت خطرا. لكن أحد زملائنا بعد الهجمة الأخيرة على كوبري أكتوبر، قاد السيارة النقل التي جاءت بالهجمة الأخيرة من أنصار مبارك وأوقفها بعرض الكوبري قرب مدرعات الجيش بهدف منع صعود البلطجية، وابتعد عنها خطوات ووقف يتطلع إليها، ثم يعود ليعدل وضعها.. وبالتأكيد كان القناص قد وضعه تحت المجهر.. فحملنا جثته ونزلنا تحت الكوبري..

وهنا تدخل " أسد التحرير" للمرة الثانية، النقيب ماجد بولس وتحدث إلينا برجاء أن ننزل إلى أسفل الكوبري ونعود إلى ميدان عبد المنعم رياض وفي المقابل سيقوم هو بوضع دبابة في مطلع الكوبري ليمنع صعود البلطجية مرة أخرى، فاستجبنا لطلبه، وحملنا جثث زملائنا وعدنا إلى الميدان، وكان قد سقط منا ما يقارب العشرين شهيد ومصابا في عشر دقائق على الكوبري ومعظمهم برصاص في منتصف الرأس.. والغريب أن الرصاصة كانت تخترق الرأس وتخرج من الناحية الأخرى، لا تسكن فيها، وكان القناصة يتصيدون الشباب بعشوائية.. حتى أن بعض من بين البلطجية سقطوا بالرصاص الحي، يبدو أن القناص لم يستطع التفرقة ما بين الطرفين ، وكان البلطجية يجرون جثث زملائهم القتلى على أرض الطريق كما لو كانوا يسحبون أجولة قمامة، كان منظرا مقززا وهم يسحبون الجثث على الأرض من فوق الكوبري باتجاه شارع رمسيس..

بينما في مستشفى الميداني رقم (6) خلف المتاريس، كان بها مجموعة من البلطجية الذين تم أسرهم، لا يزالون يخضعون للعلاج.. فقد تعرضوا للضرب وأصيبوا بجروح عند أسرهم ومحاولاتهم للإفلات.. وقد طلب الطبيب من أحدهم أن يخلع ملابسه الخارجية كي يتمكن من علاجه وتضميد جروحه، وعندما سأله الطبيب عن مهنته وطلب بطاقته الشخصية، فصمت.. وهنا كانت المفاجأة..

ضابطا بالأمن السري.. اعترف بذلك وكان منكسر ومنكسر الرأس ولم يجرؤ أن يرفع عينه في وجه أحدٍ منا، وانهالت عليه اللعنات والتعليقات الساخرة من الشباب أثناء خلع ملابسه بعبارات مثل "

إخلع يا باشا.." و " الباشا ضابط الأمن شغال بلطجي لحساب الحزب الوطني.."، وأسئلة أخرى من قبيل " خيانة الشعب تبقى إيه يا باشا ؟ خيانة للوطن طبعا.. يعني إعدام يا باشا.." و " شكلك ضابط حلو وواد ابن ناس.. تعمل في نفسك كده ليه يا باشا ؟

وبمجرد انتهاء الأطباء من تضميد جروحه، انهال عليه شاب بالضرب والركل فشكل مجموعه من الشباب طوقا بشريا حوله لمنع الاعتداء عليه أو الانتقام منه ونقلوه إلى السجن الميداني في محطة المترو.. لأن الانتقام لن يدفع الثورة إلى الأمام.

وصلات خارجية

- وثائقي: موقعة الجملhttps://www.youtube.com/watch?v=rWWYXXGpvq0
- موقعة الجمل | ميدان التحريرhttps://www.youtube.com/watch?v=ouDNE7dJqjM |
- فيلم وثائقي - موقعة الجمل - السقوط الأخير

  https://www.youtube.com/watch?v=gVWM9Oxs_10
- فيلم وثائقي عن موقعة الجمل

  https://www.youtube.com/watch?v=bTw0YmcPwHM
- أبطال التحرير موقعة الجمل صباح الخميس 3 فبراير جزء

  https://www.youtube.com/watch?v=Y87Yr5Xi_go1

"إلى الجزء الثاني مع جمعة الرحيل يبتدئ فجرٌ جديد لعصرٍ جديد. "

